# تفسير القرآن

## النبي الجامع

في

الإعجاز البياني واللغوي والعلمي

إعداد ودراسة

الدكتور محمد الهلال

دار المعراج — دار جوامع الكلم

# تفسير القرآن الثري الجامع

في

## الإعجاز البياني واللغوي والعلمي

الجزء الحادي عشر

تفسير القرآن الثري الجامع
إعداد ودراسة : الدكتور محمد الهلال
عدد الأجزاء: (١٢)
عدد الصفحات : (٦٧٠٤)
القياس : ١٧ × ٢٤
التنضيد والإخراج الضوئي: محمود الجعبري

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٤٣ هـ - ٢٠٢٢ م

دار المعراج

تلفاكس : 2247242 11 963 +
ص.ب: 31429 . سورية . دمشق
E-mail: meraj.press@gmail.com

جوال : 60 60 84 933 963 +
سوريَّة ـ دمشق ـ تلفاكس : 2216555 11 963 + ـ ص . ب 13118
www.j-alkalem.com m.algabary@gmail.com

ISBN : 978-9933-586-77-5

# تفسير القرآن الثري الجامع

في

## الإعجاز البياني واللغوي والعلمي

إعداد ودراسة

الدكتور محمد الهلال

الجزء الحادي عشر

دار المعراج

دار جوامع الكلم

وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَـٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَـٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى
لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ
ٱلْمُجَـٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ
لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴿٣٢﴾
۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟
أَعْمَـٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا۟
وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ
وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا
ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ
وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ
تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَـٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ
لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ
فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن
تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَـٰلَكُم ﴿٣٨﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٥١

## سورة محمد [الآيات ٣٠ - ٣٨]

[٣٠] ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَـٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَـٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَـٰلَكُمْ﴾:

﴿وَلَوْ﴾: الواو عاطفة، لو: حرف امتناع لامتناع.

﴿نَشَآءُ لَأَرَيْنَـٰكَهُمْ﴾: اللام للتوكيد، أريناكهم: الرّؤية رؤية عينية بصرية.

﴿فَلَعَرَفْتَهُم﴾: أي: لو نشاء لجعلنا لهم علامات فارقة مميزة خاصة بهم تعرفهم بها حين تراهم، ولكنه لم يشأ ستراً لخلقه ومن رحمته ولطفه أخفى ذلك.

﴿بِسِيمَـٰهُمْ﴾: الباء للإلصاق، السّمة علامة خاصة. ارجع إلى سورة البقرة آية (٧٣) من البيان.

﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾: الواو عاطفة، واللام للتوكيد، والنّون في تعرفنهم لزيادة التّوكيد. أي: رغم أننا لن نبين لك من هم فهم لن يخفوا عليك فستعرفنهم في لحن القول، أي: في أسلوب القول أو طريقة كلامهم ومغزاه حين يطعنون بالمسلمين ويتحدثون على المسلمين بطريقة التورية والتّعريض، أي: يعرضون عن التّصريح إلى التّعريض والإبهام: أو يستعملون ألفاظاً معينة أو إشارات خاصة بهم متعارفون عليها.

ويقال: لحنْتُ له: إذا قلت له قولاً يفهم عنك ويخفى على غيره.

﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾: أي: أقوالكم وأفعالكم وسيجازيكم عليها.

[٣١] ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ﴾:

﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ﴾: الواو استئنافية، لنبلونكم: اللام والنّون كلاهما للتوكيد، فهذا الابتلاء كائن لا محالة والابتلاء أشد من الاختبار، ويكون في الخير والشّر والابتلاء هنا يعني الجهاد بالمال والنّفس وبالتّكاليف.

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف نهاية الغاية، وهي العلم من سيخرج في سبيل الله ومن يتخلف عن الجهاد، ومن الصابر أو غير الصابر والمرائي من المخلص.

﴿نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ﴾: وهل الله سبحانه بحاجة إلىٰ هذا العلم طبعاً لا فهو يعلم منذ الأزل، وقبل خلق الإنسان ما سيعمل أو ما لا يعمل وغاية العلم لإقامة الحُجَّة علىٰ العبد أولاً، وحتىٰ يعلم من حوله، أيْ: أنتم وغيركم شأنه وصدقه وكذبه وتكونوا شهوداً عليه.

والجهاد نوعان: الجهاد الأكبر والجهاد الأصغر، مجاهدة النّفس ومجاهدة العدو. ارجع إلىٰ سورة العنكبوت آية (٦) لبيان معنىٰ الجهاد.

﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾: علىٰ الطّاعات واجتناب النّواهي والقضاء والقدر.

﴿نَعۡلَمَ﴾: الصّابرين من غير الصّابرين ودرجات صبرهم.

﴿وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ﴾: في القرآن الخبر: هو النبأ العادي، والنبأ: هو الخبر العظيم؛ أي: نكشف أخباركم أو نبلوكم بشتىٰ الابتلاءات بالزّيادة في الخبر

أو النّقصان منــه أو الإخبار عنه بخلاف ما هو عليــه أو نطلع علىٰ أخباركم هل تصدقون أم لا، أو هل تتبيَّنوا صدق الأنباء قبل الإعلان بها.

الفرق بين الابتلاء والاختبار:

الابتلاء: لا يكون إلا بتحمل المكاره والمشــاق، ويكون في الخير والشّر وغايــة الابتلاء، هو معرفة أو اســتخراج ما عند المبتلىٰ مــن الطّاعة والصّبر أو المعصية من جراء المشــقة، والابتلاء قد يؤدّي إلىٰ كشف الأسرار أو الفضيحة، وليس الغاية من الابتلاء ليعلم الله؛ لأن الله سبحانه يعلم نتيجة ابتلائهم.

الاختبار: يكون بفعل المحبوب أو المكــروه وغاية الاختبار وقوع الخبر والخبر هو العلم بكنه الشيء وحقيقته.

[٣٢] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا وَسَيُحۡبِطُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: إن للتوكيد، الّذين: اسم موصول يفيد الذم.

﴿كَفَرُواْ﴾: بالله رباً وبالإســلام ديناً وبمحمّد نبياً ورسولاً، أو كفروا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

﴿وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: صرفوا أو منعوا غيرهم من الدّخول في الإســلام، أو فعل الخيــرات والأعمال الصّالحة، أو حاربوا الإســلام، أو إعلاء كلمة الله بشتىٰ الوسائل.

﴿وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ﴾: أي: خالفوا الرّسول وعادوه وحاربوه، وأصل المشاقة أن تصير في شق غير شق عدوك.

والشّق هو الّذي يفصل بين الشّيئين ويعني: الخلاف من جراء الاستهزاء بالدين، أو الآيات، أو رسول الله ﷺ.

﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى﴾: أي: من بعد أن تبيَّن لهم في كتبهم صدق نبوة محمد ﷺ وأنه حق والإسلام حق، والمرجح أن هذه الآية نزلت في يهود بني قريظة والنضير؛ لأن إضافة وشاقوا الرسول تدل على اليهود، وخاصة أنه قد سبق ذكر المشركين والكفار والمنافقين في الآيات السابقة.

﴿لَن﴾: أداة نفي تنفي المستقبل القريب والبعيد.

﴿يَضُرُّواْ ٱللَّهَ﴾: أي: بكفرهم وصدهم عن سبيل الله تعالى دين الله وإصرارهم على الكفر، لن يضروا الله الآن ولا في المستقبل القريب والبعيد ولا في أيِّ زمن.

﴿شَيۡـٔٗا﴾: نكرة، أي: مهما كان نوع أو شكل هذا الضرر ومقداره وجهته، والشيء هو أقل القليل، وسواء أكان حسياً أم مادياً.

وشقاق الرسول ﷺ أو شقاق المؤمنين هو شقاق لله تعالى ومعاداة الرسول أو معاداة المؤمنين هي معاداة لله تعالى.

وفي هذه الآية تهديد لهؤلاء الكفار.

﴿وَسَيُحۡبِطُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾: السين للاستقبال القريب، أي: في الدنيا ناهيك

عن الآخـــرة، إذن نفهم من هذه الآية أن معاداة الرســـول مـــن محبطات العمل الصالح.

[٣٣] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾:

نداء جديد للذين آمنوا بتكليف أو حكم أو أمر وهو طاعة الله تعالىٰ وطاعة رســـوله. ارجع إلىٰ ســـورة النساء آية (٥٩)، وســـورة آل عمران آية (٣٢) للبيان والفرق.

﴿وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾: تحبطوا أعمالكم الصالحة بمحبطات العمل كالشّرك والكفر والبدع، ومشـــاقة الرّسول ﷺ والمن والكبرياء وغيرها. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٢١٧) لمزيد من البيان.

[٣٤]: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: ارجع إلىٰ الآية السابقة (٣٢).

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب والتّراخي في الزّمن.

﴿مَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾: ماتـــوا ولم يتوبوا من الكفر أو الشّـــرك، ماتوا علىٰ ملة الكفر، وهم ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾: الفاء: للتوكيد؛ لن: أداة نفي تنفي المســـتقبل القريب والبعيد معاً.

لن يغفر الله لهم كفرهم وشركهم في الدنيا.

ونظير هذه الآية قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨ و١١٦].

[٣٥] ﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾:

﴿فَلَا﴾: الفاء رابطة لجواب شرط مقدر هو إذا لقيتم الّذين كفروا فلا تهنوا أو نودي للجهاد فلا تهنوا: لا النّاهية.

﴿تَهِنُوا۟﴾: من الوهن وهو الشعور بالضعف والخور، وأن يفعل الإنسان فعل الضّعيف، وهو قوي والضعف هو نقصان القوة، فالوهن ليس هو الضّعف حقيقة، أي: لا تفعلوا فعل الضّعفاء وأنتم أقوياء.

﴿وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ﴾: بكسر السّين وفتحها، أي: الصّلح أو المسالمة، أي: لا تدعوا إليها وأنتم الأعلون.

﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾: أي: الغالبون والقاهرون.

﴿وَٱللَّهُ مَعَكُمْ﴾: بالعون والنصر، أي: ناصركم وممدكم بحاجاتكم.

﴿وَلَن﴾: أداة نفي للمستقبل القريب والبعيد.

﴿يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾: أيْ: لن ينقصكم أجور أعمالكم، أيْ: ثوابها ولو بحسنة، لا الآن ولا في المستقبل يقال: وتره حقَّه: أيْ: نقصه حقَّه، أو سأله ماله من دون حقٍّ.

[٣٦] ﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ﴾:

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة تفيد الحصر.

﴿ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾: اللعب هو شغل لا يُلهي عن واجب، واللهو هو شغل يُلهي عن واجب.

فاللعب قد يصبح لهواً إذا شغل الإنسان عن واجبه، واللهو أسوأ من اللعب، وهو أعم من اللعب، والحياة الدنيا مليئة باللعب واللهو. ارجع إلىٰ سورة الأنعام آية (٣٢) للبيان. وقدم اللعب علىٰ اللهو في ثلاث آيات: في سورة الأنعام آية (٣٢)، وفي هذه السورة (محمد ﷺ)، وفي سورة الحديد آية (٢٠)، وقدم اللهو علىٰ اللعب في سورة العنكبوت آية (٦٤)؛ ارجع إلىٰ سورة العنكبوت للمقارنة.

﴿وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟﴾: إن شرطية.

تؤمنوا: بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

وتتقوا: أيْ: تطيعوا أوامر الله وتتجنبوا نواهيه، أيْ: تعملوا عملاً صالحاً.

﴿يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ﴾: أيْ: ثواب أعمالكم ثواب إيمانكم وتقواكم، الإيتاء هو العطاء ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٢٥١) لمعرفة الفرق بينهما، والأجر يكون مقابل العمل.

﴿وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ﴾: لا يطلب منكم جميع أموالكم، بل زكاة أموالكم، وما ترغبون أن تتصدقوا به وعدم ذكر الزكاة أو الصدقات؛ لأن نسبتها قليلة جداً

(٢,٥٪)، فهي نسبة ضئيلة لا تذكر قليلة جداً مقارنة بما عندكم من الأموال، وما تنفقوا منها فكأنه لا يستحق ذكرها أو إذا أخرجت الزكاة أو الصدقات، فكأن الأموال تبقىٰ نفسها ولا تنقص، ولذلك قال: ولا يسألكم أموالكم في الحقيقة، وإنما هي أمواله.

[٣٧] ﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَـٰنَكُمْ﴾:

﴿إِن﴾: شرطية تفيد الافتراض والاحتمال والندرة.

﴿يَسْـَٔلْكُمُوهَا﴾: أيْ: يسألكم الزكاة والصدقات، وجاءت بصيغة المضارع لتكرار الزكاة والصدقات.

﴿فَيُحْفِكُمْ﴾: الفاء للتوكيد، يحفكم: ألح في طلب أموالكم أو بالغ أو كرَّر عليكم لوجدكم تبخلوا أحفىٰ في المسألة ألح فيها أو ألح في طلبها، والإنسان يكره أن يلح عليه آخَرُ مرةً بعد الأخرىٰ.

﴿تَبْخَلُوا۟﴾: يجدكم تبخلوا جواب الشرط.

﴿وَيُخْرِجْ أَضْغَـٰنَكُمْ﴾: أحقادكم وبغضكم وكراهيتكم للسؤال.

[٣٨] ﴿هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَـٰلَكُم﴾:

﴿هَـٰٓأَنتُمْ﴾: الهاء للتنبيه، أنتم للتوكيد.

﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾: تكرار الهاء للتوكيد على التّنبيه والاستماع، أولاء اسم إشارة، هؤلاء بمعنى الّذين.

﴿تُدْعَوْنَ﴾: أيْ: أنتم أيها المخاطبون تدعون الآن أو في المستقبل لتنفقوا.

﴿لِتُنفِقُواْ﴾: اللام لام التعليل جزءاً من أموالكم كالزكاة والصدقات والقرض الحسن.

﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: ابتغاء مرضاة الله كالجهاد أو مساعدة الفقراء والمساكين وابن السبيل وفي سبيل الله قد تشمل الدعوة إلى الله وغيرها.

﴿فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ﴾: الفاء للتوكيد، منكم من بمعنى الّذي، يبخل: يكره أن ينفق ولا يخرج زكاة أمواله.

﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ﴾: الواو استئنافية من شرطية، فإنما: الفاء رابطة لجواب الشّرط، إنما كافة مكفوفة تفيد التّوكيد.

يبخل عن نفسه: يحرم نفسه رضا الله أو عن الثواب والأجر، وعن تفيد المجاوزة والمباعدة، أيْ: يبعد نفسه عن مصلحتها أو عن الخير.

أما لو قال: إنما يبخل على نفسه: أيْ: فعاقبة بخله تعود على نفسه كقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ [يونس:٢٣].

أو بخله يعود عليه، أي: هو يبخل على نفسه.

﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ﴾: عنكم وعن أموالكم وعن العالمين، هو الغني الذي يعطيكم المال وكل ما سألتموه ولا يبخل عليكم.

﴿وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾: إليه في كل حاجة من حوائجكم.

﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا﴾: إن شرطية تفيد الاحتمال والافتراض تقولوا عن الإيمان والتقوىٰ وعن الإنفاق في سبيله والبخل أو ترجعوا كفاراً، وتتولوا قد تكون معطوفة علىٰ (وإن تؤمنوا وتتقوا... وإن تتولوا...).

﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾: أيْ: يذهبكم ويأتِ بآخرين أفضل منكم.

﴿ثُمَّ﴾: للتباين في الصفات، وليس للبعد الزمني.

﴿لَا يَكُونُوٓا أَمْثَٰلَكُم﴾: في الطاعة والعبادة والإنفاق في سبيل الله.

بل أفضل منكم وأطوع وأكرم، وأسرع امتثالاً لأوامر الله تعالىٰ.

❖❖❖

# سورة الفتح

ترتيبها ٤٨ | آياتها ٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ
وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾
وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ
الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِّيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ
سَيِّئَاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ
الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ
بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ
شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾

## سورة الفتح [الآيات ١ - ٩]

ترتيبها في القرآن (٤٨) وترتيبها في النّزول (١١١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

**أسباب النزول:** قيل: نزلت سورة الفتح بين مكة والمدينة بعد صلح الحديبية بعد أن شعر الصحابة بالحزن والألم؛ لأنه حيل بينهم وبين دخول مكة للعمرة فقال رسول الله ﷺ: (نزلت عليَّ آية أحب إليَّ من الدنيا وما فيها وهي: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [الفتح:٢].

[١] ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾:

﴿إِنَّا﴾: للتعظيم.

﴿فَتَحْنَا لَكَ﴾: الخطاب إلى رسول الله ﷺ.

فتحنا: من الفتح، في اللغة يعني: إزالة الإغلاق، والفتح شرعاً: هو النّصر والغلبة بدون استخدام القوة أو الدّخول في حرب، وفتحنا جاءت بصيغة الجمع للتعظيم.

وأمّا النّصر: فهو الغلبة أو الظّفر باستخدام القوة والسّلاح أو الحرب.

والفتح هنا في رأي الجمهور: هو صلح الحديبية في السّنة السّادسة

للهجرة، وهناك من قال: إنّه فتح مكة، وكما قال الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر:١] فهناك فرق بين النصر والفتح.

فتحنا لك: ولم يقل فتحنا عليك، لك: اللام لام الاختصاص؛ أي: لك خاصة.

فتحنا لك: إذا كان الفتح فيه خير ولصالح المفتوح له يقال: فتحنا لك.

فتحنا عليك: إذا كان الفتح فيه ضرر وشر ولغير صالح المفتوح له.

كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ [المؤمنون:٧٧].

وسمّي صلح الحديبية فتحاً مبيناً؛ لأنّه لم يكن هناك فتحٌ أعظم منه؛ لما حققه من فتح مكة وانتشار الإسلام.

[٢] ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾:

﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ﴾: اللام لام الاختصاص والاستحقاق.

أي: مع هذا الفتح نبشرك بأنّا غفرنا لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر.

ليغفر لك: المغفرة الشّاملة ما تقدم وما تأخر، ما تقدم؛ أي: قبل الرّسالة (النّبوة)، وما تأخر؛ أي: بعد الرّسالة (النّبوة)، ولا يعني أنّ رسول الله ارتكب ذنباً؛ لأنّ الأنبياء معصومون عن الذّنوب والكبائر.

وقدّم (لك) أي: لك خاصة أو حصراً.

﴿وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ﴾: بالإضافة إلى النّبــوة يتم نعمته عليك بالنّصر والفتح أيضاً، ودخول الناس فــي دين الله أفواجاً وبعد ذلك فتح مكة وخيبر وانتشــار الإسلام، وإرسالك للثقلين بشيراً ونذيراً أو للناس كافة ورفع ذكرك في العالمين.

وكلمة (نعمته) الضّمير يعود على الله ســبحانه نعمته تشــمل سائر النّعم (نكرة) التي لا تعدّ ولا تحصى.

﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾: أي يرشــدك ويثبّتك على الاستقامة على دين الإسلام للوصول إلى الغاية العظمى وهي رضوان الله تعالى.

[٣] ﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾:

﴿نَصْرًا عَزِيزًا﴾: نصراً منيعاً قوياً، لا ذلّ بعده، ينصرك على أعدائك. والنصر يكون بالقوة والسلاح والجهاد ـ كما قلنا سابقاً ـ أو الفتح يكون بالغلبة بدون قتال وسلاح؛ أي: بالحجة والسلطان وإظهار الإسلام على الدين كلّه.

[٤] ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾:

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد الحصر والتّوكيد.

﴿ٱلَّذِىٓ﴾: اسم موصول يفيد التّعظيم والوحدانية يعود على الله سبحانه.

﴿أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: السّــكينة: من ســكون النفس، والسكينة أشد من الطّمأنينة والشّعور بالأمن، والسكينة قد تكون عامة تشمل كل المؤمنين أو خاصة تخص الرسول ﷺ أو الصحابة أو فئة معينة، وعندها بدلاً من أن يقول

السكينة يقول تعالىٰ: سكينته، يضيف إليها هاء التشريف؛ أي: سكينة خاصة. ارجع إلىٰ الآية (١٨) من السّورة نفسها لمعرفة الفرق بين السكينة وسكينته والمقارنة.

﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾: اللام لام التّعليل والتّوكيد، إيماناً مع إيمانهم ليزدادوا إيماناً بالكم والكيف، مع إيمانهم؛ أي: يزدادوا يقيناً واستقامة؛ أي: كلما نزلت فريضة أو آية زادتهم إيماناً مع إيمانهم السابق.

وفي هذه الآية دليل أنّ الإيمان يزيد وقد ينقص.

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: جنود تشمل الملائكة والرّياح والسّحاب والرّعد والبرق والصّواعق والنّار والقوىٰ الكونية. ارجع إلىٰ الآية (٧) من السورة نفسها لبيان الفرق بين جنود السموات والأرض في كلا الآيتين.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾: اختار عليماً حكيماً؛ لأنه سبق ذلك ذكر الفتح، وازدياد الإيمان والهداية، وجنود السموات والأرض، وإنزال السكينة؛ فالسياق سياق علم وحكمة؛ عليماً بأفعال وأقوال خلقه وأحوالهم في الأمن والخوف والسّكينة والرّعب، ويعلم مصالح عباده وما ينفعهم وما يضرهم. وعليماً: صيغة مبالغة كثير العلم.

حكيماً: من الحكمة، حكيماً في تدبير شؤون خلقه وكونه، فهو أحكم الحاكمين وأحكم الحكماء، (كان) تشمل كل الأزمنة الماضي والحاضر والمستقبل. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (١٢٩).

[٥] ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾:

﴿لِّيُدْخِلَ﴾: اللام لام الاختصاص والاستحقاق، يدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار.

﴿جَنَّٰتٍ﴾: جمع جنة جنات الفردوس، جنات النّعيم، جنات عدن، دار السّلام.

﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾: تنبع من تحتها الأنهار، خالدين فيها خلوداً يبدأ من وقت دخولهم إلى ما لا النهاية.

﴿وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾: يستر عليهم سيئاتهم ويمحوها ويعفو عنها فلا يعاقبهم عليها، والسيئات: قيل هي الصغائر، وهناك من قال هي الصغائر والكبائر، والكبائر لا بد لها من توبة.

﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ﴾: التّكفير عن السّيئات وإدخال الجنات يُعدّ عند الله تعالى فوزاً عظيماً.

﴿عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾: الفوز العظيم هو أعظم فوز، لا يعلوه فوز. ارجع إلى سورة النساء آية (٧٣) لبيان معنى الفوز وأنواعه أو درجاته والمقارنة بينها.

[٦] ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾:

قدّم المنافقين على المشركين؛ لأنّ المنافقين خطرهم أشد وأسوأ على المؤمنين من الكافرين.

﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾: في الدّنيا والآخرة بشتى أنواع العذاب.

﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾: أنّ الله لن ينصر رسوله، وأنّ الرسول ﷺ سيُهزم أو يُقتل، وأنّ المؤمنين سوف يهلكوا أو يقتلوا، أو الظّانين بالله أن له شريكاً أو ولداً.

ظن السوء: تشمل كل ظن سيئ بالله سبحانه.

﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾: أي ما يظنون بالمؤمنين من ظن السّوء هو دائر عليهم؛ أي: محيط بهم وواقع عليهم جميعاً من كل جانب كما تحيط الدّائرة بما كائن فيها.

﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾:

﴿وَلَعَنَهُمْ﴾: طردهم وأبعدهم عن رحمته.

﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ﴾: وهيّأ وجهّز لهم جهنم، لهم: اللام لام الاختصاص؛ أي: لهم خاصة، جهنم: اسم للنار مشتق من كونها بعيدة القعر؛ أي: شدة التّأجّج بالنّار؛ أي: شديد الاحتراق. ارجع إلى سورة الرعد آية (١٨) لمزيد من البيان.

﴿وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾: المصير: المنتهى. المصير: هو انقلاب الشّيء إلى خلاف الحال التي كان عليها.

وأمّا المرجع فهو انقلاب الشّيء إلى الحال التي كان عليها.

[٧] ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾:

﴿وَلِلَّهِ﴾: وحده، تقديم الجار والمجرور لفظ الجلالة يفيد الحصر.

﴿جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: إعادة هذه الآية لا تعني التّكرار، ولكن الآية (٤) تعني جنود الرحمة المختصين بإنزال السكينة والرحمة، وأما الآية (٧) تعني جنود العذاب، وكذلك أعقبها بقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾، ولكون الجنود من أجناس مختلفة قال تعالى: (جنود) ولم يقل جند (جند) يدلّ على أنهم من جنس واحد وغايتهم أو مهمتهم واحدة.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾: اختار عزيزاً حكيماً؛ لأنه سبق ذلك ذكر إدخال المؤمنين والمؤمنات الجنات، وعذاب المنافقين والمشركين، وجنود السموات والأرض، فالسياق سياق عزة؛ أي: قدرة، وحكمة في الجزاء والثواب.

﴿عَزِيزًا﴾: قوياً لا يُغلب ولا يُقهر وممتنع لا يضره أحد من عباده، له العزة جميعاً؛ عزة القهر وعزة القوة والقهر وعزة الامتناع، وذكر العزة يتناسب مع العقاب والتهديد.

﴿حَكِيمًا﴾: مشتقة من الحكم ومن الحكمة، فهو حاكم السماوات والأرض، وهو كذلك مالك السموات والأرض فهو أحكم الحاكمين وهو أحكم الحكماء

في شرعه وتدبير شـؤون كونه وخلقه، وإدخال المؤمنين الجنة وطرد المشركين والكفار من رحمته وإعداد جهنم لهم مصيراً، ارجع إلى سورة البقرة آية (١٢٩).

[٨] ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾:

﴿إِنَّآ﴾: للجمع والتّعظيم.

﴿أَرْسَلْنَٰكَ﴾: يا رسول الله، أرسـلناك بالحق للناس كافة، ولمعرفة الفرق بين (أرسلناك وبعثناك) ارجع إلى الآية (١١٩) من سورة البقرة للبيان.

﴿شَٰهِدًا﴾: على أمتك يوم القيامة بتبليغ الرّسـالة؛ لقوله تعالى: ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة:١٤٣].

﴿وَمُبَشِّرًا﴾: بالثّواب بالفوز والجنة مبشـراً للمتقيـن وللمؤمنين الذين يعملون الصّالحات.

﴿وَنَذِيرًا﴾: من الإنـذار وهو الإعلام مـع التّحذيـر والتّخويف منذراً للكافرين والمشـركين والمجرمين والمكذبين، منذراً بالعـذاب وبالنّار، نذيراً: كثير الإنذار، وقدم مبشـراً على نذيراً؛ لأن المخاطب هو رسول الله ﷺ تكريماً له ولقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧]، والبشـارة: هي رحمة.

[٩] ﴿لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾:

﴿لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ﴾: اللام لام التّعليـل، بالله: الباء للإلصاق، إيمان العقيدة والتّوحيد والألوهية والرّبوبية والأسماء والصّفات.

﴿وَرَسُولِهِۦ﴾: تصدقوا برسوله ﷺ.

﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾: تعود على (رسوله)، وقد تعود على الله؛ التّعزير: هو الإعانة، والنّصرة تكون بالقوة، وتعزير الرسول: هو تعزير لله ولم يقل وتعزروهما، توقير الرسول هو توقير لله تعالى.

﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾: تعود على الله ورسوله، التّوقير هو الاحترام مع التّعظيم.

﴿وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾: تعود على الله وحده سبحانه، وقد تكون كل الضمائر السابقة تعزروه، وتوقروه، وتسبحوه: تعود على الله سبحانه، وهناك من قال: أن تعزروه، وتوقروه تعود على الرسول ﷺ، أو قد تكون مشتركة تعود على الله تعالى ورسوله ﷺ، أما التسبيح: فلا يكون إلا لله وحده عز وجل؛ التّسبيح: هو تنزيه الله عمّا لا يليق به من كل نقص وعيب وشريك وولد وندٍّ ومثيل. والتسبيح لا يكون إلا لله وحده ولا يشمل الرسول ﷺ.

البكرة: أول النّهار، الأصيل: آخر النّهار، ارجع إلى سورة مريم آية (١١) لمزيد من البيان.

والتّسبيح قد يعني الصّلاة، وبكرةً وأصيلاً يعني: طول النّهار.

❖ ❖ ❖

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ
فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ
ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ
مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ
بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ
شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ
أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ
وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ
أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ
يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا
رَّحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ
مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟
كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا ۚ كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ
فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾

## سورة الفتح [الآيات ١٠ - ١٥]

[١٠] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد المدح.

﴿يُبَايِعُونَكَ﴾: الخطاب إلى رسول الله ﷺ، والبيعة: هي العهد على الطاعة لولي الأمر، وبشكل عام: هي أخذ العهد على فعل ما، وإذا بايعوا الولي جعلوا أيديهم في يده تأكيداً للعهد فأشبه ذلك البائع والمشتري، ولذلك سميت بيعة، وهي بيعة الرّضوان بالحديبية في السّنة السّادسة من الهجرة. والحديبية: قرية صغيرة قرب مكة تدخل في حدود الحرم، وكانوا (١٤٠٠) مسلم.

بايع المسلمون رسول الله ﷺ على قتال أهل مكة؛ لأنّهم منعوهم من دخول الحرم للعمرة فبايعوه على الموت في سبيل الله وعدم الفرار.

يبايعونك: مشتقة من البيع؛ أي: هم باعوا أنفسهم في سبيل الله بالجنة.

﴿إِنَّمَا﴾: كافة ومكفوفة تفيد التّوكيد.

﴿يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾: أي جعل الله سبحانه مبايعة النّبي ﷺ بمنزلة مبايعتهم له سبحانه.

أي: من يبايعونك إنما يبايعون الله، وهذا تشريف عظيم له ﷺ.

﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾: لتأكيد البيعة، فقد كان كل صحابي يأخذ بيد رسول الله ﷺ يبايعه، يد الله فوق أيديهم هذا مجاز لغوي؛ يعني: الله سبحانه حاضر وشاهد على البيعة.

﴿فَمَن نَّكَثَ﴾: الفاء للتوكيد، من: شرطية، نكث: نقض العهد أو البيعة فلم يقاتل وينصر رسول الله ﷺ.

﴿فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾: أي عاقبة أو وبال نقضه العهد يرجع عليه وحده ولا يتجاوزه إلى غيره.

فإنما: الفاء للتوكيد، إنما كافة مكفوفة تفيد التّوكيد.

ينكث على نفسه: أي وقع عقاب النّقض أو النّكث على نفسه وحده.

﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ﴾: من شرطية، أوفى: أي أتمّ عهده ولم ينكث، وحافظ على عهده.

﴿بِمَا﴾: الباء للإلصاق والملازمة، ما: بمعنى الذي عاهد عليه الله.

﴿عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ﴾: عليهُ جاء بالضّمة بدلاً من الكسرة ولم يقل عليهِ؛ لأنّ الضّمة أثقل الحركات (من الفتح أو الكسر) جاء بها لتدل على أنّ هذا العهد هو أثقل العهود؛ أي: استعمل أثقل الحركات وهي الضّمة لأثقل العهود أو البيعات. وهناك من قال بناء الضمير (عليهُ) بالضم لغة الحجاز، أو البناء على الضم يدل على التفخيم لكي يفخم هذا العهد.

﴿فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾: الفاء رابطة لجواب الشّرط تفيد التوكيد.

فسيؤتيه: السّين للاستقبال القريب، الإيتاء هو العطاء وهناك فرق بينهما. ارجع إلى الآية (٢٥١) من سورة البقرة للبيان.

أجراً عظيماً: أي الجنة.

وقيل: لم ينكث من الصّحابة أحدٌ غير رجلٍ واحدٍ هو الجدُّ بن قيس وكان من المنافقين.

[١١] ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾:

﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾: سيقول: السّين للاستقبال القريب أو سيقول لك قريباً.

المخلّفون من الأعراب: الذين تخلّفوا عن الخروج معك إلى الحديبية؛ فقد خرج رسول الله معتمراً وطلب من الأعراب الذين كانوا حول المدينة الخروج معه للعمرة، وساق معه الهدي؛ ليُعلِم أهل مكة أنّه لا يريد حرباً، فتثاقل أعراب غفار ومزينة وجهينة وأشجع عن الخروج خوفاً من القتل أو الموت وقالوا: كيف يخرج لملاقاة قوم غزوه في عقر داره؟ أي: بالمدينة وقتلوا أصحابه في أحد، وظن هؤلاء أنه سيهلك هو ومن خرج معه ولن يرجعوا إلى المدينة أحياء، واعتذروا لعدم الخروج بالشّغل في أموالهم وأهليهم؛ أي: ليس هناك من

يقوم بالشّغل بدلاً منهم، وأنهم خافوا على أهليهم وديارهم من الغزو، وهم في الحقيقة تخلّفوا مخافة القتل، وليس صحيحاً ما زعموه.

﴿شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا﴾: للتكثير والمبالغة، ولم يقولوا شغلنا.

﴿فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا﴾: الفاء السّببية ربط السّبب بالمسبب، استغفر لنا الله من التّخلف وعدم الخروج معك. وطلبهم الاستغفار هو طلب رياء وليس حقيقة أو جادين في طلب الاستغفار؛ والدليل على ذلك: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾. وهذا من علامات النّفاق؛ أي: يقولون كذباً.

ولم يقل يقولون بأفواههم كما ورد في آل عمران آية (١٦٧) القول بالأفواه أقوى وآكد من القول باللسان؛ لأنّ اللسان جزء من الفم فإذا كان القول فيه مبالغة أو توكيد، ذُكرت الأفواه، ولو نظرنا في هذه الآية من سورة الفتح والآية (١٦٧) من سورة آل عمران لوجدنا: (يقولون بألسنتهم) جاءت على لسان الذين تخلّفوا عن الحديبية والخروج مع الرسول ﷺ للعمرة، وزعموا أنهم مشغولون بأموالهم وأهليهم.

أما (يقولون بأفواههم): جاءت على لسان الذين تخلّفوا عن معركة أحد والقتال فيها فقد قالوا: لو نعلم قتالاً لاتّبعناكم. فهو سبحانه استعمل كلمة أفواههم في غزوة أحد التي حدث فيها قتال كبير، واستعمل ألسنتهم في صلح الحديبية الذي لم يحدث فيه قتال.

﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾: قل لهم يا رسول الله ﷺ، لهؤلاء الذين

تخلّفوا عن الخروج معك للحديبية، فمن: الفاء رابطة لجواب شرط مقدّر، من: استفهامية.

لكم: اللام لام الاختصاص، فالخطاب هنا خطاب خاص موجّهٌ لهؤلاء فقط؛ أي: المخلفون من الأعراب الذين تخلفوا عن الخروج إلى الحديبية، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (١٧) من سورة المائدة وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾: نجد أنه لم يذكر (لكم) في هذه الآية؛ لأن الآية عامة، وليست خاصة بفئة معينة، كما هو الحال في آية الفتح.

شيئاً: نكرة تشمل أيَّ شيء مهما كان صغيراً أو كبيراً، والشّيء هو أقل القليل نفعاً أو ضراً، وسواء أكان حسياً أم معنوياً.

﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا﴾: إن: شرطية تفيد الاحتمال، أراد بكم ضراً: قدّم بكم الجار والمجرور للحصر، (بكم) وحدكم، ضراً: بفتح الضّاد، وهو خلاف النّفع مثل: الفقر والقتل والهزيمة والخوف وعدم الأمن وضياع الأموال والموت، ضُراً: بضم الضّاد هو سوء الحال في النّفس مثل: المرض والهم والغم.

والضر: هو الأذى إذا اشتد فالضرر أشدّ من الأذى وتكون له آثار بعد ذلك، وقدّم الضر على النفع في هذه الآية؛ لكون السياق في التخلف عن الجهاد الذي يعتبر ضراً؛ لكونه يؤدي إلى القتل والسّبي.

﴿أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا﴾: من ظفر ونصر وغنيمة وأمن.

﴿بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾: بل للإضراب الانتقالي.

كان الله: (كان) تشمل كل الأزمنة الماضي والحاضر والمستقبل، كان ولا يزال وسيبقى خبيراً.

بما: الباء للإلصاق والملازمة، ما: تعني الذي أو مصدرية.

تعملون: العمل يشمل الأقوال والأفعال.

خبيراً: أي عليماً ببواطن أموركم وما تخفي صدوركم من الصدق أو الكذب والنّفاق والرّياء.

وقدّم (تعلمون) على (خبيراً) ولم يقل وكان الله خبيراً بما تعلمون؛ لأن الآيات في سياق عمل المخلّفين (أي أقوالهم بألسنتهم).

[١٢] ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾:

﴿بَلْ ظَنَنتُمْ﴾: بل للإضراب الانتقالي، ظننتم: من الظّن: هو الشك مع رجحان كِفَّة الإثبات على النّفي. أي: كان رأيهم الراجح.

﴿أَن لَّن﴾: أن للتعليل والتّوكيد، لن: لنفي المستقبل القريب والبعيد؛ أي: أنّ الرّسول والمؤمنين لن يرجعوا سالمين بعد الذهاب للعمرة؛ أي: سيهلكون قريباً أو بعيداً.

﴿يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾: الانقلاب؛ أي: الرّجوع أو

العودة إلى منازلهم أو ديارهم، والانقلاب يختلف عن الرّجوع، الرّجوع: هو العودة إلى المكان الذي خرج منه وبدون تغيير.

الانقلاب: هو الرّجوع إلى غير الحالة التي خرج فيها، فقد يرجع أو لا يرجع وإذا رجع لن تكون حالته كما في السّابق.

﴿إِلَىٰٓ أَهۡلِيهِمۡ﴾: ولم يقل إلى أهلهم، أهليهم: تضمّ الزوجة والأولاد والعشيرة والأقارب، وأما أهلهم: تعني الزوجة والأولاد فقط.

﴿أَبَدٗا﴾: للتوكيد؛ أي: سيقتلون حتماً على يد قريش ولن يرجعوا إلى أهليهم بل ينقلبوا إلى القبور.

﴿وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمۡ﴾: زُيّن: مبني للمجهول، وغالباً من يفعل ذلك هو الشّيطان.

﴿ذَٰلِكَ﴾: أي عدم الانقلاب والعودة إلى أهليهم.

﴿فِي قُلُوبِكُمۡ﴾: خاصة.

﴿وَظَنَنتُمۡ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِ﴾: ظننتم من الظّن هو الاحتمال الراجح، ارجع إلى مطلع الآية.

ظن السوء: الظن السيء، والسوء: مصدر ساءه، والسوء: هو الاسم، والظن السيء: هو أن الرّسول والمؤمنين سيُقتلون ولن ينقلب أحد منهم إلى أهليهم.

﴿وَكُنتُمۡ قَوۡمَۢا بُورَۢا﴾: بور: جمع بائر، وبار الشّيء: فسد وهلك، بوراً

مصدر للمفرد والمؤنث والجمع؛ أي: لا خير فيكم مستوجبين سخط الله وعقابه؛ أي: هالكين أو فاسدين. مشتقة من: أرض بور أي جدباء لا خير فيها.

[١٣] ﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا﴾:

﴿وَمَن لَّمْ﴾: الواو عاطفة، من: شرطية، لم: للنفي.

﴿يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾: إيمان عقيدة وتوحيد، والباء للإلصاق والملازمة.

﴿وَرَسُولِهِۦ﴾: إيمان تصديق وطاعة، انتبه إلى كونه جمع بين الإيمان بالله تعالى ورسوله، وهذا مغاير لمن يظن أنّ الإيمان بالله تعالى أو بالقرآن وحده يكفي.

﴿فَإِنَّآ﴾: الفاء رابطة لجواب الشّرط، إنّا: للجمع والتّعظيم.

﴿أَعْتَدْنَا﴾: هيّأنا وحضّرنا.

﴿لِلْكَٰفِرِينَ﴾: اللام لام الاختصاص والاستحقاق، الكافرين: الذين لم يؤمنوا بالله وروسوله.

﴿سَعِيرًا﴾: اسم للنار، سعير (نكرة) للتهويل والتّعظيم، والسّعير: شدة الالتهاب، فمن لم يؤمن بالله ورسوله فهو يستحق السّعير. ارجع إلى سورة الرعد آية (١٨) لمزيد من البيان.

[١٤] ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾:

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: ولله حصراً ملك السموات والأرض الحكم، والملك لا يشاركه فيه أحد.

﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾: ومشيئته تابعة لحكمته، يغفر للتائب المنيب.

﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾: ويعذّب المنافق والكافر والمشرك أو العاصي لأوامر الله ورسوله إذا لم يتب ويرجع عن ضلاله.

ورحمته سبحانه سبقت غضبه (عذابه)، ولذلك قدّم المغفرة على العذاب. وقد يكون هذا الكلام معطوفاً على قوله تعالى: ﴿فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾: الذي له ملك السموات والأرض يغفر لمن يشاء، انتقال من الإنذار والتّخويف إلى الإطماع في المغفرة والرّحمة.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾: كان: تشمل جميع الأزمنة الماضي والحاضر والمستقبل؛ أي: كان ولا يزال وسيبقى غفوراً لمن تاب وأصلح وأناب إلى ربه وأخلص دينه لله. غفوراً: صيغة مبالغة من غفر؛ أي: يغفر الذنوب العِظام والكثيرة.

﴿رَّحِيمًا﴾: بالمؤمنين يستر ذنوبهم ويمحوها ولا يعاقبهم عليها، ويثيبهم على حسناتهم وقد يبدّل سيئاتهم حسنات، فهذا يدل على أقصى درجات الرّحمة. رحيماً: صيغة مبالغة: كثير الرحمة بعباده المؤمنين.

[١٥] ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ

يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾:

﴿ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ ﴾: سيقول: السّين للاستقبال القريب؛ أي: سيقول لكم المخلّفون من الأعراب؛ قبائل غفار وجهينة ومزينة وأشجع بعد رجوعكم من الحديبية، وأردتم الخروج إلى غزوة خيبر: ذرونا نتّبعكم.

﴿إِذَا﴾: ظرفية زمانية، تفيد الحتمية.

﴿ٱنطَلَقْتُمْ﴾: أي: إذا خرجتم لفتح خيبر (مغانم خيبر) حيث وعدهم الله سبحانه بها عند رجوعهم من الحديبية في ذي الحجة من السّنة (٦) للهجرة.

﴿إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا﴾: أي: بعد الانتهاء من فتح خيبر وجلاء اليهود عنها، لتأخذوها: لام التّعليل.

﴿ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ﴾: أي دعونا نخرج معكم لخيبر.

﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾: يريدون ولم يقل يريدوا؛ أضاف نون التّوكيد.

يبدّلوا كلام الله: هو أنّ مغانم خيبر خاصة لمن خرج للحديبية مع الرّسول ﷺ، وأن لا يسمح لمن تخلّف عن الخروج للحديبية بالخروج معه إلى خيبر.

﴿قُل لَّن تَتَّبِعُونَا﴾: قل لهم يا رسول الله ﷺ، لن: للنفي القريب أو البعيد، لن تخرجوا معنا ولن تتبعونا إلى خيبر.

﴿كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ﴾: كذلكم ولم يقل كذلك بلفظ الجمع خطاب لهؤلاء الذين قل لهم لن تتبعونا، ويفيد التوكيد.

قال الله من قبل: أي أخبرنا بالوحي قبل عودتنا إلىٰ المدينة بعد الحديبية لن تخرجوا معنا ولن تتبعونا.

﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾: أي الذين تخلّفوا عن الحديبية سيقولون للذين خرجوا لغزوة خيبر بل تحسدوننا، وفعلاً قالوا ذلك (ليس هذا أمراً من الله) إنّما هو ذريعة وحُجّة باطلة، من عند أنفسهم؛ أي: تحسدوننا علىٰ نصيبنا من الغنائم ولذلك لا تريدوننا أن نخرج معكم.

﴿بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾: بل للإضراب الانتقالي.

كانوا لا يفقهون: لا يفهمون؛ الفقه لغةً: الفهم، واصطلاحاً: هو معرفة الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية القرآن والسنة والإجماع والقياس وغيرها. إلا أداة حصر، قليلاً: أي قلّة الفقه في الدّين، وصفهم الله بالجهل وعدم الفهم. ارجع إلىٰ سورة النساء آية (٧٨) لمزيد من البيان.

﴿لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾: أي عدد الذين يفقهون قليلٌ والأكثرية جهّالٌ، أو مقدار فقههم قليلٌ.

❖ ❖ ❖

قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ
تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ
وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَّيْسَ
عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ
وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ
وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ ۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ
ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ
فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ
كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ
مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ
ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا
مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ
وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ
ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾

الحزب ٥٢

## سورة الفتح [الآيات ١٦ - ٢٣]

[١٦] ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾:

﴿قُل﴾: يا رسول الله ﷺ.

﴿لِّلْمُخَلَّفِينَ﴾: اللام لام الاختصاص، المخلّفين: أي الذين تخلّفوا عن الخروج مع رسول الله ﷺ إلى الحديبية، وطالبوا بالخروج معك إلى خيبر؛ ليأخذوا من مغانمها، ومنعهم الله من ذلك.

﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ﴾ وعدهم الله سبحانه بأنّه سيدعوهم للخروج في المستقبل.

﴿إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾: لقتال قوم أولي بأس: أصحاب قوة وشدة في الحرب أو القتال، قيل: هم هوازن وغطفان يوم حنين في السّنة الثامنة للهجرة أو بنو حنيفة أهل اليمامة أصحاب مسيلمة الكذّاب، وكان قتالهم في زمن أبي بكر الصّديق رضي الله عنه.

﴿تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾: تقاتلونهم أو يسلمون بدون حاجة إلى القتال.

﴿فَإِن تُطِيعُوا۟﴾: الفاء للتوكيد، إن: شرطية تفيد الافتراض أو الاحتمال، تطيعوا: الدّاعي؛ أي: تنفروا للجهاد.

﴿يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا﴾: أي الجنة.

﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟﴾: إن شرطية، تتولّوا: تُعرِضوا وترفضوا الجهاد في سبيل الله.

﴿كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ﴾: أي عام الحديبية، لم تخرجوا للحديبية مع رسول الله ﷺ.

﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾: في الدّنيا بالقتل والإذلال والكوارث والبلاء وغيرها من أنواع العذاب، وفي الآخرة بعذاب النار، ثمّ يستثني من هذا العذاب الأعمىٰ والأعرج والمريض.

[١٧] ﴿لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾:

الأعمىٰ والأعرج والمريض، ليس علىٰ هؤلاء حرج في عدم الخروج، أو حرج في التّخلف عن الجهاد أو قتال القوم أولي البأس الشديد، لأنّ هؤلاء لما نزلت الآية (١٦) وقال تعالىٰ: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

قال أهل الأمراض المزمنة مثل الأعمىٰ والأعرج والمريض: كيف بنا يا رسول الله؟ فنزلت هذه الآية (١٧).

لا حرج عليكم ولا إثم ولا ذنب في التّخلّف وعدم الخروج والجهاد أو قتال هؤلاء القوم.

وتكرار لا يفيد توكيد النّفي، وفصل كل طائفة عن الأخرىٰ أو الكل معاً.

﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: من شرطية، تشمل المفرد والمثنىٰ والجمع، يطع الله ورسوله فيما أمرا به ونهيا عنه. وجمع بين طاعة الله ورسوله؛ لأن طاعة الرسول ﷺ هي طاعة لله تعالىٰ. ارجع إلىٰ سورة النساء آية (٥٩) للبيان المفصل. يطع الله ورسوله بالخروج للجهاد في سبيل الله.

﴿يُدْخِلْهُ﴾: جواب الشّرط.

﴿جَنَّاتٍ﴾: جمع جنة، هناك جنات الفردوس وعدن والنّعيم، ودار الخلد والسّلام، جنات المأوىٰ.

﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: أي تنبع من تحتها الأنهار، وهذا وعد صدقٍ من الله تعالىٰ وترغيب في الجهاد في سبيل الله.

﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾: يعرض ويرفض الخروج إلىٰ الجهاد في سبيل الله.

﴿يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾: هذا وعيد من الله تعالىٰ لمن يعصي أوامر الله ويترك ويتخلّف عن فريضة الجهاد إذا توفرت شروط الجهاد.

[١٨] ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾:

﴿لَّقَدْ﴾: اللام للتوكيد، قد: للتحقيق.

﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾: أي الذين خرجوا معه للعمرة وحضروا صلح الحديبية وكان عددهم (١٤٠٠) رضي الله عنهم إلا المنافق جدّ بن قيس لم يبايع رسول الله ﷺ. رضي الله تعالىٰ عن عملهم (البيعة) علىٰ الموت في سبيل الله.

﴿إِذْ﴾: ظرف للزمن الماضي.

﴿يُبَايِعُونَكَ﴾: ولم يقل بايعوك بالماضي وإنما جاء بصيغة الحاضر؛ للدلالة علىٰ حكاية الحال؛ أي: كأنّ البيعة تحدث الآن لعظم شأنها، واستحضار صورتها الجليلة. والنون في (يبايعونك) للتوكيد علىٰ أهمية البيعة.

يبايعونك علىٰ الموت وعدم الفرار، يبايعونك علىٰ قتال قريش، وكما روىٰ البخاري ومسلم عن يزيد بن عُبيد قال: قلت لسلمة بن الأكوع: علىٰ أيِّ شيء بايعتم رسول الله؟ قال: علىٰ الموت، وسمّيت بيعة الرّضوان؛ لقوله تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾: اسمها سَمُرة، وجاء بأل التّعريف (الشّجرة)؛ لأنّها معروفة.

﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾: الفاء للتوكيد، علم ما في قلوبهم: من الصّدق والإخلاص والوفاء للقتال في سبيل الله.

﴿فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾: الفاء للمباشرة، السّكينة؛ أي:

الطّمأنينة والأمن والسّكون والرّضى، عليهم: على الصّحابة رضي الله عنهم (١٤٠٠) إلا جدّ بن قيس.

قال: السّكينة، ولم يقل سكينته، السّكينة هذه عامة تنزل على الصّحابة والمؤمنين إذا شاء الله، وأمّا سكينته تشريف السّكينة بإضافتها إليه سبحانه، هذه سكينة خاصة تخص الرّسول ﷺ أو الرّسل الآخرين أو فئة خاصة من المقربين.

﴿وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾: أثابهم من الثّواب: هو الجزاء على أعمالهم الصّالحة، فتحاً قريباً: هو فتح خيبر.

[١٩] ﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾:

في الآية السّابقة قال تعالى: ﴿وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ هو فتح خيبر، ومغانم كثيرة يأخذونها: من جراء ذلك الفتح.

فقد كانت خيبر ذات بساتين ومزارع ونخيل وثمر وحصون ومال.

﴿وَمَغَانِمَ﴾: جمع غنيمة، وهو ما يؤخذ من أموال المشركين أو الكافرين بقتال.

أما الفيء: هو ما يؤخذ من الأموال والغنيمة بدون قتال، أما الأنفال: ارجع إلى الآية (١) من سورة الأنفال للبيان.

﴿يَأْخُذُونَهَا﴾: في المستقبل، وهذا بشارة لهم بالنّصر ولتطمئنّ قلوبهم بعد ما حدث لهم في الحديبية.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾: ارجع إلى الآية (٧) من السّورة نفسها للبيان.

[٢٠] ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾:

﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ﴾: الوعد يأتي في سياق الخير عادة إذا أطلق وإذا قيد قد يأتي في سياق الشر للتوبيخ أو التقريع، والوعيد يأتي في سياق الشّر.

﴿مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾: أي في الفتوحات القادمة.

﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾: الفاء للمباشرة، عجّل لكم هذه؛ أي: مغانم خيبر.

﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ﴾: الكفّ: الامتناع عن القيام بالفعل أو موالاة الفعل، أي: أيدي اليهود من أهل خيبر وحلفائهم من أسد وغطفان حين جاؤوا لنصرتهم، فقذف الله في قلوبهم الرّعب فولّوا هاربين.

ولمَ اختار كفّ أيدي النّاس عنكم؟ الكفّ يحدث حين يأتي العدو ويباشر أول خطوة ويحشد قواته ويتحرك تجاه أرض المعركة، فتأتي قوة تمنعه من التّحرك، وهذا ما حدث في خيبر حيث كفّ أيدي العدو اليهود وحلفائهم، وقذف في قلوبهم الرّعب فلم يصمدوا طويلاً أمامهم. أو ما حدث في الحديبية من عدم القتال.

﴿وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾: الواو عاطفة، اللام لام الاختصاص؛ أي: أخذ المغانم المعجّلة، أو كفّ أيدي النّاس عنكم بالصّلح في الحديبية، أو منع أهل خيبر وحلفاءهم من الوصول إليكم، كل ذلك آية للمؤمنين وعبرة.

أي: علامة تسبق فتح مكة؛ أي: كان فتح خيبر أو صلح الحديبية آية للمؤمنين (دلالة وعلامة) على فتح مكة القادم.

وقدّم الآية على المؤمنين؛ لأهميتها ودلالتها لكونها فريدة وخاصة. ارجع إلى سورة مريم آية (٢١) للبيان.

﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾: هو دين الإسلام الموصل للغاية بأقصر مسافة وزمن وبلا مشاقّ. ارجع إلى سورة الفاتحة آية (٦) لمزيد من البيان.

[٢١] ﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾:

﴿وَأُخْرَىٰ﴾: أي مغانم أخرى، وأخرى قيل: هي مغانم هوازن في غزوة حنين وفتوحات فارس والرّوم.

﴿لَمْ تَقْدِرُواْ عَلَيْهَا﴾: في حالتكم الرّاهنة أو عددكم وعدّتكم.

﴿قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾: علماً أنّها ستكون لكم وتأخذونها في المستقبل.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾: ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٢٠) للبيان.

[٢٢] ﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوَلَّوُاْ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾:

﴿وَلَوْ﴾: لو شرطية.

﴿قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: مشركو مكة بالحديبية ولم يصالحوكم، لَولَّوا الأدبار، أو قيل: أهل خيبر وحلفاؤهم يوم خيبر، لَولَّوا الأدبار وقد تعني كلاهما.

﴿ثُمَّ﴾: لتباين الأهمية بين الهزيمة (لَولوَّا الأدبار) وبين (لا يجدون ولياً ولا نصيراً) لأنّ التّولّي أمرٌ مؤقّتٌ وينتهي، بينما: لا يجدون ولياً ولا نصيراً: أمرٌ دائمٌ.

ولياً: مُعيناً أو مُحبّاً من يلجؤون إليه في الدنيا أو الآخرة.

﴿نَصِيرًا﴾: من ينصرهم بأيّ وسيلة بالأيدي أو العدّة والعتاد، أو يدفع عنهم العذاب أو يخفّفه في الدّنيا والآخرة.

وتكرار لا يفيد توكيد النّفي، وفصل الولاية عن النّصرة أو كلاهما معاً.

[٢٣] ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾:

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾: تعريف السّنة: طريقته وعادته سبحانه تكون علىٰ مثال سابق أجراه الله علىٰ خلقه وكونه سابقاً.

﴿ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ﴾: مضت من قبلُ: بالضّم وتدل علىٰ زمن معين. ولم يقل من قبلِ بالكسر التي تدل علىٰ زمن بعيد أو قريب؛ أي: في أيّ زمن غير محدد.

﴿وَلَن﴾: نافية للاستقبال القريب والبعيد.

﴿تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا﴾: أي يبدّل الهلاك بالعفو مثلاً، أو العذاب بعذاب آخر.

أما قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحۡوِيلٗا﴾ [فاطر:٤٣]؛ تعني: يحوّل العذاب من قوم إلىٰ قوم، فسُنن الله سبحانه لا تُبدّل ولا تتغير ولا تتحوّل، ارجع إلىٰ سورة النساء آية (٢٦) لمزيد من البيان، وإلىٰ سورة فاطر آية (٤٣).

ما الفرق بين السّنّة والعرف والعادة؟

السّنّة كما ذكرنا في مطلع الآية.

العادة: مأخوذة من العَود أو المعاودة؛ أي: التّكرار، العادة تتحقق بتكرار العمل، والعادة تطلق علىٰ ما يعتاده الإنسان بنفسه (عادات في الأكل والشّرب والحديث) العادة إذن فردية.

أما العادات التي تعتادها الجماهير أو الجماعات وتقوم بها يطلق عليها: العرف.

العرف: ما تعارف عليه النّاس من قول أو فعل أو ترك، وتواصَوا به في شؤونهم الحياتية، حيث أَلِفوه واطمأنّوا إليه فأصبح أمراً معروفاً.

أي: هو ما اعتاده وأَلِفه النّاس وتعارفوا عليه، واستقرّ في نفوسهم وساروا عليه من قول أو فعل أو العرف (العادة الجارية المشتركة بين النّاس).

والتقليد: أن يقلّد الإنسان من سبقه من الآباء والأجداد، أو أن يفعل ما فعلوه بدون تفكير أو استعمال العقل، فالتّقليد: هو إلغاء للفكر والعقل، وهو مذموم، وهناك تقليدٌ مستحبٌّ مثل تقليد الصحابة.

❖ ❖ ❖

وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ
بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ
مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ
لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ
لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ
عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ
وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾
لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ
ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ
لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ
فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ
ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾

## سورة الفتح [الآيات ٢٤ - ٢٨]

[٢٤] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾:

وهـذه منَّةٌ أخرىٰ من الله تعالىٰ علىٰ رسـوله ﷺ وعلـىٰ المؤمنين حين حاول ثمانون من المشركين المتسلّحين الغدر بالمؤمنين يوم الحديبية، فأسرهم أصحاب رسـول الله وأتوا بهم رسـول الله ﷺ فعفا عنهم، فكان سبب صلح الحديبية. وفي حديث آخر قيل: ثلاثون.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى﴾: وهو سبحانه وتعالىٰ، الذي للتعظيم.

﴿كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾: في الحديبية وسـمّىٰ الحديبية (ببطن مكة) وقيل: بطن مكة وادي مكة، وقيل: بطن مكة التّنعيم.

﴿كَفَّ أَيْدِيَهُمْ﴾: أي كفّ أيدي أهل مكة من الكفار والمشركين.

﴿عَنكُمْ﴾: عن الرّسول وأصحابه الذين خرجوا للعمرة.

﴿وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم﴾: حين أسروا (٣٠) أو (٨٠) رجلاً من أهل مكة أرادوا غرَّة رسول الله وأصحابه؛ أي: المفاجأة والنَّيل منكم.

﴿مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾: بأسـر هؤلاء الـ (٨٠) أو (٣٠) منهم. وهناك فرق بين: ظفـرت بفلان وظفرت عليه، ظفرت عليه؛ أي: تغلّبت عليه وقهرته أو أسرته، وظفرت به؛ أي: ثقفته أو وجدته وأنت قادرٌ ومتمكّنٌ منه.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا﴾: أي أحاط بصره بجميع المبصرات في أقطار السموات والأرض، يبصر ويرىٰ كلّ شيء يجري في كونه سواء كان ظاهراً أو باطناً؛ أي: مطّلع علىٰ أعمالكم (الأقوال والأفعال).

وقدّم (تعملون) علىٰ (بصيراً)؛ لأنّ سياق الآيات في الأعمال وليس السّياق في صفات الله تعالىٰ أو أعمال القلوب والنّوايا.

[٢٥] ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡهَدۡيَ مَعۡكُوفًا أَن يَبۡلُغَ مَحِلَّهُۥۚ وَلَوۡلَا رِجَالٞ مُّؤۡمِنُونَ وَنِسَآءٞ مُّؤۡمِنَٰتٞ لَّمۡ تَعۡلَمُوهُمۡ أَن تَطَـُٔوهُمۡ فَتُصِيبَكُم مِّنۡهُم مَّعَرَّةُۢ بِغَيۡرِ عِلۡمٖۖ لِّيُدۡخِلَ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ لَوۡ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبۡنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا﴾:

﴿هُمُ﴾: للتأكيد، وتعود علىٰ كفار مكة؛ كفروا بالله وبرسوله وما فعلوه من منعكم وصدّكم يستحقون أن يقاتَلوا، ولكنّ الله سبحانه لم يسمح بذلك؛ لأنه كان هناك بين المشركين رجال مؤمنون ونساء مؤمنات.

﴿وَصَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾: أي منعوكم من الوصول إليه والدّخول إليه للعمرة والزّيارة.

﴿وَٱلۡهَدۡيَ مَعۡكُوفًا أَن يَبۡلُغَ مَحِلَّهُۥ﴾: الهدي: كل ما يُهدىٰ للبيت من البُدن والغنم؛ حيث ساقوا معهم (٧٠) بدنة، معكوفاً: محبوساً عن أن يبلغ محِلّه: مكان نحره أو حيث نحره؛ أي: مكان منىٰ، أن: حرف مصدري يفيد التّعليل.

﴿وَلَوۡلَا﴾: حرف امتناع لامتناع.

﴿رِجَالٞ مُّؤۡمِنُونَ وَنِسَآءٞ مُّؤۡمِنَٰتٞ﴾: هذا هو المانع لعدم قتالهم؛ أي: وجود هؤلاء أهل الإيمان بين كفار مكة؛ أي: مختلطون بالمشركين.

﴿لَّمۡ تَعۡلَمُوهُمۡ﴾: مَن هم، أو غير عارفين بهم.

﴿أَن تَطَـُٔوهُمْ﴾: أن للتعليل، تطؤهم: أي أن تطؤوهم غير عالمين بهم والوطء: الدّوس؛ أي: القتل، أن تطؤوهم؛ أي: أن تقتلوهم خطأ.

﴿فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةُۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: معرَّة: عيب أو مساءة بقتل من هو على دينكم أو إثم بالتقصير في البحث عنهم، وتعيير الكفار لكم من إصابة إخوانكم بالأذى أو القتل.

﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: أنكم قد آذيتموهم أو أسأتم لهم.

﴿لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾: ليدخل: اللام لام التّعليل.

﴿لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾: قدّم الرّحمة على المشيئة؛ لأنّ الآيات جاءت في سياق صحابة رسول الله ﷺ الذين يمثّلون خير القرون، بينما في سورة الإنسان آية (٣١) قال تعالى: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾، قدّم المشيئة على الرّحمة؛ لأنّ السّياق في عامة الخلق.

﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾: لو حرف امتناع لامتناع.

تزيلوا: أي لو تميّزوا أو انفردوا عن الكفار أو تفرّقوا عنهم؛ أي: خرجوا من بينهم.

من زيّله: فرّقه.

﴿لَعَذَّبْنَا﴾: اللام للتوكيد.

﴿لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾: بالقتل والهزيمة في الدّنيا أو الكوارث أو الابتلاءات.

[٢٦] ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ

عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾:

﴿ إِذْ ﴾: معناها: واذكر.

﴿ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾: أو بمعنىٰ حين، واذكر حين جعل الذين كفروا.

﴿ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ﴾: الحميّة حميّة الجاهلية؛ أي: الأنفة والتّعاظم والتّكبّر عن قول الحق، وبمنع دخول الرّسول والصّحابة لزيارة البيت الحرام والطّواف به، وقولهم: كيف نسمح لهم بدخول ديارنا ومنازلنا وهم عدو لنا؟ أو كيف يدخلوها رغم أنوفنا؛ أي: بالقوة والقهر. وكذلك حين رفضوا كتابة (بسم الله الرحمن الرحيم وأن محمّداً رسول الله) في عقد الصّلح.

﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾: فأنزل: الفاء للمباشرة، أنزل الله سكينته: ولم يقل السّكينة بل قال: سكينته، أضاف السّكينة إليه سبحانه تشريفاً لها، أنزلها علىٰ رسوله وعلىٰ المؤمنين (الصّحابة) حين هَمَّ أو عزم المؤمنون عدم قبول الصّلح، فأنزل سكينته سبحانه؛ أي: الطّمأنينة والرّضىٰ والصّبر والتّسليم لأمر الله سبحانه رغمَ ما أصابهم من القهر والأذىٰ.

﴿ وَأَلْزَمَهُمْ ﴾: أي المؤمنين.

﴿ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾: وهي لا إله إلا الله محمّد رسول الله، ألزمهم بحملها والدّعوة إليها، وقيل: بسم الله الرحمن الرحيم، وقيل: الوفاء بالعهد.

﴿ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا ﴾: أولىٰ بها وأجدر بهذه الكلمة كلمة التّوحيد.

﴿ وَأَهْلَهَا ﴾: أهلاً لحمل هذه الكلمة والدّعوة إليها.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾: بأقوال وأفعال ونوايا كلٍّ من الفريقين المؤمنين والكفار.

[٢٧] ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾:

**المناسبة**: كما قال قتادة ومجاهد: كان رسول الله ﷺ قد رأىٰ في المنام أنّه دخل مكة وأصحابه، وطاف بالبيت وحلقوا رؤوسهم وقصّروا، وأخبر ﷺ أصحابه بتلك الرّؤيا وهم في المدينة قبل الخروج إلىٰ الحديبية، فلما رجعوا بدون دخول مكة ولم يعتمروا ويطوفوا بالبيت، شقَّ عليهم ذلك وكانت أكبر فتنة يومها، وقال المنافقون: أين رؤياه التي رآها؟ والحقيقة: أنّ رسول الله ﷺ لم يخبرهم بالعام أو الزّمن؛ أي: متىٰ سيدخل مكة.

﴿لَّقَدْ﴾: اللام للتوكيد، قد: للتحقيق والتّوكيد.

﴿صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾: أي جعل رؤيا الرّسول ﷺ حقاً، أو صدقاً.

الرّؤيا: هنا الرّؤيا المناميّة؛ أي: ما يراه النائم وليست الرّؤية البصريّة. والحق: الأمر الثابت الذي لم يتغير أو يتبدل، والحق نقيض الباطل، والريا بالحق: أي: الصدق.

﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾: اللام والنّون للتوكيد، تدخلنَّ المسجد الحرام: للعمرة والزّيارة في العام القادم.

﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾: إن شرطية تفيد الاحتمال، شاء الله: بإذن الله تعالىٰ ومشيئته.

﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾: حلق الشعر أو التقصير جزء من مناسك العمرة (والجزء يدل علىٰ الكل)؛ أي: آمنين تقومون بأعمال أو مناسك العمرة كاملة لا تخافون، وحلقُ الرّأس والتّقصير يكون بعد إتمام العمرة، وهذا يدل علىٰ أنهم سيدخلون، ويتمون العمرة بأمن وطمأنينة، وعدم الخوف.

﴿لَا تَخَافُونَ﴾: لا النّافية، عدواً، تخافون: أحداً، والنون للتوكيد بدلاً من القول لا تخافوا.

﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾: أي: علم سبحانه ما لم تعلموا من الحكمة والمصلحة والمنفعة في تأخير العمرة وعدم دخول مكة هذا العام وما في الصّلح من خير للمسلمين. وكذلك علم ما لم تعلموا من أنكم ستفتحون خيبر وأنتم لا تعلمون ذلك.

﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ﴾: أي جعل من دون فتح مكة أو فتح الحديبية.

﴿فَتْحًا قَرِيبًا﴾: هو فتح خيبر.

[٢٨] ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾:

﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل يفيد الحصر والتّوكيد؛ أي الله الذي أرسل رسولَه.

﴿أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ﴾: بالهدىٰ؛ أي: بالقرآن.

﴿وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾: دين الإسلام. الحق؛ أي: الثابت الذي لا يتغير أو يتبدل.

﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾: اللام للتوكيد والتّعليل، وهاء الضّمير في (يظهره) تعود على الإسلام، وإظهاره لا يعني بالقوة فحسب، وإنما بالحجج والبراهين للناس، ولا يعني أنّ كل إنسان سيدخل في الإسلام ويصبح مسلماً أو أنّه يمحو الشرائع أو الدّيانات الأخرى. وقيل: ليظهره على الدين كُلِّه عند نزول عيسى ويحكم بالإسلام ويصبح الدين الظاهر على بقية الديانات أو الشرائع.

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾: الباء للتوكيد، شهيداً: صيغة مبالغة من: شاهد، والشّهيد: العليم بظاهر الأمور، والخبير: هو الشّهيد ببواطن الأمور، والشّهادة تعني: العلم مع الحضور.

فيكفي أن يكون الله شهيداً على نبوّة محمّد أو شهيداً على ما وعده، أو شهيداً أنه سيظهر دينه. ارجع إلى سورة البقرة آية (١٣٣) لمزيد من البيان في معنى شهيداً.

❖ ❖ ❖

مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ
تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ
فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ
فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ
عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾

## سُورَةُ الْحُجُرَاتِ

ترتيبها ٤٩ — آياتها ١٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ربع الحزب ٥٢

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ
فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ
لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ
قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾

## سورة الفتح [الآيات ٢٩]

[٢٩] ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾:

الآية السّابقة انتهت بقوله: ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ وبدأت هذه الآية: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ﴾ فضلاً من الله ورضواناً؛ أي كفىٰ بالله شهيداً محمّد رسول الله.

﴿وَالَّذِينَ﴾: اسم موصول للمدح.

﴿مَعَهُ﴾: ولم يقل والذين آمنوا معه؛ لأنّ (معه) تعني: الصحابة الكرام والصّحبة، وهل يصاحب رسولُ الله إلا مؤمناً؟ إذن لا داعي لذكر: الذين آمنوا معه.

﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾: أشداء علىٰ الكفار، ولم يقل شداد؛ أشداء تعني: في الناحية العاطفية والمعنوية؛ أي: ، رحماء فيما بينهم؛ أي: يعاملون إخوانهم أو بعضهم بعضاً بالبر والرّحمة، ولو قال: شداد؛ تعني: في القوة المادية أو الحسية.

﴿تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾: منشغلين أو مهتمين بالصّلاة أو كثرة الصّلاة.

﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾: يطلبون ثواب الله ورضاه رضواناً: من الرّضوان؛ صيغة مبالغة: كثير الرّضا، فرضاه سبحانه أعظم الرّضا.

﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾: سيماهم: علامتهم، السّيما هي العلامة، السّيماء: العلامة التي تحدث في الجبهة من كثرة السّجود، أو النّور الذي يحدث في وجوههم من أثر الإيمان، تشعُّ وجوههم بالنّور، وقيل: هو صفرة الوجه من خشية الله. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٢٧٣) لمزيد من البيان.

﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾: ذلك: الوصف السابق لأصحاب رسول الله مذكور في التّوراة؛ أي: تلك صفاتهم التي ذكرت في التّوراة قبل تحريفها وهي: أشداء على الكفار، رحماء بينهم، تراهم ركّعاً سجّداً، سيماهم في وجوههم.

﴿وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ﴾: ووصفهم في الإنجيل.

﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾: الشَّطء: ما يتفرّع على جانب الزرع من فروع، فالشَّطء تعني: الأغصان الجانبية، جمعه: أشطاء؛ أي جوانب؛ أي هم كزرع.

يقال: أشطأ الزرع: إذا فرّخ؛ أي ظهرت له أغضان جديدة.

فآزره: من المؤازرة؛ أي المساعدة؛ أي يشدُّ بعضهم أزرَ بعض ـ آزره على وزن: أفعل.

﴿فَٱسْتَغْلَظَ﴾: تحوّل من الرّقّة إلى الغلظة؛ أي: نما وازداد حجماً أو غلظ وقوي، وهذا يمثّل ازدياد عدد الصحابة والمؤمنين وازدياد قوتهم وشدتهم.

﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾: استقام أو قام.

وقيل الزّرع: هو رسول الله ﷺ.

والشَّطء: أصحاب رسول الله ﷺ، كانوا قليلاً ثم كثروا وأصبحوا أقوياء؛ أي: هم ينبتون كالنبات في الزيادة والقوة.

﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾: لقوامه وغلظته وحسن هيئته؛ أي: يعجب زارعيه (من زرعه) وإذا عجب من زرعه أعجب غيرهم. الزُّرَّاع: جمع زارع جمع تكسير، ويدل على الاسم أكثر مما يدل على الفعل، أو الحدث كما لو قال يعجب الزارعون، وفي سورة الحديد آية (٢٠) قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا﴾؛ الكفار: تعني الزراع، ولذلك لم يقل في سورة الفتح يعجب الكفار ليغيظ بهم الكفار، وإنما استبدل الكفار بالزراع؛ لأن الزارع يحاول إخفاء البذرة في الأرض، والكافر يحاول إخفاء كفره، والزارع لا يزرع إلا ما

ينتفع به، ولـه فائدة، وأما المطر أو الغيث قد يؤدي إلـى إخراج نباتات لا فائدة منها، والزراع في آية الفتح هم صحابة رسول الله ﷺ، فهم لا يزرعون إلا الخير لغيرهم من الأجيال القادمة، وتحمل الآية معنى المدح والثناء عليهم.

﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾: اللام في (ليغيظ) لام التعليل، والغيظ: هو غضب كامن في نفـس العاجز عن الانتقام، وهو نوع من الغمّ أو مرحلة من مراحل الغضب وهو أشد من الغضب... ارجع إلى سورة التوبة آية (١٥) لمزيد من البيان.

والآيـة تعني: كثّرهم وقوّاهـم؛ ليغيظ بهم الكفار حتـى يقيموا لهم وزن ويخافوا منهم، أو يشبهوا الزرع في نمائهم في الزيادة والقوة.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم﴾.

منهم: أي من أصحاب الرسـول ﷺ، منهم خاصة؛ أي: وهذا وعد خاص للصحابة رضي الله عنهم، مَن شهد صلح الحديبية.

وإذا قارنّا هذه الآية (٢٩) من سـورة الفتح، وهـي قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾. والآيـة (٩) مـن سـورة المائدة وهي قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

فالآية في سورة الفتح تتحدث عن صحابة رسول الله ﷺ فقال: منهم (فقط).

والآية من سورة المائدة تتحدث عن المؤمنين والمؤمنات عامة فقال: لهم.

والمغفرة: هي محو الذّنوب وترك العقاب.

وأجراً عظيماً: هو الجنة.

❖ ❖ ❖

مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ
تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ
فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ
فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ
عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾

## سُورَةُ الحُجُرَاتِ

ترتيبها ٤٩ | آياتها ١٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ربع الحزب ٥٢

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ
فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ
لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ
قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾

## سورة الحجرات [الآيات ١ - ٤]

ترتيبها في القرآن (٤٩)، وترتيبها في النزول (١٠٦).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾:

أسباب النزول:

١ - روىٰ البخاري والترمذي أنها نزلت حين اختلف أبو بكر وعمر رضي الله عنهما في تأمير القعقاع بن معبد أو الأقرع بن حابس.

٢ - وروي عن الحسن البصري أن أناساً ذبحوا قبل رسول الله ﷺ يوم النحر.

٣ - وأخرج الطبراني عن عائشة رضي الله عنها أن أناساً كانوا يتقدمون الشهر فيصومون قبل النبي ﷺ. والمهم هو عموم اللفظ وليس بخصوص السبب.

نداء جديد للذين آمنوا بتكليف جديد أو أمر أو حكم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾: يا النّداء للبعد والهاء للتنبيه

﴿لَا﴾: النّاهية.

﴿تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾: لا تتعجلوا بقول أو فعل أو فتوىٰ أو إصدار حكم أو تحليل أو تحريم أو تشريع بغير علم أو إذن من الله ورسوله أو أمر،

واتّبعوا ما شرع الله تعالىٰ ورسوله، ولا تقدّموا بآرائكم علىٰ ما جاء في الكتاب أو سنّة رسوله ﷺ؛ أي: الزموا الكتاب والسّنّة.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾: أي أطيعوا أوامر الله تعالىٰ وتجنبوا نواهيه، وقُوا أنفسكم غضب الله وسخطه أو النّار.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾: إنّ للتوكيد، سميع لكلّ أقوالكم في السّر والعلن، وما في الكون من سر وعلن، عليم بكلّ الأفعال والنّوايا وذوات الصّدور، وأحاط علمه بخلقه وكونه فلا يعزُب عن علمه مثقال ذرة في السّموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر.

[٢] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾:

سبب النزول: نزلت في ثابت بن قيس كان جهوريّ الصوت إذا كلّم أيَّ إنسان جهر بصوته فربما كلّمه رسول الله ﷺ فتأذّىٰ منه رسول الله ﷺ، فنزلت الآية. رواه الواحديّ في أسباب النزول.

نداء جديد وتكليف جديد أو أمر أو حكم.

﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾: لا النّافية، ترفعوا أصواتكم فوق صوت النّبي: أي حين تكلّموه إيّاكم أن ترفعوا أصواتكم فوق صوته، فهذا يدل علىٰ عدم توقير واحترام للنبي ﷺ؛ أي: اخفضوا أصواتكم إذا تحدّثتم مع رسول الله ﷺ.

﴿وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾: أي لا تنادوه يا محمّد،

ولكن نادوه: يا رسول الله، يا نبي الله، وباحترام وتوقير وعدم التّسرع والعجلة، والحيطة والحذر حين الحديث معه.

﴿أَن﴾: مصدرية تفيد التّعليل.

﴿تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ﴾: أي خشية أو لئلّا تحبط أعمالكم؛ أي: يبطل ثوابها من جرّاء رفع أصواتكم، أو معاملته بدون توقير واحترام وتعظيم كما يعامل أحدكم الآخر.

﴿وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾: أنها بطلت وحبطت وذهب ثوابها، ارجع إلى سورة البقرة الآية (٢١٧) لبيان معنى الحبط.

[٣] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾: يخفضون أصواتهم عند رسول الله ﷺ عند الحديث معه أو تكليمه، والخفض يعني: القريب من الهمس، ويدلّ على تعظيم وتوقير واحترام رسول الله ﷺ.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة يفيد البعد.

﴿ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾: امتحن: اختبر، والامتحان هو للذين في قلوبهم تقوى، والاختبار: هو الطلب منهم القيام وأداء بعض التّكاليف الشّرعية ومنها: أن يغضّوا أصواتهم عند رسول الله ﷺ لكي يخرج ما في قلوبهم من التّقوى والإخلاص لما يوصيهم به ربهم، ولكي يعلموا أنفسهم مدى صبرهم

علىٰ الالتزام والأخذ واتباع ما أمر الله به، وهذا الامتحان يعلم الله سبحانه مسبقاً نتيجته ولكن ليكون حُجّةً لهم أو حُجّةً عليهم.

﴿لَهُم﴾: اللام لام الاستحقاق.

﴿مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾: أي أن يستر ذنوبهم ويمحوها، ويثيبهم علىٰ أعمالهم الصالحة، وأجر عظيم: هو الجنة.

[٤] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾:

سبب نزول هذه الآية: قدم وفد من بني تميم علىٰ رسول الله ﷺ وهو في المدينة، وقيل: كانوا (٧٠) رجلاً فلما وصلوا إلىٰ مسجد رسول الله ﷺ راحوا ينادون رسول الله ﷺ من وراء الحجرات؛ ليخرج إليهم. كما روىٰ محمد بن إسحاق وغيره، وذكره الواحدي في أسباب النزول.

﴿إِنَّ الَّذِينَ﴾: إنّ للتوكيد، الذين: اسم موصول.

﴿يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ﴾: جمع حجرة: وهي الرّقعة من الأرض المحجورة بحائط يحوط عليها، وتعني: الغرفة، وقد تكون الحجرة أصغر رقعة من الغرفة، والمراد بالحجرات: حجرات نساء رسول الله ﷺ فكان لكلّ واحدة منهنّ حجرة، ولم يقل نسائك ولا حجراتك: وإنما استعمل الصّيغة العامة (حجرات) وهذا من الأدب الرّباني؛ لكي يتعلّم أصحاب رسول الله ﷺ كيف ينادونه.

من وراء الحجرات، ولم يقل من خلف الحجرات؛ ما معنىٰ من الوراء؟ من: ابتدائية، وراء: أوسع معنىٰ من خلف من حيث البعد المكاني الذي قد يكون

طويــلاً أو قصيراً، وقد تعني من أمام الــدّار أو الحجرة ولا من خلفها، وإنما هم نادوا وهم لا زالوا بعيدين؛ وتعني: من وراء الجُدُر (جمع جدار) وهو الحائط (أي الحجرات)، فنادوا مناداة بغلظة. ولا يعني أنّ الكلّ اشــتركوا بالنّداء، والاحتمال أنّ بعضهم نادوا والباقين كانوا راضين عن ذلك، فكأنّ الكلّ اشــترك في النّداء، وقد يحتمل أنّهم تفرّقوا فبعضهم نادىٰ من هذه الجهة أو تلك.

﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾: أي هنــاك أقليّة يعقلــون، والأكثرية وصفهم بالجهل والسَّفَه؛ لأن هذه المناداة ليست ضرورية، أو مناداته بهذا الشكل لا تدل علىٰ توقير واحترم لرسول الله ﷺ.

❖ ❖ ❖

وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ
رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟
أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾
وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ
وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ
ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾
فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ وَإِن طَآئِفَتَانِ
مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا
عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ
فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ
﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ
لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ
عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا
مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ
ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾

## سورة الحجرات [الآيات ٥ - ١١]

[٥] ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾:

﴿وَلَوْ﴾: شرطية.

﴿أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ﴾: أي انتظروا، حتّىٰ: حرف نهاية الغاية، تخرج إليهم: أي لتلقاهم.

﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾: اللام للتوكيد، لكان أفضل لهم من ذلك النّداء بأعلىٰ أصواتهم، وخيراً لهم وأصلح من الاستعجال، ولما فيه من الثّواب والأجر.

﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾: لمن تاب وأناب إلىٰ الله من بعد ظلمه.

﴿رَّحِيمٌ﴾: حيث لا يعاجلهم بذنوبهم لعلهم يستغفروه ويتوبوا إليه من ذنوبهم.

[٦] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾:

نداء جديد بتكليف جديد للذين آمنوا.

﴿إِن﴾: شرطية تستعمل في الأمور النّادرة؛ أي: قليلة الحدوث أو احتمال أن جاءكم فاسق، أو علىٰ سبيل الافتراض، ولم يستعمل إذا التي تدل علىٰ حتمية الحدوث وكثرته.

﴿جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ﴾: قيل: فيما رواه الإمام أحمد وغيره، وكثير من المفسرين، وقيل: حديث فيه ضعف. نزلت هذه الآية

في عقبة بن أبي المعيط أرسله رسول الله ﷺ إلىٰ بني المصطلق من خزاعة؛ ليأتيهم بصدقات أموالهم، فلما سمعوا بقدومه خرجوا لاستقباله، فخاف منهم أن يقتلوه حيث كان بينهم وبين عقبة عداوة في الجاهلية، فرجع بعد أن سار بعض الطّريق وأخبر رسول الله ﷺ أنّهم منعوه من الصّدقة وأرادوا قتله، وكان هذا غير صحيح! وغضب رسول الله ﷺ وهمَّ بغزوهم، فقدِم وفدٌ من بني المصطلق إلىٰ النّبي فأخبروه بكذب عقبة، ونزلت هذه الآية، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السّبب.

جاءكم فاسق بنبأ: جاءكم من المجيء، والمجيء فيه مشقة، ولم يقل أتاكم؛ لأنّ عقبة رجع وأخبر النبي بخبر غير صحيح واتّهم بني المصطلق، فاسق: نكرة والفاسق: هو الخارج عن طاعة الله ورسوله؛ وتعني: إن جاءكم أيُّ فاسق من الآن وصاعداً بأيِّ نبأ، والنبأ: هو الخبر العظيم أو الخبر الهام.

فتبيّنوا: فتثبّتوا من صحّته: أي انظروا في الخبر وتحقّقوا من صدقه أو كذبه ولا تتعجّلوا بالحكم أو اتخاذ أيِّ قرار.

أن تصيبوا: أن حرف مصدري يفيد التّعليل؛ أي: كراهة أن تتّهموا قوماً، والإصابة أشدّ من المسِّ، ولم يقل أن تمسّوا.

قوماً بجهالة: بجهالة: الباء للإلصاق؛ أي: تتّهموا قوماً جاهلين بحقيقة الأمر، أو تقوموا بعمل سيئ بسبب الجهالة وعدم التّريّث، والطّيش وعدم التّدبّر في إصدار الأحكام وبدون دليل وإثبات. ارجع إلىٰ سورة النساء آية (١٧) لمعرفة الفرق بين بجهل وجهالة.

﴿فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة، علىٰ ما: علىٰ تفيد العلوّ والمشقة، ما: اسم موصول بمعنىٰ الذي (ولكنّها أعمّ وأشمل) أو

مصدرية، فعلتم: من الخطأ واتّهام الغير بغير الحق أو الإساءة لهم، نادمين: من النّدم وهو الشّعور بالغمّ والأسىٰ علىٰ وقوع شيء مع تمنّي لو أنّه لم يقع.

[٧] ﴿وَاعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾:

﴿وَاعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾: أن للتوكيد، فيكم رسول الله: قدّم فيكم؛ للتوبيخ، توبيخ بعض المؤمنين لجعل رأي رسول الله ﷺ تابعاً لرأيهم، والواجب والمطلوب تقديم رأي رسول الله ﷺ، واعملوا إن كذبتم علىٰ رسول الله ﷺ فالله سبحانه سيطلعه علىٰ ذلك فلا تقولوا إلا الحق والصدق، وهذا إنذار وتهديد لكل من يفتري علىٰ رسول الله ﷺ سواء في محياه أو بعد مماته.

﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ﴾: لو: حرف امتناع لامتناع، امتنعت طاعته لكم فامتنع العَنَت عنكم.

﴿فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾: أي فيما تخبرونه أو تطلبون منه القيام به، وكلّ ما يحلو لكم، كما حدث حين أشار بعض الصحابة لرسول الله ﷺ بمحاربة بني المصطلق بعد سماعهم الخبر الكاذب، ولكنه ﷺ لا يُطيعكم غالباً قبل أن يتبيّن له الحق والصدق، وقوله: (في كثير من الأمر): ولم يقل كلّ الأمور فلم ينسب جميع ما يقولونه بالخطأ والكذب، فهناك بعض ما يقولونه صدق وحق.

وقوله: لو يطيعكم: عبّر بصيغة المضارع ولم يقل لو أطاعكم؛ لدلالة التكرار والتجدد في أن يُطيعهم في بعض الأمر (وهناك فرق بين الطّاعة والاستماع) ولو يطيعكم في كثير من الأمر.

﴿لَعَنِتُّمْ﴾: اللام للتوكيد، والعنت: هو المشقة والضرر والشدة؛ أي: لوقعتم في المشقة والضرر والإثم بسبب عدم سداد رأيكم أو معرفتكم.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾: حرف استدراك وتوكيد؛ أي: هناك طائفة مستثناة من هؤلاء المذكورين سابقاً: هم الذين حبَّب الله إليهم الإيمان.

﴿وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ﴾: وأمدّهم الله بالإيمان والتّوفيق والهداية. وزيّنه في قلوبهم: أي حسّنه وحبّبه إلىٰ قلوبهم؛ كلمة الزينة: تشمل الزينة الخارجية أو الداخلية؛ أي: الباطنة التي تشمل الاعتقادات الحسنة، وزينة الإيمان والطهارة... وغيرها؛ وكره إليهم الكفر والفسوق: الخروج عن طاعة الله ورسوله وعن الدّين، والعصيان: مخالفة أوامر الله ورسوله، فلم يتّهموا بني المصطلق ويحثّوا علىٰ محاربتهم من غير تحقيق في الخبر.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾: أولئك اسم إشارة واللام للبعد وتفيد المدح وإشارة إلىٰ منزلتهم العالية، هم: تفيد التّوكيد، الرّاشدون: الرّشاد هو إصابة الحق واتّباع طريق الاستقامة؛ أي: الرّشد الاستقامة علىٰ طريق الحق. وهناك فرق بين الرُّشد بضم الراء ويستعمل في سياق الأمور الدّنيوية والأخروية، والرَّشد: بفتح الرَّاء يستعمل في سياق الأمور الأخروية (الآخرة) فقط. ارجع إلىٰ سورة النساء آية (٦) لمزيد من البيان.

والرّشاد، قيل: هو الصّلاح ويعني حبّ الإيمان. والرّاشدون: تدلّ علىٰ صفة الرّشد صفة ثابتة عندهم لا تتغير.

[٨] ﴿فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾:

﴿فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً﴾: أي هدايتهم وكونهم راشدين هو فضلٌ من الله ونعمة، أو رشدهم وتحبيب الإيمان لهم وتزيينه في قلوبهم، وكراهية الكفر والفسوق والعصيان هو كلُّه فضلٌ من الله: والفضل هو الزّيادة علىٰ ما يستحقّون

من الأجر، وليس بواجب على الله تعالى وإنما هو فضل منه، ونعمة: وتعريف النّعمة: هي ما يهبه الله تعالى لعبده من خير يجلب له المسرّة أو يدفع عنه المضرّة.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾: بما يفعلونه ويقولونه ويكتمونه، عليم بذات الصّدور، وعليم: صيغة مبالغة؛ أي: كثير العلم.

﴿حَكِيمٌ﴾: في تدبير شؤون خلقه وكونه، فهو الحاكم وهو أحكم الحاكمين وهو أحكم الحكماء، وحكيم فيما يشرعه ويأمر به أو ينهى عنه. ارجع إلى سورة البقرة آية (١٢٩) لمزيد من البيان.

[٩] ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾:

﴿وَإِن﴾: شرطية تفيد الاحتمال والنّدرة.

﴿طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: مثنى طائفة، والطائفة: جماعة من النّاس، والطّائفة: جماعة تطوف حول عقيدة أو مبدأ أو فكرة ما تجمعها.

﴿ٱقْتَتَلُوا۟﴾: همُّوا بالقتال أو باشروا القتال؛ أي: أفراد كلّ طائفة اقتتلوا مع أفراد الطائفة الأخرى، ولم يقل وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلتا بالتّثنية؛ لأنّ الأفراد هم الذين يقاتلون، والطائفة: اسم للجماعة التي تقاتل.

﴿فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾: الفاء: رابطة لجواب الشرط. أصلحوا بينهما: بالوعظ والإرشاد والتّحكيم، أصلحوا ما فسد بالنّصح والدّعوة إلى حكم الله والعفو والغفران، وافعلوا ما تروه مناسباً لوقف القتال بإزالة الشّبهة وأسباب الخصام.

﴿فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ﴾: الفاء رابطة لجواب الشّرط، بغت إحداهما على الأخرى: أي تعدّت؛ أي: تجاوزت الحد أو رفضت الصّلح ولم تُذعن

لحكم اللـه والنّصيحة، والبغي فـي الأصل: هو أخذ حق الغيـر بالقوة والقهر والتَّعسُّف.

﴿فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي﴾: أي قاتلوا الطّائفة الباغية المعتدية بشـتى الوسائل حتّى الوصول إلى الغاية وهي وقف القتال.

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف نهاية الغاية.

﴿تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾: تفيء: ترجع إلى حكم الله تعالى إلى الحقّ والرُّشـد والصّواب، أو إلى طاعة الله ورسوله وكفِّ القتال.

﴿فَإِن فَآءَتۡ﴾: فإن شـرطية تفيد الاحتمال والنّدرة، فـاءت: رجعت إلى حكم الله ورضيت به.

﴿فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ﴾: بالحـق؛ أي: احكمـوا بيـن الطّائفتين بالعدل وتحرُّوا حكم الله تعالى ورسوله.

﴿وَأَقۡسِطُوٓاْ﴾: القِسـط هو الحكم بالعدل وتطبيـق الحكم، فمجرد الحكم بالعدل لا يكفي؛ أي: القول باللسـان فلا بدّ مـن تنفيذ الحكم وتطبيقه (أي رفع الظّلم وتنفيذ الحكم).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾: إنّ للتوكيد، يحب المقسطين: الذين يحكمون بالعدل وينفّذون العدل برفع الظّلم والجور عن النّاس. المقسطين: جمع مقسط، وصفة القسط فيهم ثابتة.

[١٠] ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾:

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة تفيد التّوكيد.

﴿ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾: الإخوة إما تكون مبنية على النّسـب والدّم، وإمّا تكون

مبنية على الإيمان والعقيدة والدّين؛ أي: إخوة الدين والإيمان، فأخوّة الدّين والعقيدة أقوى وأدوم من أخوّة النّسب والدّم.

وتعني: إنما المؤمنون كالإخوة في التّراحم والدّين أو الدّم والنّسب.

﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾: إذا تنازعا أو اختصما.

﴿أَخَوَيْكُمْ﴾: خصّ الاثنين بالذّكر؛ لأنّهما أقل ما يقع بينهما الشّقاق.

﴿فَأَصْلِحُوا﴾: بالجمع؛ لأن الكل مسؤول عن الاشتراك في الصّلح بين الاثنين؛ لأنّ صلاح الجماعة أو القوم مبنيٌّ على صلاح الفرد، ولم يقل فأصلحا بينهما، وتخاصم الاثنين قد يجرّ إلى اتّساع رقعة الخصام لتشمل العائلة والقبيلة والطّائفة.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: أطيعوا أوامر الله تعالى وتجنّبوا نواهيه وخافوا غضبه وسخطه وناره.

﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾: لعل للتعليل، ترحمون: إذا قدّمتم الأسباب مع تقواكم. ارجع إلى سورة الإسراء آية (٨) للفرق بين لعلكم ترحمون ولترحموا وعسى ربكم أن يرحمكم.

وهل هناك فرق بين إخوة وإخوان:

كلمة أخ جمعها: إخوة وإخوان، فمن الناحية اللغوية قيل: لا فرق بينهما، أما في المعنى يبدو أن كلمة إخوة غالباً تستعمل في سياق النسب (الولادة) أو الدين أخوة في الدين. أما كلمة إخوان: تطلق على الأصدقاء أو قوم يجمعهم مبدأ واحد، وقيل: إن الكلمتين مترادفتان في المعنى، وقيل: إن كلمة إخوان: أعم وأشمل من إخوة، فتشمل الولادة والدين والصداقة معاً.

[١١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾:

نداء جديد إلى الذين آمنوا بتكليف جديد وهو عدم السّخرية والتّنابز بالألقاب.

﴿لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ﴾: لا النّاهية، يسخر قوم من قوم: من السّخرية، هي الازدراء والتّصغير والاحتقار، والعيب بالقول والفعل في وجه المسخور منه أو في حال غيابه، والسخرية: خاصة بالأشخاص، وأما الاستهزاء عام في الأشخاص وغير الأشخاص.

قوم من قوم: القوم في هذه الآية هم الرّجال دون النّساء، والقوم: الجماعة الكثيرة التي قد تكون بينها نوع من القرابات؛ قوم من قوم: نكّر القوم؛ لتشمل أيَّ قوم مهما كانوا أغنياء أو فقراء أو أقوياء أو ضعفاء.

﴿عَسَىٰٓ﴾: من أفعال الرّجاء للفعل المرجو حصوله في المستقبل البعيد أو القريب.

﴿أَن﴾: حرف مصدري يفيد التّعليل.

﴿يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ﴾: عند الله منزلة ودرجة في التقوى أو الصّلاح أو الإيمان أو الأخلاق والدّين، وقوله: (لا يسخر قوم من قوم) ولم يقل رجلٌ من رجل؛ لأنّ السّاخر لا يكون وحيداً فهناك من يشاركه في سخريته بالضّحك أو التّلهّي واللغو والإشاعة، فلا يكاد يكون منفرداً في سخريته إلا نادراً بل يشاركه الكثير من النّاس وعليهم من الإثم والذّنب ما عليه.

﴿وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ﴾: ولا النّاهية، نساء من نساء: نكرة أيّ نسوة، فالنّساء والرّجال هم سواء في حكم تحريم السّخرية، فلا يحلّ للمؤمنة أن تسخر من أختها المؤمنة.

﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّ﴾: كما ورد في مطلع الآية عسى أن يكون خيراً عند الله منزلة، وحين خاطب الذين آمنوا فهو يشمل الرجال والنساء ولكنه عاد وأكّد بذكرهن.

﴿وَلَا﴾: تكرار حرف (لا) يفيد توكيد النّفي، وفصل السّخرية عن اللمز.

﴿تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾: اللمز العيب أو الطّعن فلا يعِبْ بعضكم بعضاً بالقول أو الإشارة أو الفعل، ويتميز اللمز بالعلن أو الحضور بعكس الهمز الذي يتميز بالطعن بالغيب، أو عدم حضور المطعون فيه.

﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِ﴾: سواء كان اللقب محبوباً أو مكروهاً، التّنابز: التّعاير والتّداعي كأن يقول: يا فاسق أو يا كافر، أو يا قصير أو يا طويل.

﴿بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِ﴾: بئس: من أفعال الذّم؛ أي: بئس أن يلقّب المسلم المؤمن بلقب الفسق كأن يقال له: يا منافق أو يا يهودي أو يا فاسق.

﴿وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: ومن لم: من شرطية، لم النّافية، يتب: يكفّ ويتوقف عن السّخرية من المؤمنين ومخاطبتهم بألقاب لا تليق بالمؤمن وعمّا نهى الله عنه.

فأولئك: الفاء للتوكيد، أولئك: اسم إشارة واللام للبعد.

هم: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

الظّالمون: لأنفسهم بتعريضها للعذاب. ارجع إلى سورة البقرة آية (٥٤) لمعرفة معنى الظلم.

❖ ❖ ❖

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ
وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن
يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ
رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ
شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ
عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن
قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ
وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾
إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ
وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ
يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ
﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ ۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ
يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ
يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾

نصف الحزب ٥٢

## سورة الحجرات [الآيات ١٢ - ١٨]

[١٢] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾:

نداء جديد للذين آمنوا بتكليف جديد أو حكم آخر.

﴿ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾: الاجتناب هو الابتعاد، والاجتناب أشد من التّحريم وهو عدم الاقتراب من الأمر المحرّم؛ أي: ابتعدوا عن سوء الظن بأيّ مؤمن أو بأهل الخير، والظنّ السيّئ يعدّ إثماً ويجب تجنبه مثل حديث الإفك والظّن السيّئ بأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وهو الظّن الذي لا يستند إلىٰ دليل وبرهان.

﴿ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾: هناك القليل من الظّن المباح أو الغير محرم أو الظن الحسن، وقوله: (إنّ بعض الظن إثم): البعض هنا يعني: الكثير المأمور باجتنابه.

أمّا أهل السّوء والفسق فإذا ظهر منهم القبيح والسّوء والفسق، فلا يدخل ذلك تحت الظّن المحظور.

﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾: التّجسس: هو البحث في الخفاء والتستر لكشف أمراً ما غالباً ما يكون في الشر مثل: تتبّع عورات المسلمين أو البحث عن عيوبهم ثم كشفها للآخرين أو الحديث عنها، أو التجسس علىٰ العدو لمعرفة عدده وعدته... وغيرها.

﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾: الواو عاطفة، لا النّاهية.

يغتب: من الغيبة وهي كما عرّفها رسول الله ﷺ في حديث رواه أبو داود والترمذي عن أبي هريرة (قيل: يا رسول الله، ما الغيبة؟ قال ﷺ: ذكرُك أخاك بما يكره.

قال: وإن كان في أخي ما أقول؟ قال: وإن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لـم يكن فيه ما تقول فقد بهَتَّه) (أي قلت فيـه بهتاناً؛ وهو الكذب والباطل المثير للدهشة).

﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾: أيحب: الهمزة للاستفهام الإنكاري، أحدكم: أي منكم.

﴿يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾: استعارة أو تشبيه المغتاب الذي يغتاب أخاه بمن يأكل لحم الإنسان الميت، مما يدل على بشاعة عمله. ومَيْتاً: جاءت بسكون الياء التي تدل على الموت الحقيقي قد حصل، والميت مات فعلاً، ولو جاءت بتشديد الياء: لدلت على أن الميت لم يمت بعد لا زالت روحه لم تغادر جسمه.

﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾: الفاء رابطة لجواب شرط مقدّر.

أي: كما يمتنع أحدكم ويكره أن يأكل لحم أخيه ميتاً، كذلك يجب أن يمتنع عن غيبة أخيه سواء كان حياً أو ميتاً.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: أي امتثلوا أوامره وتجنّبوا نواهيه؛ لكي تتجنّبوا غضبه وسخطه وناره.

﴿إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾: إن الله: للتوكيد.

﴿تَوَّابٌ﴾: أي كثير قبول التّوبة، يقبل توبة كل عبد من خلقِه من آدم إلىٰ آخر مخلوق، ومهما كان عددهم وعدد توباتهم فلا يردّ توبة تائب إذا آمن به وتوفرت أركان التّوبة.

﴿رَّحِيمٌ﴾: لكونه لا يعاقب علىٰ الذنب والإثم مباشرة، ولكن يؤخّر العقاب؛ لعلّ العاصي يتوب وبالتّالي يعفو عنه ويغفر له.

[١٣] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾:

نداء عام إلىٰ النّاس كافة استعمل فيها ياء النداء، والهاء للتنبيه، وكلمة (الناس) مشتقة من النّوس؛ أي: كثرة الحركة.

﴿إِنَّا﴾: للتعظيم.

﴿خَلَقْنَٰكُم مِّن﴾: ابتدائية استغراقية.

﴿مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾: أي من آدم وحواء، أو خلقنا كل واحد منكم من أب وأم ليبقىٰ الله سبحانه متفرداً بالوحدانية، فالكل سواء في الأصل (في الخلق) فلا داعي للتفاخر بالأنساب والألقاب، أو العِرق أو اللون.

﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ﴾: الجعل يتمّ بعد الخلق.

﴿شُعُوبًا﴾: جمع شعب، والشّعب: جمع قبائل أو جمع عظيم تجمعه وحدة الوطن (الأرض أو اللغة والتّاريخ) بغير النظر إلىٰ العدد والحيز الجغرافي.

﴿لِتَعَارَفُوٓاْ﴾: اللام لام التّعليل.

لتعارفوا: والتّعارف يؤدي إلىٰ التّعاون التّجاري والصّناعي والسّياحي وكل مجالات التّعاون.

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾: إن للتوكيد، أكرمكم عند الله: أي أرفعكم عند الله منزلة أو أشرفكم، أتقاكم: والتقوىٰ تكون بامتثال أوامر الله سبحانه وتجنّب النّواهي، وليس أكرمكم بالأحساب أو الأنساب فالفقير إذا كان تقياً قد يكون أكرم وأفضل عند الله من أغنىٰ الأغنياء علىٰ الأرض إذا لم يكن الغني تقياً.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾: إن للتوكيد، عليم: بما تفعلونه وتقولونه، عليم بتقواكم وعليم بظواهركم، وعليم صيغة مبالغة: كثير العلم.

خبير: ببواطن الأمور والأسرار.

[١٤] ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾:

أسباب النّزول: قيل: نزلت هذه الآية في أعراب بني أسد الذين قدموا المدينة بأولادهم ونسائهم في سنة مُجدبة، فأظهروا الإسلام طمعاً في الصدقات أو المغانم ولم يكونوا مؤمنين حقاً وكانوا يمنُّون علىٰ رسول الله ﷺ بعدم قتاله.

وقيل: نزلت هذه الآية في أعراب مزينة وجهينة وأسلم وأشجع وغفار، الذين قالوا: آمنا بالله؛ ليأمنوا علىٰ أنفسهم، فلما خرج رسول الله ﷺ إلىٰ الحديبية تخلّوا عنه ولم يخرجوا معه، وهم الذين قالوا: ﴿شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا﴾ [الفتح:١١].

﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا﴾: أنّث كلمة (قال) بإضافة تاء التّأنيث التي تدل علىٰ

الكثرة؛ أي كثرة الأعراب الذين أسلموا؛ أي: دخلوا في الإسلام وادَّعوا الإيمان، ولم يقل قال الأعراب التي تدل على القلة.

فردّ الله تعالى عليهم: ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا﴾: قل لهم يا رسول الله ﷺ: لم تؤمنوا؛ أي: لا يكفي القول باللسان: آمنّا؛ لأن الإيمان لم يصل بعد ويستقر في قلوبكم أو يتمكّن الإيمان في قلوبكم.

﴿وَلَٰكِن قُولُوٓا أَسْلَمْنَا﴾: ولكن حرف استدراك وتوكيد.

قولوا أسلمنا: أسلمنا لها معانٍ عدّة: الشهادة: القول لا إله إلا الله محمد رسول الله، أو أسلمنا: معناه الاستسلام والخضوع خوفاً من القتل أو الإسلام باللسان (بالقول) فقط وعدم موافقة القلب كما يفعل المنافقون.

﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾: لما حرف نفي تدل على استمرار النفي إلى زمن نزول هذه الآية أو وقت هذا الكلام.

ومن أسلم بلسانه ولم يؤمن بقلبه فهو منافق، وقد بيّن في الآية (١٥) حقيقة الإيمان ومعنى الصّدق في الإيمان.

﴿وَإِن تُطِيعُوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾: وإن شرطية تفيد الاحتمال أو النّدرة، تطيعوا الله ورسوله: وحّد طاعة الله تعالى وطاعة رسوله. ارجع إلى سورة النساء آية (٥٩) للبيان.

﴿لَا يَلِتْكُم﴾: لا النّافية، يلِتْكم: من ألت يألت: أنقص: لا ينقصكم.

﴿مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا﴾: مِن ابتدائية؛ أي: لا ينقصكم من ثواب أعمالكم شيئاً ولو كان مقدار حسنة، وأما النفاق فهو يحبط أعمالكم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾: إن للتوكيد.

﴿غَفُورٌ﴾ صفة مبالغة من غفر، وغفر: ستر، والسّتر يؤدي إلى المحو وعدم المعاقبة على الذّنب، وغفور يغفر الذّنوب العِظام مهما عظمت، وأمّا الغفار: يغفر الذّنوب مهما كثرت وتعدّدت.

﴿رَّحِيمٌ﴾: على وزن فعيل: كثير الرّحمة لعباده المؤمنين ودائم الرّحمة، وأمّا رحمان: فهو متجدد الرّحمة لا يعجل بالعقوبة أو بالعذاب. ارجع إلى سورة الفاتحة آية (٣).

[١٥] ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾:

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة تفيد التّوكيد.

﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾: إيماناً خالصاً هو الإيمان بالله ورسوله ﷺ إيماناً لا ريب فيه.

﴿ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾: ثم للتوكيد، لم النّافية، يرتابوا: من الرّيبة وهو الشّك والتّهمة؛ أي: لم يشكّوا في دينهم أو يتّهموا أحداً.

﴿وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: والجهاد هو محاربة العدو لإعلاء كلمة الله تعالى ونصر دينه ويكون بالأموال والأنفس، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة واللام للبعد.

﴿هُمُ﴾: للتوكيد، أي إذا كان هناك صادقون فهم الصّادقون حقاً.

﴿ٱلصَّٰدِقُونَ﴾: في إيمانهم ودعواهم. الصادقون: جملة اسمية تدل على ثبوت صدق إيمانهم.

[١٦] ﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾:

﴿قُلْ﴾: لهم يا رسول الله ﷺ.

﴿أَتُعَلِّمُونَ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري والتّوبيخ.

﴿أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾: أتعلمون مشتقة من: علّم وأعلم؛ أي: عَرف أو أخبر؛ أي: أتنبّؤن الله بإيمانكم؟! أي هو سبحانه يعلم ما أنتم عليه من الإيمان والإسلام، وما نوع إسلامكم ونواياكم.

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: والله: تقديم الفاعل (اللهُ) على الفعل (يعلم) للاهتمام. يعلم ما: ما أوسع شمولاً من (الذي)؛ تشمل كلّ شيء العاقل وغير العاقل. في: ظرفية.

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: من مخلوقات، وأحداث ونوايا، وأقوال وأفعال وتطورات وموت وحياة وكل شيء وحركة وتحول.

﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾: لا يخفى عليه شيء ولا يعزُب عن علمه شيء.

[١٧] ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾:

﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ﴾: يعدّون إسلامهم منّةً على رسول الله ﷺ؛ أي: يمنُّون

عليك إسلامهم؛ أي: يذكرون لك أنّهم أسلموا على وجه التّفضُّل عليك أو الصّدقة عليك؛ أي: كأنهم يتصدقون عليك بإسلامهم.

﴿قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم﴾: قل لهم يا محمّد: لا تتفضّلوا عليَّ بإسلامكم؛ لأن نفع وفائدة إسلامكم يعود عليكم وليس علي؛ أي: على رسول الله ﷺ.

﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ﴾: بل للإضراب الانتقالي؛ أي: والله وحده له المنّة والفضل.

﴿أَنْ﴾: حرف مصدري يفيد التّعليل والتوكيد على إسلامهم.

﴿هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾: وفّقكم وأرشدكم إلى الإيمان كما تزعمون وتقولون: آمنّا.

﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾: إن شرطية، كنتم صادقين في ادّعائكم الإيمانَ، فلله المنّة جميعاً، وقد تعني: إنكم غير صادقين في دعواكم.

[١٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾:

﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: إن: للتوكيد. الله: الاسم الأعظم الدال على الذات الإلهية الذي تفرّد به الحق واختصّه لذاته وقدّمه على سائر الأسماء، وهو الاسم الجامع لجميع الصفات الإلهية.

﴿يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: الغيب: مصدر غاب، الغيب: كل ما لا يظهر ويُرى للعيان ولا يُدرك بالحواس؛ أي: سبحانه يعلم بكل ما يجري في السّموات والأرض من السّر والعلن من قول وفعل، ويعلم الذين آمنوا ويعلم الكاذبين،

وعليم بذات الصّدور، وكل النّوايـا والمقاصد والدّوافع والأطماع، يعلم بذلك قبل أن تقع ومنذ الأزل.

﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾: والله مطّلع ويرىٰ كل أعمالكم.

بما: الباء للإلصاق والملازمة، ما: بمعنىٰ الذي أو مصدرية، و(ما) أوسع شمولاً من (الذي)؛ تشمل كل شيء.

تعملون: في الدّنيا، وتعملون: تضم الأقوال والأفعال، تعملون من خير أو شر. وقدّم كلمة (بصير) علىٰ كلمة (تعملون) ولم يقل والله بما تعملون بصير؛ لأنّ السّياق عن الغيب وصفات الله تعالىٰ وقدرته سبحانه.

❖❖❖

## سورة ق

ترتيبها ٥٠ آياتها ٤٥

بسم الله الرحمن الرحيم

قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ
فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ
رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ
حَفِيظٌۢ ﴿٤﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ
﴿٥﴾ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا
وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ
وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ
مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ
وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾
رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ
قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ
لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ
﴿١٤﴾ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾

## سورة ق [الآيات ١ - ١٥]

ترتيبها في القرآن (٥٠) وترتيبها في النّزول (٣٤).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿قٓ ۚ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾:

﴿قٓ﴾: ارجع إلىٰ الآية (١) من سورة البقرة للبيان.

﴿وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾: الواو: واو القسم، يقسم الله سبحانه بالقرآن المجيد (المقسم به)، والله سبحانه لا يقسم إلا بشيء عظيم، وهو سبحانه غني عن القسم، ويشير إلىٰ أهمية الأمر المقسم به وجواب القسم.

﴿الْمَجِيدِ﴾: الرفيع القدر والشّأن والشّرف لا يعلوه شيء، والمجيد، يعني: السّعة في المعاني والأوصاف والمجيد، يعني: كذلك كثير الخير والكرم والبركة، قراءة حرف واحد بعشر حسنات، وجواب القسم محذوف للتوسع في المعنىٰ والتعظيم، وليشمل علىٰ كل ما يدور في الفكر مثل البعث والحساب، وقيل: جوابه ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ (الآية: ٤)، وقيل: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ﴾ [آية:٣٧].

[٢] ﴿بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾:

﴿بَلْ﴾: للإضراب الانتقالي، من القسم بالقرآن المجيد إلىٰ العجب. أو بل إضراب إبطالي: لم يقبلوا (أبطلوا) كونك منذراً لهم، بل عجبوا.

﴿عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾: عجبوا من عجب والعجب استعظام الشيء لخفاء سببه. والعجيب: الطريف.

أن: حرف مصدري يفيد التّعليل والتّوكيد.

جاءهم منذر منهم: من قريش أو من العرب هو رسول الله ﷺ، منذر: من الإنذار هو الإعلام والتّخويف والتّحذير، ينذرهم بالبعث والحساب والجزاء، ينذر المكذبين بدين الله والقرآن وبرسوله ﷺ.

﴿فَقَالَ﴾: الفاء: قد تكون فاء السببية؛ أي: ما قبلها يصلح لأن يكون لما بعدها، وقد تدل على المباشرة والتعقيب.

﴿ٱلْكَٰفِرُونَ﴾: كفار قريش.

﴿هَٰذَا﴾: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة يفيد القرب. ويشير إلى مجيء المنذر منهم.

﴿شَىْءٌ عَجِيبٌ﴾: هذا شيء عجيب.

لنقارن هذه الآية (٢) من سورة ق، وهي قوله تعالى: ﴿هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ﴾، مع الآية (٧٢) من سورة هود، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ﴾، مع الآية (٥) من سورة (ص)، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾.

سورة (ق) قال: ﴿شَىْءٌ عَجِيبٌ﴾، وفي هود قال: ﴿لَشَىْءٌ عَجِيبٌ﴾، وفي (ص) قال: ﴿لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾.

سورة هود قال: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ﴾: أكد بإضافة إن واللام.

سورة (ص) قال: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾: أكد بإضافة إن واللام، وبدل كلمة عجيب بعجاب.

**السّـبب:** أنّ آية (ق) جاءت في سـياق ﴿أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ فهذا أمر عجيب فلم يؤكد، أما في آية هود فجاءت في سـياق الولادة، وهي عجوز وبعلها شيخ؛ فهذا أكثر عجباً من مجيء المنذر، فلذلك أكد بإن واللام: ﴿ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا﴾، أما آية (ص) فجاءت في سياق الإشراك بالله والآلهة، وهذا منتهـى العجب، وهي اتخاذ الأصنام آلهة، فقـال: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ فأكد بإن واللام، وأبدل كلمة عجيب بعجاب.

[٣] ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ﴾:

﴿أَءِذَا﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري والتّعجب، إذا ظرفية تفيد الحتمية.

﴿مِتْنَا﴾: بكسـر الميم، أيْ: موت عادي طبيعي. ولو ضم الميم فقال: أإذا مُتنا: لكان موتاً غير عادي مثل الموت في سبيل الله، وهذا من خصائص القرآن. ارجع إلىٰ سورة آل عمران آية (١٥٧) للبيان.

﴿وَكُنَّا تُرَابًا﴾: بعد المـوت والتّحول إلىٰ تراب في القبـور. ولم يقل: تراباً وعظاماً حذف العظام، واكتفىٰ بذكر التراب الدال علىٰ كلاهما.

﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة واللام للبعد، ويشير إلىٰ التّحول إلىٰ تراب.

﴿رَجْعٌۢ بَعِيدٌ﴾: رَجْـعٌ: مصدر لفعل رجـع؛ أي: رجوع مسـتبعد بعيد عن التّصديق والإدراك والفهم أن يعاد الإنسان إلىٰ الحياة مرة ثانية للحساب والجزاء بعد أن تحول إلىٰ تراب.

[٤] ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ﴾:

﴿قَدْ﴾: للتحقيق والتّوكيد.

﴿عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾: أيْ: علمنا ما يموت منهم ويدفن في الأرض على مر الأيّام والسّنين أو الدّهر.

﴿وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌ﴾: قيل: هو اللوح المحفوظ: حفيظ يحفظ عددهم وأسماءَهم وأعمالهم سواء كانوا أحياء أو أمواتاً، محفوظ من التّغيير والتّبديل وتنكير الكتاب (كتاب) للتعظيم.

[٥] ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾:

﴿بَلْ﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ﴾: بالقرآن، وقيل: بنبوة محمّد ﷺ، أو كلاهما، والباء للإلصاق والملازمة أو المصاحبة.

﴿لَمَّا جَآءَهُمْ﴾: لما ظرفية زمانية أو مكانية؛ أي: كذبوا لما جاءهم مباشرة بمجرَّد تبليغهم من غير تفكير ولا تدبُّر.

﴿فَهُمْ﴾: الفاء للتوكيد، هم لزيادة التّوكيد.

﴿فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾: مضطرب مختلط عليهم مرة يقولون: ساحر أو شاعر أو كاهن أو مجنون، ثمّ يذكر الله سبحانه أدلة قدرته وعظمته على الخلق والبعث.

[٦] ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾:

﴿أَفَلَمْ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري، الفاء للتوكيد، لم للنفي.

﴿يَنظُرُوٓا۟﴾: نظرة بصرية (عينية) وفكرية، ينظروا بصيغة المضارع لكي تحثهم على إعادة النّظر إلى السماء المرات الكثيرة وليس مرة واحدة.

﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا﴾: فوقهم: تحتمل المسافة بينهم وبين السماء؛ فوقهم قريبة أو بعيدة، ولو قال: من فوقهم يعني: ليس هناك بينهم وبين

السماء فوقهم أي فاصل؛ كيف: للاستفهام؛ أي: السؤال عن الحال؛ بنيناها: أيْ: رفعناها بغير عمد يرونها. ارجع إلىٰ سورة الرعد آية (٢)، وسورة الذاريات آية (٤٧) للبيان.

﴿وَزَيَّنَّٰهَا﴾: بالكواكب والنّجوم والشّمس والقمر. ارجع إلىٰ سورة فصلت آية (١٢)، وسورة الصافات آية (٦)، وسورة الملك آية (٥) للبيان.

﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾: ما النّافية، لها: أيْ: للسماء، من استغراقية، فروج: شقوق، جمع فرج وهو الشّق بين الشّيئين، والمراد بالآية سلامة السّماء من كلّ عيب. ارجع إلىٰ سورة الملك (تبارك) آية (٣) للبيان.

فالكون ليس فيه فراغ بين أجرامه، فكل طبقاته مليئة بالمادة والطاقة والغازات، فلا يوجد فيه منطقة فراغ، أيْ: فروج فوقهم سواء كان الفاصل قريباً أو بعيداً.

[٧] ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾:

﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا﴾: بسطناها طولاً وعرضاً إلىٰ ما يُرىٰ منتهاه رغم أن الأرض كروية (بيضاوية).

﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾: الجبال وما تحت البحار من الألواح القارية وغيره. ارجع إلىٰ سورة النحل آية (١٥) لمزيد من البيان، وسورة الحجر آية (١٩)، وذكرت الرواسي في تسع آيات في القرآن هي: الرعد، والحجر، والنحل، والأنبياء، والنمل، ولقمان، وفصلت، وق، والمرسلات.

﴿وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن﴾: أنبتنا: للتعظيم أو الجمع لأن البعض يشارك في عملية الزرع والحرث والسقي. فيها: في الأرض، من: استغراقية.

﴿كُلِّ﴾: للتوكيد.

﴿زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾: زوج صنف من أصناف النّباتات، بهيج: حسن المنظر يسر الناظرين كالأزهار والورود، وأما حين يقول: الزّوج الكريم فهو الصّنف البالغ في الجودة وكثير النّفع والبركة. فهناك من النباتات ما هو للمنظر ومنها ما هو للأكل مثل الفواكه.

ووردت زوج بهيج في آيتين من هذه الآية، والآية (٥) من سورة الحج.

ووردت زوج كريم في آيتين الشّعراء الآية (٧) ولقمان الآية (١٠).

[٨] ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾:

أي: الأرض مددناها وألقينا فيها وراسي وأنبتا فيها من كل زوج بهيج كلّ ذلك.

﴿تَبْصِرَةً﴾: أيْ: لنُري عبادنا قدرتنا على الخلق والبعث، يبصرها كلّ مؤمن وكل كافر وكلّ جاهل بعظمة الله وقدرته أو من عنده بصيرة.

﴿وَذِكْرَىٰ﴾: تذكرة أو تذكير.

﴿لِكُلِّ﴾: اللام لام الاختصاص، كلّ للتوكيد، أيْ: ينتفع بهذه التّبصرة والتّذكرة كلّ عبد منيب.

﴿عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾: عبد كثير الإنابة، والإنابة السّرعة في التّوبة والرّجوع إلى الله تعالى والاستغفار لكلّ عبد يفكر في قدرة الله، ويرجع إليه ويشكره ويحمده ويعبده ولا يشرك به.

[٩] ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾:

﴿وَنَزَّلْنَا﴾: للتعظيم وتدل على كثرة النّزول. أما لو قال: أنزلنا فتدل على الإفراد.

﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾: أيْ: من السّحاب، والسّحاب تسمَّى السّماء؛ لأن تعريف السّماء هو كلّ ما علاك والسّحب تعلونا، فيمكن تسميته بالسّماء؛ أي: (السحب الركامية).

﴿مَآءً مُّبَـٰرَكًا﴾: أيْ: ماء المطر (الغيث) كثير المنافع والبركة. فالله سبحانه يبخر كل سنة حوالي (٥٠٠،٠٠٠)كم٣ من ماء البحار والمحيطات ويبخر (١٠٠،٠٠٠) كم٣ من اليابسة؛ لكي ينقي ويطهر هذه الكميات من الماء ؛لأنها لو بقيت راكدة على سطح الأرض لفسدت، وامتلأت بالجراثيم والطين والقاذورات فحين يبخرها ويحركها فهو يطهرها وينقيها من الأملاح والبكتريا بأشعة الشمس، ثم يعيدها إلى الأرض. أكثر من (١٦٥،٠٠٠) كم٣ بزيادة (٦٥،٠٠٠) تلعب دوراً مهماً في السقي وتلطيف المناخ، وتركيز المعادن وفي الإنبات والزائد منها يفيض إلى البحار والمحيطات.

﴿فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّـٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ﴾: ارجع إلى الآية (٧)، به: بماء المطر.

جنات: حدائق وبساتين ذات ثمر وبهجة.

وحب الحصيد: الحصيد؛ أي: المحصود مثل القمح والذرة والرز والشعير وغيرها.

[١٠] ﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَـٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾:

﴿وَٱلنَّخْلَ﴾: اسم جنس، وأنبتنا النّخل.

﴿بَاسِقَـٰتٍ﴾: جمع باسقة، وأنث باسق من فعل بسق، والبسوق هو الطّول، أيْ: طوالاً في السّماء.

﴿لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾: منضود مركب بعضه فوق بعض، والمراد به كثرة ثمره. ارجع إلى سورة الأنعام آية (٩٩) لمزيد من البيان.

[١١] ﴿رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ﴾:

﴿رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ﴾: إنزال الماء وإنبات الجنات وحب الحصيد والنّخل وغيره ؛ليكون رزقاً وقوتاً للعباد.

﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ﴾: للتعظيم بالماء، الماء المبارك.

﴿بَلْدَةً مَّيْتًا﴾: بتشديد الميم تدل على الأرض أنّها كانت حية فماتت، بسبب انقطاع الماء، أيْ: هي أرض صالحة للزراعة إذا توافر لها الماء من جديد. وأما إذا جاءت الميم بالفتح بدون تشديد: تدل على الأرض التي ماتت منذ زمن طويل، وأعيد أحياؤها من جديد.

﴿كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ﴾: أيْ: كما يحيي الأرض بعد موتها كذلك تخرجون من القبور. ارجع إلى الآية (١٩) من سورة الروم للبيان.

والفرق بين الخروج وتخرجون: الخروج: مصدر يدل على اسم الحدث، والإخراج أو تخرجون هو الحدث.

[١٢] ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ﴾:

﴿كَذَّبَتْ﴾: ولم يقل: كذب قبلهم، كذبت (تاء التأنيث) تدل على الكثرة، وكذب تدل على القلة، أيْ: كثرة الأمم التي كذبت رسلها.

﴿قَبْلَهُمْ﴾: أيْ: كفار مكة.

﴿قَوْمُ نُوحٍ﴾: كذبوا نبيهم نوح عليه السلام.

﴿وَأَصْحَابُ الرَّسِّ﴾: أصحاب البئر، اختلفت الرّوايات فيها وأفضل ما قيل فيهم أنّ نبيَّهم هو حنظلة بن صفوان فكذبوه وقتلوه. وقيل: هم قوم باليمامة. ارجع إلى سورة الفرقان آية (٣٨) لمزيد من البيان.

﴿وَثَمُودُ﴾: قوم صالح كانوا يسكنون الحجر، كذبوا نبيَّهم صالحاً عليه السلام. ارجع إلىٰ سورة الأعراف آية (٧٣ ـ ٧٩) وسورة هود آية (٦١ ـ ٦٨).

[١٣] ﴿وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ﴾:

﴿وَعَادٌ﴾: وكذبت قوم عاد نبيَّهم هوداً. ارجع إلىٰ سورة هود آية (٥٠ ـ ٦٠).

﴿وَفِرْعَوْنُ﴾: كذبوا رسولهم ونبيَّهم وهو موسىٰ عليه السلام. ارجع إلىٰ سورة الأعراف آية (١٠٣) للبيان.

﴿وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ﴾: كلمة أخ تجمع علىٰ إخوة وإخوان، إخوة تأتي أو تستعمل في النّسب، وتأتي في سياق إخوة في الدّين أو الإيمان، وأُخوَّة الدّين أقوىٰ من أُخوَّة النّسب، وإخوان تدل علىٰ قوم اجتمعوا علىٰ مبدأ واحد خيراً كان أو شراً، وإخوان لوط، ولم يقل: قوم لوط؛ لأن كلمة القوم قد تعني: الذكور والإناث، أما إخوان لوط؛ أي: الذكور؛ أي: خاصة بالذكور الذين يأتون الذكور (أي: الفاحشة). ارجع إلىٰ سورة الحجرات آية (١٠) للمزيد في معنىٰ إخوة وإخوان.

[١٤] ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾:

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ﴾: الغيضة الكثيفة الملتفة الشّجر وهم قوم شعيب كذبوا شعيباً عليه السلام. ارجع إلىٰ سورة الحجر آية (٧٨ ـ ٧٩) للبيان.

﴿وَقَوْمُ تُبَّعٍ﴾: تبع الحميري من ملوك اليمن أسلم ودعا قومه للإسلام فكذبوه. ارجع إلىٰ سورة الدخان آية (٣٧) للبيان.

﴿كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾: أيْ: كلّ واحد علىٰ حدة من هؤلاء كذب الرّسل، ولم يقل: كذبوا رسولهم؛ لأنهم حين يكذبوا رسولهم كأنّهم يكذبون كلّ الرّسل، فمن يكذب برسول كأنّه يكذب بكلّ الرّسل؛ لأن كلّ الرسل يحملون نفس الرّسالة

وهي الإيمان بالله وحـــده وامتثال أوامره وتجنب نواهيـــه، ولم يقل: كل كذبوا الرســـل، وقال: كل كذب؛ لأنهم لم يكونوا مجتمعين معـــاً، وكان كل قوم على حدة، وفي أزمان مختلفة.

﴿فَحَقَّ وَعِيدِ﴾: الفاء للتوكيد، حق: وجـــب وحل وعيد: بنزول العذاب بمن كذبوا رسلهم.

وإذا قارنا هذه الآية (١٤) من ســـورة(ق) وهـــي قوله: ﴿كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ والآية (١٤) من ســـورة (ص) وهي قوله: ﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ﴾، العقاب أشد من الوعيد فالمخاطبون في حق عقاب أشد كفراً وعصياناً وإنذاراً من المخاطبين فـــي حق وعيد، وإذا كان المخاطبون في الآيتين هم كفار قريش، فيدل على أنّ آية (ق) جاءت بالوعيد، فلما ازداد كفرهم وعصيانهم نزلت آيـــة (ص) حق عقاب، وهذا يدل على أن ســـورة (ق) نزلت قبل ســـورة (ص)، ولو نظرنا في ترتيب نزول الســـور لوجدنا أن سورة (ق) ترتيبها في النزول (٣٤) وسورة (ص) ترتيبها في النزول (٣٨).

[١٥] ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾:

﴿أَفَعَيِينَا﴾: الهمزة للاستفهام التّوبيخي لمنكري البعث والحساب، أفعيينا من الإعياء، أي: العجز وهو انقطاع أو ضعف القوة.

﴿بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ﴾: أفعجزنا عن بـــدء الخلق حتّى نعجز عن إعادته. وما دمنا لـــم نعيَ في بدء الخلق، فلن نعيى في إعادة الخلـــق، بل هو أهون علينا، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم:٢٧].

﴿بَلْ هُمْ﴾: بل: للإضراب الإبطالي، أيْ: لم نعيَ أو ما عيينا بالخلق الأوّل:

أيْ: كما خلقناهم أول مرة قادرين على إعادة خلقهم مرة ثانية. ضمير فصل يفيد التّوكيد ترجع إلى منكري البعث والحساب.

﴿فِي لَبۡسٖ﴾: لبس: حيرة وشك أو خلط، لا داعي له؛ لأنّ الإعادة هي أهون من الابتداء إن كانوا يعقلون. والله سبحانه ليس عنده أمر صعب وأمر هين، إنما يخاطب الناس على قدر عقولهم فالكل عنده هيِّن.

﴿مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدِۭ﴾: أي: هم في حيرة وشك من خلق جديد، وهو البعث وليس الخلق الأول؛ لأنه سبحانه قال: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف:٨٧].

❖ ❖ ❖

وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ
مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ
﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ
ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ
يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ
كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ
﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ
عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا
ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ
وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ
إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾
يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ
ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ
﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا
بِسَلَٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٥٢

## سورة ق [الآيات ١٦ - ٣٥]

[١٦] ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو استئنافية، اللام للتوكيد، قد للتحقيق أي تحقق ذلك.

﴿خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾: بصيغة الجمع للتعظيم، الإنسان: اشتق هذا الاسم من الأُنس: الأُلفة: خلاف النفور، أيْ: يأنس به بنو جنسه أو يأنس بصاحبه ومن كونه يُرىٰ أو ظاهر بخلاف الجن.

﴿وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾: أيْ: نعلم ما تحدثه به نفسه ما يخطر علىٰ باله والوسوسة هي الصّوت الخفي، ما: بمعنىٰ الذي وما أوسع وأشمل من الذي تشمل كل شيء وأمر، أو ما مصدرية.

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾: أيْ: نحن أقرب إليه من حبل الوريد: الوريد الوداجي في العنق (في كل جانب)، ولكل إنسان وريدان، والقرب يكون بعلمنا.

[١٧] ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾:

مع علم الله سبحانه بما توسوس به كل نفس وكلَّ به ملكين من الملائكة يكتبان كل ما يقوله ويعمله، ويحفظان أعماله لإقامة الحُجَّة عليه يوم الحساب ويشهدان عليه أو له يوم القيامة.

﴿إِذْ﴾: ظرف زماني ومكاني.

﴿يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ﴾: مثنىٰ المتلقي، أي: الملكان، يتلقىٰ: كل منهما ما يقول وما يفعل الإنسان الموكلان به بالكتابة والحفظ في سجل أعماله.

﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾: قعيد على وزن فعيل وقعيد صفة مبالغة، أيْ: ملازم مكانه لا يفارقه، ولم يقل: قاعدان، حذف الثاني لدلالة الأول عليه. قعيد واحد عن اليمن وواحد عن الشّمال.

[١٨] ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾:

﴿مَّا يَلْفِظُ مِن﴾: ما النّافية، من استغراقية تشمل أيَّ قول.

﴿قَوْلٍ﴾: قيل: يكتبان ما يؤجر عليه أو يؤزر عليه، أيْ: فقط الحسنات والسّيئات. أو يكتبان كل ما يقوله أو يلفظه بلسانه من خير وشر.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾: لديه: ظرف مكاني، رقيب: يراقب قوله وعمله ويكتب ذلك ويمتاز بالعلم والإحاطة ولا يخفى عليه شيء، عتيد: عتيد بمعنى حاضر مهيأ للكتابة سواء كانت خيراً أو شراً، ولا يغيب عنه إلا حين قضاء الحاجة أو الجماع أو العُري.

رقيب عتيد: صفة لكلّ ملك، أيْ: كلاهما رقيب عتيد، ولا يعني أنّ أحدهما رقيب والآخر عتيد، كما يظن البعض؛ أحدهما موكل بكتابة الحسنات، والآخر موكل بكتابة السيئات.

[١٩] ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾:

**المناسبة**: بعد كتابة أقواله وأفعاله والاستمرار في ذلك حتّى تأتي سكرة الموت.

﴿وَجَآءَتْ﴾: الواو استئنافية، جاءت: بصيغة الماضي كأنّها جاءت وانتهت؛

لأنّ الزّمن عند الله سبحانه واحد الماضي والحاضر والمستقبل؛ لأنه سبحانه خالق الزمان والمكان.

﴿سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ﴾: شدته وهوله التي تذهب بالعقل.

﴿بِٱلْحَقِّ﴾: الباء للإلصاق والملازمة، والحق: هو الأمر الثّابت الذي لا يتغير ولا يتبدل. وهو ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران:١٨٥].

﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة تعود على الموت واللام للبعد.

﴿مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾: المخاطب غير معين، أو الخطاب لكل سامع؛ كنت في الدّنيا، تحيد: تفر منه وتهرب وتتجنب سماعه كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾ [الجمعة:٨].

[٢٠] ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ﴾:

وبعد سكرة الموت والبرزخ يأتي زمن النّفخ في الصّور، النّفخة الثّانية نفخة البعث والقيام.

﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾: النّافخ هو إسرافيل عليه السلام وينفخ في الصّور: وهو القرن.

﴿ذَٰلِكَ﴾: النّفخ في الصور يشير إلى يوم الوعيد يوم البعث يوم القيامة الوعيد الذي كانوا يوعدون.

﴿يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ﴾: يوم العذاب الذي وعد الله الكفار به.

[٢١] ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾:

﴿وَجَآءَتْ﴾: من المجيء وفيه معنى المشقة والصّعوبة وجاءت كل نفس في ذلك اليوم الذي: ﴿يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾ [المزمل:١٧].

﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾: مؤمنة أو كافرة.

﴿مَّعَهَا سَآئِقٌ﴾: الملك، قيل: هو الذي يكتب السّيئات يسوقها إلىٰ أرض المحشر.

﴿وَشَهِيدٌ﴾: قيل: الذي يكتب الحسنات، أو هو ملك واحد يسوقها ويشهد عليها. شهيد: صيغة مبالغة، أيْ: يعلم ظواهر وبواطن الأمور الخاصة بمن يشهد له أو عليه، ولم يقل شاهد؛ الذي هو أقل شهادة من الشهيد.

[٢٢] ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾:

﴿لَّقَدْ﴾: اللام للتوكيد، قد للتحقيق.

﴿كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾: كنت في الدّنيا المخاطب هنا المؤمن والكافر والفاجر والصالح كنت مشغولاً عن هذا اليوم أو غير مستعد له منهمكاً في ملذات الدّنيا وشهواتها.

قال تعالىٰ: في غفلة من هذا، ولم يقل: عن هذا، جاء بمن ابتدائية، أيْ: كان غافلاً من نفسه فهو مبدأ الغفلة، ولم يكن هناك ما يُغفله عن الموت؛ لأنه يرىٰ الأموات كلَّ يوم.

﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ﴾: الفاء عاطفة تفيد المباشرة، فكشفنا لك عملك لتراه، أو أزلنا عنك الغفلة التي غطت عينيك في الدّنيا. شبه الغفلة كأنها غطاء غطَّىٰ بها حواسه. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٧٤) لمزيد من البيان في الغفلة.

﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾: اليوم: يوم القيامة، لم تعد غافلاً، فهذا بصرك اليوم قوي وحاد تبصر به كل شيء كنت غافلاً عنه في الدّنيا أو تنكره أو لا تصدقه. أيْ: يرفع ويكشف ذلك الغطاء غطاء الغفلة، كما يُرفع غطاء النوم عن الإنسان.

[٢٣] ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ﴾:

﴿وَقَالَ﴾: الواو واو الحالية للتوكيد.

﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ﴾: القرين: يعني المصاحب، كما ورد في سورة الصافات آية (٥١) وهي قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ﴾ هذا من الإنس، وأما في سورة الزخرف آية (٣٦) وهي قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ فهذا القرين من الجن؛ أيْ: شيطانه في الدنيا الذي قُيض له، والقرين: هو الصاحب الضار الذي لا خير فيه. وقد يكون من الجن أو من الإنس كما قلنا.

فيقول الشيطان:

﴿هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ﴾: هذا: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة للقرب، ويشير إلىٰ الكافر الذي أضله وأغواه، هذا ما أعددته لجهنم، وهيأته لها.

[٢٤] ﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾:

الخطاب إلىٰ الشّاهد والسّائق ألقيا (ألف التّثنية).

﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ﴾: هذا الكافر العنيد وأمثاله من الكفار، أو الخطاب إلىٰ ملائكة النّار، بإلقاء في النّار كلّ للتوكيد.

﴿كَفَّارٍ﴾: صيغة مبالغة كثير الكفر أو شديد الكفر سواء كان كفرَ عقيدة أو جحوداً بالنّعم.

﴿عَنِيدٍ﴾: صيغة مبالغة علىٰ وزن فعيل كثير العناد معاند لا يقبل الحق وآيات ربه رافضاً له ومجادلاً بالباطل.

[٢٥] ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ﴾:

﴿مَّنَّاعٍ﴾: صيغة مبالغة من فعل منع على وزن فعال، أيْ: كثير المنع للخير وهو الشيء الحسن النافع من قول أو فعل، مثل: مناع للزكاة أو الصّدقة أو المعروف.

﴿مُعْتَدٍ﴾: ظالم متجاوز حدود الله أو معتد على حقوق الآخرين أو عباد الله بيده ولسانه.

﴿مُّرِيبٍ﴾: يشك في دين الله أو الحق ذي ريب، أي: شك وتهمة. وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (١٢) وهي قوله تعالى: ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾: نجد أن معتد مريب حالة تسبق معتد أثيم؛ أي: المعتد المريب يتحول إلى المعتد الأثيم.

[٢٦] ﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾:

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول يفيد الذّم والتّحقير، ويعود على الكفّار العنيد المناع للخير.

﴿جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ﴾: أيْ: أشرك بالله بالإضافة إلى كلّ تلك الصفات الخمس الكفر والعناد والمناع والمعتد والمريب.

﴿فَأَلْقِيَاهُ﴾: تكرار ألقياه تفيد التوكيد، والفاء للمباشرة، ألقياه في جهنم وفي العذاب الشديد.

﴿فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾: وهو نوع من أنواع العذاب في جهنم منها الشّديد والعظيم والأليم والمهيمن.

[٢٧] ﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾:

﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ﴾: ولم يقل: وقال قرينه: حذف الواو تشير إلى أنّ

هناك مقالة محذوفة، وأنّ الكافر قال لما قال: ألقياه في العذاب الشّديد قال: رب هو أطغاني وأضلني، فهو يحـاول أن يجد له عذراً أو مبرِّراً لعدم إلقائه في النّار، فيتهم قرينه الشّيطان، فأجاب الشّيطان (القرين) ربنا ما أطغيته ما النّافية، أطغيته، أيْ: ما أوقعه في الطّغيان (الكفر والشرك والعصيان).

﴿وَلَٰكِن﴾: حرف استدراك وتوكيد.

﴿كَانَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ﴾: فـي بعد عن الحق يصعب الرّجوع عنه، أو تمادىٰ في طغيانه وفساده وبعد عن الحق بنفسه، واستمر علىٰ ذلك حتىٰ مات من دون توبة.

[٢٨] ﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ﴾:

قال الرّب سـبحانه وتعالىٰ عندما رأىٰ كلّاً من الكافر والقرين (الشيطان) يختصمان.

﴿قَالَ لَا﴾: لا النّاهية.

﴿تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ﴾: أيْ: عندي الآن، أو لا فائدة في اختصامكم الآن.

﴿وَقَدْ﴾: الواو حالية تفيد التّوكيد، قد للتحقيق والتّوكيد.

﴿قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ﴾: أيْ: أنذرتكم ذلك في الدّنيا بإرسـال الرّسل وإنزال الكتب، الوعيد يكون بالعذاب غالباً مثال علىٰ الوعيد، فأمّا من طغىٰ وآثر الحياة الدّنيا فـإنّ الجحيم هي المأوىٰ، الوعيد: دائماً يكون في الشّـر، أمّا الوعد: فقد يكون في الخير أو الشّـر، الوعد المطلق يدل علىٰ الخيـر الوعد المقيد قد يدل علىٰ الشّر.

[٢٩] ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾:

﴿مَا﴾: النّافية.

﴿يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ﴾: أيْ: يتغيَّـر أو يتحوَّل، والقول هو لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين، أو ما يبدَّل القول: أيْ: ما يبدَّل ما قضيت أو حكمت أو يتغيَّر وعدي.

﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾: ارجع إلىٰ الآية (١٨٢) من سورة آل عمران.

[٣٠] ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾:

**المناسبة:** ما يُبدل القول لديَّ في ذلك اليوم يوم نقول لجهنم: هل امتلأت، وتقـول: هل من مزيد، أو اذكر لقومك الغافليـن يوم نقول لجهنم: هل امتلأت، وتقول: هل من مزيد.

﴿يَوْمَ﴾: نكرة للتهويل والتّعظيم.

﴿نَقُولُ﴾: نون الجمع الدّالة علىٰ العظمة.

﴿لِجَهَنَّمَ﴾: اللام لام الاختصاص، جهنم: اسـم من أسماء النّار مشتق من بُعد قعرها أو دركة من دركاتها، ارجع إلىٰ سورة الرعد الآية (١٨).

﴿هَلِ﴾: للاستفهام.

﴿ٱمْتَلَأْتِ﴾: والله سـبحانه يعلم هل امتلأت أم لم تمتلئ، وإنما يذكر ذلك للتحذير والتّرهيب والإنذار من جهنم التي وقودها النّاس والحجارة.

﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾: هذا السّـؤال يطرح علىٰ جهنم بعد أن يدخلها أهلها من الإنس والجن، فتنطق جهنم وتجيب السّـائل هل: استفهام فيه معنىٰ التّهويل والتّعظيـم، هل من مزيد لها ثلاثة معانٍ: لم أمتلئ بعد، هل من مزيد أو هل هناك أكثر من هؤلاء الذين دخلوا فيها لفرط كثرتهم، أو تعني امتلأت وانتهىٰ الأمر.

[٣١] ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾:

﴿وَأُزْلِفَتِ﴾: الواو استئنافية، أزلفت: أُدنيت وقُربت.

﴿ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾: اللام لام الاختصاص، أيْ: قُربت الجنة للمتقين حتىٰ يرونها قبل أن يدخلوها.

﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾: وينظرون إليها من قُرب، ينتظرون دخولها بشوق وتلهف.

[٣٢] ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾:

﴿هَٰذَا﴾: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة للقرب يشير إلىٰ الجنة التي أزلفت لهم.

﴿مَا﴾: الذي توعدون أو مصدرية.

﴿تُوعَدُونَ﴾: أيْ: وعدتم أو وعدناكم وأنتم في الدّنيا، والوعد يكون غالباً في الخير، توعدون بصيغة المضارع حكاية الحال لاستحضار الحالة أمام السّامع، فكأنه يراها لعظم المشهد.

ارجع إلىٰ الآية (٢٨) من نفس السورة.

﴿لِكُلِّ﴾: اللام لام الاختصاص والاستحقاق، كل تفيد التّوكيد.

﴿أَوَّابٍ﴾: من أب؛ أي: رجع إلىٰ ربه، أو رجع عن المعصية، وأواب تعني: كثير الرّجوع إلىٰ الله والتّوبة أو سريع التّوبة والإنابة إلىٰ الله تعالىٰ في كلّ الأوقات سواء أكانت الإنابة صادرة عن ذنب، أم بغير ذنب، وتعني: سرعة الإقبال علىٰ الله بعد كل قول وفعل.

﴿حَفِيظٍ﴾: محافظ علىٰ حدود الله وشرائعه وأوامره ونواهيه. والممسك عما حرم الله تعالىٰ.

[٣٣] ﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾:

تتمة للآية السّابقة الأواب الحفيظ من خشي الرّحمن بالغيب، وجاء بقلب منيب.

﴿مَّنْ﴾: ابتدائيــة للمفرد والمثنىٰ والجمع وللعاقل، وهي اســم موصول بمعنىٰ الذي.

﴿خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾: الخشية هي الخوف مع التّعظيم والتّوقير.

الرحمن: ارجع إلىٰ سورة الفاتحة آية (٣) وسورة الفرقان آية (٢٦) للبيان.

بالغيــب: الباء للإلصاق والملازمة بالغيب، أيْ: إذا غاب عن أعين النّاس، أو خلا بنفسه، ويخشــىٰ الله تعالىٰ في العلن أمام الناس أيضاً؛ ارجع إلىٰ سورة ياسين آية (١١) لمزيد من البيان في الغيب.

﴿وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾: قلب سريع التّوبة، وكثير الرّجوع إلىٰ طاعة الله (كثير الإنابــة) أي: المقبل علىٰ الله تعالىٰ جاء بقلبه المنيب يــوم القيامة لملاقاة ربه، وهناك فرق بين القلب المنيب، والقلب الســليم؛ السليم: هو المطيع الخالي من كلّ مرض مثل الشّك والنفاق والرّيبة والتّردد.

[٣٤] ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ﴾:

﴿ٱدْخُلُوهَا﴾: أي: الجنة.

﴿بِسَلَٰمٍ﴾: أيْ: تحيــة من الله وملائكته وعباده المؤمنين، وبســلام تعني: من العذاب ومن زوال النّعم ومن كلّ خوف وحزن وموت، وسلام يعني: الأمن والطمأنينة.

بسلام: الباء للإلصاق: أي: الملازمة ملازمة السّلام فلا ينفك عنهم.

﴿ذَٰلِكَ﴾: ذا اسم إشارة واللام للبعد والتّعظيم ويشير إلىٰ يوم الخلود.

﴿يَوْمُ ٱلْخُلُودِ﴾: الخلـــود هو اســـتمرار البقاء من وقت مبتـــدأ، أيْ: من زمن دخولها، أمّا الفرق بين الخلود والدّوام، فالدوام اســـتمرار البقاء في كلّ الأوقات ليس هناك بدايـــة أو نهاية، أمّا الخلود فيعني الدّوام، ولكن فيه بداية تبدأ من زمن الدّخول وليس له نهاية.

[٣٥] ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾:

﴿لَهُم﴾: لأهل الجنة، اللام لام الاختصاص والاستحقاق لهم خاصة.

﴿مَا﴾: بمعنىٰ الذي أو مصدرية. وهي أعم وأشمل من الذي.

﴿يَشَآءُونَ فِيهَا﴾: أيْ: لهم في الجنة ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين من النّعيم والخيرات وكلّ ما يخطر علىٰ البال.

﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾: لدينـــا من النّعيم والخيرات ما لم يخطر علىٰ البال والعقل أيضاً، ومن أعظم المزيد هو رضوان الله تعالىٰ، ومن أعظم النّعيم لذة النّظر إلىٰ وجهه الكريم سبحانه وتعالىٰ.

لنقارن هذه الآية (٣٥) من ســـورة (ق) وهي قوله: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا﴾ أخَّر (فيها).

والآية (١٦) من سورة الفرقان، وهي قوله: ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ﴾: قدَّم (فيها).

فيها تعنـــي الجنة قدَّم (فيها) في آية الفرقان؛ لأنّ الحديث أو السّـــياق عن الجنة، وليس أهل الجنة، أما الســـياق في آية (ق) في أهل الجنة أنفسهم، وليس الجنة بحدِّ ذاتها، ولذلك أخَّرها.

❖❖❖

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى
ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ
لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا
مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ
قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ
وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ
﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا
نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ
عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ
وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾

## سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

ترتيبها ٥١ | آياتها ٦٠

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ﴿٣﴾
فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ﴿٦﴾

## سورة ق [الآيات ٣٦ - ٤٥]

[٣٦] ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾:

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا﴾: الواو استئنافية، كم الخبرية تفيد الكثير، أيْ: أهلكنا الكثير من القرون.

﴿قَبْلَهُم﴾: قبل كفار قريش، ولم يقل: من قبلهم: أيْ: قريباً. أما قبلهم فلا تحدد زمن فقد يكون قريباً أو بعيداً.

﴿مِّن قَرْنٍ﴾: من استغراقية، القرن: أهل كل عصر، والقرن يقدَّر بـ(١٠٠) عام.

﴿هُمْ﴾: للتوكيد.

﴿أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا﴾: البطش: الأخذ بقوة وعنف، أيْ: أهلكنا قبل كفار قريش من هم أشد منهم قوة مثل قوم عاد وثمود.

﴿فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾: طافوا وفتشوا في البلاد كثيراً بحثاً عن نقب أو نقوبها للهروب من عذاب الله فلم يجدوا، ونقب: أحدث خرقاً أو نقباً أو للدخول فيه والنّجاة، الفاء: فاء السّببية.

﴿هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾: هل للاستفهام الإنكاري، من استغراقية، محيص:

مهرب، هل وجدوا لهم مهرباً أو ملجأ الجواب لا، محيص: من حاص، أيْ: عدل عن الطّريق وهرب.

[٣٧] ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾:

هناك من قال أن هذه الآية هي جواب القسم لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ [آية:١]، ومنهم من قال غير ذلك؛ ارجع إلىٰ الآية (١) لمزيد من البيان.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾: إنّ للتوكيد، في ذلك: اسم إشارة يشير إلىٰ إهلاك الأمم السّابقة القوية قبلهم.

﴿لَذِكْرَىٰ﴾: اللام لام التّوكيد، ذكرىٰ: تذكرة.

﴿لِمَن﴾: اللام للتوكيد، من: اسم موصول بمعنىٰ الذي، من: للمفرد والمثنىٰ والجمع والعاقل. أي: الذي يأتي بعدهم.

﴿كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾: أيْ: عقل يفقه به ويتفكر.

﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ﴾: أي: استمع سماع هداية، أيْ: أصغىٰ بعناية إلىٰ ما ينفعه ويستفيد منه.

﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾: وهو: يفيد التّوكيد، وهو شهيد: حاضر القلب والعقل.

[٣٨] ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾:

**سبب نزول هذه الآية:** قالت اليهود: خلق الله السموات والأرض في ستة أيّام أوّلها الأحد وآخرها الجمعة، ثمّ استراح في اليوم السّابع، ويسمُّونه يوم الرَّاحة، فأنزل الله تكذيبهم فيما قالوه.

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾: ولقد: الواو استئنافية، لقد: اللام لام التّوكيد، قد للتحقيق، خلقنا السموات والأرض وما بينهما: ارجع إلىٰ سورة الأنبياء آية (٣٠) وسورة فصلت آية (٩-١٢) لبيان معنىٰ خلق السموات والأرض.

﴿وَمَا مَسَّنَا ﴾: ما: النافية؛ المس: أقل اللمس.

﴿مِن لُّغُوبٍ ﴾: من استغراقية، لغوب: الشّعور بالفتور الذي يكون نتيجة النّصب، النّصب: التّعب البدني، وقيل: اللغوب الإعياء النّفسي؛ للدلالة علىٰ عظمة قدرته تعالىٰ.

[٣٩] ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴾:

﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾: الفاء للتوكيد، اصبر علىٰ ما يقولون: الخطاب إلىٰ رسول الله ﷺ، علىٰ ما يقولون إنّك ساحر أو إنّك كاهن أو إنّك مجنون. وغيره من الافتراءات.

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾: سبح: التّسبيح هو تنزيه الخالق عما لا يليق في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله من كل نقص وعيب وشريك وولد والتّسبيح قد يعني: الصّلاة، أيْ: صلِّ لله تعالىٰ حامداً إياه قبل طلوع الشمس وقبل الغروب أو صلِّ لله تعالىٰ ولا تنسَ حمده.

﴿قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ ﴾: قيل: صلاة الفجر.

﴿وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴾: قيل: صلاة الظهر وصلاة العصر. والتسبيح: قد يكون

ذكر الله والقول: سبحان الله، أو سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم، وفي سورة طه آية (١٣٠) قال تعالىٰ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾.

[٤٠] ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾:

﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾: أيْ: صلِّ صلاة المغرب والعشاء (صلِّ العشاءين) أو سبحه التسبيح العادي، الفاء للتوكيد.

﴿وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾: أي: سبحه عقب الصلوات، أيْ: عقب أو بعد أو دُبُرَ كلِّ صلاة أيْ: بعد انقضائها.

وفي سورة الطور آية (٤٩) قال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ أيْ: عقب أو دبر أو بعد اختفاء النجوم. ارجع إلىٰ سورة الطور آية (٤٩) لمزيد من البيان.

[٤١] ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾:

﴿وَٱسْتَمِعْ﴾: ولم يقل: واسمع استمع تعني: بقصد ونية واهتمام وجند كل حواسك وعقلك لما تسمع في ذلك اليوم، واستمع فيها معنىٰ التشويق لما سيسمع.

يوم ينادي المناد: يوم نكرة للتهويل والتعظيم والمناد نكرة أيضاً، قيل: هو إسرافيل، واليوم هو يوم البعث أو القيامة.

والنداء لم يذكر ما هو.

من مكان قريب: والمكان مجهول أيضاً، للتهويل ويسمعه كل واحد.

[٤٢] ﴿ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴾:

حتىٰ يسمعوا الصيحة لا بُدَّ أن تبعث الحياة فيهم مرة أخرىٰ وهم في القبور ويصبح القبر حينذاك جدثاً، وبعد ذلك يخرجون من قبورهم، يوم: نكرة للتعظيم والتهويل، ويعني: يوم البعث.

﴿ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ ﴾: أي: النفخة الثانية نفخة البعث. حين ينفخ إسرافيل في الصور.

﴿بِٱلْحَقِّ ۚ﴾: الباء للإلصاق بالحق الأمر الثابت الذي لا يتغيَّر.

ذلك: اسم إشارة واللام للبعد.

﴿يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴾: الخروج من الأجداث، كما قال تعالىٰ: ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴾: [المعارج:٤٣].

وكقوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾ [الروم:٢٥].

وكما ورد في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الجُمُعَةِ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ وَفِيهِ أُدْخِلَ الجَنَّةَ وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا، وَلاَ تَقُومُ السَّاعَةُ إِلاَّ فِي يَوْمِ الجُمُعَةِ».

في حديث رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه وغيره، عن أوس بن أوس قال ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الجُمُعَةِ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ وَفِيهِ قُبِضَ وَفِيهِ النَّفْخَةُ وَفِيهِ الصَّعْقَةُ».

[٤٣] ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴾:

﴿ إِنَّا ﴾: للتعظيم.

﴿نَحْنُ﴾: للتوكيد، توكيد العظمة والقدرة.

﴿نُحْيِۦ وَنُمِيتُ﴾: في الحياة الدنيا.

﴿وَإِلَيْنَا﴾: تقديم إلينا تفيد الحصر.

﴿ٱلْمَصِيرُ﴾: مصدر ميمي لفعل صار، ومعنى صار يعني: الانتقال والتحول من حال إلى حال، أي: إلى الله المنتهى والمآل.

[٤٤] ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾:

﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ﴾: يوم ظرف زمان وجاء بصيغة النكرة: للتهويل والتعظيم، ويعني: يوم البعث. يوم الخروج من الأجداث، تشقق الأرض: الأرض الجديدة: تنتفخ وتتصدع عنهم، تتشقق بفتح التاء وتشديد الشين وأصلها تتشقق أدغمت التاء الثانية في الشين وقلبت إلى شين.

﴿سِرَاعًا﴾: أي: يخرجون سراعاً، أي: مسرعين إلى الداع. سراعاً: جمع سريع.

﴿ذَٰلِكَ﴾: ذا اسم إشارة واللام للبعد.

﴿حَشْرٌ﴾: هو السوق والجمع.

﴿عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾: تقديم علينا للحصر، يسير: هيِّن.

[٤٥] ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾:

في الآية (٣٩) من نفس السورة قال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾. وفي هذه الآية يقول تعالى: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ كفار قريش وغيرهم من الأقاويل سراً

وعلناً مثل قولهم شاعر، ساحر، كاهن مجنون مفتر، يعلمه بشر أساطير الأولين. يقولون، ولم يقل: قالوا ؛ لتدل على تكرار قولهم وتجدُّده واستمراره وفيها تهديد ووعيد.

﴿بِمَا﴾: الباء للإلصاق، (ما) تعني: الذي و(ما) أوسع شمولاً.

﴿وَمَآ أَنتَ﴾: (ما) النافية، أنت: الخطاب إلى رسول الله ﷺ.

﴿عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾: جبار صيغة مبالغة من جبر: وجبره على الأمر: قهره عليه، أيْ: أنت لم تبعث لتجبرهم على الإسلام أو الإيمان. كقوله تعالى: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الغاشية:٢٢]. ارجع إلى سورة مريم آية (١٤) لمزيد من البيان في جبار.

﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾: أي: إنما أنت مذكر فقط، فذكر بالقرآن: الفاء لربط السبب بالمسبب؛ فذكر بالقرآن من يخاف وعيدي من المؤمنين.

من: ابتدائية، يخاف وعيد: ارجع إلى الآية (٢٨) من نفس السورة.

❖ ❖ ❖

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى
ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ
لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا
مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ
قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ
وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ
﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا
نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ
عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ
وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۚ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾

## سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

ترتيبها ٥١ — آياتها ٦٠

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ﴿٣﴾
فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ﴿٦﴾

## سورة الذاريات [الآيات ١ - ٦]

ترتيبها في القرآن (٥١) في النزول (٦٧).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾:

الواو واو القسم. والله سبحانه لا يقسم إلا بشيء مهم وعظيم، وهو سبحانه غني عن القسم، ويشير القسم عادة إلى أهمية الأمر المقسم به وجواب القسم.

﴿وَالذَّارِيَاتِ﴾: أي: الرياح جمع ذارية مؤنث الذاري اسم فاعل من ذرا. تشمل الرياح أو الريح، وهي جند من جنود السموات والأرض، فالرياح (الريح اللينة) في القرآن تأتي في سياق الخير والرحمة، وأما الريح في القرآن فتأتي في سياق الهلاك والدمار والشر، وتسمَّى أحياناً الريح العقيم أو العاصفة أو الصرصر، وسُمِّيت بالذاريات؛ لأنها تذر التراب والرمل، وكما قال تعالى: ﴿الرِّيحَ الْعَقِيمَ ۝٤١ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾ [الذاريات: ٤١ - ٤٢] (ذروا) مصدر يفيد التوكيد من فعل ذرا: فرق أو انتشر.

[٢] ﴿فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا﴾:

الفاء: عاطفة، والصفات المعطوفة بالفاء تكون لموصوف واحد، وأما العطف بالواو كما لو قال تعالى: والحاملات وقرا؛ لدل ذلك على تغاير الذات (الصفات)؛ أي: الذاريات غير الحاملات كما ذكر الألوسي؛ الحاملات وقراً: الحاملات: أي: الرياح التي تحمل السحب الركامية التي قد تمتد وترتفع في السماء عشرات، بل مئات الكيلو مترات، وقِراً: الحمل الثقيل (وهي السحب الركامية) التي تحمل ماء المطر، وهو الوِقر: بكسر الواو، وسكون القاف: هو الحمل الثقيل من الماء المقدر بمئات وآلاف الأطنان، وهناك الوَقْر: بفتح الواو، وسكون القاف: وهو الثقل في السمع أو الأذن.

والحاملات وقراً: آية أخرىٰ من آيات الله تعالىٰ أو جند من جنود السموات والأرض يقسم الله بها لأهميتها في حياة الناس. وهذه هي الوظيفة الثانية للرياح حمل السحب الركامية.

[٣] ﴿فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا﴾:

وهذه هي الوظيفة الثالثة للرياح.

الفاء عاطفة تعود علىٰ الرياح. ارجع إلىٰ الآية السابقة.

الجاريات: جمع جارية: أي: الفلك، أي: السفن التي تجري علىٰ سطح الماء في البحار والمحيطات، وفي الآية (٢٤) من سورة الرحمن قال تعالىٰ: ﴿ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾، وفي الآية (٣٢) من سورة الشورىٰ قال تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾، فما الفرق بين الجاريات والجوار؟ فالجاريات من حيث اللغة: يراد بها الوصف، والجوار: يراد بها الاسم؛ ارجع إلىٰ سورة إبراهيم آية (٣٢) للتعليل العلمي لجريان الفلك علىٰ سطح الماء. وتوربينات الرياح التي تولِّد الطاقة الكهربائية.

يسراً: جرياً بسهولة أيْ: يسر ومن دون كلفة. وكما قال تعالىٰ: ﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ﴾ [الإسراء: ٦٦].

[٤] ﴿فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا﴾:

وهذه هي الوظيفة الرابعة للرياح.

الفاء عاطفة تعود علىٰ الرياح المقسمات جمع المقسمة اسم فاعل من الفعل الرباعي قسَّم.

الرّياح المقسمة للأرزاق مثل الرّياح اللواقح التي تحمل هباءات الغبار لتلقح بها السحب التي تسبب المطر الذي نشرب منه، والذي ينبت به الزّرع والزّيتون والنّخيل، ومن كل الثمرات.

وقيل: المقسمات أمراً: الملائكة: لأنها تقسم الأرزاق، أو تقسم المطر أو الرزق بين العباد.

[٥] ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾:

جواب القسم.

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة تفيد التّوكيد.

﴿تُوعَدُونَ﴾: البعث وكل ما وعد الله به من خير وشرٍّ وثواب وعقاب وجنة ونار.

﴿لَصَادِقٌ﴾: اللام لام التوكيد. صادق: حق والحق هو الأمر الذي لا يتغيَّر ولا يتبدَّل. وفي الآية (٧) من المرسلات قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾، وفي الآية (١٣٤) من سورة الأنعام قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ﴾، فآية الذاريات: جاءت في سياق الآخرة والحساب لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾، وأما آية المرسلات جاءت أيضاً في سياق الحساب والآخرة، وأما آية الأنعام فقد جاءت في سياق الدنيا والآخرة لقوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا﴾ [آية:١٣٦] في سياق الدنيا، ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا﴾ (في الآخرة) في سياق الآخرة، وإذا نظرنا إلىٰ كلمة (وإن ما) في آية الأنعام: نجدها مركبة من (إن+ ما)، أو فصلت (إن) عن (ما)، بينما في آية الذاريات والمرسلات نجدها كلمة واحدة (إنما).

[٦] ﴿وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾:

معطوفة علىٰ جواب القسم السّابق.

﴿وَإِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿الدِّينَ﴾: الجزاء والحساب.

﴿لَوَاقِعٌ﴾: اللام لام التوكيد، واقع حاصل لا محالة.

❖ ❖ ❖

وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ
أُفِكَ ﴿٩﴾ قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾
يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا۟
فِتْنَتَكُمْ ۖ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ
وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ
﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ
﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ
لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ
وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ
تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾
إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ
أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ
﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ
﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ
﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾

## سورة الذاريات [الآيات ٧ - ٣٠]

[٧] ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾:

الواو واو القسم. ولا يقسم الله سبحانه إلا بشيء عظيم وهي السماء ذات الحبك.

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾: أي: السماء ذات البنيان المحكم. ذات الترابط الشديد والانضباط الدقيق، والمتباينة الكثافات بسبب تعدد الأجرام السماوية كالنجوم المختلفة في الكثافة والطاقة والكواكب والأقمار، فهذه الأجرام مرتبطة بقوة الجاذبية التي تشد الجرم الصغير إلىٰ الجرم الكبير، وكذلك بقوة الطرد المركزي التي تدفع الجرم الصغير بعيداً عن النجم الكبير. فالسماء ذات الحبك تعني ذات الشموخ لاختلاف الكثافات والقوىٰ الجاذبة وقوىٰ الطرد.

[٨] ﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾:

﴿إِنَّكُمْ﴾: للتوكيد والخطاب أهل مكة وغيرهم.

﴿لَفِى﴾: اللام للتوكيد، في: ظرفية.

﴿قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾: متناقض متضارب بشأن رسول الله ﷺ ساحر شاعر مجنون كاهن مفتر، أو بشأن القرآن تقولون: هو سحر أو شعر أو افتراه، أو أساطير الأولين، أو ليس هناك حشر ولا حساب ولا بعث أو تقولون أنّ الله هو الذي خلق السّموات والأرض وخلقكم، ثم تعبدون غيره، أو تقولون: إنّ محمّداً الصّادق الأمين، ثم تكذّبون به ولا تصدّقونه.

[٩] ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾:

﴿يُؤْفَكُ﴾: يصرف عنه من أَفَكَ: صرف فالأفك نوع من الصرف والتحويل؛ أي: الكذب، وهاء الضّمير تعود للقرآن أو الرسول أو الدِّين. إذن الإفك هو صرف الشيء عن مساره الذي يجب أن يكون عليه. والإفك: نوع من الكذب.

﴿مَنْ أُفِكَ﴾: من أفك (كذب) من قريش أو غيرهم من الكفار أو يصرف عنه من كذبَ من قريش أو النّاس أو من هو أفاك كذاب.

[١٠] ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾:

﴿قُتِلَ﴾: دعاء عليهم باللعن؛ أيْ: لُعن الخراصون: ومن لعنه الله فهو بمنزلة المقتول الهالك.

﴿الْخَرَّاصُونَ﴾: جمع خراص من الفعل خرص بمعنى خمن أو حزر، الخرص هو التّخمين والحزر من دون علم ودليل وحقيقة، وقد يعني: الكذب. أيْ: لُعن الكاذبون الذين قالوا: إن القرآن سحر أو محمد ساحر أو افتراه، أو هو أساطير الأولين، وغيرها من الأكاذيب.

[١١] ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾:

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد دنو منزلتهم.

﴿هُمْ﴾: للتوكيد.

﴿غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾: في ظرفية مكانية، غمرة: ما ستره الشّيء وغطّاه وغمرة، السّهو: عدم تذكر الشّيء مع أن صورته موجودة في منطقة التّذكر. فالسهو عدم التفطن للشيء بسبب انشغال النفس، وأما الغفلة فهي أعم من السهو.

﴿سَاهُونَ﴾: عما أمروا به، ساهون تدل على أنّ صفة السّهو ثابتة عندهم لن تتغيَّر، أي: هم في عمى وجهالة بأمر الآخرة وساهون عنها.

[١٢] ﴿يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾:

﴿يَسْـَٔلُونَ﴾: سؤال استهزاء واستنكار، أيان: ظرف زمان مبهم، ويستعمل في الأمور العظام والتفخيم، ويستعمل في الاستفهام بالمستقبل، ويوحي بالتراخي في الزمن بخلاف متى: التي تستعمل في الماضي والمستقبل والأمور العامة. يسئلون: بصيغة المضارع التي تدل على التكرار والتجدد.

﴿أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾: متى يوم الحساب أو قيام السّاعة وجواب السّؤال محذوف للتعظيم والتّهويل.

[١٣] ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ﴾:

﴿يَوْمَ﴾: ظرف زمان تقديره يوم يأتي.

﴿هُمْ﴾: للتوكيد على النّار.

﴿يُفْتَنُونَ﴾: مشتق من الفتنة وأصلها عرض الذّهب على النّار للتخلص من الشّوائب إذن يفتنون يحرقون ويعذبون ويفتنون تدل على التّكرار والتّجدد والاستمرار.

[١٤] ﴿ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾:

﴿ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ﴾: أيْ: ذوقوا عذاب الحريق: (النار).

﴿هَٰذَا﴾: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة للقرب ويشير إلى العذاب.

﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول يدل على شيء محدد وهو العذاب.

﴿كُنتُم بِهِۦ﴾: أيْ: في الدنيا.

﴿تَسْتَعْجِلُونَ﴾: تقولون ﴿اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[الأنفال:٣٢] في هذه الآية شبَّه العذاب بطعام يؤكل، وحذف كلمة الطّعام وأبدلها بكلمة الذّوق، التي تفيد أن العذاب سوف يطول كلَّ عضو من أعضائه كما يصل الغذاء إلىٰ كل عضو.

[١٥] ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿الْمُتَّقِينَ﴾: جمع متَّقٍ، وهو الذي أطاع أوامر الله وتجنَّب نواهيه.

﴿فِي﴾: ظرفية.

﴿جَنَّاتٍ﴾: جمع جنة، وهي البساتين والحدائق الغنَّاء، جنات الفردوس والنّعيم وعدن وجنات المأوىٰ ودار السّلام والخلد.

﴿وَعُيُونٍ﴾: جمع عين وتعني: عيون الماء والتّسنيم والكافور والسّلسبيل والزّنجبيل، وعين قد تجمع علىٰ أعين، وتعني التي نبصر بها.

إذن عيون في القرآن تعني: عيون الجنة وأعين تعني: التي نبصر بها وترىٰ الأشياء، وفي الآية (١٧) من سورة الطور قال تعالىٰ: ﴿فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ﴾: هذا جاء في سياق المتقين، وجنات وعيون في سورة الذاريات جاءت في سياق المحسنين، وهم أعلىٰ درجة من المتقين.

[١٦] ﴿آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ﴾:

﴿آخِذِينَ﴾: راضين.

﴿مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾: ما اسم موصول بمعنىٰ الذي، أتاهم ربهم: من الجنات والقصور والحور العين والطّعام والشّراب. و(ما) أوسع شمولاً من (الذي)

وأكثر إبهاماً تقع على كل شيء، وفي الآية (١٧) من سورة الطور قال تعالى: ﴿فِي جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ﴾، وهذا ليس بتكرار ما جاء في آية الذاريات يدل على السبب وهو أنهم كانوا قبل ذلك محسنين، وما جاء في آية الطور يدل على الثواب الذي ينالوه في الآخرة.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ﴾: أول صفة.

﴿إِنَّهُمْ﴾: للتوكيد.

﴿كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ﴾: أي: في الدّنيا.

﴿مُحْسِنِينَ﴾: جمع مُحسن. تعليل لاستحقاقهم هذا الإيتاء الجنات والعيون هو إحسانهم في الدّنيا.

ارجع إلى سورة البقرة آية (١١٢) لبيان معنى الإحسان.

[١٧] ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾:

هذه ثاني صفة للمحسنين.

﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾: كانوا: في الدنيا وخص الليل؛ لأنه وقت الراحة والسبات.

﴿مَا﴾: للتوكيد.

﴿يَهْجَعُونَ﴾: ينامون، الهجوع النّوم القليل.

[١٨] ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾:

هذه هي الصفة الثالثة للمحسنين.

﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ﴾: الباء ظرفية زمانية، جمع سحر، وهو الجزء الأخير من الليل.

وتخصيص الأسحار بالاستغفار؛ لأن الدعاء فيها أقرب إلى الإجابة، والعبادة فيها أصفى وأشقُّ.

﴿هُمْ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿يَسْتَغْفِرُونَ﴾: من الاستغفار لذنوبهم والمغفرة تعني: ستر الذّنب وترك العقوبة والثّواب على العمل الصّالح سواء كان استغفار إنابة (من دون ذنب)، أو استغفار لذنب؛ يستغفرون بصيغة المضارع لتدل على التّجدد والتّكرار.

[١٩] ﴿وَفِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾:

وهذه هي الصفة الرابعة للمحسنين.

﴿وَفِيٓ﴾: الواو عاطفة، في الظرفية.

﴿أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ﴾: قيل: ليست الزّكاة المفروضة، وإنما الصدقات والنوافل؛ لأنّ هذه الآية مكية نزلت قبل فرض الزّكاة بالمدينة، والحق هنا قد يعني: زيادة عن الزّكاة، ولم يقل سبحانه في هذه الآية: (حق معلوم)، كما ورد في سورة المعارج آية (٧٩) والحق المعلوم يعني: الزّكاة.

﴿حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾: تقرباً إلى الله تعالى، للسائل: اللام لام الاختصاص والاستحقاق والسّائل من يسأل النّاس لفاقته، أيْ: لفقره، والمحروم: الذي يتعفَّف عن السّؤال يظنه النّاس غنياً، وسُمِّي المحروم، أو لأنّه يُحرم الصّدقة من كثير من النّاس.

ثم يذكر الله سبحانه عدد من الآيات الكونية وآيات خلق الإنسان الدّالة على عظمته وقدرته، وأنّ الله هو الإله الحق الواحد الأحد الذي يجب أن يُعبد.

[٢٠] ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾:

﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ﴾: دلائل كونية وبراهين دالة على قدرته ووحدانيَّته، ومنها:

خلق الأرض، وإخراج الماء والمرعى منها. ودورانها حول الشمس، ونسبة اليابسة إلى الماء.

وإحياء الأرض بعد موتها وكيف تهتز وتربو بعد نزول المطر بعد ما كانت خاشعة أو ميتة.

والحدائق والأشجار والنّخيل والأعناب وكل الثّمرات.

والزّلازل والبراكين ودوران الأرض بسرعة تقدر بـ(٣٠كيلو متر/ بالثانية)، وعدم الشّعور بذلك الدّوران، وجعلها كالمهد.

﴿لِّلْمُوقِنِينَ﴾: اللام لام الاختصاص، أيْ: آيات تنفع الموقنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم.

أو يقيناً مع يقينهم، والموقنون: جمع موقن. والموقن اسم فاعل من فعل أيقن.

ارجع إلى سورة البقرة آية (٤) لبيان معنى اليقين ودرجاته.

[٢١] ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾:

من آيات الخلق والنّشأة والتّطور والحركة والسّمع والبصر والأفئدة وعمل الجوارح والنوم واليقظة والحركة وغيرها.

﴿أَفَلَا﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري والتّقريري، والفاء تدل على التّوكيد، ألا: أداة حصر وتنبيه وأمر، أيْ: أبصروا ذلك.

﴿تُبْصِرُونَ﴾: تنظرون في الدلائل والآيات بصيغة المضارع لتدل على ضرورة إعادة البصر والتّجدُّد والتّكرار، تبصرون: رؤية فكرية قلبية (رؤية بصيرة).

[٢٢] ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾:

﴿وَفِي﴾: ظرفية.

﴿ٱلسَّمَآءِ﴾: تعريفها: هي كل ما علاك تشمل السّحاب والسّموات السّبع وما فيهن.

﴿رِزْقُكُمْ﴾: لنعلم أن كل ما نحتاجه من صور المادة والطاقة يخلقه لنا ربنا في صفحة السماء، وينزله إلى الأرض بالقدر المعلوم، فدورة الماء حول الأرض بخار، سحاب، ثم مطر من أنواع الرزق، والطاقة الحرارية الآتية من الشمس رزق، والحديد الذي أنزل من السماء عن طريق تفجُّر الشهب والنيازك رزق، وكذلك غاز الهيدروجين الداخل في تشكيل نويات كثيراً من الأطعمة والأشربة من الرزق والرياح من الرزق، والجنة وما فيها رزق للمؤمنين في الآخرة.

﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾: ما: اسم موصول أوسع شمولاً من الذي ويشمل كل شيء. توعدون من البعث والجزاء والثواب (الجنة) أو العقاب (النّار) وكذلك ما توعدون من الخير والشّر من الصّواعق والرّعد والبرق، والرزق.

[٢٣] ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾:

﴿فَوَرَبِّ﴾: الفاء عاطفة، ورب: واو القسم. ويقسم الله سبحانه بربوبيته ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾: أي: خالق السّماء والأرض ومدبرهما ومالكهما وحاكمهما، السماء: تشمل السّموات السّبع وكل ما يعلو الإنسان.

﴿إِنَّهُۥ﴾: للتوكيد.

﴿لَحَقٌّ﴾: اللام لزيادة التّوكيد، أي: ما ذكر من الآيات والرّزق وما توعدون من البعث والحساب والجزاء حق وصدق ثابت لا يتغيَّر، أي: لا يكون غير ذلك.

﴿مَآ﴾: لزيادة التّوكيد.

فانظر إلىٰ توكيد هذا القسم باستعمال (إن) و(اللام) و(ما) كلها أدوات تؤكِّد هذا الخبر الذي ينكره الإنسان.

﴿إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾: وكل ما ذكر وما يذكره الله سبحانه هو حق فلا تكونوا من الممترين، تنطقون: تدل علىٰ التّجدُّد والتّكرار.

﴿مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾: أي: إن كل ما توعدونه من البعث والحساب والجزاء وغيره حق مثل ما تنطقون أو مثل نطقكم الذي لا تنكرونه أبداً، أو إنّه لحق كما حقَّ أن يكون الإنسان خلقاً ناطقاً.

[٢٤] ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾:

﴿هَلْ﴾:للاستفهام والتّشويق.

﴿أَتَىٰكَ﴾:يا محمّد ﷺ خطاب للنبي ﷺ.

﴿حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ﴾: ضيف مصدر يطلق علىٰ الواحد والاثنين والجماعة؛ أي: ضيوف إبراهيم، وسمَّاهم ضيفاً؛ لأنّهم جاؤوا في صورة الضّيف أو نزلوا ضيفاً علىٰ إبراهيم، وقيل: كانوا ثلاثة من الملائكة أو أكثر، والله أعلم بذلك، ومما يدل علىٰ أنهم أكثر من واحد (قيل: كانوا ثلاثة) قوله تعالىٰ: (المكرمين) الدالة علىٰ الجمع.

﴿ٱلْمُكْرَمِينَ﴾: أي: هم مكرمون عند الله تعالىٰ، بالجاه والشرف والقرب

من الله مكانة، وكان من بينهم جبريل عليه السلام، أضياف مكرمون: لأنّ إبراهيم وامرأته بأنفسهما أكرموهم. والمكرمون تعني: الأعزاء.

[٢٥] ﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾:

﴿إِذْ﴾: ظرفية زمانية بمعنىٰ: واذكر حين دخلوا علىٰ إبراهيم في داره.

﴿فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾: الفاء للمباشرة، سلاماً جملة فعلية تفيد التّجدُّد والتّكرار.

﴿قَالَ سَلَٰمٌ﴾: جملة اسمية تفيد الثّبوت. أي: وعليكم سلام أو أجابهم بقوله: سلام. والجملة الاسمية أقوىٰ من الجملة الفعلية وهذا يناسب قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [النساء: ٨٦] أي: رد إبراهيم علىٰ تحيتهم بتحية أحسن من تحيتهم.

﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾: أي: قال إبراهيم سلام، قوم منكرون: تعني من أنتم حياكم الله أو من أين أنتم حياكم الله، أو قال في نفسه: هؤلاء قوم غرباء لا نعرفهم.

[٢٦] ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾:

﴿فَرَاغَ﴾: الفاء للترتيب والمباشرة، راغ: ذهب بخفيه وبحيله حتىٰ يكرمهم، وأراد أن لا يُظهر لهم أنّه سيقوم بذلك، وهذا من مظاهر الكرم عند العرب أن يبادر المضيف بالقِرىٰ من غير أن يُشعر به الضّيف حذراً من أن يكفَّه ويعذره من تحضير الطّعام.

فراغ: مشتقة من راغ الثعلب روغاً وروغاناً ذهب يمنة ويسرة في سرعة وخديعة، فهو لا يستقر في جهة واحدة.

﴿فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾: لم يذكر مراحل الذّبح والشّوي؛ أي: التحضير.

﴿فَجَآءَ﴾: الفاء للترتيب والتّعقيب.

﴿بِعِجْلٍ﴾: الباء للإلصاق.

﴿سَمِينٍ﴾: بينما في سورة هود ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ [هود:٦٩] مشوي الذي يقطر الدّهن منه، سمين: ممتلئ لحماً وشحماً (يدل على كرم إبراهيم عليه السلام). أما حنيذ: فيدل على كيفية تحضيره.

[٢٧] ﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾:

﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ﴾: الفاء للتعقيب والترتيب، قربه إليهم: قدَّمه إليهم ليأكلوا منه.

﴿قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾: ألا: أداة حصر وحثٍّ، أي: تفضلوا وكلوا، والهمزة استفهام إنكاري لما لا تأكلون؛ حيث رأى أيديهم لا تصله إليه: أي: لا تمتد إليه لتأكل منه؛ لأنّهم ملائكة لا يأكلون، وهو إلى الآن لا يعرف أنّهم ملائكة ولم يبشروه بعد، ويخبروه من هم.

[٢٨] ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾:

﴿فَأَوْجَسَ﴾: الفاء للترتيب والمباشرة، أوجس: أضمر أو أحس وشعر بالخوف منهم، فقد حاول إبراهيم أن لا يطلعهم على خوفه، ولكن الخوف سرعان ما ظهر على وجهه.

وخاف منهم؛ لأنّ العُرف أنّ الضّيف إذا نزل بقوم وقدَّموا له الطّعام ليأكل منه فامتنع، فيسألونه عندها إذا كان له طلب حتى يستجيبوا له، فإذا استجابوا له أكل بعدها، وإذا رفضوا الاستجابة له لا يأكل، ويغادر ونادراً جداً أن لا يأكل الضيف، فعندما رأى الملائكة الخوف على وجه إبراهيم، قالوا لإبراهيم: لا تخف إنا رسل ربك إنا أرسلنا إلى قوم لوط. وإذا قارنا هذه الآية وهي قوله تعالى:

﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ مع الآية (٦٧) من سورة طه وهي قوله تعالىٰ: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾: نجد أن هناك اختلافاً في الآيتين؛ ارجع إلىٰ سورة طه آية (٦٧) لمعرفة الاختلاف.

﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾: البشرىٰ الإخبار بخبر سار لأول مرة، بشروا إبراهيم بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب.

﴿بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾: الباء للإلصاق والملازمة، عليم: ذي علم كثير، غلام هو الولد الذي سيبلغ الحلم ويصبح كثير العلم؛ أي: إسحاق عليه السلام، كما أشارت الآيات الأخرىٰ في سورة الصافات آية (١١٢).

فالبشارة تضمنت أمرين الأول كونه غلاماً ذكراً، والثّاني كونه عليماً والعلم من أكمل الصّفات، وفي سورة الصافات آية (١٠١) قال تعالىٰ: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾، ويعني: إسماعيل عليه السلام.

[٢٩] ﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾:

﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ﴾: امرأة إبراهيم عليه السلام، الفاء للمباشرة، أي: اتجهت إلىٰ الملائكة، أي: لما سمعت بشارتهم، وهناك فرق بين امرأته وزوجه؛ ارجع إلىٰ سورة القصص آية (٩) لمعرفة الفرق بين الزوجة والمرأة.

﴿فِي صَرَّةٍ﴾: صيحة وضجة. من الصرير: وهو الصوت، صرير الباب صوته.

﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾: لطمت وجهها بيديها عجباً والصّك هو الضّرب.

﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾: عجوز كبيرة السّن، العجوز: يشترك فيه الذّكر والأنثىٰ يقال رجل عجوز وامرأة عجوز، كما بينت الآيات الأخرىٰ كقوله تعالىٰ: ﴿يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ [هود: ٧٢].

﴿عَقِيمٌ﴾: أي: لا تلد والعقيم ليست كالعاقر هناك فرق بين العقيم والعاقر. ارجع إلىٰ سورة آل عمران آية (٤٠) للبيان.

[٣٠] ﴿قَالُوا كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾:

رد الملائكة علىٰ امرأة إبراهيم.

﴿كَذَٰلِكِ﴾: أي: كما أخبرناك وبشرناك بغلام عليم.

﴿قَالَ رَبُّكِ﴾: أي: قضىٰ ربك بذلك فلا تعجبي ولا تخافي.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ﴾: إن للتوكيد، هو لزيادة التّوكيد.

﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: في حكمه وقضائه وأقواله وأفعاله وتدبير شؤون خلقه وأحوال كونه. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (١٢٩) لمزيد من البيان.

﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: بخلقه وما يصلحهم ويضرهم كثير العلم أحاط علمه بخلقه وكونه، فلا تخفىٰ عليه خافية.

❖ ❖ ❖

۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ
مُجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ
لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا
فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ
الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ
مُبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ
فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ
الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾
وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ
فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ
وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا
فَاسِقِينَ ﴿٤٦﴾ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَالْأَرْضَ
فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ
لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ ۖ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٠﴾
وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ۖ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥١﴾

## سورة الذاريات [الآيات ٣١ - ٥١]

[٣١] ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾:

بعد أن علم إبراهيم أنهم ملائكة وأنّهم رسل من الله تعالىٰ.

﴿قَالَ﴾: إبراهيم عليه السلام للملائكة.

﴿فَمَا﴾: الفاء للتوكيد، ما الاستفهامية.

﴿خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾: الخطب الأمر العظيم أو الحدث الجلل الذي يشغل بال السّائل، وسُمِّي خطباً؛ لأنّ النّاس يتخاطبون به، ويتحدثون عنه كلما اجتمعوا فشغل بالهم، أي: ما سبب إرسالكم أو ما هي مهمتكم أو لماذا أرسلتم.

ارجع إلىٰ سورة الحجر آية (٥٧) لمزيد من البيان.

[٣٢] ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُجْرِمِينَ﴾:

﴿قَالُوا﴾: الملائكة.

﴿إِنَّا﴾: للتوكيد.

﴿أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُجْرِمِينَ﴾: قوم مجرمين: أي: قوم لوط، مجرمين: أي: أجرموا بالكفر وارتكاب الفاحشة وعصوا أمر ربهم.

وفي سورة الأعراف آية (٨١) وصفهم بالمسرفين.

وفي سورة الشعراء آية (١٦٦) وصفهم بالعادين.

وفي سورة النمل آية (٥٥) وصفهم بالجاهلين.

﴿مُّجْرِمِينَ﴾: جمع مجرم تدل على أنّ صفة الإجرام ثابتة لهم ولا تتغيَّر. ارجع إلى سورة الأنعام آية (٥٥)، وإلى سورة الجاثية آية (٣١) للبيان المفصل في مجرمين.

[٣٣] ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾:

﴿لِنُرْسِلَ﴾: اللام لام التّعليل.

﴿حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾: أي: من سجيل. ارجع إلى الآية (٧٤) من سورة الحجر للبيان.

﴿طِينٍ﴾: هو الماء والتّراب وقالوا: طين متحجر كالآجر، من شظايا إحدى الكواكب التي انفجرت، كما بيَّنت الدراسات العلمية على هذه الحجارة التي لا يزال أجزاء منها في آثار قرى قوم لوط.

[٣٤] ﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾:

﴿مُّسَوَّمَةً﴾: مُعلمه من السّومة، أي: العلامة. معلومة عند ربك من أيِّ نوع، أو ممَّ تتركب من المواد.

﴿عِندَ رَبِّكَ﴾: أي: معدة في السّماء مصنوعة لرجم من قضى الله تعالى بالرّجم.

﴿لِلْمُسْرِفِينَ﴾: اللام لام الاختصاص والاستحقاق، المسرفين: المجاوزين الحد في الفجور والآثام.

[٣٥] ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾:

﴿فَأَخْرَجْنَا﴾: الفاء تدل على المباشرة.

﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: أي: أخرجنا من قرى قوم لوط.

﴿مَن﴾: ابتدائية اسم موصول بمعنىٰ الذي ومن للمفرد والجمع وللعاقل، وأما الذي تشير إلىٰ المفرد.

﴿كَانَ فِيهَا﴾: ساكن فيها في قرية أو قرىٰ لوط.

﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: من استغراقية.

[٣٦] ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾:

﴿فَمَا﴾: الفاء للتوكيد، ما النّافية.

﴿وَجَدْنَا فِيهَا﴾: في قرىٰ لوط.

﴿غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾: غير للمغايرة والاستثناء، بيت واحد من المسلمين: هو بيت لوط.

وصفهم الله سبحانه بالمؤمنين في الآية (٣٥) وبالمسلمين في الآية (٣٦) وقيل: هم لوط وابنتاه.

وبما أنّ كل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمناً ذكر العام بعد الخاص للتوكيد، وسبب نجاتهم لا شك هي إيمانهم.

[٣٧] ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾:

﴿وَتَرَكْنَا﴾: نون العظمة للدلالة علىٰ الشّدة والتّحذير.

﴿فِيهَآ﴾: ظرفية الضّمير يعود علىٰ قرىٰ قوم لوط المؤتفكات، أي: بعد تدميرها وإهلاكهم.

﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً﴾: علامة أو دلالة بيِّنة هي (الحجارة من سجيل منضود).

﴿لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ﴾: اللام لام الاختصاص، يخافون العذاب الأليم:

عذاب الله تعالىٰ شديد الإيلام، انتبه إلىٰ تكرار كلمة (فيها) ثلاث مرات للتوكيد (في ثـلاث آيات) وهي الآيات (٣٥، ٣٦، ٣٧) فيها الضمير يعود إلىٰ قرىٰ لوط (المؤتفكات).

[٣٨] ﴿وَفِي مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾:

بعد بيان ما حدث لقوم لوط من دمار وهلاك، ينتقل الحق سبحانه لبيان ما حدث لموسىٰ عليه السلام الذي أرسل إلىٰ فرعون وقومه.

﴿وَفِي﴾: الواو عاطفة وفي موسىٰ وما حدث لفرعون وقومه آية أخرىٰ.

﴿إِذْ﴾: ظرف زماني بمعنىٰ: حين، أي: اذكر إذا أرسلناه، أو اذكر حين أرسلناه.

﴿أَرْسَلْنَٰهُ﴾: ارجع إلىٰ آية (١١٩) من سورة البقرة للبيان.

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾: إلىٰ فرعون: ارجع إلىٰ سورة الأعراف آية (١٠٣) لمعرفة من هو فرعون. الباء: للإلصاق، سلطان: بسلطان الحُجَّة والدّليل وهي العصا واليد، وقيل: التّسع آيات.

﴿مُّبِينٍ﴾: السّلطان الواضح والظّاهر لكل فرد رأىٰ تلك الآيات والمبين الذي لا يحتاج معها إلىٰ برهان أو دليل آخر.

[٣٩] ﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾:

﴿فَتَوَلَّىٰ﴾: الفاء للمباشرة.

﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ﴾: انصرف وابتعد، أي: أعرض بركنه: بجنده أو أعوانه. والرّكن وما يُركن إليه الشّيء ويُتقوّىٰ به أو الرّكن يعني: جانب البدن الأقوىٰ، والرّكن يعني: العزة والمنعة، أي: أعرض عن الآيات وجحد بها هو وجنوده.

﴿وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾: اتهم فرعون وموسىٰ بأنّه ساحر وما جاء به السّحر، أو مجنون: أي: موسىٰ ساحر ومجنون معاً أو ساحر أحياناً ومجنون أحياناً أخرىٰ.

انظر إلىٰ كيفية كتابة كلمة ساحر في هذه الآية وقارنها بكتابة كلمة ساحر أو مجنون التي وردت في الآية (٥٢) من نفس السّورة تجد أن الألف مقصورة في آية (٣٩) التي تخص موسىٰ، وأنّ الألف ممدودة في الآية (٥٢) التي جاءت في قوله تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ وقد تعلل بما أن الآية (٥٢) قيلت في رسل كثيرين، فلما ازدادوا في العدد زيد في رسم الكلمة بالألف الممدودة الزيادة في المبنىٰ تدل علىٰ الزيادة في المعنىٰ.

[٤٠] ﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾:

﴿فَأَخَذْنَٰهُ﴾: الفاء عاطفة، أخذناه: أهلكناه وجنوده.

﴿فَنَبَذْنَٰهُمْ﴾: النّبذ هو إلقاء الشّيء، استهانة به وأنّه غير مهم، أي: أغرقناهم في اليم.

﴿فِى ٱلْيَمِّ﴾: في البحر (الأحمر).

﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾: وهو يفيد التّوكيد، وتعود لفرعون، مُليم: أتىٰ بما يُلام عليه من الكفر والتّكذيب وادعاء الربوبية والشّرك بالله، فهذه آية أخرىٰ تدل علىٰ قدرة الله وعظمته، وهي قوله تعالىٰ: ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾ [يونس: ٩٢].

[٤١] ﴿وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ﴾:

في إهلاك عاد الأولىٰ بالرّيح العقيم آية أخرىٰ تدل علىٰ عظمة الله وقدرته في الانتقام ممن كذب بآياته ورسله، الرّيح الصّرصر العاتية التي ﴿سَخَّرَهَا

عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ [الحاقة:٧].

﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ﴾: إذ: ظرف زمان للماضي بمعنى: حين، أو اذكر إذ أرسلنا عليهم؛ على: فيها معنى الاستعلاء والشدة والقوة؛ الرّيح العقيم الرّيح التي لا خير فيها ولا فائدة، وسُمِّيت الرّيح العقيم؛ لأنّها أهلكتهم وقطعت دابرهم كما يحدث في عقم النّساء التي لا تلد، وقال تعالى: (أرسلنا): التي تدل على استمرار الإرسال الذي دام سبع ليال وثمانية أيام حسوماً.

[٤٢] ﴿مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ﴾:

﴿مَا﴾: النّافية.

﴿تَذَرُ مِن شَيْءٍ﴾: تذر: تترك أو تدع، من: استغراقية تستغرق كل شيء وشيء نكرة يعني: أيَّ شيء والشّيء هو أقل القليل.

﴿أَتَتْ عَلَيْهِ﴾: أي: أصابته.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ﴾: البالي المتفتت رم العظم أو النّبات أو غير ذلك بَلِيَ وتفتت.

[٤٣] ﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ﴾:

وفي إهلاك ثمود آية أخرى تدل على قدرة الله سبحانه وعظمته وثمود قوم صالح نبيهم صالح وهم أصحاب الحجر.

﴿إِذْ﴾: ظرف زمان بمعنى حين أو اذكر إذ...

﴿قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ﴾: قيل لهم بعد أن عقروا النّاقة: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ [هود:٦٥].

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف نهاية الغاية.

﴿حِينٍ﴾: الحين زمن غير محدد، وحين: نهاية أجلكم الذي هو قادم في ثلاثة أيام، أي: تمتعوا إلىٰ زمن هلاككم.

[٤٤] ﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾:

﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾: فعتوا من العتو: هو النُّبُوُّ، أي: الارتفاع عن الطّاعة والتكبر بغير الحق، أي: بدلاً من أن يندموا أو يسلموا أو يخافوا ويتضرعوا إلىٰ الله، أرادوا المكر بصالح وقتله وأهله، كما قال تعالىٰ: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النمل: ٤٨ - ٥١].

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾: حلت بهم نازلة من السّماء أهلكتهم مثل الغيوم الكثيفة التي تصاحبت بالرّعد والبرق الذي أدّىٰ إلىٰ تفريغ الشحنات الكهربائية عالية الفولتاج في أجسامهم؛ مما أدّىٰ إلىٰ صعقهم وموتهم في الحال.

﴿وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾: وهم ينظرون كيف يصعق كل منهم أمام عيني الآخر.

[٤٥] ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ﴾:

﴿فَمَا﴾: الفاء للتعقيب والتّرتيب، ما: النّافية.

﴿اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ﴾: على أرجلهم أو على الوقوف، أي: ما قدروا على النهوض من أماكنهم.

﴿وَمَا﴾: تكرار ما يفيد توكيد النّفي.

﴿كَانُوا مُنتَصِرِينَ﴾: ناجين من العذاب. بالهرب أو اللجوء إلى مكان آمن يقيهم من البرق أو الصيحة.

[٤٦] ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾:

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾: آية أخرى لهم قوم نوح أهلكناهم بالطّوفان. وقومَ: جاءت منصوبة تقديرها وأهلها قومَ نوح، أو أخذنا قومَ نوح.

﴿مِّن قَبْلُ﴾: من قبل عاد وثمود ولوط وفرعون.

﴿إِنَّهُمْ﴾: للتوكيد.

﴿كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾: خارجين عن طاعة الله تعالى متجاوزين لحدوده لأكثر من ألف سنة إلا خمسين عاماً.

[٤٧] ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾:

﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا﴾: بقوة، أي: بقوة وإحكام دقيق متماسك مترابط وليست فراغاً، كما كان يظن النّاس في القديم، فبين الأجرام السّماوية والمجرات غلالة من الغازات (طبقة غازية) يغلب عليها الهيدروجين، وهناك ذرات من بخار الماء والأمونيا والفورمالدهيد وذرات من الكالسيوم والصوديوم والبوتاسيوم والحديد.

هناك القوى والروابط الكهرومغناطيسية المتجاذبة وقوانين الجاذبية بين كل جرم وآخر.

﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾: نظرية اتساع الكون حقيقة لم يدركها الإنسان أو العلماء إلا حديثاً، وهي أنّ الكون في اتساع مستمرٍّ يسمَّىٰ الكون المتسع، فقد اكتشف علم الفلك والفضاء والفيزياء أنّ المسافات بين أجرام السّماء تتباعد عن بعضها وتتباعد عنا، واكتشف مجرات جديدة، فقد رصد أكبر مرصد جوي علىٰ الأرض أكثر من مئتي ألف مليون مجرة، ولكننا لا نرىٰ بالعين المجردة إلا ثلاث منها فقط هي مجرة التّبانة، (وهي مجرتنا التي في كوكب الأرض)، ومجرة ماجلان الصّغرىٰ، ومجرة ماجلان الكبرىٰ.

أما ماذا بعد هذا التّوسع في الكون، فقد أثبتت الدّراسات العلمية أنّ هذا التّوسع سوف يتوقف، وتأتي مرحلة ثبوت الكون. ثم يتلوها مرحلة التّقلص، أي: يعود الكون كما بدأ، كما قال الحق سبحانه: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَا ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

[٤٨] ﴿وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ﴾:

﴿وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا﴾: أي: بسطناها ومددناها ومهدناها وجعلنا كالفراش لتصلح للاستقرار والعيش عليها. رغم أنها كروية الشكل (بيضاوية) ورغم كونها متحركة.

فالأرض تقطع في كل ثانية ٣٠ كيلومتراً، ومع تلك السّرعة الأرض تبقىٰ كأنها لا تتحرك ومستقرة، وتعليل ذلك لأننا نحن ندور معها وسرعتنا هي سرعة الأرض.

بفضل قوانين الجاذبية وقوانين الطرد والكهرومغناطيسية بين الأرض وبين الأجرام الأخرىٰ، وبفضل الجبال الرّواسي والألواح القاربة وكتلة الأرض

ذاتها تبقىٰ مستقرة، فإذا اهتزت الأرض بمقدار (٦-٨) درجات في ميزان ريختر تحدث زلازل عظيمة.

[٤٩] ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾:

﴿وَمِن﴾: استغراقية تشمل النّبات والحيوان والجماد والإنسان والجن.

﴿كُلِّ﴾: للتوكيد.

﴿شَيْءٍ﴾: مهما كان نوعه وشكله وحجمه ووزنه، شيء نكرة تشمل كل شيء: إنسان حيوان نبات جماد.

﴿خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾: زوجين صنفين ذكر وأنثىٰ، موجب وسالب، ليبقىٰ الله سبحانه متفرداً بالوحدانية لوحده لا يشاركه في هذه الصفة أحد.

﴿لَعَلَّكُمْ﴾: لعل للتعليل والكاف للمخاطب.

﴿تَذَكَّرُونَ﴾: أن خالق هذه الأزواج هو الإله الحق الذي يجب أن يعبد وهو الواحد الأحد لعلكم تتذكروا قدرة وعظمة الخالق فتعبدوه.

[٥٠] ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾:

﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾: الفاء للتوكيد أو رابطة لجواب الشّرط مقدر تقديره إذا علم الإنسان أو العالِم هذه صفات الله ففروا إليه، فروا: الفرار سارعوا إليه بخوف وجلل وبالسر والعلن، ومن دون تأخير.

ففروا إلىٰ الله: أي: سارعوا إليه بالتوبة والمغفرة والإنابة؛ ففروا: تعني اللجوء إلىٰ الله بسرعة مع الخوف وبدون تستر؛ أي: علىٰ مرأىٰ الناس.

﴿إِنِّي﴾: للتوكيد والضّمير يعود للرسول ﷺ.

﴿لَكُمْ﴾: اللام لام الاختصاص أيها المسلمون المؤمنون.

﴿مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾: منه الضّمير يعود إلىٰ الله، نذير: من الإنذار وهو الإبلاغ مع التّحذير والتّخويف، مبين: واضح التّبليغ والإنذار، فلا يخفىٰ علىٰ أحد منكم، ولا يحتاج هـذا الإنذار إلىٰ تبيين وتوضيح فهو واضـح بذاته بامتثال أوامر الله وتجنب نواهيه، وعـدم الخروج عن منهج الله تعالىٰ وعصيانه؛ أي: هذا الإنذار الأول لهـؤلاء الذين يعصـون ربهم، وأما الإنذار التالي فـي الآية (٥١) لهؤلاء الذين يشركون بالله تعالىٰ.

[٥١] ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾:

﴿وَلَا تَجْعَلُوا﴾: الواو عاطفة، لا: النّاهية، تجعلوا: الجعل، أي: التصيير.

﴿مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ﴾: بالإشـراك به بـأن تقولوا: له ولد أو نِـدٌّ أو مثيل أو تتخذوا أولياء من دونه أو طاغوت أو وليٌّ.

﴿إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾: ارجع إلىٰ الآية السابقة (٥٠) للبيان.

وتكـرار هذا الجزء من الآية يفيد التّوكيد علىٰ عدم الإشـراك بالله تعالىٰ. ويُعد إنذاراً آخر، أي: (إنذار ثانٍ) غير الإنذار الأول.

❖ ❖ ❖

كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٖ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبٗا مِّثۡلَ ذَنُوبِ أَصۡحَٰبِهِمۡ فَلَا يَسۡتَعۡجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوۡمِهِمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾

## سُورَةُ الطُّورِ

ترتيبها ٥٢ آياتها ٤٩

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ﴿٢﴾ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ﴿٣﴾ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ﴿٤﴾ وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ﴿٥﴾ وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ﴿٧﴾ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٖ ﴿٨﴾ يَوۡمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوۡرٗا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ ٱلۡجِبَالُ سَيۡرٗا ﴿١٠﴾ فَوَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي خَوۡضٖ يَلۡعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوۡمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعّٗا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾

## سورة الذاريات [الآيات ٥٢ - ٦٠]

[٥٢] ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾:

﴿كَذَٰلِكَ﴾: أي: كما كذبك قومك قالوا عنك: ساحر أو مجنون كذب الذين من قبلهم رسلهم وقالوا عنهم ساحر أو مجنون، فأمر التّكذيب والافتراء على الرّسل أمر قديم متعارف عليه.

﴿مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ﴾: ما النّافية، ما أتى الذين من قبلهم (الضّمير يعود لكفار مكة) ومن تدل على القرب، أي: ليس من زمن بعيد، من رسول: من استغراقية تشمل كل رسول.

﴿إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾: إلا أداة حصر، ساحر: يتعاطى السّحر. ولتعريف السّحر ارجع إلى الآية (٥٨) من سورة طه، أو مجنون: (أو) تعني: (و) أي: ساحر ومجنون معاً، وقد تعني تارةً: ساحراً وتارةً: مجنوناً.

واتهموهم بالسحر والجنون؛ لأن ما جاء به الرسل من الوحي لم يسمعوا به من قبل، أو لكونه أثّر في عقولهم، أو لكونه خارقاً للعادة شبّهوه بالسحر، أو الجنون.

[٥٣] ﴿أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾:

﴿أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري والتّعجبي وتعني: أتواصوا

بـــه تعود على القول، أي: أوصى الأولـــون الأخِرين أو أوصى بعضهم بعضاً بأن يقولوا هذا القول لرسلهم: ساحر أو مجنون.

أي: من كثرة هذا الفعـــل أو (القول) كأنّ الأولين أوصوا الآخرين، أوصى بعضهم بعضاً بأن يتّهموا أنبياءَهم ورسلهم بهذا.

﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾: بل للإضراب الإبطالي، هم: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿قَوْمٌ طَاغُونَ﴾: أي: الصّحيـــح لم يتواصوا بذلـــك لتباعد أزمانهم، فهم لم يتلاقوا حتى يوصي بعضهم بعضاً، ولكنهم قوم طاغون، أي: طغاة، أي: تجاوزوا الحد في الكفر والفساد، وقالوا: ﴿مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [البقرة:١١٨].

طاغون: جملة اســـمية تدل علـــى الثّبوت، ثبوت صفـــة الطّغيان عندهم. فالطغيان هو ما حملهم على القول بذلك.

[٥٤] ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ﴾:

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾: الفاء رابطة لجواب شرط مقدَّر تقديره، أي: إن لم يستجيبوا لك فتولَّ عنهم وتفيد المباشـــرة والتّوكيـــد، أي: أبعد عن هؤلاء خاصة؛ لأن عن تفيد المجاوزة والابتعاد. أي: اتركهـــم وليس أعرض عنهم هناك فرق بين تولى وأعرض، أي: أبعـــد أو ابتعد عن هؤلاء الطّغاة من قومـــك، ولا يعني: تولَّ عن الكل بل عن هؤلاء فقط، وقد تعني: لا تجادلهم ولا تتصدَّ لهم.

﴿فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ﴾: الفـــاء تعليلية، ما النّافية تعمـــل عمل ليس، ولكن (ما) أقوى في النّفي من (ليس)، وما لنفي الحال والمستقبل، وليس تنفي الحال، وقد تنفي المستقبل إذا قيدت، أنت: ضمير متصل يفيد التّوكيد.

بملوم: الباء للإلصاق، اللوم: هــو عدم الرّضا عن فعل لم يكن متوقّعاً من فاعله، أي: لن تلام على عدم استجابتهم لك أو عدم إيمانهم وهدايتهم إن عليك إلا البلاغ.

[٥٥] ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾:

تولَّ عن الطّاغين وداوم واستمر في تذكير المؤمنين والنّاس.

﴿وَذَكِّرْ﴾: بالقرآن وبآيات الله وبنعمت ربك.

﴿فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: الفاء تعليلية (توكيد)، الذكرىٰ: أي: التذكير رجاء الانتفاع ينتفع بها المؤمنين.

[٥٦] ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾:

﴿وَمَا﴾: النّافية للحال والمستقبل.

﴿خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾: إلا أداة حصر. من خصوصيات القرآن يستعمل الجن مقابل الإنس، والناس مقابل الجنة، والجن: اسم جنس، وكذلك الإنس، والإنسان واحد من الناس، فالجنة: مجموعة من الجن غير محددة العدد كما في قوله تعالىٰ: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ [الناس:٦]، وقدم الجن علىٰ الإنس في هذه الآية؛ لأن الجن أسبق من الإنس في القدم في الخلق.

﴿لِيَعْبُدُونِ﴾: اللام لام التّعليل والتّوكيــد، يعبدون من العبادة، وهي طاعة الخالق فيما أمر به أو نهىٰ عنه علىٰ حســب ما أراده، وتعني: الخضوع والانقياد، ولا تكــون إلا للخالق وحده، ويثاب عليها، والنّون فــي يعبدون لزيادة التّوكيد، ويعبدون تدل علــىٰ التّجدُّد والتّكرار. ارجع إلىٰ ســورة النحل آية (٧٣) للبيان

المفصل، وحذف الياء في يعبدون (بدلاً ليعبدوني) تدل على أنها عبادة مؤقتة مدة حياتهم من سن البلوغ إلى انتهاء أجلهم وعبادة قدر استطاعتهم. ارجع إلى سورة ياسين آية (٦١) لمزيد من البيان.

وتقديم الجن على الإنس في هذه الآية؛ لأنّ الحديث أو السّياق في الخلق وبما أنّ الله سبحانه خلق الجن قبل خلق الإنس فقدَّم الجن على الإنس.

وفي آيات أخرى قد يقدِّم الإنس على الجن، كقوله تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨].

ففي هذه الآية قدَّم الإنس على الجن؛ لأنّهم هم المقصودون بالتّحدِّي أولاً.

[٥٧] ﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾:

﴿مَآ﴾: للنفي تنفي الحال والمستقبل.

﴿أُرِيدُ مِنْهُم﴾: منهم، أي: الجن والإنس، أي: لا أطلب منهم.

﴿مِّن رِّزْقٍ﴾: من استغراقية، أي: رزق مهما كان نوعه من طعام أو شراب أو مال أو متاع أو أيِّ شيء.

﴿وَمَآ أُرِيدُ﴾: تكرار ما لتوكيد النّفي، وفصل كلّاً من الرّزق عن الإطعام أو كلاهما معاً.

﴿أَن﴾: حرف مصدري يفيد التّعليل والتّوكيد.

﴿يُطْعِمُونِ﴾: يقصد بها يطعمون أحداً من خلقي، أي: وما أريد أن يطعموا

أحداً من خلقي؛ لأنّي أنا الخالق الرّزاق. والرزق قد يشمل الطعام والشراب، ويطعمون تعني: ذكر الخاص الطعام بعد ذكر العام وهو الرزق للتوكيد.

فالآية (٥٦-٥٧) تعني: ما أريد أن يرزقوا أحداً من خلقي ولا يرزقوا حتىٰ أنفسهم؛ لأنّي أنا الرّزاق، ولا أريد منهم أن يطعموا أحداً من خلقي ولا حتىٰ أنفسهم؛ لأنّه هو الذي يُطعم، كما قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام: ١٤]، أو لا أطلب منهم رزقاً ولا طعاماً، ولكن عليهم بعبادتي وحدي وطاعتي.

ويطعمون: وحذف ياء المتكلم لتدل علىٰ ما أريد أن يطعمون أدنىٰ أو أقل الطعام لعبادي أو يرزقوهم أدنىٰ أو أقل الرزق.

[٥٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾:

﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: إن للتوكيد.

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد والحصر هو لا سواه الرّزاق الحقيقي.

وأما قوله تعالىٰ: ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [المؤمنون: ٧٢] فلا يتعارض مع كونه الرزاق الحقيقي، فقد أسبغ علىٰ بعض عباده صفة الرّزق تكرماً منه وفضلاً، وقال ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾.

﴿الرَّزَّاقُ﴾: أي: الذي خلق الأرزاق وأعطىٰ كل الخلائق أرزاقها ولم ينس أحداً، وذكر اسم الله الرّزاق في القرآن الكريم مرة واحدة في هذه الآية فقط، الرّزاق صيغة مبالغة؛ أي: كثير الرزق من فعل رزق يرزق، والرّزق يشمل المال والطّعام والشّراب والعلم والأهل، وكل ما ينتفع به ويرزق المؤمن والكافر والمطيع والعاصي، ويرزق الإنسان والجن والحيوان.

﴿ذُو﴾: بمعنىٰ صاحب، اسم من الأسماء الخمسة، ذو: أشرف وأبلغ من كلمة صاحب. ارجع إلىٰ سورة الأنبياء آية (٨٧) وسورة غافر آية (٢) لمزيد من البيان.

﴿ذُو ٱلْقُوَّةِ﴾: كامل القوة، عظيم القدرة، شديد القوة والقدرة، لا تنقص قوته ولا قدرته شيئاً.

﴿ٱلْمَتِينُ﴾: من المتانة والمتن وهو الظّهر (والظّهر مكوَّن من فقرات العمود الفقري، وتحيط به العضلات القوية) بمعنىٰ: القوي الصلب. جميع نواصي المخلوقات بيده لا يحدث أو يتحرك شيء إلا بحوله وقوته وإذنه.

وذكر اسم المتين مرة واحدة في القرآن.

[٥٩] ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ﴾:

﴿فَإِنَّ﴾: الفاء رابطة لجواب شرط مقدَّر، أي: إن كان للأمم السّابقة نصيب من العذاب، فإن للذين ظلموا من كفار مكة أيضاً نصيباً من العذاب، إن للتوكيد.

﴿لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾: اللام لام الاختصاص، الذين اسم موصول يفيد التّحقير، ظلموا: بالشّرك والكفر أو التّكذيب والمعاصي.

﴿ذَنُوبًا﴾: نصيباً والذَّنُوب: الدلو المملوءة بالماء. انتبه إلىٰ فتح الذّال وضم النّون، وليس ذُنُوباً بضم الذّال وضم النّون، ذَنُوب: تعني: النّصيب والحظ، والذَّنُوب: الدلو المملوءة بالماء. حيث كان السقاة يتقاسمون الماء فيأخذ هذا دلواً مملوءة بماء، وهذا دلواً أخرىٰ، وهكذا، ثم فسرت الذنوب بالنصيب.

﴿مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ﴾: أيْ: إن للذين ظلموا من كفار مكة نصيباً من العذاب

والعقاب مثل نصيب من سبقهم من القرون الأولىٰ. مثال علىٰ ذلك ما حدث لهم يوم بدر من القتل والأسر

﴿فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ﴾: الفاء للتوكيد، لا النّاهية.

يستعجلون: العذاب، فالعذاب آتٍ لا محالة، وفي وقته المحدد والمكان المحدد في الدّنيا أو في القبر أو في النّار.

[٦٠] ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾:

﴿فَوَيْلٌ﴾: الفاء رابطة لجواب شرط مقدَّر تقديره: إن جاء يوم عذابهم فويل لهم.

الويل: هو الهلاك والعذاب.

﴿لِّلَّذِينَ﴾: اللام لام الاختصاص والاستحقاق كفروا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٦) لمزيد من البيان في معنىٰ كفروا.

﴿مِن﴾: ابتدائية عذاب يومهم.

﴿يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾: أي: يوم القيامة، أو يوم تنزع أرواحهم (القيامة الصغرىٰ).

وقيل: يوم بدر، وقد يكون الكل؛ أي: يوم بدر، أو يوم يحل بهم العذاب، أو يوم تقبض أرواحهم، أو يوم القيامة.

❖ ❖ ❖

كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ
(٥٢) أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ طَاغُونَ (٥٣) فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَمَآ أَنتَ
بِمَلُومٖ (٥٤) وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ (٥٥) وَمَا
خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ (٥٦) مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ
وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ (٥٧) إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ
(٥٨) فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبٗا مِّثۡلَ ذَنُوبِ أَصۡحَٰبِهِمۡ فَلَا يَسۡتَعۡجِلُونِ
(٥٩) فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوۡمِهِمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ (٦٠)

## سُورَةُ الطُّورِ

ترتيبها ٥٢ — آياتها ٤٩

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلطُّورِ (١) وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ (٢) فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ (٣) وَٱلۡبَيۡتِ
ٱلۡمَعۡمُورِ (٤) وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ (٥) وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ (٦) إِنَّ
عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ (٧) مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٖ (٨) يَوۡمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ
مَوۡرٗا (٩) وَتَسِيرُ ٱلۡجِبَالُ سَيۡرٗا (١٠) فَوَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ
(١١) ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي خَوۡضٖ يَلۡعَبُونَ (١٢) يَوۡمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ
جَهَنَّمَ دَعّٗا (١٣) هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ (١٤)

## سورة الطور [الآيات ١ - ١٤]

ترتيبها في القرآن (٥٢) وترتيبها في النزول (٧٦).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالطُّورِ﴾:

﴿وَالطُّورِ﴾: واو القسم، الطور: هو طور سيناء الذي كلم الله سبحانه عليه موسى عليه السلام.

والطور: هو جبل، ولكنه أقل ارتفاعاً وحجماً من الجبل والطور باللغة السريانية الجبل.

أقسم الله تعالى بالطور تشريفاً له، ولا يقسم إلا بشيء عظيم رغم أنه سبحانه عنه غني عن القسم، والقسم يشير إلى أهمية المقسم به؛ أي: الطور، وجواب القسم، وهو: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ [آية:٧].

[٢] ﴿وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ﴾:

يقسم الله تعالى أيضاً بكتاب مسطور: أيْ: مكتوب في أسطر.

قيل: هو القرآن أو اللوح المحفوظ.

وجاء بصيغة النكرة ولم يقل: الكتاب للدلالة على جنس الكتاب وقد يعني: الكتب السماوية.

وقد يشمل كتاب أعمال العبد، كما قال تعالى: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ [الإسراء:١٣].

[٣] ﴿فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾:

الرّق بفتح الراء هو مارق من الجلد أو الورق الذي يكتب فيه رقٌّ منشور، نكرة لتشمل الورق وغيره.

﴿مَّنشُورٍ﴾: مبسوط (مفتوح غير مطويٍّ) يستطيع كل ناظر أن يقرأه، وقد يعني أيضاً: آلة الحاسوب (الكمبيوتر)، والله أعلم.

[٤] ﴿وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ﴾:

وهذا هو القسم الثالث، وهو البيت المعمور.

قيل: هو في السماء السابعة بيت تطوف به الملائكة كل يوم (٧٠) ألفاً؛ أي: المعمور بالملائكة، والمعمور بالعبادة والذكر.

وقيل: الكعبة المعمورة بالحجاج والعُمار.

[٥] ﴿وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ﴾:

ويقسم بالسماء (وتضم السموات السبع) السماء السقف المرفوع فوق الأرض، وكما قال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾ [الأنبياء: ٣٢]. ليحفظها من الإشعاعات الضارة وغيرها. ارجع إلىٰ الآية (٣٢) من سورة الأنبياء للبيان وسماها أيضاً ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ﴾ ارجع إلىٰ سورة الطارق آية (١١) للبيان.

فالسماء وحدها مظهر من مظاهر طلاقة القدرة الإلهية التي ترسخ الإيمان في القلب واليقين علىٰ عظمة الخالق.

[٦] ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾:

وهذا هو القسم الخامس.

البحر: الموقد والمملوء ناراً، من سجر الشيء: أوقد عليه حتىٰ أحماه (جعله ناراً حامية) وهناك من المفسرين من قالوا: هذا يحدث في الآخرة تشتعل

البحار بالنيران، والحقيقة العلمية تثبت لنا أن البحر المسجور هو أمر قائم الآن في حياتنا وطبقات الأرض السبعة: الطبقة الأولىٰ: وتسمىٰ لب الأرض، وهي طبقة صلبة مكونة من حديد جامد وغيره من المعادن مثل الرصاص، والنحاس والطبقة الثانية المحيطة باللب، وهي طبقة مكونة من حديد بشكل سائل وغيره من المعادن، ويحيط بهذه الطبقة الثانية ثلاثة أوشحة، ثم الصفيحة القارية، ثم القشرة الأرضية.

فتحت مياه البحار نار مستعرة، أيْ: تحت الماء نار، وتحت النار ماء، فالماء لا يطفئ النار ولا النار تبخر الماء، ولولا هذه الوسيلة من التدفئة لقيعان البحار لما استطاعت الحيوانات البحرية العيش ساعات، فهذا التوازن بين الماء والنار آية من أروع الآيات الكونية الدالة علىٰ عظمة الخالق وقدرته علىٰ الإبداع، حيث الماء والنار من الأضداد، ولذلك سماه البحر المسجور. ارجع إلىٰ سورة التكوير آية (٦) لمزيد من البيان.

[٧] ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾:

هذا هو جواب القسم، إن: للتوكيد.

﴿عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾: اللام لام التوكيد. لواقع: لكائن أو حاصل لا محالة في الآخرة.

[٨] ﴿مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ﴾:

للنفي الحال والمستقبل. له: الضمير يعود إلىٰ العذاب. من: استغراقية تستغرق كل دافع. وما له من دافع: جملة اسمية تدل علىٰ الثبوت والاستمرار.

دافع: يمنعه أو يرده سواء كان ملكاً أو إنساناً أو جنّاً. ولنقارن هذه الآية مع قوله تعالىٰ في سورة المعارج آية (٢): ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ﴾: هذه الجملة جملة فعلية تدل علىٰ التجدد والتكرار، وبما أن الجملة الاسمية فيها تأكيد أقوىٰ من الفعلية فآية الطور آكد من آية المعارج؛ لأن سورة الطور بدأت بخمسة أنواع

من القسم؛ لذلك جاء جواب القسم مؤكداً للقسم، بينما آية المعارج جاءت في سياق الذي دعا على نفسه وقومه بالعذاب فقال تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾.

[٩] ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا﴾:

﴿يَوْمَ﴾: نكرة للتعظيم، ويعني: الساعة، أو يوم القيامة؛ ﴿تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ﴾: المور هو: التحرك في تموج تتحرك وتضطرب، أيْ: تختل قواها الكهرمغناطيسية وقوى الجاذبية؛ مما يؤدي إلى الهول والفزع. ﴿مَوْرًا﴾: توكيد.

[١٠] ﴿وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا﴾:

وفي ذلك اليوم تسير الجبال سيراً بعد أن تحمل وتدك مع الأرض، كقوله تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾ [الحاقة: ١٤]. ثم ترجف وتنسف وبست كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ [المزمل: ١٤].

﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾ [الواقعة: ٥-٦].

﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ [القارعة: ٥].

[١١] ﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾:

﴿فَوَيْلٌ﴾: الفاء للتوكيد، ويل: هلاك وعذاب، يومئذ: مركبة من يوم (ظرف) وإذ اسم ظرف.

﴿لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾: اللام لام الاختصاص والاستحقاق، المكذبين بالرسل وبما أنزل الله والمكذبين بالبعث والآخرة والحساب. والمكذبين بعذاب الله.

[١٢] ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ﴾:

﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد الذمَّ والتحقير.

﴿هُمْ﴾: للتوكيد.

﴿فِى﴾: ظرفية.

﴿خَوْضٍ يَلْعَبُونَ﴾: أصل الخوض المشي في الماء والخوض فيه من دون أن يعلم إذا كانت هناك حفرة أمام قدميه ستزل فيها قدماه ويقع على وجهه، والخوض يعني: الاندفاع في الباطل.

﴿يَلْعَبُونَ﴾: أيْ: ينشغلون بالباطل ويهملون واجباتهم وفرائضهم.

[١٣] ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾:

﴿يَوْمَ﴾: أيْ: يوم القيامة ونُكِّر للتهويل.

﴿يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ﴾: يُدَعّون: من الدع وهو الدفع بعنف وغلظة وجفاء ومن دون أيِّ رحمة.

دعا: للتوكيد. أيْ: يدفعون دفعاً. أو يُدَعُّون دعاً من قبل الملائكة الغلاظ الشداد القائمين على جهنم. وتقول لهم الملائكة:

[١٤] ﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾:

هذه: الهاء للتنبيه وذا: اسم إشارة للقرب، ويشير إلى النار القريبة منهم.

﴿ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾: أيْ: في الدنيا. تكذبون: لا تصدقون.

وتكذِّبون تدل على تجدُّد وتكرار التكذيب المرات العديدة. ولم يقل: التي كذبتم بها.

❖ ❖ ❖

أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوٓا
أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾
إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ
وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيٓـًٔا بِمَا
كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَٰهُم
بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا
بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ امْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ
رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ
فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ
لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ
﴿٢٥﴾ قَالُوٓا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ اللَّهُ
عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ
نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ
رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ
الْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾

ربع الحزب ٥٣

## سورة الطور [الآيات ١٥ - ٣١]

[١٥] ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾:

﴿أَفَسِحْرٌ﴾: الهمزة استفهام إنكاري وتوبيخ، الفاء للتوكيد.

﴿هَٰذَآ﴾: الهاء للتنبيه، ذا: اسم إشارة للقرب يشير إلى العذاب، أيْ: أهذا العذاب الذي ترونه سحر أم حقٌّ.

﴿أَمْ﴾: الهمزة: للاستفهام والتوبيخ والتقرير. أم: للإضراب الانتقالي.

﴿أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾: أم أنتم عميٌ الآن، كما كنتم عمياً في الدنيا لا تعقلون ولا تبصرون.

[١٦] ﴿ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾:

﴿ٱصْلَوْهَا﴾: ادخلوها وقاسوا حرها وشدتها، وصليت اللحم أيْ: شويته. وأصلاه النار: أدخله النار.

﴿فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟﴾: فالأمران سواء، أي: اصبروا أو اجزعوا (لا تصبروا) الصبر أو عدمه سواء في عدم النفع.

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة تفيد التوكيد.

تجزون من الجزاء مقابل العمل سواء كان حسناً أو سيئاً.

﴿كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: كنتم في الدنيا تعملون تضم (الأقوال والأفعال).

بعد ذكر المكذبين ومصيرهم يذكر المتقين ومصيرهم.

[١٧] ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿ٱلْمُتَّقِينَ﴾: أي: الذي أطاعوا أوامر الله واجتنبوا نواهيه.

﴿فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ﴾: في ظرفية. ﴿جَنَّٰتٍ﴾: جمع جنة جنات الفردوس أو عدن أو الخلد أو جنات المأوى. دار السلام. وغيرها.

﴿وَنَعِيمٍ﴾: هو ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين من الخيرات والمأكل والمشرب والملبس والمسكن والمتاع.

[١٨] ﴿فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾:

وردت فَاكِهين في القرآن بصيغ مختلفة منها فكِهين (سورة المطففين آية ٣١)، فاكِهون (سورة يس آية ٥٥).

فالأولى: فاكِهين (سورة الطور آية ١٨، سورة الدخان آية ٢٧) فهي مشتقة من الفكاهة: طيب العيش، والتلذذ بالنعم، فيقال رجل فاكه: يتلذذ بالفاكهة، رجل فكه: طيب النفس.

أما فاكهون: سورة يس آية (٥٥) فهي أوسع وأعم من فاكهين، ولها معانٍ أربعة: فرِحون معجبون ذوو فاكهة وناعمون، فكِهون: يتفكَّه بالطّعام أو بالفاكهة أو فرحين، وأما فكهين: كما في سورة المطففين فتعني: فرحين. والسياق هو الذي يحدد المعنى (طيب العيش أو يتفكه بالفاكهة؛ أي: الطعام، أو فرحين، أو معجبون).

﴿وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾: أيْ: جنبهم وأبعدهم ربهم عن عذاب الجحيم: اسم من أسماء النّار أو دركة من دركاتها مشتقة من الجموح وهو (من التَأجج) فلا تخمد أبداً. ارجع إلى سورة الرعد آية (١٨) لمزيد من البيان.

[١٩] ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾: كلوا واشربوا في الجنة مما تشتهون ومما تتخيرون.

﴿هَنِيئًا﴾: كلوا واشربوا هنيئاً لكم؛ سهل وسريع الهضم، أما المريء؛ أي: حميد العواقب، ليس له اختلاطات هضمية مهما كانت.

﴿بِمَا﴾: باء السّببية أو البدلية أو تعليلية، ما: اسم موصول بمعنى الذي أو مصدرية، وما أوسع شمولاً

﴿كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: تضم الأقوال والأفعال، بما كنتم تعملون: تدل على الزّيادة والمضاعفة والمبالغة في جزاء المتقين، والدّلالة على الدّوام وعدم انقطاع الأكل والشّرب.

[٢٠] ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾.

﴿مُتَّكِئِينَ﴾: من الاتكاء هو الجلوس على السّرر: وهي الأرائك المصفوفة بجانب بعضها والاتكاء يعني: الجلوس بشكل مريح يدل على الراحة والسعادة؛ لأنه لا نوم في الجنة، وورد هذا الاتكاء بعدة أوصاف منها: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرحمن:٥٤]، ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ [الرحمن:٧٦]، ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾ [ص:٥١]، ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ﴾ [الواقعة:١٦].

﴿وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾: زوجناهم بزوجات من الحور العين، حور عين: جمع حوراء وهي التي يغلب بياض عينها على سوادها، والعين جمع عيناء، وهي الواسعة العينين.

[٢١] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ ۚ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم﴾: الذرية: الأولاد والزوجة أو النسل.

فـإن كان إيمانهم لا يؤهلهم ليكونوا بدرجة آبائهم في الجنة، فلا بُدَّ للذرية أن يكونوا من الموحدين ودرجة إيمانهـم تؤهلهم الدّخول الجنة، وبرحمة الله وفضله يلحقهم ربهم بآبائهم.

أما إذا كان إيمانهم محبطاً أو غير مقبـول، فلن يدخلوا الجنة ولن يلحقوا بآبائهم.

﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾: بفضل من الله على الآباء والأبناء لتقر أعينهم وتطيب نفوسهم.

﴿وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ﴾: أيْ: جزيناهـم أجرهـم أو ثواب أعمالهم كاملاً من دون أيِّ نقص في حقهم من ألَتَـه حقَّه: أيْ: نقصه حقَّه، أيْ: ما نقصنا من ثواب الآباء بما أعطينا ذريتهم.

﴿كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾: أيْ: كلّ نفـس مرهونة بعملها فإن كسـبت خيراً فلها، وإن كسـبت شـراً فعليها، فالعمل الصّالح يفك النّفس من الرّهان والعمل السّـيِّئ يبقيها في الأسـر. فإن كان عمله صالحاً فك نفسـه وخلصها من عذابها وهلاكها كما يفك المرهون من يد مرتهنه.

[٢٢] ﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾.

﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم﴾: الضّمير يعود للآباء والأبناء، وأمددناهم: المد وهو الزّيادة والإمداد يكون في الخير، وقيل: هناك فرق بين الإمداد والمد.

الإمداد: يكون في الخير وإعانة الغير.

المد: يستعمل في الشّر. أو الإعانة على الشّر.

﴿بِفَٰكِهَةٍ﴾: الباء للإلصاق، فاكهة: اسـم جنس ولم يقـل: فواكه. فاكهة تشمل كل الفواكه.

﴿وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾: لأنّ اللحم يشـبه بعضه، والذي يميزه الطّعم، واللحم

ليس أمامهم، وكلّ ما يشتهونه من اللحم يقدَّم لهم، والفاكهة مما يتخيرون؛ لأنّها أمام أعينهم على مرأىٰ من أعينهم وهي أنواع فيختار ما يشاء.

[٢٣] ﴿يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾:

﴿يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا﴾: أيْ: يتداولون فيها (في الجنة)، ويعني: يتعاطون أو يتبادلون، ولا تعني: يتخاصمون.

﴿كَأْسًا﴾: هو إناء يشرب منه، وتسمَّىٰ كأساً إذا كانت مملوءة، فإن كانت فارغة فلا تسمَّىٰ كأساً.

﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا﴾: أيْ: ليس في الجنة لغو: هو الكلام الذي لا فائدة منه أو شرب خمر الجنة لا يذهب بالعقل، ويؤدِّي إلىٰ اللغو والكلام السّاقط الخبيث النّاتج عن شرب خمر الدّنيا وذهاب العقل.

﴿وَلَا تَأْثِيمٌ﴾: تكرار لا تفيد التّوكيد، تأثيم: من فعل إثم، أيْ: لا يأثم شاربها، فهي مباحة وليست محرَّمة، كما كانت في الدّنيا فليس في الجنة لغو ولا تأثيم، ولا هذا ولا ذلك ولا لغو وتأثيم معاً.

[٢٤] ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾:

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾: الطّواف ويعني: الدّوران، للخدمة عدة مرات، أيْ: يدور عليهم.

عليهم: الضّمير يعود علىٰ الذين آمنوا.

﴿غِلْمَانٌ لَّهُمْ﴾: شباب خدم، غلمان جمع غلام؛ لهم: اللام: لام الاختصاص؛ أي: غلمان مختصين بهم وبخدمتهم، وليسوا لغيرهم؛ ارجع إلىٰ سورة مريم الآية (٧) لمعرفة معنىٰ الغلام، وفي آية أخرىٰ قال تعالىٰ: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ۝١٧ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ كما بيَّنت ذلك سورة الواقعة الآية (١٧-١٨). والفرق بين الولدان والغلمان: الولدان: أقل من الغلمان سناً،

والغلام: هو الشاب الذي أوشك على البلوغ، والفرق الثاني: في سورة الطور آية (٢٤) قال تعالى: ﴿غِلْمَانٌ لَّهُمْ﴾، وفي سورة الواقعة آية (١٧): ﴿وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ ولم يقل: لهم.

﴿كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾: مصون لم تمسه الأيدي، من كنَّ الشّيء، أيْ: ستره وحفظه. أيْ: في صفائهم وبياضهم.

[٢٥] ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾:

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ﴾: الإقبال هو الإتيان من الأمام أو جهة الوجه، والمجيء هو الإتيان من أي جهة أو ناحية.

﴿عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾: أيْ: توجَّه بعضهم على بعض يتساءلون: أيْ: يسأل بعضهم بعضاً في الجنة، والضّمير يعود على الذين آمنوا: يتذاكرون ما كانوا عليه في الدّنيا من خوف من عذاب الله تعالى، وما كانوا عليه من عبادة وتوحيد.

[٢٦] ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾:

﴿قَالُوا﴾: قال بعضهم لبعض.

﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ﴾: أيْ: في الحياة الدّنيا.

﴿فِي﴾: ظرفية.

﴿أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾: في الدنيا في أهلنا؛ الأهل: الذرية، والزوجة، والأقارب؛ مشفقين: جمع مشفق من الإشفاق وهو الخوف مع الحذر وعدم الاطمئنان مما سيحل بنا في الآخرة. مشفقين من عدم قبول عملهم الصالح.

[٢٧] ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾:

﴿فَمَنَّ﴾: الفاء للتوكيد، منّ: أنعم أو تفضل الله علينا.

﴿وَوَقَانَا﴾: جنبنا وحمانا في الآخرة من عذاب السّموم عذاب النّار

المحرقة الحارة التي تتخلل مسام الجلد وتؤثر فيه، كما يؤثر السّم في الجلد، وكما يحدث في حرق الجلد من الدّرجة الثّانية. الذي يصيب نهايات الأعصاب الذي يؤدّي إلى الألم الشديد.

[٢٨] ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾:

﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ﴾: إنا للتوكيد، كنا من قبل: أيْ: في الحياة الدّنيا.

﴿نَدْعُوهُ﴾: نوحّده ونعبده ونخلص له، أو نسأله وندعوه النّجاة والوقاية من عذاب النّار والفوز بالجنة.

﴿إِنَّهُ هُوَ﴾: إنّه للتوكيد، هو للحصر والتّوكيد كأنّه هو الوحيد البر الرّحيم.

﴿الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾: بفتح الباء معناه فاعلُ البِر. والبَرُّ هو الصادق في وعده. كثير الإحسان والخير والمغفرة والرّحيم بعباده. لا يعجل لهم العقاب لعلهم يتوبوا إليه ويستغفروه فيصفح عنهم.

أما البِرُّ: بكسر الباء فهو كلّ ما يتقرَّب به إلى الله تعالى من إيمان وعمل صالح واعتقاد وأخلاق ومعاملات.

[٢٩] ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾:

﴿فَذَكِّرْ﴾: الفاء للتوكيد، ذكر: من التّذكير فذكر بالقرآن، كما قال الله تعالى في سورة الذاريات آية (٥٥-٥٦): ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، ذكّر وعظْ واستمرَّ على ذلك في تذكير المؤمنين بالآخرة وبآيات القرآن، ولا تأبه لأقوالهم لك: كاهن أو مجنون أو ساحر، وغيرها من الاتهامات الباطلة.

﴿فَمَا أَنتَ﴾: الفاء للتوكيد، ما النّافية لنفي الحال والمستقبل.

﴿بِنِعْمَتِ رَبِّكَ﴾: أيْ: بالنّبوة، نعمت: التّاء مفتوحة تعني: نعمة خاصة أو

نعم كثيرة لا تحصى، بينما نعمة بالتّاء المربوطة نعمة عامة لكلّ البشر أو ظاهرة للعيان.

﴿بِكَاهِنٍ﴾: الباء للإلصاق والملازمة، الكاهن: هو الذي يدعي أنّه يعلم الغيب. بمساعدة من الجن.

﴿وَلَا﴾: تكرار النّفي بـ(لا): يفيد التّوكيد، وهي تنفي كلّ الأزمنة الماضي والحاضر والمستقبل.

﴿مَجْنُونٍ﴾: ولا مصاب باضطراب عقلي أو خبل، كما يزعم الذين كفروا باطلاً، وإضافة (لا) لفصل كل منهما عن الآخر؛ أي: لا كاهن، ولا مجنون، ولا كلاهما.

[٣٠] ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾:

﴿أَمْ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري، أم منقطعة للإضراب الانتقالي، وردت أم في هذه السّورة خمس عشرة مرة.

﴿يَقُولُونَ﴾: ولم يقل: قالوا، بصيغة المضارع لتدل على تجدُّد قولهم وتكراره، وأنّه لم يتوقّف. وتدل على بشاعته، وكأنّه يحدث الآن (حكاية الحال).

﴿شَاعِرٌ﴾: أيْ: ما جاء به هو شعر وليس وحياً من الله.

والشعر: هو الكلام الموزون المقفّى، الموزون بأشكال وأبنية موسيقية بالغة الضّبط تعرف ببحور الشّعر والمقفّى في أشكال من التّوافق الموسيقي الدّقيق أبدعها أهل العربية منذ عصر قبل الإسلام واستخلصها وبينها الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٠٠-١٦٠ هـ) فيما عرف باسم علم عروض القافية أو أوزان الشّعر.

﴿نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾: التّربص هو طول الانتظار وبحذر ويقظة ومراقبة المتربص في كلّ حركة مع الصبر وتشوق لما يحدث، ريب: أحداث، المنون،

والريـــب؛ أي: النزول من راب عليه الدهر؛ أي: نـــزل به الهلاك، والمنون: قيل: الموت، وقيل: الدهر من المن؛ أي: القطع؛ لأنه يقطع أعمار الناس؛ أي: تتربص بـــه حوادث الدهر التي تـــؤدي به إلى الموت، أيْ: ننتظـــر هلاكه كما هلك غيره فيمضي أمره وما جاء به من شعر.

[٣١] ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ﴾:

﴿قُلْ﴾: قل لهم يا رسول الله ﷺ:

﴿تَرَبَّصُوا۟﴾: انتظروا وراقبوا بحذر ويقظة وتابعوا ما يحدث.

﴿فَإِنِّى﴾: الفـــاء للتوكيـــد، إنّي: لزيـــادة التوكيد بدلاً مـــن: وأنا معكم من المتربصين.

﴿مَعَكُم﴾: وليـــس فيكم؛ لأن كلّاً يتربص بعـــدوه. ولو قال: تربصوا فإنّي مـــن المتربصين: فقد يعني هو وإيّاهـــم يتربصون أمراً واحـــداً، أما قوله: ﴿فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ﴾ أيْ: أتربص ما ينزل أو يحل بكم من هلاك ودمار، وأنتم تتربصون ما ينزل ويحل بي من هلاك أو مصائب.

❖ ❖ ❖

أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ
بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ
﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ
رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ
مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾
أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ
يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾
أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا
مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟
يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا
وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ
بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾

## سُورَةُ النَّجْمِ

ترتيبها ٥٣ | آياتها ٦٢

## سورة الطور [الآيات ٣٢ - ٤٩]

[٣٢] ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾:

﴿أَمْ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري والتّوبيخ أم منقطعة للإضراب الانتقالي.

﴿تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم﴾: أيْ: عقولهم جمع حلم وهو العقل؛ لأن الحِلم يعني: ضبط النفس، والصبر، وعدم الغضب، ويكون بالعقل فكنىٰ به.

﴿بِهَٰذَآ﴾: التّكذيب بالتوحيد والقول كاهن ومجنون وشاعر لرسول الله ﷺ، فبئس تلك العقول التي جعلت أكمل الخلق وهو رسول الله ﷺ مجنوناً.

﴿أَمْ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري والتّوبيخ، وأم للإضراب الانتقالي.

﴿هُمْ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿قَوْمٌ طَاغُونَ﴾: أيْ: تجاوزوا الحد في العصيان والعناد الذي أصبح صفة ثابتة لهم، وجواب أم: هو لم تأمرهم عقولهم لكي يقولوا شاعر، أو ساحر، أو مجنون، أو كاهن، وإنما هم قوم طاغون؛ أي: طغيانهم هو الذي يأمرهم، والركون إلىٰ العقل أحياناً قد يؤدي إلىٰ اتباع الباطل والهلاك؛ ارجع إلىٰ سورة القلم الآية (٣١) وهي قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ﴾ للمقارنة لمعرفة الفرق.

[٣٣] ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ﴾:

﴿أَمْ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري والتّوبيخ، أم للإضراب الانتقالي.

﴿يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ﴾: هاء الضّمير تعود إلى القرآن، أيْ: تقوَّل القرآن، أي: افتعله اختلقه من تلقاء نفسه، والتّقول يعني: التّكلفة ويعني: الكذب.

﴿بَل لَّا يُؤْمِنُونَ﴾: بالقرآن بسبب استكبارهم وعنادهم، بل للإضراب الانتقالي، لا النّافية لكل الأزمنة.

[٣٤] ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ﴾:

﴿فَلْيَأْتُوا۟﴾: الفاء رابطة لجواب شرط مقدَّر تقديره: إن كانوا صادقين بقولهم أنه تَقَوَّله (اختلقه) فليأتوا بمثله، ليأتوا: اللام لام التّعليل والتّوكيد، يأتوا بحديث مثله، أيْ: بمثل هذا القرآن وسُمِّي حديثاً. ارجع إلى سورة الزمر الآية (٢٣) للبيان.

﴿بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ﴾: بقرآن مثله، فهذا التّحدي من أكبر التّحديات.

﴿إِن﴾: شرطية تفيد الشّك والاحتمال.

﴿كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ﴾: أنّ محمّداً تَقَوَّله، والجواب محذوف وواضح أنّهم لن يأتوا فهم من الكاذبين؛ لأنّ محمّداً لم يتقوَّله.

[٣٥] ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾:

﴿أَمْ﴾: كالسّابقة في الآية (٣٢).

﴿خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ﴾: أم خلقوا من غير خالق أو رب.

أو هل خلِقوا من غير آباء ولا أمهات، وهذا عين المحال.

﴿أَمْ﴾: كالسّابقة في الآية (٣٢).

﴿هُمُ﴾: للتوكيد.

﴿هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾: لأنفسهم وهذا مستحيل أيضاً أو لغيرهم.

[٣٦] ﴿أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾:

﴿أَمْ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري والنّفي؛ أيْ: وما خلقوا السّموات والأرض التي هي أعظم من خلقهم، كما قال تعالىٰ: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر:٥٧].

﴿أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾: أيْ: لم يخلقوا السّموات والأرض ولم يخلقوا أنفسهم ولم يخلقوا أيَّ شيء.

﴿بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾: بأنّ الله هو الإله الحق الذي يستحق أن يعبد، ولذلك عبدوا غيره، وكذبوا برسوله. ارجع إلىٰ سورة البقرة الآية (٤) لبيان معنىٰ اليقين.

[٣٧] ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾:

﴿أَمْ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري والنّفي.

﴿عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ﴾: خزائن كلّ شيء من الأرزاق وما تحتاجه الحياة علىٰ الأرض. ارجع إلىٰ سورة الحجر الآية (٢١) للبيان.

﴿أَمْ﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿هُمُ﴾: للتوكيد.

﴿ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾: أيْ: أهم أرباب تلك الخزائن خزائن السماء والقادرون علىٰ أن يفعلوا ما يشاؤون من دون إذن من الله ﴿أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾: (بالسين) علىٰ خزائن الأرض.

أم هم المسيطرون علىٰ الماء والغذاء والهواء أو الشمس أو القمر أو أيِّ كوكب أو نجم أو أيِّ شيء.

[٣٨] ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾:

﴿أَمْ﴾: للاستفهام الإنكاري والتّعجب.

﴿لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾: أيْ: لهم سُلمٌ يصعدون به إلى السّماء كي يستمعوا إلى الملائكة، وما يوحي الله إليهم من الغيب، أو أمر السّماء أو الأرض، فيطلعوا على الغيب، إذا كان هذا صحيحاً وحقّاً إذن فليأت مستمعهم بما استمع من الغيب.

﴿فَلْيَأْتِ﴾: الفاء السّببية واللام لام التّعليل والتّوكيد.

﴿مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾: بحُجَّة واضحة أو دليل على صدق استماعهم، سلطان مبين: أيْ: واضح لكلّ فرد ولا يحتاج إلى دليل.

[٣٩] ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ﴾:

هذا إنكار ونفي لزعمهم أنّ الملائكة بنات الله وإنكار لزعمهم أنّ لهم البنين، فالله سبحانه هو الذي يهب لهم البنين أو البنات. ارجع إلى سورة النحل (٥٧) لمزيد من البيان.

إذا كان هذا ما تأمركم به أحلامكم فلكم الويل مما تصفون.

[٤٠] ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾:

﴿أَمْ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري والنّفي، أم للإضراب الانتقالي.

﴿تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا﴾: على تبليغهم الرّسالة أو هدايتهم.

﴿فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ﴾: من استغراقية، مغرم: ما يلزم دفعه من المال أو الدَّين على التّبليغ أو الهداية. والغريم الذي عليه الدَّين.

﴿مُّثْقَلُونَ﴾: أيْ: أأثقلهم ذلك المغرم الذي تطلبه منهم فمنعهم ذلك من

الدّخول في الإسلام أو الاستجابة لك أو لا يستطيعون دفع ما تسألهم من مال أو أجر فهم معرضون عن الإيمان. وفي هذا توبيخ وتقريع لهم.

[٤١] ﴿ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴾:

﴿ أَمْ ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري والنّفي والتّعجب، أم للإضراب الانتقالي.

﴿عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ﴾: إمّا رداً على قولهم: نتربص به ريب المنون، أيْ: أعندهم الغيب حتّى يقولوا ذلك، أم عند الله علم الغيب، وهذا من دلائل عظمته وقدرته، وأنّه الإله الحق الذي يستحق أن يعبد، وأن عنده علم الغيب المطلق أو هل هم يعلمون ما في اللوح المحفوظ.

﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾: الفاء لربط المسبب بالسّبب فهم يكتبون: قيل: الكتاب، الحكم فيكون معناها: أم هم قادرون على الحكم؛ لأنهم يعلمون الغيب، أو ما في اللوح المحفوظ، ثم يقومون بتنفيذه وقضائه.

[٤٢] ﴿ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴾:

﴿ أَمْ ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري، وأم للإضراب الانتقالي.

﴿يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾: أيريدون الكيد بك وإيقاع الأذى بك، كما فعلوا في دار النّدوة؛ لكي يصدُّوا النّاس عن اتّباعك والدّخول في الإسلام، ويحدوا من انتشاره.

﴿فَٱلَّذِينَ﴾: الفاء استئنافية (للتوكيد).

﴿كَفَرُوا۟ هُمُ﴾: للتوكيد.

﴿ٱلْمَكِيدُونَ﴾: جمع مكيد اسم مفعول من الفعل: كاد يكيد والكيد: هو

إيقاع المكروه بالغير قهراً، سواء علم أو لا يعلم، والكيد أقوىٰ من المكر، أيْ: كيدهم في نحرهم وعائد عليهم، وسينصرك الله نصراً عزيزاً كما حدث لك في غزوة بدر.

[٤٣] ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾:

﴿أَمْ﴾: للاستفهام الإنكاري والتّوبيخ أم للإضراب الانتقالي.

﴿لَهُمْ﴾: اللام لام الاختصاص لهم خاصة.

﴿إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ﴾: أيْ: معبود يعبدونه غير الله أو يستحق العبادة، ويرجىٰ نفعه ويخاف ضره، والجواب: لا.

﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: سبحان: التّسبيح نوع من أنواع الذّكر، وقيل: من معانيه الصّلاة، وسبحان مصدر لفعل سبح يسبح، والتّسبيح هو تنزيه الله تعالىٰ عن الشّرك والعجز والنقص، وعما لا يليق بجلاله وعظمته.

تنزيهاً كاملاً لذاته، فلا ذات مثل ذات الله، ولا صفةَ مثل صفاته ولا فعلَ مثل أفعاله، تنزيهاً عن الولد والنّد والمثل، وتنزيهاً مطلقاً لا مرتبطاً بزمان أو مكان أو بفاعل معين، تسبيحاً بالقلوب والألسنة والجوارح. ارجع إلىٰ سورة الإسراء الآية (١) لمزيد من البيان.

[٤٤] ﴿وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾:

﴿وَإِن﴾: الواو استئنافية، إن شرطية تفيد الاحتمال أو الافتراض والنّدرة.

﴿يَرَوْا كِسْفًا﴾: انتبه إلىٰ سكون السّين؛ قيل: كِسفاً جمع كِسْفة، وتظهر بمظهر قطعة واحدة من السحاب، وهي في الحقيقة سحاب متراكم بينما في سورة الشّعراء الآية (١٨٧) قال تعالىٰ: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ بفتح

السّـــين، كِسَفاً قطعاً عديدة كِسْفاً بسكون السّـــين قطعة واحدة مهما كان حجمها صغيرة أو كبيرة (وهي مركبة من سحاب متراكم).

﴿سَاقِطًا﴾: قطعة من عذاب السّماء من النيازك المتفجرة، أو بقايا أو شظايا النجوم والكواكب المتفجـــرة التي تدور حول الأرض بأحجـــام مختلفة، أو ما يســـقط من الصواعق والبرق تنزل بهم لا يقولون: هذا من عذاب ربنا وســـخطه علينا، وإنما: هذا سحاب مركوم.

﴿سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾: مجرد ســـحاب متراكب بعضه فوق بعض؛ أي: ما نسميه السّحب الرّكامية، فهم لا يبالون به ولا يعتبرون بها، أو يقولون بلغتهم: ما هي إلا ظواهر طبيعية تحدث بين الحين والآخر.

[٤٥] ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾:

﴿فَذَرْهُمْ﴾: أيْ: دعهـــم واتركهم لحالهم يجحدون ويكفرون ويفعلون ما يشاؤون.

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف نهاية الغاية.

﴿يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾: يوم موتهم، وفي الآية إنذار ووعيد.

[٤٦] ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾:

﴿يَوْمَ﴾: نكرة للتهويل والتّعظيم يوم يعود لليوم الذي فيه يصعقون.

﴿لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾: لا النّافية، يغني: ينفعهم فيه، كيدهم الذي كادوا به رسول الله ﷺ ولا يمنع عنهم العذاب مانع.

﴿شَيْئًا﴾: لا قليلاً ولا كثيراً.

﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾: هم للتوكيد، لا ينصرون: أيْ: لا ينصرهم أيُّ ناصر، وتكرار (لا) يفيد توكيد النّفي، لا نافية لكل الأزمنة في الدّنيا ولا في الآخرة.

[٤٧] ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾:

﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ﴾: إنَّ للتوكيد، للذين: اللام لام الاختصاص والاستحقاق.

الذين: اسم موصول يفيد التّحقير.

﴿ظَلَمُوا﴾: أنفسهم بالكفر والشّرك والتّكذيب وكيد النّبي.

﴿عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾: أيْ: عذاباً قبل عذاب الآخرة أو يوم القيامة أيْ: عذاباً في الدّنيا قيل: كان عذاب القحط والجوع سبع سنين، وقيل: يوم بدر، وقد يكون عذاب القبر أو غيره من الابتلاءات.

﴿وَلَٰكِنَّ﴾: حرف استدراك وتوكيد.

﴿أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أن عذاب الدّنيا نازل بهم قبل عذاب يوم القيامة. لا يعلمون ما ينتظرهم من العذاب.

[٤٨] ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾:

﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾: واصبر على أذاهم واصبر حتّى يحكم الله فيهم بحكمه القدري، أيْ: ينزل العذاب بهم، والمخاطب هو رسول الله ﷺ، وأيضاً كل مؤمن ومؤمنة بالصبر على قضاء الله تعالى وحكمه.

﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾: الفاء للتوكيد، أيْ: تحت رعايتنا وحفظنا وعصمتنا فلن يضرك كيدهم شيئاً، بينما قال عن موسى عليه السلام: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ [طه:٣٩]، ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ [طه:٤١]؛ لأن موسى كان يحتاج إلى رعاية خاصة في طفولته،

ويحتاج إلىٰ مكان لينشـــئ كما قدر الله تعالىٰ له في قصر فرعون، وقوله تعالىٰ: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾: أبلغ وأشد قُرباً ورعاية من ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾.

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾: سبح من التّسبيح: هو تنزيه الله سبحانه عن كل شريك أو عيب أو نقص أو ما لا يليق به. ارجع إلىٰ الآية (٤٣) من نفس السّورة، تسبيحاً مصحوباً بالحمد، والتّســبيح يعني: الصّلاة والذّكر، أي: استعن بالصّبر وبالذّكر والعبادة.

﴿حِينَ تَقُومُ﴾: من الليل أو من منامــك لصلاة الفجر، أو أيِّ صلاة أو مكان قمت، قل: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم أو سبحان الله.

[٤٩] ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾:

﴿فَسَبِّحْهُ﴾: الفاء للتوكيد، سبحه: بالذّكر أو الصّلاة.

﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ﴾: من ظرفية، الليل: أيْ: صلاة المغرب والعشــاء أو داوم علىٰ ذكره.

﴿وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾: إدبار: مصــدر لفعل أدبر، إدبار النّجوم: من أدبرت، أيْ: غرُبت؛ أي: غابت بضــوء الصباح، وقيل: إدبار النجوم تعنــي: آخر الليل؛ أي: صلاة التّهجد أو صلاة الفجر، وعكس الإدبار الإقبال.

وفي سورة ق الآية (٤٠) ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾، أدبار السّجود؛ أي: عقب الصّلوات.

❖ ❖ ❖

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ
عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾
ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾
فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾
مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ
نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾
إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ
مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ
ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ
ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ
ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ
وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ
ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى
شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾

نصف الحزب ٥٣

# سورة النّجم [الآيات ١ - ٢٦]

ترتيبها في القرآن (٥٣) ترتيبها في النزول (٢٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾:

والواو: واو القسم، والله سبحانه لا يقسم إلا بشيء عظيم، وهو سبحانه غني عن القسم، والقسم يشير إلىٰ أهمية المقسم به وجواب القسم.

النجم: اسم جنس شامل لكل النجوم، والنجوم تقدر بالمليارات المليارات من النجوم التي تخص كل مجرة وهناك مليارات المجرات، والنجوم عبارة عن أفران نووية مشتعلة عملاقة يخلق لنا ربنا فيها ما تحتاجه الحياة علىٰ الأرض من عناصر ومركبات كالحديد وغيره من المعادن، ولهذه النجوم مواقع أقسم الله بها كذلك فقال تعالىٰ: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ [الواقعة:٧٥] ارجع إلىٰ تلك الآية للبيان.

إذا: ظرفية للزمن المستقبل وتدل علىٰ حتمية الحدوث.

﴿هَوَىٰ﴾: سقط أو انتشر كما نرىٰ من النيازك التي تنفجر وتسقط علىٰ الأرض. ارجع إلىٰ سورة الحجر آية (٢١) للبيان.

وهوىٰ قد تعني أيضاً: إذا خرج منه ألسنة اللهب؛ لتمنع الشياطين من استراق السمع كالشهاب الثاقب، وقد تعني: غاب واختفىٰ.

[٢] ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾:

هذا جواب القسم، والخطاب لقريش وغيرهم.

﴿مَا ضَلَّ﴾: ما النّافية، ضل: تاه، أو ابتعد عن طريق الهدىٰ والحق والصّواب في أقواله وأفعاله.

﴿وَمَا﴾: تكرار (ما) النّافية للتوكيد، وما تنفي الحال والمستقبل وتنفي كلًّا من الضّلال والغواية علىٰ حده، أو كلاهما معاً.

﴿وَمَا غَوَىٰ﴾: ما فسد وما خاب في مطلبه، والغيّ: هو الفساد والجهل في الرّأي والاعتقاد والدّين، وما فجر أو أثم، والغواية: أشد من الضلال.

أي: هو متّبع الوحي ولم يعدل عنه أبداً.

والفرق بين الضلالة والغي: الضلال يكون في الدّين وفي غير الدّين، أما الغي فيكون في الدّين فقط، فالضّلال أعم من الغي والغي أخص، ارجع إلىٰ الحجر آية (٤٢) لمزيد من البيان في معنىٰ الغواية.

[٣] ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو عاطفة، ما: النّافية.

﴿يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾: الهوىٰ: هو ميل النفس إلىٰ شيء تحبه وتهواه بغض النظر عما أمر الله تعالىٰ أو نهىٰ عنه، وما يتكلم برأي شخصي أو بدون دليل أو حُجة. الهوىٰ: ما يدور في العقل وما تريده النفس أو تميل إليه باطلاً، أو بما

لا ينبغي بعيداً عن الحق، ولا دليل له في الشـــرع، والهوىٰ يغلب عليه صفة الذم، ويختص بالأداء والاعتقادات، والشهوة تختص بنيل الملذات.

[٤] ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾:

﴿إِنْ﴾: حرف نفي؛ أي (ما) و(إن) أقوىٰ نفياً من (ما).

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر وقصر.

﴿وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾: الوحي في اللغة: الإعلام بالخفاء؛ أي: الكلام الخفي. وفي الشّـــرع: هو ما يُلقي الله علىٰ أنبيائه ورســـله من تكاليف وتعاليم دينية أو آيات ووعد ووعيـــد؛ أي: كلامه في الدين إن هو إلا وحي من اللـــه تعالىٰ يوحيه إليه عن طريق جبريل عليه السلام فهو المعصوم. ارجع إلىٰ سورة النساء آية (١٦٣) للمزيد في معنىٰ الوحي.

[٥] ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾:

علّمه: أي: جبريل عليه السلام علّم رسول الله ﷺ الوحي والقرآن والعبادات وما شـــرع الله؛ أي: (الدين)؛ علمه: تدل علىٰ المداومـــة والكثير، بينما أعلمه: تدل علىٰ القلة، شـــديد القوىٰ: وهو جبريل عليه الســـلام، كامل القوىٰ بكل أنواعها العقلية والجســـمية؛ فهو الروح الأمين، أو روح القدس؛ فقد اقتلع قرىٰ قوم لوط ورفعها إلىٰ الســـماء ثم قلبها (لذلك سميت المؤتفكات)، وفي نزوله من السماء وعروجه إليها ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [السجدة:٥]، وله (٦٠٠ جناح) كما في حديث عبد الله بن مسعود، والذي أخرجه البخاري ومسلم.

[٦] ﴿ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ﴾:

﴿ذُو﴾: بمعنىٰ صاحب (اسم من الأسماء الخمسة) وذو أشرف وأفضل وأبلغ من كلمة صاحب، ارجع إلىٰ سورة الأنبياء آية (٨٧) وغافر آية (٢) لمزيد من البيان.

﴿مِرَّةٍ﴾: القوة والشدة والسلامة في الخلق والعقل والرّأي.

﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾: الفاء تعليلية، استوىٰ: تعود لجبريل عليه السلام، استوىٰ: استقام علىٰ صورته الحقيقة التي خلقه الله عليها؛ أي: ظهر علىٰ صورة الملائكة بأجنحته لرسول الله ﷺ، فاستوىٰ جبريل عليه السلام بالأفق الأعلىٰ.

[٧] ﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾:

﴿وَهُوَ﴾: ضمير فصل تفيد التّوكيد، وتعود علىٰ جبريل عليه السلام.

﴿بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾: أي: السموات العُلىٰ حين العروج (ليلة الإسراء والمعراج)؛ أفق السّماء؛ أي: الجهة العليا من السّماء، أو كما قال تعالىٰ في الآية (٢٣) من سورة التكوير: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾، وقيل: لقد رأىٰ رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام مرتين الأولىٰ بعد حادثة غار حراء، والأخرىٰ ليلة الإسراء والمعراج.

[٨] ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب الذّكري أو العددي.

﴿دَنَا﴾: جبريل عليه السلام؛ أي: اقترب من الأرض، أو دنا من رسول الله ﷺ.

﴿فَتَدَلَّىٰ﴾: تعلق في الأفق أو هبط من أعلىٰ الأفق، أو نزل ليكون قاب

قوسين أو أدنىٰ من رسول الله ﷺ، ويمكن القول: فتدلىٰ فدَنا، يجوز تقديم أيّ الفعلين، الفاء للمباشرة والتّرتيب.

[٩] ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾:

﴿فَكَانَ﴾: الفاء للمباشرة، كان جبريل عليه السلام.

﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾: القاب: القَدْر، قوسين: مُثنىٰ قوس؛ أي: قدر قوسين، القوس: طوله يقارب طول الذّراع؛ أي: قدر ذراعين.

﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾: أو أقرب من ذراعين.

[١٠] ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾:

﴿فَأَوْحَىٰ﴾: أبلغ جبريل عليه السلام النّبي ﷺ.

﴿مَا أَوْحَىٰ﴾: (ما أوحاه الله إلىٰ رسوله). وما اسم موصول بمعنىٰ الذي، وما أوسع شمولاً من الذي، فهي تشمل كل شيء مما أوحاه إليه ربه، أوحىٰ: ولم يبين الحق ما أوحاه آنذاك لرسوله ﷺ بواسطة جبريل عليه السلام؛ للتعظيم والتّفخيم.

[١١] ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾:

﴿مَا﴾: النّافية.

﴿كَذَبَ الْفُؤَادُ﴾: القلب، وليس كل القلب، وإنما الخلايا القلبية المتميزة التي تمتاز ببعض صفات الخلايا العصبية التي تخص الذاكرة والعاطفة؛ أي: ما كذب قلب محمّد ﷺ ما رأىٰ من صورة جبريل في المرة الأولىٰ بعد حادثة غار حراء؛ أي: لم يكن هناك شك في رؤية رسول الله ﷺ جبريل في صورته الحقيقة؛

رأىٰ: من الرؤية التي هي أشد أو أعلىٰ من النظر. ارجع إلىٰ سورة القصص آية (١٠) لمزيد من البيان في معنىٰ الفؤاد، وسورة الحج آية (٤٦).

[١٢] ﴿ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴾:

﴿ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ ﴾: الممارة: الجدال بالباطل بعد تبيُّن أو ظهور الحق؛ أي: أتجادلون رسول الله ﷺ بالباطل بعد أن تبيّن الحق علىٰ ما رأىٰ لعلة الإسراء والمعراج، وصدق ما يقوله في الإسراء والمعراج!

﴿عَلَىٰ مَا﴾: (ما) الذي يرىٰ، وما: أوسع شمولاً من الذي، ولم يقل علىٰ ما رأىٰ؛ لحكاية الحال: لاستحضار تلك الرّؤية؛ لعظمتها أمام عيني السّامع، أو لتجدّد وتكرار ما يرىٰ وهو الحق.

[١٣] ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾:

﴿ وَلَقَدْ ﴾: الواو استئنافية، اللام للتوكيد، لقد للتحقيق.

﴿نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾: نزلة: مصدر لفعل نزل، نزلة أخرىٰ: مرّة أخرىٰ؛ أي: رأىٰ رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام مرة أخرىٰ علىٰ صورته الحقيقية بأجنحة عند سدرة المنتهىٰ، كما رأوه في المرة الأولىٰ. ارجع إلىٰ الآية (٨-١٠)، أو نزل جبريل علىٰ رسول الله ﷺ في صورته الحقيقة مرّة ثانية، وذلك ليلة المعراج عند سدرة المنتهىٰ.

[١٤] ﴿ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾:

﴿ عِندَ ﴾: ظرف مكاني.

﴿سِدْرَةِ﴾: قيل: شجرة نَبق في السّماء السّابعة يسير الرّاكب تحتها (٧٠) عاماً لا يقطعها.

﴿ٱلْمُنتَهَىٰ﴾: اسم مكان من الفعل الخماسي: انتهىٰ، أو يعني المنتهىٰ إليه.

﴿سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾: أي المكان الذي ينتهي إليه كل ما يصعد به من الأرض؛ أي: يتوقف عندها كل الملائكة فلا يجاوزها أحد لا رسول ولا ملك، ولا يعلم ما وراءها إلا الله الواحد القهار. أو ينتهي عندها علم كل الخلائق (الملائكة وغيرهم) فلا يعلم ما بعدها أيُّ خلق.

[١٥] ﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾:

إحدىٰ الجنات، وهناك: جنات الفردوس، وجنات عدن، ودار السّلام، وجنات النّعيم، والمأوىٰ. اسم مكان من أوىٰ يأوي وهو المكان أو المنزل الذي يأوي إليه للراحة أو الإقامة.

[١٦] ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾:

﴿إِذْ﴾: ظرفية.

﴿يَغْشَى﴾: يغطي ويستر سدرة المنتهىٰ.

﴿ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾: الإبهام هنا للتعظيم والتّهويل؛ أي: لا يعلم ما يغطي السّترة أو ما ورآها أو ما يغشاها إلا الله سبحانه وتعالىٰ. قيل: نور الله سبحانه، وقيل: لا يستطيع أحد أن يصفها من حسنها، كما روي عن أنس بن مالك وأخرجه مسلم في صحيحه.

[١٧] ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾:

﴿مَا﴾: النّافية.

﴿زَاغَ﴾: هناك فرق بين الزّيع والميل، زاغ: من الزّيغ، والزّيغ المطلق يكون عن الحق، والزّيغ المقيد هو الميل المكروه.

والميل عام يكون في المحبوب والمكروه. ارجع إلىٰ سورة آل عمران آية (٧-٨) لمزيد من البيان في الزيغ.

﴿مَا﴾: النّافية؛ أي: ما مال بصره ﷺ إلىٰ أبعد مما أذن الله له ووقعت عليه عيناه من الرّؤيا.

﴿وَمَا طَغَىٰ﴾: تكرار (ما) يفيد توكيد النّفي (نفي الزّيغ والطّغيان كلّ علىٰ حدة أو كلاهما معاً)، طغىٰ: من الطّغيان وهو تجاوز الحدّ؛ أي: لم يتجاوز بصره يمنة أو يسرة أبعد مما وقعت عليه عيناه أو أتيح له، أو راح ينظر إلىٰ كل شيء أو جانب.

[١٨] ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰ﴾:

﴿لَقَدْ﴾: اللام للتوكيد، قد: للتحقيق.

﴿رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰ﴾: رأىٰ: من الرؤية؛ رؤية حقيقية يقينية؛ من: بعض (بعضه)؛ آيات ربه: مبهمة للتعظيم. قيل: أي السدرة والبيت المعمور، وقيل: بعض مشاهد من الجنة والنّار، وقيل: رأىٰ جبريل في صورته الحقيقية، من آيات ربه الكبرىٰ؛ أي: الآيات العظيمة التي لا يعلمها إلا الله، والتي تدل علىٰ عظمة الخالق وقدرته سبحانه.

[١٩] ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾:

﴿أَفَرَءَيْتُمُ﴾: الهمزة للاستفهام التّوبيخي، أرأيتم: الرّؤية قلبية وقد تكون بصرية؛ أي: أخبروني بعلم لمَ تعبدون هذه الأصنام اللات والعزىٰ ومناة الثالثة وغيرها التي ليست أهلاً للعبادة؟!

﴿ٱللَّٰتَ﴾: مشتقة من الإله، وكانت لثقيف بالطّائف.

﴿وَٱلْعُزَّىٰ﴾: مشتقة من العزيز تأنيث الأعز، وكانت لغطفان.

[٢٠] ﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾:

﴿وَمَنَوٰةَ﴾: قيل: كانت صخرة لهذيل وخزاعة تُراق دماء النّسائك (الذبائح) عندها، وقيل: حجارة كانوا يعبدونها في جوف الكعبة.

﴿ٱلثَّالِثَةَ﴾: مؤنث الثالث؛ أي: الصّنم الثّالث، فاللات الصنم الأولىٰ، والعُزىٰ الصنم الثانية، ومناة الصنم الثّالثة.

﴿ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾: صفة توكيد مؤنث الآخر.

[٢١] ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ﴾:

﴿أَلَكُمُ﴾: الهمزة همزة استفهام توبيخي وإنكاري، قدّم (لكم)؛ أي: خاصة، أو حصراً لكم الذّكر، وله الأنثىٰ.

﴿ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ﴾: أي كيف تجعلون هذه الآلهة إناثاً وتعبدونها، وأنتم تكرهون الإناث وتجعلون الإناث لله ولكم الذّكور! ارجع إلىٰ سورة الصافات آية (١٤٩-١٥٩) لمزيد من البيان.

[٢٢] ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ﴾:

﴿تِلْكَ﴾: اسم إشارة إلىٰ القسمة: الذّكر لهم ولله الأنثىٰ.

﴿إِذًا﴾: حرف جواب يفيد التّوكيد.

﴿قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ﴾: قسمة غير عادلة؛ أي: هي قسمة جائرة، من: ضاز في حكمه؛ أي: جار، وضاز حقه؛ أي: نقصه وبخسه، مثل: منعه حقه. وقيل: ضاز: مضغ الشيء، وخلطه؛ أي: هي قسمة لا قيمة لها أو غريبة.

ولابد من الوقوف علىٰ هذه الكلمة الغريبة الغير مستساغة النطق، فقد جاءت هذه الكلمة احتجاجاً علىٰ قسمتهم الجائرة والتّشنيع بتلك القسمة، فاختيرت هذه الكلمة التي تحمل في معناها الخسَّة والبشاعة؛ لتتناسب مع شركهم وتطابق عقولهم (الألفاظ المناسبة لمقتضىٰ الحال).

[٢٣] ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ﴾:

﴿إِنْ﴾: للتوكيد وتفيد النّفي؛ أي: ما هي إلا أسماء سميتموها.

﴿هِيَ﴾: تعود علىٰ الأصنام اللات والعزىٰ ومناة الثّالثة الأخرىٰ.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا﴾: أي حجارة سميتموها بهذه الأسماء أنتم وآباؤكم (وتعني الأجداد أيضاً).

﴿أَنْتُمْ﴾: للتوكيد.

﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾: مـا النّافيـة، (أنزل) ولم يقل نـزل؛ أنزل: أقل توكيـداً وأهمية للمنزل من نزل، وتعني جملة واحـدة، ونزل تعني منجماً وأكثر أهمية؛ ارجع إلىٰ سورة الأعراف آية (٧١) لمزيد من البيان، وهي تسميات باطلة لا حقيقة لها ولا قيمة لها وما أخبركم الله تعالىٰ بها علىٰ لسـان رسله أو في كتبه أن تعبدوها أو أنزل أيّ حجة أو برهان أو وحي.

من سلطان: من استغراقية تسـتغرق كلّ سلطان، والسّلطان هو إما سلطان حجة ودليل أو سـلطان قهر وقوة، فالله سـبحانه لم ينزل أيّ سلطان لا هذا ولا ذاك. ارجع إلىٰ سورة الأعراف آية (٧١) للمزيد في معنىٰ سلطان.

﴿إِن﴾: تعني ما، وإن أقوىٰ نفياً من ما.

﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾: ما يتبعون في عبادتها إلا (أداة حصر)، الظّن: ضرب من الاعتقاد أو شـكّ راجح؛ أي: ترجّح فيه طرف الإثبات علىٰ النّفي. وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٢٨) من نفس السـورة وهي قوله تعالىٰ: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾: نجد أن الآية (٢٨) ليس تكراراً للآية (٢٣)، فالآية (٢٣): الظن فيها متعلق باللات والعزىٰ ومناة الثالثة الأخرىٰ، والآية (٢٨): الظن فيها متعلق بعبادة الملائكة.

﴿وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾: أي ما تميل إليها الأنفُس بدون أيّ دليل شـرعي. ارجع إلىٰ الآية (٣) من نفس السورة، وسورة الأنعام آية (١١٩).

﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾: ولقـد: اللام لتوكيد، قد: لزيـادة التوكيد، القرآن والوحي والدّين الحق والرّسـول ﷺ، وجاءهم الهدىٰ: البرهان الواضح أنّ هذه ليست آلهة.

[٢٤] ﴿أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ﴾:

﴿أَمْ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري والتعجب، أم المنقطعة.

﴿لِلْإِنسَٰنِ﴾: اللام لام الاختصاص والاستحقاق.

﴿مَا﴾: بمعنى الذي أو مصدرية؛ أي: ليس له كل ما يتمنّاه. ما أوسع شمولاً من الذي، تشمل كل شيء.

﴿تَمَنَّىٰ﴾: مثل أن تشفع لهم الآلهة أو أنّ لهم الحسنى، والتمني: معنى في النّفس يتعلّق بما يلذّ وما يكره، وقد يتعلق بالماضي أو المستقبل، والتّمني يختلف عن المحبة والشّهوة والإرادة، وإن كان معناها متقارباً.

[٢٥] ﴿فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ﴾:

﴿فَلِلَّهِ﴾: الفاء للتوكيد، لله: اللام لام الاختصاص والاستحقاق، لله وحده، يفيد الحصر.

﴿ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ﴾: الملك والحكم في الأولى (الدنيا) والآخرة لله وحده وليس لأحدٍ، وليس للأصنام أو الآلهة التي يعبدونها فهي لا تنفع ولا تضر ولا تشفع ولا تقرّب، ولا تسمع ولا ترى ولا تجيب. وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (١٣) من سورة الليل وهي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ﴾: نجد أن آية سورة الليل: جاءت في سياق المال والغنى والصدقة، وآية النجم: في سياق الحكم والملك.

[٢٦] ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ﴾:

﴿وَكَم﴾ الخبرية وتفيد التّكثير؛ أي: كثير من الملائكة الكرام في السموات رغم قربهم من الله ومنزلتهم عنده لا تشفع لأحد من البشر أو الجن، أو لا تغني؛ أي: لا تنفع شفاعتهم أو تجدي.

﴿شَيۡـًٔا﴾: نكرة؛ أي: مهما كانت شفاعتهم قليلة أو كثيرة، أو مهما كان نوعها أو قيمتها.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿مِنۢ بَعۡدِ﴾: من ابتدائية.

﴿أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ﴾: فالشّفاعة تحتاج إلى مؤهّلات:

١ - الإذن من الله تعالى للشافع أن يشفع.

٢ - ولابد لمن يشفع أن يكون أهلاً للشفاعة؛ أي: من أهل الإيمان والتّوحيد والعمل الصّالح.

٣ - المشفوع له من أهل التّوحيد أيضاً.

لمن: اللام للتوكيد، من: اسم موصول للعاقل.

❖ ❖ ❖

إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾
وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ
ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ
ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن
سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا
فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟
بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَـٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ
إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ
وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ
بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ
﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ
مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ
﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ
يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ
﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾

## سورة النّجم [الآيات ٢٧ - ٤٤]

[٢٧] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: لا النّافية، لا يؤمنون: بالآخرة، بالبعث والحساب.

﴿لَيُسَمُّونَ﴾: اللام لام التّوكيد.

﴿بِٱلْآخِرَةِ﴾: الباء للإلصاق.

﴿لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ﴾: وذلك حين زعموا أنّ الملائكة بنات الله سبحانه؛ أي: سموا كلَّ مَلك بنتاً وهي تسمية الأنثى. ارجع إلى سورة الصافات آية (١٤٩-١٥٩)، وسورة الزخرف آية (١٩) لمزيد من البيان.

[٢٨] ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾

﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ﴾: ما: النافية. من علم: من استغراقية؛ تعني: ما لهم بذلك أيُّ علم مهما كان من كتاب أو وحي، أو أخبر بذلك من أحد أو شهدوا خلقهم، حتى يزعموا باطلاً أن الملائكة إناثٌ.

﴿إِن يَتَّبِعُونَ﴾: إن نافية؛ أي: ما يتّبعون.

﴿إِلَّا﴾: أداة للحصر والقصر.

﴿ٱلظَّنَّ﴾: الشك: وهو الاحتمال الراجح في عقولهم، ارجع إلى الآية (٢٣) السّابقة.

﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ﴾: إن للتوكيد.

﴿لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾: أي الظّـن لا يمكن أن يقوم مقام الحق، ولا ينوب عنه، والظّن لا يجدي شيئاً ولا اعتبار له؛ لأن الحق هو الأمر الثابت الذي لا يتغير ولا يتبدل، والعلم الذي ليس هناك غيره.

[٢٩] ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾:

﴿فَأَعْرِضْ﴾: الفاء رابطة لجواب شـرط مقدر هو: إن استمروا على ظنهم الباطل وأصروا على ذلك، فأعرض عنهم.

أعرض عنهم: أي لا تكلّمهم ولا تقابلهم.

﴿عَن﴾: تفيد المباعدة والمجانبة.

﴿مَّن﴾: استغراقية؛ أي: أعرض وتولّى عن ذكرنا.

﴿تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا﴾: أي ابتعد وأهمل، ذكرنـا؛ أي: القرآن وذِكر ربه والصّلاة والإيمان والدين.

﴿وَلَمْ﴾: نافية للحال والمستقبل.

﴿يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾: يـرد: من الإرادة: وهي العزم على فعل أو ترك أمر ما، وهي ميل اختياري؛ أي: أصبح كل همه فقط الحياة الدّنيا وشهواتها.

[٣٠] ﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾:

﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشـارة، واللام للبعد، ويشير إلى قصر إرادتهم على الحياة الدّنيا وثوابها.

﴿مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾: منتهى علمهم وأملهم وطمعهم الحياة الدنيا؛ أي: كل

ما يعلمونه في دنياهم الأكل والشّرب واللهو واللعب والتّناسل. من: استغراقية؛ من كل العلم فلا يعلمون شيئاً عن الآخرة. وتعاموا قصداً وعمداً عنها فلا يريدون إلا العاجلة.

﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾: للتوكيد.

﴿هُوَ أَعْلَمُ﴾ هو: ضمير يفيد التّوكيد والحصر.

﴿بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾: الباء للإلصاق، من: اسم موصول بمعنى الذي، ضل: تاه وضاع وانحرف، عن سبيله: عن دينه.

﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾: وهو للتوكيد والحصر، أعلم: على وزن أفعل للمبالغة، بمن: الباء للتوكيد، من: للعاقل المفرد والجمع. اهتدى: استجاب لربه واختار لنفسه طريق الهداية والسير عليه.

[٣١] ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾:

﴿وَلِلَّهِ﴾: تقديم الجار والمجرور لفظ الجلالة؛ ليدل على الحصر والقصر.

أي: لله ما في السموات والأرض وحده لا يشاركه فيهما أحد ﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾: ملكاً وحكماً وتدبيراً وتصريفاً.

ما: تشمل كل شيء العاقل وغير العاقل في السموات وحدها وفي الأرض وحدها أو في كلاهما معاً.

﴿لِيَجْزِيَ﴾: اللام لام التّعليل، يجزي: من الجزاء، والجزاء من جنس العمل، وهو أعم من الأجر والجزاء يستخدم من النّفع والضّر، أما الأجر يستخدم مع النّفع فقط.

﴿ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟﴾: الباء السّببية أو البدلية، عملوا: (تشمل الأقوال والأفعال) بما عملوا من الكفر والشّرك والمعاصي في الدّنيا.

﴿وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾: الذين أحسنوا في إيمانهم وتقواهم وتوحيدهم إحسان الكمّ والكيف. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (١١٢) لمزيد من البيان.

ووصفهم بالآية التالية (٣٢) بالذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم.

﴿بِٱلْحُسْنَىٰ﴾: مؤنث الأحسن، والحسنىٰ: الجنة، وقدّم الذين أساؤوا علىٰ الذين أحسنوا؛ لأنّهم هم الأكثرية.

[٣٢] ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَـٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾:

﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول يعود علىٰ الذين أحسنوا.

﴿يَجْتَنِبُونَ كَبَـٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ﴾: الاجتناب هو الابتعاد كليّةً وعدم الاقتراب، والاجتناب أشد من التّحريم، كبائر الإثم: ومنها الشّرك وعقوق الوالدين وقتل النّفس وقذف المحصنات، وأكل الرّبا، والخمر والميسر والأنصاب والأزلام، والفرار من الزّحف، وأكل مال اليتيم.

الكبيرة: كل ذنب يؤدي إلىٰ النّار يعتبر كبيرة.

والفواحش: ما اشتد قبحه من الأفعال والأقوال ومنها الزّنىٰ، وقيل: الفواحش كلُّ ذنب يقام في الحد.

﴿إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾: إلا أداة حصر، اللمم: صغائر الذّنوب تحتاج إلىٰ ستر.

﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾: يغفر الذّنوب جميعاً إلا الشّـرك به والكفر إذا لم يتُب العبد، ولولا مغفرته ما ترك علىٰ ظهرها من دابة، وكما قال تعالىٰ: ﴿وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورىٰ:٣٠].

﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾: أي هـو سـبحانه أعلـم بأحوالكم وأعمالكم وبذوات صدوركم وما يخطر علىٰ عقولكم ونواياكم.

إذ: ظرفية، أنشأكم من الأرض: أي ابتدأ خلقكم بخلق أبيكم؛ أي: خلقكم من آدم وآدم من طين، أو أنشـأكم من الأرض حيث تأكلـون من زرعها وحبّها وثمرها نخيلها وأعنابها.

فالنّبات يمتصّ المـاء والأملاح من الأرض والغـذاء أصله من الأرض، والنّشـأة وتطور الإنسان يحتاج إلىٰ هذه التغذية، ولقد اكتشف أن جسم الإنسان فيه أكثر من (١٨) عنصراً من عناصر أو معادن الأرض.

وقيل: الإنشاء قبل الخلق، فالإنشاء هو البداية (بداية الخلق).

﴿وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾: وإذ: ظرف بمعنىٰ حين، أنتم أجنّة: جمع جنين والجنين: اسم للطفل في رحم أمه، وسمي جنيناً؛ لاستتاره في الرحم.

يعلم ما حـدث لكم من تطـورات خَلقية، ويعلم مكونـات كل مخلوق من الجينات والحمـوض النّووية المركبة لكل جسـم والحقائب الوراثية لكل مخلوقاته والطّفرات وما توارث عن أبيه وأمه ومن سـبقهم من الآباء والأمهات، وما سيصيبه من أمراض وراثية وغير وراثية في أيّ طور من أطوار حياته.

﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾: أي ويعلم ما تكسب كل نفس من آثام وخطايا ولَمَمٍ وذنوب وكبائر، وما كسبت في إيمانها من خير وصلاح.

فلا: الفاء رابطة لجواب مقدر؛ أي: إن كان هذا هو حالكم فلا تزكّوا أنفسكم، والتّزكية تعني تبرئة النّفس من الذنوب والآثام والعيوب، وادعاء الفضيلة والتّقوىٰ، فلا تمدحوا أنفسكم أو تشهدوا لأنفسكم وتثنوا عليها فالله سبحانه هو وحده أعلم وأدرىٰ بدرجة تقواكم وإيمانكم، وبدلاً من التّزكية اسألوا الله مغفرته ورحمته وأن يصلح شأنكم وأحوالكم، وتختلف هذه التزكية عن التزكية التي ورد ذكرها في الآية (٩) في سورة الشمس وهي قوله تعالىٰ: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾، فالتزكية في هذه الآية مستحبة ومطلوبة، وتعني: تطهير النفس؛ أي: تجنب الآثام والمعاصي.

﴿هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾: هو ضمير فصل يفيد التّوكيد؛ أي: هو سبحانه.

أعلم: علىٰ وزن أفعل للمبالغة، بمن: الباء للإلصاق والملازمة ومن استغراقية؛ أي: يعلم بكل من اتقىٰ منكم؛ أي: أطاع أوامره وتجنّب نواهيه.

[٣٣] ﴿أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي تَوَلَّىٰ﴾:

قال مجاهد: نزلت هذه الآيات في الوليد بن المغيرة الذي كاد قلبه يلين ويدخل في الإسلام بعد أن استمع إلىٰ تلاوة رسول الله ﷺ، فجاءه أحد المشركين فعيّرهُ بترك دين آبائه، فقال له الوليد: خفت من عذاب الله، فقال المشرك للوليد الذي كان غنياً: أعطني كذا من المال في كل مدة من الزّمن وأنا أتحمّل عنك العذاب الذي تخاف منه! فوافق الوليد علىٰ العرض وراح يعطيه

كل مـــدة، وقيل: نزلت في النضر بن الحارث، أو أبـــو جهل، أو العاص بن وائل السهمي.

ثمّ أكدىٰ: أي أعطىٰ ثمّ توقّف عن العطاء ولم يتمّ، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السّبب.

﴿أَفَرَءَيْتَ﴾: الهمزة همزة اســـتفهام إنكاري وتعجب، أرأيت: رؤية قلبية فكرية.

﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول يفيد الذّم في هذه الآية.

﴿تَوَلَّىٰ﴾: ابتعد وأعرض عن اتباع الحق والإيمان والدّخول في الإســـلام. والتولّي المطلق غير المقيّد في القرآن يعني: عدم الإيمان.

[٣٤] ﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ﴾:

﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا﴾: من ماله للذي وعده أن يتحمّل عنه العذاب يوم القيامة.

﴿وَأَكْدَىٰٓ﴾: قطع العطاء أو أعطىٰ ولم يتمّ العطاء، مشـــتق من الكدية: شيء صلـــب كالصخرة وغيره، وأصل هـــذه الكلمة جاء من قصة الـــذي حفر بئراً ثم توقف عن الحفر بعد أن أتىٰ علىٰ أرض صلبة فيها صخر، توقّف عن إتمام الحفر ولم يبلغ غايته؛ أي: شـــبّه من يعطي قليلاً ثم يمسك عن العطاء بمن يكدي؛ أي: يمسك عن الحفر بعد أن وجد صخرة صلبة.

[٣٥] ﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾:

﴿أَعِندَهُۥ﴾: الهمزة همزة استفهام إنكاري، والضّمير يعود علىٰ الذي تولّىٰ عن الإسلام وأعطىٰ قليلاً وأكدىٰ.

أعنده ﴿عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰ﴾: أي كيف علم أن غيره يُسمح له أو يحق له أن يتحمّل عنه العذاب في الآخرة، أو هل نُبِّئ بالغيب فهو يعلم ما ستكون عليه حاله في الآخرة؟!

[٣٦] ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ﴾:

﴿أَمْ﴾: الهمزة للاستفهام والإنكار، ومعنى أم: بل؛ أي: بل لم يُنبّأ بما: الباء للإلصاق، ما: بمعنى الذي جاء في صحف موسى وإبراهيم، والنبأ: هو ألا تزر وازرة وزر أخرى.

﴿فِي﴾: ظرفية.

﴿صُحُفِ مُوسَىٰ﴾: قيل هي عشر صحف التي أنزلت على موسى عليه السلام قبل إنزال التّوراة.

[٣٧] ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ﴾:

﴿وَإِبْرَٰهِيمَ﴾: أي وصحف إبراهيم، وقيل: إنّ الله سبحانه وتعالى أنزل على إبراهيم عشر صحف كما ورد في حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، كم أنزل الله من كتاب؟ قال: (مائة صحيفة وأربعة كتب: أنزل على شيث خمسين صحيفة، وعلى إدريس ثلاثين صحيفة، وعلى إبراهيم عشر صحائف، وعلى موسى قبل التّوراة عشر صحائف). رواه ابن حبان في صحيحه. وهناك من علماء الحديث من ضعّف هذا الحديث.

﴿ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ﴾: بكل ما عهد إليه ربه مثل ذبح ولده وبناء البيت، والهجرة وإتمام التّكاليف الشّرعية وغيرها.

[٣٨] ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾:

﴿أَلَّا﴾: أصلها أن: المخففة تفيد التّوكيد، لا: النّافية.

﴿تَزِرُ﴾: تحمل.

﴿وَازِرَةٌ﴾: نفس آثمة أو نفس وازرة مذنبة محمّلة بالآثام.

﴿وِزْرَ﴾: أي ذنب أو إثم نفس أخرىٰ.

والمعنىٰ العام: لا تحمل نفسٌ ذنب نفسٍ أخرىٰ؛ أي: لا تحمل نفسٌ إلا ذنبها، أما إذا كانت هذه النّفس الآثمة هي سبباً لإضلال غيرها ومنعها من الهداية، عندها سوف تحمل وزها ووزر التي أضلتها عن سبيل الله كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت:١٣].

﴿لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: [النحل:٢٥].

[٣٩] ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾:

﴿وَأَن﴾: المخففة، أو حرف مصدري يفيد التّعليل والتّوكيد.

﴿لَّيْسَ﴾: للنفي.

﴿لِلْإِنسَٰنِ﴾: اللام لام الاختصاص أو الاستحقاق.

﴿إِلَّا﴾: تفيد الحصر.

﴿مَا﴾: بمعنىٰ الذي، أو حرف مصدري. و(ما) أوسع شمولاً من الذي، وتشمل كل شيء.

﴿سَعَىٰ﴾: عمل من خير أو شر، والسّعي: العمل؛ أي: ليس له إلا جزاء عمله فقط.

[٤٠] ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ﴾:

﴿وَأَنَّ﴾: للتوكيد، سعيه: عمله من خير وشر في الدّنيا.

﴿سَوْفَ﴾: أداة للاستقبال البعيد؛ أي: في الآخرة سوف..

﴿يُرَىٰ﴾: في الآخرة، سواء كان خيراً أو شراً. يُرىٰ: يُرىٰ بنفسه أو قد يُرىٰ من غيره. كما قال تعالىٰ: ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ﴾ [الحاقة:١٩]، ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء:١٤].

[٤١] ﴿ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب والتّراخي؛ أي: في الآخرة.

﴿يُجْزَىٰهُ﴾: أي يجزىٰ العبد علىٰ سعيه أو يجزيه الله علىٰ علمه.

الجزاء: في اللغة هو الثّواب، ولكن الجزاء يكون في الخير، والشّر والثّواب يكون عادة في سياق الخير.

﴿ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾: التّام الكامل غير المنقوص ولو حسنة واحدة.

[٤٢] ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾:

﴿وَأَنَّ﴾: للتوكيد.

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾: تقديم (إلىٰ ربك) يفيد الحصر والقصر؛ أي: إلىٰ ربك وحده المنتهىٰ.

﴿ٱلْمُنتَهَىٰ﴾: المصير والمرجع للحكم وللحساب والجزاء، إليه الانتهاء للعرض عليه كقوله: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [فاطر:١٨].

[٤٣] ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾:

﴿وَأَنَّهُۥ﴾: الواو عاطفة، أن: للتوكيد، وهاء الضّمير تعود على (ربك).

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد ويفيد الحصر، فلا يقدر على ذلك إلا ربك سبحانه.

﴿أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾: أضحك من شاء في الدّنيا وأبكى من شاء، وقد يقول قائل: الضّحك والبكاء ناتجان عن إرادة العبد، فالضحك أو البكاء ناتجان عن مؤثرات خارجية تؤثر في أعصاب الفرد مما يؤدي إلى تراخي أو تقلص عضلات الوجه. هذا صحيح هذه آلية الضحك والبكاء، والسؤال هنا: من خلق هذه العضلات والأعصاب وجعلها تتأثر بالعواطف الداخلية؛ كي تظهر إما على شكل ضحك أو على مظهر البكاء؟ هو الله سبحانه وحده.

[٤٤] ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾:

﴿وَأَنَّهُۥ﴾: الواو عاطفة، أن: للتوكيد، وهاء الضّمير تعود على (ربك).

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد ويفيد الحصر.

﴿أَمَاتَ﴾: من انتهى أجله في الدّنيا من الإنس والجن والنّبات والحيوان.

﴿وَأَحْيَا﴾: من الأجنّة، وأحيا الأرض بعد موتها، وأحيا النّبات والحيوان.

❖ ❖ ❖

وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ
عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ
ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾
وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ
أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾
هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن
دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ
وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾

سجدة

## سُورَةُ القَمَرِ

ترتيبها ٥٤ — آياتها ٥٥

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟
وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ
وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ
مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ
﴿٥﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾

## سورة النجم [الآيات ٤٥ - ٦٢]

[٤٥] ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ﴾:

﴿وَأَنَّهُۥ﴾: كما في الآية (٤٣).

﴿خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ﴾: الصّنفين الذّكر والأنثى في كل شيء في الإنسان والحيوان والنّبات، والموجب والسّالب في المعادن والذّرات، كقوله تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذاريات:٤٩].

خلق كل شيء في الوجود من زوجين؛ ليبقى سبحانه متفرداً بالوحدانية لا يشاركه فيها أحد مما خلق.

[٤٦] ﴿مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾:

﴿مِن﴾: ابتدائية.

﴿نُّطْفَةٍ﴾: الذّكر والأنثى من الإنس والجن والحيوان.

﴿إِذَا﴾: شرطية تفيد الحتمية.

﴿تُمْنَىٰ﴾: تشكّلت وقُدّر لها أن تحيا بعد تشكّلها فهي تحوي على (٥٠-٢٤٠) مليون حيوان منوي، وأن تلتقي ويتمّ التّزاوج واللقاح، فكلّ ذلك يحتاج إلى قدرة الإله الخالق سبحانه.

[٤٧] ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ﴾:

﴿وَأَنَّ﴾: للتعليل والتّوكيد عليه سبحانه.

﴿ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ﴾: إعادة الإحياء والخلق؛ أي: البعث بعد الإماتة الأولى، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم:٢٧].

[٤٨] ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾:

﴿وَأَنَّهُۥ﴾: ارجع إلى الآية (٤٣) السّابقة.

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد والحصر.

﴿أَغْنَىٰ﴾: من شاء من عباده بالمال وغيره، وقيل: أغنى بالقناعة.

﴿وَأَقْنَىٰ﴾: أفقر من شاء حسب ما تقتضيه حكمته ومصلحة خلائقه. وقيل: أقنى: أرضى، وأقناه؛ أي: أرضاه. والقنى: الرضى. وتقول العرب (كما ورد في مختار الصحاح): من أعطي مائة من المعز فقد أعطيَ القنى، ومن أعطي مائة من الضأن فقد أعطي الغنى، ومن أعطي مائة من الإبل فقد أعطي المنى. فهو سبحانه يعطي القليل والكثير ما يكفي وما يزيد على الكفاية.

[٤٩] ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ﴾:

﴿وَأَنَّهُۥ﴾: ارجع إلى الآية (٤٣) السّابقة للبيان.

﴿رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ﴾: أي خالق الكواكب جميعها أو الكوكب الذي عبدته خزاعة، وقيل: حمير أيضاً، وتسمى: الشِّعرى العبور أو اليمانية، وخصّها بالذّكر من بين الكواكب؛ لأنّها كانت تعبد وكان المنجّمون يستعملونها في سحرهم ينسبون إليها أشياء خاصة باطلاً، وقيل: هو الكوكب الذي يظهر بعد ظهور كوكب الجوزاء.

[٥٠] ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ﴾:

﴿وَأَنَّهُۥٓ﴾: الواو عاطفة، أنّه: للتوكيد وتعود على (ربك).

﴿أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ﴾: أي قوم هود سكنوا الأحقاف، والذين قالوا: من أشدُّ منا قوة؟ أهلكهم الله ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ [الحاقة: ٦ ـ ٧].

[٥١] ﴿وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ﴾:

وأهلك ثمود قوم صالح الذين سكنوا الحجر وعقروا النّاقة، وقالوا: يا

صالــح ائتنا بما تعدنا إن كنت من الصّادقيــن فأخذتهم الصّيحة مصبحين، ﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ﴾ [الذاريات:٤٥].

[٥٢] ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ﴾:

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾: وأهلك قوم نوح بالطّوفان.

﴿مِّن قَبْلُ﴾: من قبل عاد وثمود.

﴿إِنَّهُمْ﴾: للتوكيد.

﴿كَانُوا۟ هُمْ﴾: لزيادة التّوكيد.

﴿أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ﴾: من غيرهم من الأقوام دام ظلمهم وطغيانهم (٩٥٠) سنة.

[٥٣] ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ﴾:

قرىٰ قوم لوط التي ائتفكت؛ أي: انقلبت بعد أن رفعها جبريل عليه السّلام إلىٰ عنان السّماء ثم قلبها.

﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ﴾: المنقلبة.

﴿أَهْوَىٰ﴾: من الإهواء؛ وهو الإسقاط، أهوىٰ بها إلىٰ الأرض؛ أي: أسقطها علىٰ الأرض.

[٥٤]: ﴿فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ﴾:

﴿فَغَشَّىٰهَا﴾: غطّاها بالحجارة، أو غشيها من العذاب ما غشّىٰ بعد أن انقلبت عاليها سافلها.

﴿مَا غَشَّىٰ﴾: للتهويل والتّعظيم لما صبّ عليها من العذاب أو المطر المكوّن من حجارة من سجّيل منضود.

[٥٥] ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾:

﴿فَبِأَىِّ﴾: الفاء رابطة لجواب شرط مقدر تقديره: إن كانت قدرة الله علىٰ إهلاك قوم لوط بهذا الشّــكل، فبأيّ آلاء ربك تتمارىٰ؟ بأيّ: الباء للإلصاق، أيّ: استفهام.

﴿ءَالَآءِ رَبِّكَ﴾: أنعم ربك، أو نِعَم ربك الدّالة على قدرته وعظمته ووحدانيته.

﴿تَتَمَارَىٰ﴾: من المراء: تشكّ وتجادل بالباطل، تتمارى: تشكّ وتجادل بالمراء، والمراء: وهو الجدال بالباطل، والكذب بعد ظهور الحق.

[٥٦] ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾:

﴿هَٰذَا﴾: الهاء للتبيه، ذا: اسم إشارة للقرب ويشير إلى القرآن أو رسول الله ﷺ.

﴿نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾: أي هذا القرآن نذير من النّذر الأولى؛ أي: من الكتب السّماوية السّابقة أو هذا النّبي محمّد ﷺ من النّذر الأولى؛ أي: رسول مثل الرّسل الأولى؛ أي: ليس هو ببِدْع من الرّسل.

[٥٧] ﴿أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ﴾:

﴿أَزِفَتِ﴾: دنت وقربت.

﴿ٱلْآزِفَةُ﴾: السّاعة؛ أي: قربت السّاعة ودنت، وسميت بهذا الاسم؛ لاقترابها، وكما قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ﴾ [غافر:١٨]. يوم الأزفة: يوم القيامة، وله أسماء كثيرة جداً منها: الحاقة، والطامة، والصاخة، والقارعة، والواقعة... وغيرها.

[٥٨] ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾:

﴿لَيْسَ لَهَا﴾: ليس: نافية للحال ويمكن أن تكون للماضي والمستقبل والاستمرار في النفي. (لها) تعود على الآزفة: السّاعة.

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾: أي ليس هناك من هو قادر على كشفها أو مظهر لوقتها، أو يعلم متى ستحدث حتّى يخبر بها، أو يمنعها من الحدوث.

[٥٩]: ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ﴾:

﴿أَفَمِنْ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري، والفاء للتوكيد.

﴿هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾: هذا: الهاء للتنبيه، ذا: اسم إشارة للقرب، ويشير إلىٰ القرآن الكريم. ارجع إلىٰ سورة الزمر آية (٢٣) لبيان معنىٰ هذا الحديث.

﴿تَعْجَبُونَ﴾: فلا تصدّقون بآياته وتنكرونه؛ لأنــه مخالف لما أنتم عليه من الشّرك أو عبادة الأصنام، ولأنّه يدعو إلىٰ التّوحيد والبعث والحساب، والحق أن تعجبوا من سفاهة عقولكم التي أعرضت عنه ولم تؤمن به.

[٦٠] ﴿وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ﴾:

﴿وَتَضْحَكُونَ﴾: أي استهزاءً منه ومن آياته.

﴿وَلَا تَبْكُونَ﴾: خشوعاً وخوفاً من وعيده، ولا تبكون علىٰ ما فرّطتم في حقه وفي جنب الله، وعلىٰ سيئاتكم وذنوبكم، أو لا تبكون علىٰ خسارتكم لأنفسكم وأهليكم.

[٦١] ﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ﴾:

﴿سَٰمِدُونَ﴾: جمع ســامِد: متكبرون، أو رافعون رؤوســكم تكبّراً. وقيل: كلّ رافع رأسه: سامِد؛ أي: متكبر، وقيل: سامدون: لاهون عن تدبُّر هذا القرآن، والسّمود بلغة أهل اليمن: الغناء، سامدون تدلّ علىٰ أنّ هذه الصّفة ثابتة عندهم، فالسّمود قد يعني: الاستكبار واللهو والإعراض والخمول معاً.

[٦٢] ﴿فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟﴾:

الفاء رابطــة لجواب مقدّر: إن أردتــم التّوبة والإنابــة والرّجوع إلىٰ الله فاسجدوا له سجود الشّكر وسجود العبادة؛ أي: الصّلاة، واعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شــيئاً، وأطيعوا أوامره وتجنّبوا نواهيه؛ أي: أطيعوا المعبود في كلّ ما أمر أو نهىٰ عنه.

❖❖❖

وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ
عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ
ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾
وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ
أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾
هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن
دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ
وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ﴿٦٢﴾

سجدة

## سُورَةُ القَمَرِ

ترتيبها ٥٤ — آياتها ٥٥

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟
وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ
وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ
مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ
﴿٥﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾

## سورة القمر [الآيات ١ - ٦]

ترتيبها في القرآن (٥٤) وترتيبها في النزول (٣٧).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾:

**سبب النّزول**: أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن أنس أنّ أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية تدل على صدق نبوته فأراهم القمر شقتين حتى رأوا جبل حراء بينهما.

وفي رواية ابن عباس قال: اجتمع المشركون إلى رسول الله ﷺ فقالوا: إن كنت صادقاً فشق لنا القمر فرقتين، فقال لهم رسول الله ﷺ: إن فعلت تؤمنون؟ قالوا: نعم، فسأل رسول الله ﷺ ربه أن يُعطيه ما قالوا فانشق القمر شقين أو نصفين، ورسول الله ﷺ ينادي: يا فلان ويا فلان اشهدوا. وذلك بمكة قبل الهجرة. رواه البخاري، وذكره السيوطي في الدر.

﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾: الساعة تعني: ساعة: هي لحظة تهدم ودمار النظام الكوني الحالي وزوال السموات والأرض، والذي يعقبه البعث، والحشر للحساب، والجزاء، وقد عدها الإمام الغزالي والقرطبي فبلغت حوالي خمسين اسماً، كما قال ابن حجر العسقلاني في فتح الباري منها: الحاقة، الطامة، الصاخة، الواقعة، الحسرة، الغاشية، الأزفة.... وغيرها.

﴿وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾: ارجع إلى سورة إبراهيم آية (٣٣) وسورة يونس آية (٥) للتعريف بالقمر. وبما أنّ القمر انشق على زمن الرّسول ﷺ فقد اكتشفت الدّراسات الجيولوجية الحديثة أنّ هناك شقوق على سطح القمر يبلغ طولها أحياناً (١٢٥) كم، وعمقها (٤٠٠) متر على شكل قنوات لا زالت الأبحاث تدرس هذه الآيات الكونية التي تدل على عظمة الله وقدرته وصدق نبوة محمّد ﷺ، فانشقاق القمر من أهم معجزات الرسول ﷺ، وكذلك من أشراط الساعة أو (الأمارات أو العلامات) والدالة على قرب وقوعها رغم مضي أكثر من ألف وأربعمئة عام، والجواب على ذلك لأن الباقي من أمر الدنيا قليل بالنسبة لما مضى فيها واقتراب الساعة بتقدير علم الله سبحانه وليس بتقدير البشر.

[٢] ﴿وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾:

﴿وَإِن﴾: شرطية تفيد الشك والاحتمال.

﴿يَرَوْا۟ ءَايَةً﴾: أيْ: معجزة دالة على صدق نبوة الرّسول ﷺ مثل انشقاق القمر.

﴿يُعْرِضُوا۟﴾: هذا هو جواب الشّرط، يعرضوا عن الإيمان والتّصديق بالآيات.

﴿وَيَقُولُوا۟﴾: معطوفة على يعرضوا ويقولوا عن الآيات أو المعجزات سحر مستمر.

﴿سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾: سحر دائم، سحرنا به محمد وسحرنا غيره من قبل لما رأوا تتابع الآيات، أي: المعجزات، أو سحر زائل ذاهب أو سحر شديد قوي. مستمر: من مر الشيء: أيْ: ذهب.

ويقولوا سحر مستمر؛ ويقولوا: بصيغة المضارع لتدل على تجدُّد أقوالهم وتكرارها. أو حكاية الحال التي تدل على شناعة كذبهم، ولتعريف السحر ارجع إلى سورة طه الآية (٥٨) للبيان.

[٣] ﴿وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾:

﴿وَكَذَّبُوا۟﴾: رسول الله ﷺ أو كذبوا بالآيات.

﴿وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ﴾: أهواءَهم جمع هوى. ارجع إلى سورة النجم آية (٣)، وسورة النساء الآية (١٣٥) لبيان معنى الهوى.

﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾: أيْ: إلى الآن هذا الأمر لم يبلغ غايته (أيْ: أمر الدّين والإسلام) لا زال في بدايته، ولا بُدَّ لكل أمر يريده الله أن يبلغ غايته ومنتهاه ويتحقق.

كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق:٣].

ولكل أمر حقيقة وبداية ونهاية، وبما أنّ (كلٌّ) جاءت بالضم وليس بالفتح، ولم يقل: وكلَّ، فتدل على أنّ هناك أموراً لها مستقر وأموراً ليس لها مستقر، أيْ: مستمرة، ولو قال: كلَّ أمر بالفتح لدل ذلك على كل أمر له مستقر.

[٤] ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو استئنافية واللام للتوكيد، قد للتحقيق.

﴿جَآءَهُم﴾: أيْ: قريش أو أهل مكة والمجيء فيه معنى المشقة.

﴿مِّنَ﴾: بعضية.

﴿ٱلْأَنۢبَآءِ﴾: جمع نبأ، النّبأ هو الخبر العظيم أو المهم. أيْ: أنباء الأمم السّابقة المكذبة رسلها وما أصابها من الهلاك والدمار.

﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾: ما فيه: الكفاية والموعظة والنّهي لكي يزجرهم، أيْ: ينهاهم أو يكفهم ويمنعهم عن غيِّهم وضلالهم وكفرهم وشركهم.

﴿مُزْدَجَرٌ﴾: مصدر للفعل ازدجر أو زجر، أيْ: نَهره (من الانتهار) أو محاولة المنع.

[٥] ﴿حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾:

﴿حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ﴾: أيْ: هذا القرآن حكمة تامة بما فيه من الأنباء والمواعظ والهداية.

﴿بَٰلِغَةٌ﴾: كاملة تامة بلغت منتهى البيان ليس فيها نقص أو خلل بلغت الغاية التّامة في الزّجر والرّدع، وما فيه الكفاية لتزجر الكافر والضّال، حكمة بالغة: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء:١٦٥].

﴿فَمَا﴾: الفاء للتوكيد، ما: نافية أو استفهامية.

﴿تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾: أيْ: من لم ينزجر ويرتدع ويكفَّ عن غيِّه وضلاله بما في هذا القرآن من إنذار، وبما جاء به الرسول ﷺ، فلن ينفعه أيُّ إنذار بعده أو غيره.

﴿ٱلنُّذُرُ﴾: جمع نذير أو منذر أو الإنذارات.

[٦] ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ﴾:

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾: ابتعد عنهم، عن هؤلاء الكفار والمشركين والمكذبين؛ لأنّ الإنذار لا ينفع معهم، واستمر في دعوتك إلى الله تعالى، وانتظر يوم يدعُ

الداعي وهو إسـرافيل عليه السلام يوم ينفخ في الصّور نفخة البعث يسمعها كل حي، يسمعها من في القبور بعد النشر (الإحياء).

﴿إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ﴾: شـيء: عظيم مروع لا تصدقه؛ أيْ: العقول وتكرهه النّفوس لم يروا مثله في حياتهم قط، وهو يوم القيامة والبعث والحساب، وهناك فرق بين نُكُر ونُكْر كقوله تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا﴾ [الكهف:٧٤].

نُكُر: بضم الكاف أبلغ وأشد في الإنكار نُكْراً بتسكين الكاف، وهناك فرق بين المنادي والدّاعي.

المنادي: ينادي برفع الصّوت فقط والمنادي ليس بالضّرورة يطلب شيئاً.

الدَّاعي: إما أن يرفع صوته أو يخفضه، والدَّاعي يطلب شيئاً.

وهناك فرق بين الدّعاء والنّداء والرّجاء.

الدّعاء: يكون من الأدنىٰ إلىٰ الأعلىٰ، أي: الأعلىٰ شأناً أو عظمة وقدرة.

النّداء: يكون من أعلىٰ إلىٰ أسفل.

الرّجاء: يكون مساوٍ للمرجو منه.

❖ ❖ ❖

خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾
مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ۖ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾ كَذَّبَتْ
قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا
رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ
﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾
وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ
كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ
عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ
﴿١٧﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ
رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ
نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ
لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا
مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ ۙ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ
مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ
ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾

## سورة القمر [الآيات ٧ - ٢٧]

[٧] ﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾:

﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ﴾: جمع خاشع اسم فاعل من فعل خشع، والخشوع هو الانكسار والذّلة، ويظهر ذلك في عينيه، وصوته أو وجهه، وقلبه.

﴿خُشَّعًا﴾: على وزن فُعل يفيد التكثير والمبالغة والعدد الكبير، فحين يخرجون من الأحداث يخرجون خُشعاً أبصارهم، ثم من طول الموقف يوم الحساب تخف شدة الخشوع، وتصبح أبصارهم خاشعة، كما في قوله: ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ [القلم:٤٣]. ليس فيها مبالغة ولا تكثير كما كان سابقاً، فهناك فرق بين خُشعاً أبصارهم وخاشعة أبصارهم، والخضوع: يظهر أثره في البدن.

﴿يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾: الأجداث جمع جدث وهو القبر، والقبر يسمّى جدثاً، أو يتحول إلى جدث بعد أن يُبعث الميت من جديد، ويتحرك ليخرج من القبر، فهذه الحركة والانتفاض يحول القبر من قبر هادئ لا حركة فيه إلى قبر فيه حياة ونشاط للخروج منه، وحينئذ يسمَّى القبر جدثاً؛ أي: في مرحلة أو زمن الخروج.

﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾: يخرج الأموات، أيْ: يبعث الأموات من أجداثهم للذهاب إلى أرض المحشر.

كأنّهم جراد منتشر: أيْ: جماعات جماعات في الكثرة والانتشار، ويبلغ عدد سرب الجراد عشرات الملايين، وهكذا سيكون الناس يوم خروجهم من

الأجداث جماعات جماعات عشرات الملايين والجراد يطير عاريًا إلا من غطاء على قرنه، وهكذا يكون الناس يوم القيامة حفاة عراة غُرلاً لا تغطيهم إلا جلودهم.

وبعد الوصول إلى أرض المحشر تحدث فوضى واختلاط وحيرة وتنقلب حالهم فيصبحون كالفراش المبثوث، كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴾ [القارعة:٤].

[٨] ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ۖ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾:

﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ﴾: مسرعين بخوف إلى الداعي مع مدِّ أعناقهم إلى الأمام.

الإهطاع، أهطع: أسرع في مشيه مع مدِّ العنق إلى الأمام لكي يحاول أن يرى ما الخطب أو الأمر.

﴿إِلَى ٱلدَّاعِ ﴾: وهو إسرافيل: يحاولون تلبية دعوته ويسرعون إلى إجابته.

ارجع إلى سورة إبراهيم آية (٤٣) لمزيد من البيان في مهطعين، وكلمة الإهطاع كما وردت في القرآن في ثلاث سور، هذه الآية، وإبراهيم آية (٤٣): والمعارج آية (٣٦).

﴿يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾: حين يرون أهوال يوم البعث والحشر ويتوقعون سوء العاقبة.

﴿هَٰذَا ﴾: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة للقرب يشير إلى يوم القيامة.

﴿يَوْمٌ عَسِرٌ﴾: صعب شديد.

والسّؤال: لماذا قالوا يوم عسر وليس يوم عسير، الجواب: يوم عسر: لأنه

عسر على طائفة معينة وهم الكفار، أما يوم عسير: فيوم شديد صعب على المؤمن والكافر والكبير والصّغير على (الكل) وليس على فئة معينة.

كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ۝٨ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ [المدثر:٨-٩].

أيْ: عسير على الكل، ولذلك أتبع ذلك بقوله: ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ [المدثر:١٠] أما على المؤمنين فهو يسير.

[٩] ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ﴾:

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾: أيْ: قبل كفار مكة، كذبت قوم نوح.

﴿فَكَذَّبُوا﴾: الفاء تدل على المباشرة، أيْ: كذبوه مباشرة بعد أن أبلغهم أنّه رسول من رب العالمين، وتكرار كذبوا للتوكيد، كذبوه لما دعاهم إلى التّوحيد وعبادة الله وحده كذبوا تكذيباً بعد تكذيب؛ أي: مستمراً دام (٩٥٠سنة).

﴿عَبْدَنَا﴾: نوح وإضافة (نا) الجمع للتشريف.

﴿وَقَالُوا مَجْنُونٌ﴾: فاقد العقل، لا يعلم ما يقول؛ أي: هو مجنون.

﴿وَٱزْدُجِرَ﴾: أيْ: قومه زجروه ومنعوه عن تبليغ رسالة ربه أو زجره قومه بالشتم والوعيد، وبالقول البذيء، وأنذروه بالرجم، حين قالوا له ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ﴾ [الشعراء:١١٦].

[١٠] ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ﴾:

﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ﴾: دعا نوح ربه.

﴿أَنِّي﴾: للتوكيد بدلاً من أنا.

﴿مَغْلُوبٌ﴾: غلبني قومي، أي: لم يصدقوني أو يؤمنوا لي، مغلوب: اسم مفعول من الفعل الثّلاثي، غلب ومغلوب يدل على صفة الغلب ثابتة لن تتغير.

دعا ربه بعد أن أوحي إليه ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ [هود:٣٦]، دعا ربه حين قال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح:٢٦].

﴿فَٱنتَصِرْ﴾ انتصر لدينك وانتقم منهم بعذاب تبعثه عليهم، والفاء تدل على التّعقيب والمباشر انتصر الآن، ولا تؤخر عذابهم.

[١١] ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾:

﴿فَفَتَحْنَآ﴾: الفاء للمباشرة والتّعقيب والسرعة لإجابة دعاء نوح.

﴿أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾: المنهمر: الهمر الصب المنصب كالوابل استعارة تمثيلية شبه تدفق المطر (الوابل) من السماء بانصباب أنهار انفتحت بها أبواب السّماء، ولم يذكر منهمر من السحاب؛ أي: بدون رؤية؛ أي: سحاب، وقيل: استمر أياماً عديدة، حتى أصبح ﴿مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ﴾ [هود:٤٢].

[١٢] ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾:

﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا﴾: تدل على الكثرة والمبالغة ولم يقل وفجرنا عيون الأرض، بل الأرض كلها صارت عيوناً، جمع عين وعين تجمع على عيون، أي: عيون للماء أو أعين، أيْ: أعين نبصر بها، كما تأتي في سياق القرآن الكريم.

﴿فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ﴾: أي: اختلط ماء السّماء وماء الأرض التقيا على أمر قد قدره الله سبحانه لإهلاك قوم نوح بالطّوفان.

﴿عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾: أي: على مقدار معيَّن أحدهما نازل من السماء، والأخر متفجر من الأرض، وإلا ما استطاع نوح ومن آمن معه أن يركبوا في الفلك وتعني

أيضاً: من القضاء والقدر، أي: امرٌ قدره الله على قوم نوح وقضاه أزلاً في سابق علمه.

[١٣] ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ﴾:

﴿وَحَمَلْنَٰهُ﴾: أي: نوح ومن أمن معه.

﴿عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ﴾: الفلك المصنوعة من ألوح خشبية عريضة، ودسر: جمع دسار وهو المسمار ودسره: دق المسمار ودفعه، وأصل الدّسر: الدّفع الشديد بقهر فالمسمار يدق ويدفع بقوة، ولم يقل: وحملناه على الفلك أو السّفينة وإنما استعمل الصّفات التي تقوم مقام المواصفات، أيْ: إطلاق الجزء وإرادة الكل؛ لأنّ الجو مخيف ومُرعب، وأنّ الله سبحانه هو المنجي، فالسّفينة مركبة من ألواح خشبية عديدة ومسامير.

وشبَّه الأمواج كالجبال فهي تجري بقدرة الله تعالى تجري بأعيننا بمرأىً منا، وهذه هي المعجزة وهي صمود هذه السّفينة المكونة من ألواح ودسر وعدم تسرب الماء إليها وغرقها، والتي صنعت من قبل نوح الذي لم يصنع سفينة قط في حياته ولأول مرة، ولم يركب سفينة قط فسبحان من سيرها وحفظها من الغرق في هذه الأمواج التي كالجبال.

[١٤] ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾:

﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾: بمرأىً منا أو تجري برعايتنا وحفظنا وحراستنا، وهذه هي المعجزة الحقة، وليست المواد المصنوعة منها سواء كانت من خشب أو من حديد، وسواء كانت هناك آلات تحركها وتديرها أم لا.

﴿جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾: ثواباً أو فعلنا ذلك جزاءً لنوح عليه السلام. لمن:

اللام للتوكيد. من: اسم موصول بمعنىٰ الذي، كفر: وهو نوح عليه السلام وجاء بصيغة المبني للمجهول.

كُفِرَ: جُحِدَ به، وكأن نوحاً أرسل إليهم كنعمة فكفروا بها أو لنوح الذي كفره قومُه ولم يؤمنوا له.

[١٥] ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾:

﴿وَلَقَد﴾: الواو عاطفة، اللام للتوكيد، قد: للتحقيق.

﴿تَّرَكْنَٰهَآ﴾: أي: السّفينة ذات الألواح والدّسر أبقيناها.

﴿ءَايَةً﴾: علامة ودليلاً أو عبرة وعظة للأجيال القادمة علىٰ كمال قدرة الله وعظمته وعنايته برسله وبالمؤمنين. ارجع إلىٰ سورة العنكبوت آية (١٥) لبيان معنىٰ آية للعالمين.

﴿فَهَلْ﴾: الفاء للتوكيد، هل: استفهام يفيد الأمر، أي: احفظوه عن ظهر قلب.

﴿مِن﴾: استغراقية.

﴿مُّدَّكِرٍ﴾: متعظ أو معتبر أصلها مُذتكر: حدث فيها إبدلان الأول: إبدال التاء دالاً، والثاني: إبدال الذال دالاً، ثم أدغمت الدالان فأصبحت مدّكر، من الذّكر. ومدكر: اسم فاعل من الفعل الخماسي ادّكر. مدكر: متذكر بعد النّسيان للآيات. وجملة (من مدّكر) هي جواب شرط مقدر، أيْ: إذا كان القرآن ميسراً فهل من مدّكر.

[١٦] ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾:

﴿ فَكَيْفَ ﴾: الفاء للتوكيد، كيف: للاستفهام الذي يحمل معنىٰ التّهويل والتّعجب.

﴿كَانَ عَذَابِي﴾: بالطّوفان والغرق.

﴿وَنُذُرِ﴾: مصدر الفعل أنذر أو جمع نذير علىٰ لسان نوح المرات العديدة بمعنىٰ أليس هذا ما يستحقونه.

[١٧] ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾:

﴿ وَلَقَدْ ﴾: ارجع إلىٰ الآية (١٥).

﴿يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾: سهلنا القرآن للحفظ والقراءة، أو يسرنا تلاوتَه ومعناه وتدبرَه، للذكر اللام لام الاختصاص.

﴿فَهَلْ﴾: استفهام فيه معنىٰ الحثِّ والحضِّ علىٰ حفظ القرآن وتلاوته وتدبر معانيه.

﴿مِن﴾: استغراقية.

﴿مُّدَّكِرٍ﴾: ذاكر يذكره أو قارئ يقرؤه أو يرتِّله. ارجع إلىٰ الآية (١٥) لبيان كيف اشتقت مدكر.

[١٨] ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾:

﴿ كَذَّبَتْ﴾: من قبلهم عاد، أيْ: قوم عاد كذبوا نبيَّهم هوداً عليه السلام، ولم يؤمنوا بالله ووحدانيَّته وبما دعاهم إليه هود.

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾: فكيف الفاء للتوكيد، فكيف للاستفهام الذي يحمل معنىٰ التّهويل والتّعجب والتّعظيم.

كان عذابي لهم: وصف هذا العذاب في الآية التّالية آية (١٩) هو الريح الصّرصر العاتية.

نذر: مصدر أنذر ونذر جمع علىٰ لسان هود أنذرهم المرات العديدة، وإذا نظرنا في الآية (٢١) في نفس السورة نجد مرة ثانية يقول تعالىٰ: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ فالأولىٰ: قد تعني قبل أن يجعلهم كأنهم أعجاز منقعر (قبل وقوع العذاب)، والآية (٢١) بعد وقوع العذاب، وقيل: الأولىٰ لتحذيرهم وما أصابهم، والآية (٢١) لتحذير غيرهم والاتعاظ بما أصاب قوم عاد، وقد تكون للتهويل، والتوريع، والترهيب أيضاً، وكذلك زمن تقديم العذاب علىٰ النذر.

[١٩] ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ﴾:

﴿إِنَّا﴾: للتعظيم عظمة ما أرسل إليهم.

﴿أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ﴾: أي: الرّيح الصّرصر العاتية، أيْ: علىٰ قوم عاد.

﴿رِيحًا صَرْصَرًا﴾: ريح في القرآن تحمل معنىٰ العذاب والشّر بشكل عام إلا مع سليمان عليه السلام؛ فقد سخرها الله تعالىٰ له ليتصرف بها كيف يشاء في الخير أو الشر بعكس الرّياح تحمل معنىٰ الخير والمنفعة، وهذه من خصوصيات القرآن.

ريحاً صرصراً: ريح شديدة البرودة المهلكة، ولها صوت الصّرير من الصّر وهو شدة البرد الذي يصر الجلد، أيْ: يُقبض أوعية الجلد الدّموية الدقيقة؛ مما يؤدّي إلىٰ نقص تروية الجلد والآلام الشّديدة، وبالتّالي موت الجلد وبتر الأصابع

والأطراف أو هبوط درجة حرارة الجسم؛ مما يؤدِّي إلىٰ الإضرار بالقلب، ثم توقُّفه.

﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾: في يوم: وفي سورة الحاقة، قال تعالىٰ: ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ [الحاقة:٧]؛ لأن العرب تعبر باليوم عن الأيام؛ أي: في يوم شؤم مستمر دام شؤمه سبع ليال وثمانية أيام حسوماً يوم استمر عليهم ودام حتىٰ أهلكهم وقضىٰ عليهم. ارجع إلىٰ سورة الحاقة آية (٧) للبيان.

[٢٠] ﴿تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾:

﴿تَنزِعُ النَّاسَ﴾: أيْ: تقلع النّاس فيسقطون علىٰ الأرض، كما تنقلع النّخلة من جذورها من شدة الريح الصرصر، وقيل: تنزع النّاس من البيوت أو الخيام أو من أماكنهم.

يقال: قعر النّخلة: قلعها من أصولها، أيْ: جذورها فتسقط علىٰ الأرض.

﴿أَعْجَازُ﴾: جمع عجز اسم المؤخر كل شيء وعجز النّخل أصولها، أي: من الجذر.

﴿مُّنقَعِرٍ﴾: منقطع من جذوره أو مغارسه.

فقد كانت الرّيح الصّرصر الشّديدة الهبوب ترفعهم عن الأرض وتهوي به أمواتاً، وكانوا طوال القامة فكانوا حين يسقطون علىٰ الأرض كانت جثثهم بعد هلاكهم تشبه سقوط إعجاز النّخل المنقعر، أي: المقطوع بسبب الرّيح الصّرصر التي كانت تؤدِّي إلىٰ سقوط إعجاز النّخل علىٰ الأرض بسبب برودتها وقطع التّغذية عنها كما كان النّاس الذين يسقطون علىٰ الأرض في نفس الزّمن فترىٰ النّاس والنّخل كلاهما ساقط علىٰ الأرض.

لنقارن هذه الآية (٢٠) من سورة القمر، وهي قوله تعالىٰ: ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ والآية (٧) من سورة الحاقة، وهي قوله تعالىٰ: ﴿فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾: شبه قوم عاد في سورة القمر بالنّخل المنقعر، وفي سورة الحاقة بالنّخل الخاوية، أي: الفارغة من داخلها، ولنعلم أن كل منقعر خاوي، والخاوي: أعم يشمل المنقعر وغير المنقعر، وكلاهما يؤدي إلىٰ موت وسقوط النخلة. ارجع إلىٰ سورة الحاقة لمزيد من البيان.

[٢١] ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾:

﴿فَكَيْفَ﴾: استفهام فيه معنىٰ التّهويل والتّعظيم.

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي﴾: بالرّيح الصّرصر العاتية.

﴿وَنُذُرِ﴾: مصدر، أو جمع نذير، أو جمع إنذار؛ أي: النذر العديدة علىٰ لسان هود حين قال لهم: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ [هود:٥٠].

﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾ [هود:٥٢].

﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [الشعراء:١٢٦].

﴿إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشعراء:١٣٥]. ارجع إلىٰ الآية (١٨) في نفس السورة للبيان ومقارنة الآيتين.

[٢٢] ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾:

ارجع إلىٰ الآية (١٧) في نفس السورة. وتكرار هذه الآية ٤ مرات للتوكيد، والحث، والحض علىٰ حفظ القرآن، وتدبره، والعمل به، والاتعاظ.

[٢٣] ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ﴾:

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ﴾: قبيلة ثمود قوم صالح عليه السلام بالنّذر وهم الذين سكنوا الحجر، وأرسل الله إليهم رسوله صالحاً عليه السلام فدعاهم إلى التّوحيد فكذبوه، وقالوا: يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين.

﴿بِالنُّذُرِ﴾: أي: الرّسل جمع نذير أو جمع أنذار واحدهم منذر والباء للإلصاق والملازمة، كذبوا بالرّسل، أيْ: برسولهم صالح، وجاءت بصيغة الجمع؛ لأنّ من يكذب رسولاً إنما يكذب كل الرّسل أو النّذر؛ لأنّ الكل يحملون نفس الرّسالة: لا إله إلا لله، أو النذر هي واحدة.

[٢٤] ﴿فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٗا مِّنَّا وَٰحِدٗا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٍ﴾:

﴿فَقَالُوٓاْ﴾: الفاء للتوكيد، قالوا: أيْ: قوم ثمود قال بعضهم لبعض:

﴿أَبَشَرٗا﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري والتّعجب.

﴿مِّنَّا﴾: من جنسنا من بيئتنا ليس بأشرفنا وأفضلنا هم يريدون من جنس الملائكة.

﴿وَٰحِدٗا نَّتَّبِعُهُۥٓ﴾: أيْ: نحن جمع أو عدد كبير من النّاس وهو واحد، فليس من المعقول أن يتبعه الكل فإذا فعلنا ذلك إنا لفي ضلال وسعر.

﴿وَٰحِدٗا﴾: تفيد التوكيد.

﴿لَّفِي ضَلَٰلٖ﴾: اللام للتوكيد، أيْ: ظرفية. ضلال: أيْ: في خطأ وبُعد عن الصّواب أو أشقياء، أو نكون منغمسين في الضلال أو سيحيط الضلال بنا من كل جانب، أو ستقع في الضلال.

﴿وَسُعُرٍ﴾: جنون، ومنه ناقة مسعورة أو مجنونة تسير بسرعة من دون أن تستجيب لصاحبها.

[٢٥] ﴿أَءُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾:

﴿أَءُلْقِيَ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري والتّعجب.

﴿الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا﴾: الذّكر: الوحي أو الرّسالة، من استغراقية، بيننا: أيْ: وفينا من أحق منه للاختيار، أو كيف خُص بالذّكر بالوحي أو النّبوة وفينا من هو أفضل منه وأحق أن يُختار، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٨) في سورة ص، وهي قوله تعالىٰ: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا﴾؛ ارجع إلىٰ سورة ص الآية (٨) لمعرفة الفروق بين الآيتين.

﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾: بل للإضراب الإنكاري.

﴿كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾: كذاب: صفة مبالغة من كاذب كثير الكذب كأن حرفته الكذب، أو دائماً يكذب، أشر: صفة أيْ: بطر متكبر والأشر: أشد من البطر فهو إنسان يسيء التصرف بالنعمة بالتبذير والكبر والعجب بنفسه والزهو، ويبالغ في ذلك.

[٢٦] ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ﴾:

﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا﴾: السّين للاستقبال القريب، غداً: لا يعني غداً بالضّرورة إنما للتقريب، غداً: عند نزول العذاب بهم في الدّنيا، أو يمكن أن يكون يوم القيامة أو كلاهما.

﴿مَّنِ﴾: استفهامية.

﴿الْكَذَّابُ الْأَشِرُ﴾: أيْ: سيعلمون أنهم هم الكاذبون الأشرون.

الأشر: ارجع إلىٰ الآية السابقة (٢٥).

[٢٧] ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ﴾:

﴿إِنَّا﴾: للتعظيم من شأن النّاقة.

﴿مُرْسِلُوا النَّاقَةِ﴾: مخرجو النّاقة لهم كما طلبوا.

﴿فِتْنَةً لَّهُمْ﴾: ابتلاء وامتحاناً لهم علىٰ كفرهم أو إيمانهم، لهم: اللام لام الاختصاص لهم خاصة وليس لغيرهم، ولمعرفة معنىٰ الفتنة ارجع إلىٰ سورة العنكبوت آية (٢).

﴿فَارْتَقِبْهُمْ﴾: المخاطب النّبي صالح واتباعه، والفاء عاطفة لربط المسبب بالسّبب (فاء السببية)، ارتقبهم: التّرقب الانتظار والمراقبة عن كثب حتىٰ لا يفوته شيء.

﴿وَاصْطَبِرْ﴾: ولم يقل: اصبر، اصطبر، أيْ: داوم واستمر علىٰ الصّبر وليس مجرَّد صبر عادي.

❀ ❀ ❀

وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ
فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ
صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ
لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا
عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ
كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا
بِالنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا
عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾
فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ
﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ
أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ
فِي الزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ
وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ
﴿٤٦﴾ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ
عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾

## سورة القمر [الآيات ٢٨ - ٤٩]

[٢٨] ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ﴾:

﴿وَنَبِّئْهُمْ﴾: الخطاب إلى صالح عليه السلام، نبئهم نبئ قومك بخبر مهمٍّ أو أمر مهمٍّ هو ﴿أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ﴾: أن: للتعليل والتّوكيد، قسمة بينهم: أيْ: مقسوم بينهم وبين النّاقة، انتبه إلى قوله بينهم مع أن النّاقة غير عاقلة، ولكن الله سبحانه أدخلها في العقلاء، فقال: ﴿لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الشعراء:١٥٥]، لها شرب يوم ولهم شرب يوم لا يشاركونها في الشّرب في يومها ولا تشاركهم في الشّرب في يومهم.

﴿كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ﴾: كل: التوكيد، شرب: يعني الكمية من الماء أو النّصيب من الماء، محتضر: يحضره من كان يومه أو دوره فكأن النّاقة من عظمة الله وقدرته موحى إليها أن لا تشاركهم في يومهم.

ومُحتضر: اسم مفعول من الفعل الخماسي احتضر، أيْ: مُحضَّر ومهيَّأ.

[٢٩] ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ﴾:

﴿فَنَادَوْا﴾: الفاء عاطفة للتوكيد، نادوا: صاحبهم، أيْ: نادى قوم ثمود صاحبهم، قيل: هو قدار بن سالف يحثونه على عقر النّاقة.

﴿فَتَعَاطَى فَعَقَرَ﴾: تعاطى قيل: تعاطى معهم بالكلام على قتل الناقة، وقيل: انقاد لما طلبوا منه. ارجع إلى سورة الشعراء آية (١٥٥) لمزيد من البيان.

فتعاطىٰ: من عطا يعطو، أيْ: تناول السيف، فكأنهم كانوا متردِّدين في عقر الناقة، فكل واحد يريد إعطاء غيره آلة العقر (السيف) حتىٰ أخذه قدار بن سالف.

فعقر النّاقة: الفاء للمباشرة والتّعقيب، والعقر: هو الذّبح أو الجرح أو قطع عضو من أعضاء النّاقة؛ مما أدَّىٰ إلىٰ أن تنزف حتىٰ الموت.

[٣٠] ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾:

﴿فَكَيْفَ﴾: للاستفهام والتّهويل والتّعظيم.

﴿كَانَ عَذَابِي﴾: بالصّيحة الواحدة كانوا كهشيم المحتظر.

﴿وَنُذُرِ﴾: مصدر إنذار أو جمع نذير أو جمع إنذار علىٰ لسان صالح حين قال لهم: ﴿تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ [هود:٦٥].

[٣١] ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ﴾:

﴿إِنَّآ﴾: للتعظيم ولتعظيم ما أرسله سبحانه عليهم.

﴿أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ﴾: علىٰ ثمود قوم صالح.

﴿صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾: الصّيحة عذاب من السماء، واحدة للتوكيد. ارجع إلىٰ سورة الأعراف آية (٧٨) لمزيد من البيان في معنىٰ الصيحة.

﴿فَكَانُوا۟﴾: أيْ: ثمود، الفاء للسببية.

﴿كَهَشِيمِ﴾: الكاف للتشبيه، هشيم المحتظر: هو النبات وورق الشّجر اليابس والعشب والحشيش الذي جف ويبس وتحطم وتكسر، المتهشم: أي:

المتكسر المستعمل لطعام الحيوانات أو تدوس عليه الحيوانات، المحتظر: بكسر الظّاء، أي: الذي أُحضر للحظيرة لتأكله الماشية.

أو تقرأ المحتظَر: بفتح الظّاء، أي: الذي في الحظيرة، وسواء أُحضر أو كان في أرض الحظيرة من السابق.

فكانوا كهشيم المحتظر: أيْ: شبه جثث قوم ثمود بعد أن أخذتهم الصّيحة بالحشيش اليابس المتكسر الذي جمعه صاحبه في الحظيرة لماشيته.

[٣٢] ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو استئنافية، لقد: اللام للتوكيد، قد للتحقيق.

﴿يَسَّرْنَا﴾: سهلنا وأعنّا وهيأنا.

﴿ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾: للحفظ والتّلاوة (القراءة) وللتذكر والاتعاظ والتّدبر والتّعلم.

﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾: فهل استفهام فيه معنى الحثِّ والحضِّ على حفظ القرآن وتلاوته وتدبره، من: استغراقية، مدكر: ذاكر يذكره أو حافظ يحفظه أو قارئ يقرؤه.

ارجع إلى الآية (١٧) من نفس السورة لمزيد من البيان.

[٣٣] ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ﴾:

كذبت قوم لوط بالنذر حين دعاهم لوط عليه السلام إلى عبادة الله وحده والكف عن الفاحشة، وهي إتيان الذّكران من العالمين، والكف عن الفساد وإتيان

المنكـــر في ناديهم، كذبوا بكل إنذار كذبـــت، ولم يقل: كذب قوم لوط: كذبت: تدل على كثرة التكذيب. ارجع إلى الآية (٢٣) من نفس السورة لمزيد من البيان.

[٣٤] ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٖۖ نَّجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٖ﴾:

﴿إِنَّآ﴾: للتعظيم.

﴿أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ حَاصِبًا﴾: عليهم حجارة من ســـجيل منضود هذا كان جزءاً من العذاب. ارجع إلى سورة الحجر آية (٧٤) لمزيد من البيان.

﴿إِلَّآ﴾: أداة استثناء.

﴿ءَالَ لُوطٖ﴾: أيْ: ذريته، ابنتاه.

﴿نَّجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٖ﴾: قيل: الجزء الأخير من الليل قبيل طلوع الفجر. (بقطع من الليل)، بسحر: الباء ظرفية زمانية، أيْ: وقت السّحر.

﴿نَّجَّيۡنَٰهُم﴾: ولم يقل: أنجيناهم: نجيناهم يدل على نجاتهم اســـتغرق زمن طويل وببطء؛ أي: من قوموط، أما أنجيناهم فيدل على السّرعة.

[٣٥] ﴿نِّعۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَن شَكَرَ﴾:

﴿نِّعۡمَةٗ﴾: أيْ: نجاتهم كان نعمة من الله تعالى.

﴿مِّنۡ عِندِنَا﴾: أيْ: نعمـــة خاصة به (بلوط)، من عندنـــا: ولم يقل: منا التي تدل على نعمة عامة للكافر والمؤمن، من عندنا: تخص المؤمنين (لوط وابنتيه).

﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَن شَكَرَ﴾: أيْ: مثـــل ذلك الجزاء بالنّجـــاة، كما أنجينا لوط وذريته ننجي كل مؤمن شاكر لله مطيع لأوامره ومتجنب لنواهيه، ومن شكر نعمة

الأزواج كما قال تعالىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾ [النحل:٧٢]، شكر نعمة السكن إلىٰ الأزواج، والمودة، والرحمة.

من: استغراقية، شكر: نعمة ربه والشّكر يكون بالإيمان به باللسان والعمل الصّالح وطاعته وعدم جحد نِعمه التي لا تعد ولا تحصىٰ، ومنها نعمة (ما خلق لنا ربنا من أزواجنا)، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (١٤) في نفس السورة، نجد الآية (١٤) جاءت في سياق نوح الذي كفر به قومه فأنجاه الله علىٰ ذات ألواح ودسر، والآية (٣٥) جاءت في سياق لوط الذي أنجاه الله وأهله من الحاصب؛ أي: المطر من سجيل منضود.

[٣٦] ﴿ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ ﴾:

﴿ وَلَقَدْ ﴾: الواو استئنافية، اللام للتوكيد، قد للتحقيق.

﴿أَنذَرَهُم﴾: انظر كيف قدم ذكر نجاة لوط أولاً ثم عاد ليذكر كيف أنذرهم، وما فعلوه بعد الإنذار، وكيف أخذهم أخذ عزيز مقتدر كما أخذ آل فرعون؛ أيْ: نبيهم لوط، أنذر قومه والإنذار هو الإبلاغ مع التّحذير والتّخويف بطشتنا إضافة نون الجمع، نون العظمة للدلالة علىٰ شدتها وهولها. بطشتنا، أيْ: أنذرهم بأخذهم بالعذاب والهلاك بقوة وشدة.

﴿فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ﴾: الفاء علىٰ التّرتيب والتّعقيب، تماروا: جادلوا بالباطل بعد أن بيَّن لهم لوط الحق والصّواب، وكذبوا بالنّذر وشكوا بوقوعها. فتماروا: من المراء وهو الجدال بعد تبيُّن الحق وظهوره.

[٣٧] ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: كما في الآية السّابقة وتفيد التوكيد.

﴿رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ﴾: المراودة المطالبة بالرّفق واللين، وأن لا يفضحهم، والمراودة تفضي إلىٰ رفض الطّلب أو الاستجابة له، أيْ: طلبوا من لوط أن لا يمنعهم عن ضيفه، وضيفه: الضيف قد تأتي في سياق المفرد، والمثنىٰ، والجمع، وهنا تعني: الجمع؛ أيْ: يمكنهم من ضيفه ليفعلوا الفاحشة بهم. ورفض لوط عليه السلام، وقال لهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ [هود: ٧٨].

﴿فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ﴾: أذهبنا نور أبصارهم فلم يروا الرّسل، أيْ: أعميناهم عمًىٰ مؤقتاً مع بقاء العين في مكانها، وأما الطّمس علىٰ الأعين كما ورد في سورة ياسين آية (٦٦) فيختلف عن الطّمس في آية القمر، فالطمس في سورة ياسين يعني: العمىٰ مع المسح علىٰ العين، فلا يُرىٰ لها مكان أو أثر مع الذّهاب بالعين كاملاً والجفن والحاجب، فلا أثر لوجود العين.

﴿فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾: الفاء للترتيب والتّعقيب، ذوقوا عذابي ونذري الواقع وقت الشّروق وما أنذرتكم به.

[٣٨] ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٣٦).

﴿صَبَّحَهُم بُكْرَةً﴾: جاءهم العذاب في الصّباح وتحديداً ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ﴾ [الحجر: ٧٣]، بكرة: هنا للتوكيد والبكرة أو النّهار.

﴿عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ﴾: أيْ: عذاب دائم لم يفارقهم أو ينفك عنهم حتىٰ قضىٰ

عليهم جميعاً، وقيل: عذاب يستمر ويدوم من ذلك الصّباح إلىٰ أن يقذف بهم في جهنم، وبعدها خالدين فيه أبداً.

[٣٩] ﴿فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾:

توكيد لشدة ما حل بقوم لوط، أيْ: لا حسرة ولا أسف عليهم، وفي هذا إنذار لكفار مكة.

[٤٠] ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾:

ارجع إلىٰ الآية (٣٢) السّابقة للبيان.

[٤١] ﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٣٦) للبيان.

﴿ٱلنُّذُرُ﴾: موسىٰ وهارون والآيات التّسع ومنها العصا واليد والطّوفان والجراد والقمل والسّنين. ارجع إلىٰ الآية (٢٣) للبيان.

[٤٢] ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَـٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾:

﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾: التّسع.

﴿كُلِّهَا﴾: توكيد بالتّكذيب.

﴿فَأَخَذْنَـٰهُمْ﴾: الفاء: تدخل علىٰ التعقيب والمباشرة، أخذناهم: الأخذ يدل علىٰ الانتقام بشدة وقوة؛ أيْ: عقبناهم أو انتقمنا منهم بإغراقهم في اليم عن بكرة أبيهم بما فيهم فرعون الطّاغية وجنوده.

﴿أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾: أخذ العزيز، أي: الذي لا يُقهر لا يُغلب، مقتدر: لا

يعجزه شـــيء في الأرض ولا في السّـــماء وهو على كل شيء قدير، مقتدر صيغة مبالغة من القدرة والسيطرة كثير القدرة والقدرة صفة ثابتة له.

[٤٣] ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾:

﴿أَكُفَّارُكُمْ﴾: الهمزة همزة استفهام إنكاري يقصد به النّفي.

﴿خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ﴾: أيْ: ما كفاركم يا أهل مكـــة خير أو أفضل من كفار من تقدَّمكم من الأمم السّـــابقة مثل قوم نوح أو عاد أو ثمود، وغيرهم الذين أهلكوا بســـبب تكذيبهم برسلهم، فأنتم ليس أقل منهم كفراً وعناداً حتى يكون ذلك سبباً لشعوركم بالأمن من نزول العذاب بكم كما نزل بمن سبقكم من الأمم.

﴿أَمْ لَكُمْ﴾: أم للإضراب الانتقالي والهمزة همزة استفهام إنكاري.

﴿بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾: في الكتب السّماوية المتقدِّمة أنه من كفر وكذب بالرّسل من أهل قريش كان آمناً من عذاب الله.

ارجع إلى سورة النساء آية (١٦٣) لمزيد من البيان في معنى الزبر.

[٤٤] ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾:

﴿أَمْ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري وأم للإضراب الانتقالي.

﴿يَقُولُونَ﴾: أيْ: كفار مكة وجاء بصيغة المضارع لتدل على التّجدُّد والتّكرار.

﴿نَحْنُ﴾: للتوكيد.

﴿جَمِيعٌ﴾: للتوكيد.

﴿مُّنتَصِرٌ﴾: نحن جمع منتصر على محمّد وأصحابه، أيْ: لا نُغلب ولا نُقهر.

منتصر: اسم فاعل من فعل انتصر الخماسي على وزن مفتعل.

[٤٥] فرد الله عليهم بقوله: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾:

﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ﴾: السّين للاستقبال القريب، وكان ذلك بعد عدة سنوات (٣-٤) بعد نزول هذه الآية في غزوة بدر الكبرى، فهذه الآية نزلت في مكة قبل الهجرة، وقبل فرض الجهاد تخبر بما سيحدث في بدر، وهي دليل على صدق القرآن، وأنه منزل من رب العالمين وصدق رسالة محمّد ﷺ، فقد قتل أكثر من (٧٠) من صناديد كفار قريش وأسر (٧٠).

﴿وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾: وولى هارباً من بقي حياً من هؤلاء الكفار.

ويولون الدبر: ولم يقل: ويولون الأدبار؛ كما جاء في سورة الأنفال آية (١٥) ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ﴾: يولون الدّبر بدلاً من الأدبار، أيْ: وحَّد الأدبار؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى جعل هزيمتهم كهزيمة رجل واحد لتهويل هزيمتهم والاستخفاف بهم. ويولون الدبر أسوأ وأبشع من تولوهم الأدبار؛ لأنّ لكل واحد منهم مقاومة واعتبار وشأن.

[٤٦] ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾:

﴿بَلِ﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿السَّاعَةُ﴾: أيْ: يوم تهدم النظام الكوني ويختلف عن يوم القيامة: يوم

القيامة: يوم البعث وقيام الناس من قبورهم للحساب والجزاء. ارجع إلى الآية (١) من نفس السورة.

﴿وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾: والساعة: الواو الحالية للتوكيد. أدهى: من الدّاهية من الفعل دهى، وأدهى اسم تفضيل على وزن أفعل. وهي الأمر الفظيع الذي لا يصدقه عقل، وأَمَر: أشد مرارة وألماً من عذاب الدّنيا، وأصعب على النّفس من القتل والأسر في الدّنيا، تكرار لفظ السّاعة للتوكيد والإنذار والتّخويف. وأمر: اسم تفصيل من مرَّ.

[٤٧] ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾:

﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: إن للتوكيد، المجرمين: المشركين الكافرين وأصحاب الكبائر. ارجع إلى سورة الأنعام آية (٥٥)، وسورة الجاثية آية (٣١) لمزيد من البيان في معنى المجرمين.

﴿فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾: في ضلال: في ضياع وبعد عن الحق في الدنيا، ويوم القيامة في هلاك، وسعر: نيران متأجِّجة مستعرة بهم.

[٤٨] ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ﴾:

﴿يَوْمَ﴾: القيامة، والتنكير للتهويل والتعظيم.

﴿يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾: أيْ: يُجَرُّون في النّار على وجوههم.

﴿ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ﴾: سقر قيل: اسم علم من أسماء النّار أو دركة من دركاتها السبع، المس: أخف اللمس أو مجرد المس الخفيف، ذوقوا حرها وعذابها،

وسُمِّيت بسقر؛ لأنّها تذيب الأجسام، مشتقة من سقرته الشمس: أيْ: أذابته.

ارجع إلىٰ سورة الرعد آية (١٨) لمزيد من البيان.

[٤٩] ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾:

﴿إِنَّا﴾: للتفخيم والتّعظيم.

﴿كُلَّ﴾: بالنّصب، لم يقل: (كلٌّ) بالرّفع، بالنصب تعني: كل شيء خلقه الله سبحانه بقدر مهما كان نوعه وشكله ولونه وحجمه ووزنه، أو أيُّ شيء، ولو قال: كلٌّ شيء خلقناه بقدر؛ لدل ذلك علىٰ أنّ الله خلق الأشياء علىٰ قسمين قسم خلقه الله بقدر، وقسم خلقه بلا قدر.

انظر الآية (٥٢، ٥٣) القادمة للمقارنة، وهي قوله تعالىٰ: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ۝٥٢ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ﴾ خلقناه بقدر: بقياس وحجم ووزن ومساحة وطول وعرض، ومحدد بحدود، وبقدر: أيْ: بقضاء وقدر من الله سبحانه، أي: مقدَّر محكم، وكما قال ابن عباس: كل شيء بقدر حتىٰ وضع يدك علىٰ خدك.

❖ ❖ ❖

وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَآ
أَشۡيَاعَكُمۡ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ
فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٞ ﴿٥٣﴾ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ
فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ﴿٥٤﴾ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۢ ﴿٥٥﴾

## سُورَةُ الرَّحۡمَٰنِ

ترتيبها ٥٥ — آياتها ٧٨

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلرَّحۡمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ﴿٣﴾
عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ﴿٤﴾ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ﴿٥﴾ وَٱلنَّجۡمُ
وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ﴿٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ
﴿٧﴾ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ
وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ ﴿١٠﴾
فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ ﴿١١﴾ وَٱلۡحَبُّ ذُو ٱلۡعَصۡفِ
وَٱلرَّيۡحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ خَلَقَ
ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ
مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾

الجزء ٥٤

## سورة القمر [الآيات ٥٠ - ٥٥]

[٥٠] ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾:

﴿وَمَآ﴾: الواو عاطفة، ما: النّافية.

﴿أَمْرُنَآ﴾: إذا أردنا أيَّ أمر خلقه، مهما كان خلقه أو إحضاره أو تغييره أو تبديله أو فناؤه أو إحياؤه أو المجيء بالسّاعة وقيام القيامة. إلا كلمح البصر كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل:٧٧].

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾: واحدة، أيْ: مرة واحد كلمح بالبصر، أيْ: إذا أراد الله سبحانه شيئاً أو قضىٰ أمراً في الخلق قال له: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾: كلمح البصر، أو مجيء الساعة وانهيار الكون.

[٥١] ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو استئنافية، لقد اللام للتوكيد، قد للتحقيق.

﴿أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ﴾: الأشياع: أعم من الأتباع، والأتباع: هم أنصار الرجل أو الرسول، والأتباع من كانوا معه فقط، ولا تضم المتأخرين الذين جاءوا بعده. الأشياع: كل من جاء بعد رسول الله ﷺ من غير الصحابة هم أشياعه: وهي عامة، واتباعه من كانوا معه مثل الصحابة، وقد تعني أشياعكم؛ أيْ: أمثالكم في الكفر من الأمم السّابقة أو من يشابهكم في التّكذيب والشّرك والمعاصي، وأشياع تضم المتقدِّمين والمتأخِّرين.

﴿فَهَلْ﴾: الفاء للتوكيد، هل: استفهام بمعنىٰ الأمر أو الحضِّ والحثِّ، أي: اذكروا واتعظوا وآمنوا خيراً لكم.

﴿مِن مُّدَّكِرٍ﴾: من ابتدائية، مدكر: متذكر متعظ. ارجع إلىٰ الآية (١٧) من نفس السورة.

انتبه: إلىٰ الفرق بين أتباع الرّجل وأشياع الرّجل.

الأتباع: من كان معه في زمنه من أنصاره. الأشياع: هم الأتباع الذين جاؤوا بعد فترة من الزّمن، والأشياع أعم من الأتباع.

[٥٢] ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾:

﴿وَكُلُّ﴾: بالرفع مما يدل علىٰ أن كل أعمالهم مدونة في كتب الحفظة (أعمال العبد) يعلمها الكرام الكاتبين، وهناك أعمال أخرىٰ لا يعلمها الحفظة (الملائكة) لكي يكتبوها، والله سبحانه يعلمها كأعمال القلوب وذوات الصدور.

بخلاف قوله تعالىٰ: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢].

كلَّ جاءت في سياق اللوح المحفوظ فكل شيء مدون في اللوح المحفوظ. أو قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾: فالنّصب هنا دال علىٰ عموم الخلق فليس هناك ثمة شيء لم يخلقه الله بقدر.

﴿الزُّبُرِ﴾: جمع زبور وهو كل كتاب ذي حكمة يزبر، أيْ: يزجر عن الباطل، ويدعو إلىٰ الحق، والزّبر قد تعني: الكتب السّماوية. ارجع إلىٰ سورة النساء آية (١٦٣) لمزيد من البيان..

[٥٣] ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾:

﴿وَكُلُّ﴾: ارجع إلىٰ الآية السابقة (٥٢)، وجاءت بالضم؛ لأن هناك أعمال أو نوايا لا تعلمها الملائكة الكرام الكاتبين، ولكن الله يعلمها ويحصيها لهم ليوم القيامة.

﴿صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾: من الأعمال (الأقوال والأفعال).

﴿مُّسْتَطَرٌ﴾: مكتوب مستطر: اسم مفعول من استطر؛ أيْ: تكتبه الملائكة الموكلين بالعبد؛ أيْ: الكرام الكاتبين، ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ [ق: ١٧].

[٥٤] ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ﴾:

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾: إن للتوكيد.

﴿فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ﴾: جمع الجنات وحدّ النّهر، بينما في الآيات الأخرىٰ في جنات تجري من تحتها الأنهار. فلماذا جمع الجنات وأفرد النهر؛ لأن:

﴿وَنَهَرٍ﴾: اسم جنس يعني: النّهر الواحد أو الاثنين أو الثّلاثة أو أكثر. وفسر ابن عباس ونهر: قد تكون مشتقة من النهار: أي: الضياء، أي: هم في جنات ونور، وقد تعني السعة: سعة المنازل، والرزق، والعيش، وقد تعني: كل ذلك؛ فهذه الكلمة نهر: قد جمعت كل تلك المعاني.

[٥٥] ﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾:

﴿فِى﴾: ظرفية مكانية.

﴿مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾: في مكان مرضيٍّ حقٍّ ثابت لا يزول ولا يتغيَّر، ويعني الخير: وهو الجنة؛ فهي المقام الوحيد الصدق الذي لا يزول.

﴿عِندَ﴾: العندية هنا لا مثيل لها، عندية القربىٰ والزّلفىٰ والدّرجة الرّفيعة.

﴿مَلِيكٍ﴾: أيْ: الملك العظيم الحاكم؛ بل هو: أعظم الملوك ذو الملك الواسع الذي له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وليس ملك، مليك أبلغ من ملك علىٰ وزن فعيل، وتدل علىٰ الثّبوت عند مليك عظيم القدرة سبحانه وتعالىٰ.

﴿مُّقْتَدِرٍ﴾: القدرة: البالغة التي لا يحدها والتي لا نهاية لها، تفيد المبالغة في القدرة لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السّماء عظيم القدرة والعطاء والجزاء والكرم شديد القدرة، ومقتدر أبلغ من قدير.

❖ ❖ ❖

وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَآ
أَشۡيَاعَكُمۡ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ
فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٞ ﴿٥٣﴾ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ
فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ﴿٥٤﴾ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۢ ﴿٥٥﴾

## سُورَةُ الرَّحۡمَٰنِ

ترتيبها ٥٥ — آياتها ٧٨

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلرَّحۡمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ﴿٣﴾
عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ﴿٤﴾ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ﴿٥﴾ وَٱلنَّجۡمُ
وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ﴿٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ
﴿٧﴾ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ
وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ ﴿١٠﴾
فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ ﴿١١﴾ وَٱلۡحَبُّ ذُو ٱلۡعَصۡفِ
وَٱلرَّيۡحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ خَلَقَ
ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ
مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾

الجزء ٥٤

## سورة الرحمن [الآيات ١ - ١٦]

ترتيبها في القرآن (٥٥) وترتيبها في النزول (٩٧).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الرَّحْمَٰنُ﴾:

انتهت سورة القمر بقوله: ﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ هو الرّحمن أو مليك مقتدر، الرّحمن، وابتدأت هذه السورة باسم من أسماء الله الحسنىٰ (الرحمن)، وختمت باسم آخر من أسمائه الحسنىٰ (ذي الجلال والإكرام).

من أسماء الله الحسنىٰ المشتقة من الرّحمة صيغة مبالغة علىٰ وزن فعلان كثير الرّحمة لا أرحم منه لخلقه، ويدل علىٰ التّجدد والتّكرار أي رحمته تعالىٰ في تجدد وتكرار واستمرار وقد قيل أنّه رحمان الدّنيا رحمته تشمل المؤمن والكافر.

وأمّا الرّحيم فهو خاص بالمؤمنين. ارجع إلىٰ سورة الفاتحة آية (١) لمزيد من البيان.

[٢] ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾:

يستهل الله سبحانه سورة الرحمن بذكر أعظم النعم الإلهية علىٰ عبده وأجلها علىٰ الإطلاق نعمة تعلم القرآن.

﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾: أيْ: علم تلاوته ومعانيه وحفظه وتدبره، وتم ذلك عن طريق جبريل عليه السلام لرسول الله ﷺ، ثم بالتواتر عن رسول الله ﷺ إلىٰ الصحابة، ثم الصحابة إلىٰ التابعين، وهكذا حتىٰ وصل إلينا.

فبدأ باسم الرّحمن المشتق من الرّحمة، ومن أجلّ وأعظم مظاهر رحمته

تعالىٰ أنّه علَّم عباده القرآن، ويسره عليهم، فقد قال في أربع آيات في سورة القمر: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧]؛ ليؤكد علىٰ هذا الأمر العظيم.

[٣] ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ﴾:

لطاعته ولعبادته، فقد قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، وعبادته سبحانه لا تتم إلا بتعلم القرآن، فكيف نصلي من دون القرآن، وقدَّم علم القرآن علىٰ خلق الإنسان؛ لأنّ القرآن العظيم أسبق في الوجود من خلق الإنسان، وكأنّ إحدىٰ العلل لخلق الإنسان هي تعلم القرآن.

وكلمة الإنسان مشتقة من الإنس خلاف النّفور، أيْ: يأنس بغيره أو مشتقة من الإيناس؛ أي: كونه يُرىٰ وظاهر، وليس كالجن مختفياً عن الأبصار.

الإنسان: اسم جنس.

[٤] ﴿عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾:

﴿عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾: هاء الضمير تعود علىٰ الرحمن، فالرحمن علم آدم الأسماء كلها، فهو أول الأنبياء وعلم الرسل والأنبياء عن طريق الوحي، ثم تعلم جيل عن جيل.

﴿ٱلْبَيَانَ﴾: يعني: القدرة علىٰ التعبير عما يجول في النفس؛ أي: النّطق والكتابة والفهم والقول، والقدرة علىٰ التعلم والتعبير، والبيان في الحقيقة: إظهار المعنىٰ للنفس كائناً ما كان؛ فهو في الحقيقة من قبيل القول. (معجم الفروق اللغوية).

[٥] ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾:

﴿بِحُسْبَانٍ﴾: الباء للإلصاق؛ بحسبان: (للاستعانة بها علىٰ حساب الزّمن)، حسبان: علىٰ وزن فعلان صيغة مبالغة في الحساب والدّقة للزمن، فهو ليس مجرد

حساب، ولكنه حسبان لا يحتمل أدنىٰ خطأ أو زلل نحسب اليوم والشّهر والسّنة والسّاعة والدّقيقة والثّانية، وأقل من ذلك.

الشّمس بحسبان قد تعني: بحساب دقيق معلوم كم تبعد بُعداً ثابتاً لا يتغيَّر عن الأرض، وعن غيرها من الكواكب وعن القمر، وكم سرعة دورانها وجاذبيتها ودورانها حول مركز المجرة، والقمر كذلك بحساب دقيق كم يبعد عن الأرض وعن الشّمس وغيره من الكواكب وسرعة دورانه حول نفسه وحول الأرض وحول الشّمس، فلو اقترب القمر قليلاً من الأرض لجذبته الأرض وارتطم بها، ولو ابتعد قليلاً عن الأرض لانعدم المد والجزر في البحار، ولجذبته كواكب أخرىٰ.

الشمس بحسبان: أيْ: نحسب بها السّاعات، ونعرف بها وقت الفجر والظّهر والعصر والمغرب والعشاء، ونحسب بها اليوم والسّنة الشّمسية.

والقمر: نحسب به الشّهر والسّنة القمرية.

إذن لحساب الزمن، أي: الأيام والسّاعات والشّهور والسّنين نعتمد علىٰ نظامين.

النّظام الشّمسي والنّظام القمري. فدورة الأرض حول محورها تحدِّد اليوم ووقوع الشمس في أحد الأبراج الاثني عشر يحدِّد لنا الشهر الشمسي.

ودورة الأرض في مدارها حول الشمس تحدد السنة.

ودورة القمر حول الأرض يحدد الشهر القمري. ارجع إلىٰ سورة الإسراء آية (١٢) للبيان المفصل في السنة الشمسية والسنة القمرية.

وثبات بعض الأجرام عن بعضها البعض بما فيها الشمس والقمر والأرض والنجوم وغيرها من أعظم دلالات قدرة الله وعظمته.

[٦] ﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾:

﴿وَٱلنَّجْمُ﴾: النّبات الذي لا ساق له، وسُمِّي النّبات بالنّجم؛ لأنّه يظهر ويطلع من الأرض، أو ينجم من الأرض.

﴿وَٱلشَّجَرُ﴾: الذي له ساق.

﴿يَسْجُدَانِ﴾: لله تعالىٰ ـ سجود لا يعلم كهنه إلا الله ـ كما قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [النحل: ٤٩].

وقيل: السّجود هو الخضوع والسجود لا يكون إلا لله وحده.

والشمس والقمر آيتان في السماء والنجم والشجر آيتان في الأرض والكل يسجد ويسبح لخالقه ويخضع له.

يسجدان: بصيغة المضارع تدل علىٰ التّجدُّد والتّكرار.

[٧] ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴾:

﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا﴾: بعمدٍ لا نراها وبناها بأيد (بقوة وتماسك) بالقوىٰ الكهرومغناطيسية وقوىٰ الجاذبية والنووية؛ مما يدل علىٰ عظمته وقدرته.

ارجع إلىٰ سورة الرعد آية (٢) لمزيد من البيان..

﴿وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴾: خلق الميزان، أيْ: أوجد الآلة التي نزن بها الأشياء ليتحقق العدل والقسط، وهذا من أكبر النعم حتىٰ يقام القسط.

[٨] ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي ٱلْمِيزَانِ﴾:

﴿أَلَّا﴾: أصلها (أن): التّعليلية و(لا): الناهية.

لكي لا تجوروا في الميزان بالتّطفيف في الكيل والوزن، كما قال تعالىٰ: ﴿إِذَا ٱكْتَالُوا عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين: ٢-٣].

﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾: أيْ: تأخذوا ما ليس لكم به حقٌّ. ارجع إلىٰ سورة المطففين آية (١-٣).

[٩] ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾:

﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾: القسط في اللغة: النّصيب والحصة، واصطلاحاً: العدل مع التّنفيذ، أيْ: زنوا بالقسطاس المستقيم والقسط، يعني: عدم الجور والظّلم حين البيع أو الشّراء، فإذا ابتعتم أو اشتريتم فلا تأخذوا أكثر من حقكم ونصيبكم، وإذا بعتم لا تخسروا الميزان؛ أيْ: تنقصوا الميزان، وقوله تعالىٰ: ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾، ﴿وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ للتأكيد علىٰ إيفاء الحقوق لأصحابها، وكذلك الحكم بالعدل كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء:٥٨]، ثم بعد الحكم عليكم بتطبيق الحكم وليس مجرد الحكم.

والباء للإلصاق والإلزام، فقد يكون الإنسان عادلاً، وليس بالضرورة مقسطاً، وفي القرآن الكريم نجد أن الوزن يأتي مقروناً بالقسط، والقسطاس هو الميزان، كما قال تعالىٰ: ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ [الإسراء:٣٥].

[١٠] ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾:

﴿وَالْأَرْضَ﴾: هذه الأرض التي تكونت منذ (٤،٥٤ بليون سنة).

﴿وَضَعَهَا﴾: أعدها وهيأها؛ أي: ﴿دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾ [النازعات:٣٠-٣٢]، وتم إعدادها الذي استغرق ملايين السنين لنراها اليوم كما هي، ونتمتع وننتفع بها فهي من أكبر النعم.

﴿لِلْأَنَامِ﴾: اللام: لام الاختصاص للخلق الجن والإنس، فالأنام يشمل الإنس والجن، وأما البشر تعني: الإنس (الإنسان).

[١١] ﴿فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ﴾:

﴿فِيهَا﴾: أيْ: في الأرض ظرفية.

﴿فَٰكِهَةٌ﴾: اسم جنس، وتشمل الفواكه والثمار فهو أعم من فواكه؛ أي: يشمل المفرد والمثنىٰ والجمع، وأما فواكه فهي للجمع.

﴿وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ﴾: الأكمام جمع كم، أي: النّخل ذات الأوعية التي يكون فيها الثّمر، كم: أو الطّلع قبل أن يتفتق.

[١٢] ﴿وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ﴾:

﴿وَٱلْحَبُّ﴾: كل ما يقتات به من الحبوب مثل البر والشّعير والقمح والأرز والذّرة وسائر ما يتغذىٰ به من الحب.

﴿ذُو ٱلْعَصْفِ﴾: ذو التّبن والقشر سُمِّيَ عصفاً؛ لأن الرّياح تعصفه فيطير لخفته.

﴿وَٱلرَّيْحَانُ﴾: كل مشموم طيب الرّائحة من النّباتات والزّهور للتلذذ بطيب رائحته.

[١٣] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾:

﴿فَبِأَيِّ﴾: الفاء رابطة لجواب شرط مقدَّر، أيْ: إذا كانت هذه كلها من نعم الله تعالىٰ، فبأيِّ النّعم تكذِّبون، أيِّ: استفهام تقريري وجوابه هو: ويل يومئذ للمكذبين.

﴿ءَالَآءِ﴾: النّعم مفردها إلي.

﴿رَبِّكُمَا﴾: الخطاب موجَّه إلىٰ الثّقلين الإنس والجن.

﴿تُكَذِّبَانِ﴾: تجحدان أو تكفران: الكفر لغة هو السّتر.

وقد كرَّر سبحانه هذه الآية (٣١) مرة في السّورة للتذكير بنعم الله والتوكيد

عليهـــا والتي لا تعد ولا تحصىٰ، فكلما ذكر ســـبحانه نعمة أنعم بها علىٰ الثّقلين سألهم أن يشكروا الله تعالىٰ عليها وأن لا يكذبوها ولا ينكرونها.

[١٤] ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾:

لفهم هذه المرحلة من خلـــق آدم لا بُدَّ من ذكر المراحل التي مرَّ فيها خلق آدم عليه السلام.

**فالمرحلة الأولىٰ**: من تراب.

**والمرحلة الثانية**: من طين: تراب+ ماء، ووصفه بأنّه طين لازب، أي يلتصق باليد.

**المرحلة الثّالثة**: مرحلة الحمأ المســـنون، أيْ: تـــرك الطّين اللازب ليجفَّ ويصيبَه العفن نتيجة تفاعل البكتريا في التّراب، ثم يصبح الطّين مسوداً نتناً وتتغيَّر رائحته، المسنون: المتغيِّر بسبب مكثه فترة طويلة.

**المرحلة الرابعة**: الصلصال فالطين الذي جف وتعفن (نتن) واسودَّ بعد تركه زمناً طويلاً يصبح له صوت إذا نقر عليه يشبه صوت الصّلصال، أي: الفخار أو الخزف.

**المرحلة الخامســـة**: مرحلة نفخ الروح. ارجع إلىٰ سورة الحجر آية (٢٦) لمزيد من البيان.

[١٥] ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾:

﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ﴾: أيْ: إبليس أبا الجن من مارج.

﴿مَّارِجٍ﴾: لهب النّار الصّافي، أي: الخالي من الدخان، من اللهب الأحمر والأصفر والأخضر، وقيل: المختلط بسواد النّار من مرج إذا اختلط واضطرب.

[١٦] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾:

ارجع إلىٰ الآية (١٣) للبيان.

❖ ❖ ❖

رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾
مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ
﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ
وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٢٨﴾ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ
أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ
إِلَّا بِسُلْطَـٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا
شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ
﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ
إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾

## سورة الرحمن [الآيات ١٧ - ٤٠]

[١٧] ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾:

أولاً: إذا نظرنا في هذه الآية نجد أنّها تختلف عن الآيات الأخرىٰ وهي قوله:

﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ [الشعراء: ٢٧].

﴿بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾ [المعارج: ٤٠].

فقد تكرَّر ذكر (ربِّ) مرتين في هذه الآية، وصيغة المشرق والمغرب بالتثنية، وتكرار كلمة (ربِّ) تدل علىٰ أنّ هناك مشرقين ومغربين مختلفين في الزّمان والمكان.

عند خط الاستواء يصبح للأرض نهايتين أقصىٰ اليمين وهو الشرق.

وأقصىٰ اليسار وهو الغرب، فعندما تدور الأرض حول محورها يتبدلان ويصبح هناك مشرقان للأرض ومغربان.

وأما قوله تعالىٰ: رب المشارق والمغارب، فيعني: لو تحركنا مع خطوط الطول والعرض لوجدنا ملايين المشارق والمغارب للشمس علىٰ الأرض.

وأما قوله تعالىٰ: رب المشرق والمغرب، فالأرض لها شمال حقيقي واحد ودائم يحدِّده لنا ربنا بالقطب الشمالي، ورغم حركة الأرض أو الكون يبقىٰ القطب الشمالي يشير إلىٰ الشمال ومقابل الشمال الجنوب، وبمعرفة الشمال والجنوب نحدِّد الشرق والغرب الحقيقي.

[١٨] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾:

ارجع إلى الآية (١٣) للبيان.

[١٩] ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾:

﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾: من المروج وهو الاختلاط مرج خلط، ولم يحدد في هذه الآية: ﴿هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ كما جاء في الفرقان آية (٥٣) يعني: أيَّ بحرين في العالم، لم يحدَّد مثل البحر الأحمر، والبحر المتوسط، أو البحر العذب مع البحر المالح الأجاج؛ أي: يوجد برزخ بين أي بحرين.

[٢٠] ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾:

البرزخ: حاجز فاصل.

﴿لَّا يَبْغِيَانِ﴾: أيْ: كل منهما لا يطغى على الآخر، فرغم وجود المرج (الاختلاط) الذي يظهر للعيان (العين) فإنّ مائهما لا يختلطان حقيقة، فلكل منهما تركيبة من حيث الشّوارد المعدنية، ومن حيث الملوحة والكثافة وحيواناته الخاصة به وحرارته، فهناك برزخ، أيْ: حاجز فاصل مكاني حقيقي بينهما يمنعهما من الاختلاط، أو أن يطغى أحدهما على الآخر.

وتفسير ذلك أن الأملاح تتأين تتفكك إلى ذراتها الحاملة لشحنات موجبة وسالبة، وتقف هذه الشحنات على حواف كل ماء لتتنافر مع الشحنات المتشابهة في الماء المجاور، وتجعل هذا الحاجز مانعاً حقيقيّاً يحول دون اختلاط الماءين اختلاطاً كاملاً وتجعل البيئة بيئة حقيقية مغلقة على ما فيها من أنماط الحياة ووجد العلماء أن مياه البحار كما تتمايز أفقيّاً وتتمايز رأسيّاً، أيْ: إذا أخذنا عموداً من الماء نجد فيه ماء من بيئات مختلفة (استوائية، ومعتدلة، وباردة...).

ووجد العلماء أن الماء في البحر الواحد له ألوان متعددة مختلفة متجاورة

تمتد لمساحات كبيرة، فكل بحر له ألوان خاصة به. ويتجلى ذلك لكل من يركب الطائرة، وينظر إلى ملتقى البحرين من الأعلى..

وقد دلت الأبحاث والتّجارب العلمية على هذه الحقيقة العلمية التي ذكرت في القرآن منذ أكثر من ١٤٠٠ عام؛ مما يدل على أنّ القرآن تنزيل من العزيز الحكيم.

[٢١] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾:

ارجع إلى الآية (١٣) للبيان.

[٢٢] ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾:

يخرج بالغوص والعثور على اللؤلؤ والمرجان.

وهي أحجار تسمَّى أحجار كريمة تستخدم للحُلي والزينة، ونصنع منها العقود والأساور والخواتم، فاللؤلؤ يتكون داخل حيوان المحار والمرجان يتكون من حيوان المرجان. وكلاهما من الحيوانات لافقارية، وكلاهما له ألوان مختلفة وكلاهما يشكل مصدراً للرزق.

﴿ٱللُّؤْلُؤُ﴾: الدّر يخرج من المياه العذبة. والمياه المالحة.

﴿وَٱلْمَرْجَانُ﴾: الخرز الأحمر. لا يخرج، أو لا يحيا إلا في الماء المالح فقط.

[٢٣] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾:

ارجع إلى الآية (١٣) للبيان.

[٢٤] ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ﴾:

﴿وَلَهُ﴾: تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر، له وحده.

﴿ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ﴾: الجوار: السّفن (الفلك)، المنشآت: الإنشاء هو الإحداث، أي: المصنوعات، ويطلق على الجوار الجريات أحياناً من حيث وصفها.

﴿فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ﴾: جمع علم وهو الجبل الطّويل، أيْ: شبّهَ السّفن التي تمخر البحار بالجبال الشّاهقة الطّويلة التي تحمل على ظهرها ما لا يتصوره عقل من البشر والمتاع والحاجات، وأحياناً الطّائرات والمدرعات والصّواريخ.

[٢٥] ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾:

ارجع إلى الآية (١٣) للبيان.

[٢٦] ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾:

﴿كُلُّ﴾: للتوكيد.

﴿مَنْ﴾: استغراقية، وتشمل المذكر والمؤنث والمفرد والجمع، من إنس وجن وحيوان وسائر المخلوقات، ومن للعاقل وغلب العقلاء، والمراد الثّقلان الإنس والجن.

﴿عَلَيْهَا﴾: على الأرض.

﴿فَانٍ﴾: ميت أو هالك.

[٢٧] ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾:

﴿وَجْهُ﴾: يقصد به الذّات ذات الله سبحانه، ويطلق على هذا في بديع اللغة: المجاز المرسل، وهو إطلاق الجزء وإرادة الكلّ، كقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص:٨٨] أيْ: ذاته، ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [لقمان:٢٢] أيْ: ذاته.

(ذو) نعت للوجه مرفوع وعلامة رفعه الواو، فذو تعود على الوجه وبالتّالي على الذّات.

﴿ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾: الجلال: ذو العظمة من جل الشّيء، أيْ: عَظُمَ إشارة إلى صفات الكمال، ذو المجد والكبرياء، والإكرام: ذو الفضل التّام والإحسان والإنعام والجود والكرم على عباده، وقيل: الجلال صفة ذاته والإكرام صفة فعله.

[٢٨] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾:

ارجع إلى الآية (١٣) للبيان.

[٢٩] ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾:

﴿يَسْـَٔلُهُۥ﴾: يدعوه ويطلب منه جميع خلقه ما يحتاجون إليه في كلّ شأن من شؤون حياتهم، وحال من أحوالهم.

﴿مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: من للعاقل واستغراقية، تعني: للجميع، في السّموات: أي: الملائكة يسألونه أن يغفر للذين آمنوا، ولمن في الأرض كقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ﴾ [غافر:٧-٩] ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى:٥].

﴿ٱلْأَرْضِ﴾ أي: الإنس والجن، يسألونه الرّزق والصّحة والعافية والأمن والمتاع والأولاد والأهل وكلّ شيء.

﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾.

﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾: كلّ: تفيد التّوكيد. واليوم: قد يعني يومنا (٢٤ ساعة)،

أو اليوم في القرآن يعني: مقابل النهار، مع شـأنه لا ينتهي ليلاً ولا نهاراً؛ فهو في شأن دائماً، وكل لحظة يبدأ فيها يوم تسمىٰ آن؛ أي: كل آن في شأن.

الشّـأن: لا يقال إلا فيما يعظم من الأحوال والأمور، فكلّ حال شأن وليس كلّ شأن حال، الشّأن أعم والحال أو الأمر الأخص.

أيْ: كلّ وقت ولحظة يحدث أموراً ويجدِّد أحوالاً حسـبما تقتضيه مشيئته المبنية علىٰ الحكمة البالغة، فيغفر ذنوباً ويُفرج كروباً ويرفع أقواماً ويضع آخرين، يحيي ويميت، يعز ويذل يُغني ويفقر ويجيب داعياً، ويعطي سائلاً ويخلق ويرزق ويشفي ويُمرض ويعافي ويبتلي.

[٣٠] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾:

ارجع إلىٰ الآية (١٣) للبيان.

[٣١] ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾:

﴿سَنَفْرُغُ﴾: السّين للاستقبال القريب، سـنفرغ: الفراغ هنا هو القصد إلىٰ الشّـيء والإقبال عليه كمن تفرَّغ وتهيّأ واستعد للحسـاب والجزاء، ولم يشغله شاغل، أيْ: سنفرغ لحسـابكم ومجازاتكم علىٰ أعمالكم عن القريب، أي: يوم القيامة، وفي هذا تهديد ووعيد للثقلين الجن والإنس.

[٣٢] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾:

ارجع إلىٰ الآية (١٣) للبيان.

[٣٣] ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾:

﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾: ياء النّداء للبعد، معشر الجن والإنس: أي: الثّقلين.

﴿إِنِ﴾: شرطية تفيد الاحتمال والشّك.

﴿ٱسْتَطَعْتُمْ أَن﴾: أن: حرف مصدري يفيد التّعليل.

﴿تَنفُذُوا﴾: تخرقوا يقال: نفذ المسمار في الخشب، أي: خرق إلىٰ الجهة الأخرىٰ، أيْ: خرق الخشب وظهر من الجهة المقابلة.

﴿مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: القطر هو الخط الواصل من أحد الأطراف إلىٰ الطّرف المقابل مروراً بالمركز، أقطار السّموات: لنفرض فقط أننا نتحدث عن مجرَّتنا التي يطلق عليها مجرة التّبانة، فقطرها الأكبر يقدَّر بحوالي مئة ألف سنة ضوئية علىٰ أقل تقدير، ويقدَّر قطرها الأصغر بـ(١٠) آلاف سنة ضوئية علىٰ أقل تقدير، فإذا فرضنا أنّ الإنسان عنده مركبة فضائية بسرعة الضّوء ويركب فيها ليقطع أقصر قطر لمجرة التّبانة التي هي واحدة من مليارات المجرات. فهو يحتاج إلىٰ مدة تصل (١٠) آلاف سنة من سنيننا، وهي تجري بسرعة الضوء.

وهذا مستحيل؛ لأنّ عمر الإنسان مهما طال (٨٠-١٠٠ سنة)، مثال: صعوده إلىٰ القمر لم يتجاوز ثانية ضوئية واحدة، فلكي يخرج الإنسان من أقرب الأقطار إلىٰ الأرض، فإنّه يحتاج علىٰ الأقل إلىٰ (٢٠) ألف سنة، وهو يتحرك بسرعة الضّوء كي يخرج من أقطار مجرتنا، وهل يمكن للإنسان أن يحيا (٢٠) ألف سنة، حتىٰ ولو كانت سنة غير ضوئية، حتىٰ عالم الجن الذي هو أقوىٰ من عالم الإنس يستحيل عليه التّفكير بذلك لوجود الأشعة القاتلة للخلايا الحية، وهي بمثابة النّار التي لا دخان لها.

أمّا بالنّسبة لأقطار الأرض وبما أنّ الأرض بيضاوية الشّكل متوسط قطرها الاستوائي (١٢٧١٣كم)، ورغم التّطور في أجهزة الحفر بحثاً عن النّفط والغاز، فإنّ الإنسان حتّىٰ اليوم لم يتجاوز عمق (١٣كم) من قطرها (١٢٧١٣كم)، وهذا

يمثل (١٪) من قطرها، وكلما ازداد الحفر يقابله ازدياد في الضّغط وارتفاع درجات الحرارة إلى درجات عالية قد تؤدّي إلى صهر تلك الأدوات وإثارة البراكين وخروج الحديد ومعادن الأرض السّائلة في طبقاتها القريبة من المركز.

إذن هذه الاكتشافات العلمية تدل على استحالة النّفاذ من أقطار السّموات والأرض، وتؤيّد ما جاء في هذه الآية الكريمة التي تتحدَّى كلّاً من الجن والإنس بالنّفاذ من أقطار السّموات والأرض.

﴿فَانفُذُوا۟ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾.

﴿فَانفُذُوا۟﴾: فيها تحدٍّ للإنسان ودعوة من الله سبحانه للإنس والجن أن ينفذوا إن استطاعوا ليتعرفوا إلى قدرة الله سبحانه، وذلك بغزو الفضاء والوصول إلى القمر أو إلى المريخ أو الدّوران حول الأرض والوصول إلى الكواكب الأخرى.

وهذا النفاذ البسيط الجزئي الذي لا قيمة له عند الله، ولن يتحقق إلا بسلطان.

﴿بِسُلْطَٰنٍ﴾: الباء للإلصاق، أي: الإلزام والسلطان: هو الله سبحانه؛ لأنه العليم القدير مصدر السلطان وحده، لا تنفذون إلا بسلطان، وليس السلطان هو سلطان العلم فقط، وإنما الله وحده الذي يوفِّق ويعلِّمُ عباده ما يشاء، وهذا النفاذ هو نفاذ من جزء ضئيل جدّاً جدّاً ومحدود لا يتعدَّى ولا يقترب حتى من السماء الأولى، فما بالك بأقطار السموات والأرض، فنصف قطر الأرض كما قلنا يقدَّر بحوالي (١٣٠٠٠كم) لم يخترق الإنسان منه إلا (١٣كم) فقط، أيْ: ما يساوي أقل من (١٪)، ويحتاج إلى (٢٤) ألف مليون سنة ضوئية ليصل إلى أبعد نقطة في السماء الدنيا فقط، فما بالك بالسموات السبع؟!

[٣٤] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾:

ارجع إلىٰ الآية (١٣) للبيان.

[٣٥] ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾:

علمنا من الآية (٣٣) أنّ النّفوذ المطلق من أقطار السّموات والأرض أمر مستحيل، والنّفوذ المحدود يمكن أن يحدث بإذن من الله وبسلطان منه، وتقدُّم الاكتشافات الفضائية، وهذه الآية تتحدث عن الأخطار التي ستحل بكلّ من يحاول اختراق طبقات السّموات والأرض؛ لأن الفضاء الكوني مليء بالأشعة الحمراء أو فوق البنفسجية أو الأشعة القاتلة لخلايا الإنسان، والتي شبهها القرآن بمثابة شواظ من نار أو إذا حاول الإنسان اختراق قشرة الأرض اليابسة التي يبلغ سمكها (٦٠) كم قد يؤدِّي إلىٰ انفجار وبراكين وتصاعد المواد المنصهرة أو السّائلة في طبقات الباطنة للأرض والمشكلة من الحديد والنّحاس.

وتشكيل براكين ثائرة بشواظ النّار المتولدة عن الغاز والبترول والمواد المذابة مثل الحديد والنّحاس هذه البراكين التي لن يستطيع الإنس والجن علىٰ التّغلب عليها وإيقافها من التّدفق والتّطاير وإهلاك الحرث والنّسل.

[٣٦] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾:

ارجع إلىٰ الآية (١٣) للبيان.

والسؤال هنا: هل إرسال الشّواظ والنّحاس من النّعم؟

الجواب: نعم لأن التّذكير بها والتّحذير منها والإنذار من النّعم حتىٰ لا يغفل عنها العبد، ويهمل الاستعداد لها حتّىٰ ينجو من النّار والبراكين وتلوث البيئة الذي قد يجلب الويلات للبشر.

[٣٧] ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾:

بعد ذكر عدد من النّعم والآلاء ينتقل إلى التّذكير بيوم القيامة وبعض أهواله وأحداثه.

﴿فَإِذَا﴾: الفاء استئنافية، إذا: ظرفية زمانية للمستقبل تدل على حتمية الحدوث.

﴿ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ﴾: تحمل عدة معانٍ، منها: انفطرت فرجت فتحت انفجرت، انشقت السّماء: أي: تنفجر، السّماء المليئة بالنّجوم وبالكواكب ولكثرة عدد النّجوم والكواكب التي تقدر بالمليارات تصبح السّماء ذات ألوان كألوان الطّيف، ويغلب عليها اللون الأحمر، وتبدو حينذاك لمن يراها كأنّها بصورة وردة حمراء كالدّهان. مصبوغة باللون الأصفر والأخضر وغيرها من الألوان.

[٣٨] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾:

ارجع إلى الآية (١٣) للبيان.

[٣٩] ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾:

﴿فَيَوْمَئِذٍ﴾: الفاء: عاطفة أو استئنافية، يومئذ مركبة من يوم (ظرف زمان) إذ: اسم ظرفي.

﴿لَّا﴾: لا النّافية.

لا يُسأل عن ذنبه إنس ولا جان: قيل: يحدث هذا أول ما تبعث الخلائق، كما قال تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾. [المرسلات:٣٥].

ثم بعد ذلك يؤذن لهم فيتكلمون. كما وردت في الآيات الأخرى.

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الحجر:٩٢-٩٣] وفي آية أخرىٰ: ﴿ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴾ [الصافات:٢٤].

وإذا سُئلوا فالسّؤال لا يكون سؤال استفهام؛ لأن الله سبحانه يعلم بحالهم، وبكلّ شيء عملوه وما عملوه أيضاً مكتوب في صحائف أعمالهم.

وقد يسألون سؤال تقرير أو توبيخ وتقريع لإقامة الحُجَّة عليهم أو ليشهدوا علىٰ أنفسهم.

ويوم القيامة يوم طويل ﴿خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤]. وفيه مواطن كثيرة أو مواقف.

قد يسألون في مواطن ولا يسألون في مواطن وحسب الذّنب، فهناك من لا يسئل أبداً ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ ﴾.[آل عمران:٧٧]. وهناك: من ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ ﴾. [البقرة:١٧٤].

[٤٠] ﴿ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾:

ارجع إلىٰ الآية (١٣) للبيان.

❖ ❖ ❖

يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَىِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ
﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٤٥﴾ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ
تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ
زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍ
بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ
وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ
وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ
ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا
عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾

## سورة الرحمن [الآيات ٤١ - ٦٧]

[٤١] ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾:

﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾: يوم القيامة.

﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾: الكافرون، المشركون، العصاة. ارجع إلىٰ سورة الأنعام آية (٥٥)، وسورة الجاثية آية (٣١) لمزيد في معنىٰ المجرمين.

﴿بِسِيمَٰهُمْ﴾: الباء للإلصاق والملازمة، السّمة: العلامة، بسيماهم: أي: تعرفهم الملائكة بعلاماتهم المميزة، وهذه العلامات ذكرت في آيات أخرىٰ، ومنها:

سود الوجوه: كقوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾. [آل عمران:١٠٦].

يعلوهم الحزن والكآبة كقوله تعالىٰ: ﴿كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾. [يونس:٢٧].

زرق العيون: ﴿وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾. [طه:١٠٢].

﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ﴾. [عبس:٤٠-٤٢].

﴿فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾: الفاء عاطفة، يؤخذ: يقبض علىٰ نواصيهم، تقبض الملائكة بعنف وشدة علىٰ نواصيهم: جمع ناصية وهي مقدم شعر الرّأس

أو مقدم الرّأس، والأقدام: وهي القدم المعروفة، أي: يُضم أو يجمع مقدم رأسه إلى قدميه ويؤخذ ويلقى في النّار.

[٤٢] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾:

ارجع إلى الآية (١٣) للبيان.

والسّؤال هنا: هل معرفة أحوال المجرمين يوم القيامة نعمة؟

حتى يسأل الحق، ويقول: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

نقول: نعم؛ لأنّ التّذكير بأحوالهم للتحذير والإنذار من أعمالهم نعمة؛ لأنّ اتقاء النّار وتجنبها من أكبر النّعم والتّذكير بطاعة أوامر الله وتجنُّب نواهيه من النّعم.

[٤٣] ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾:

يقال لهم توبيخاً وتقريعاً:

﴿هَٰذِهِۦ﴾: الهاء للتنبيه، ذه: اسم إشارة للقرب.

﴿جَهَنَّمُ﴾: من أسماء النّار أو دركة من دركاتها مشتقة من الشّيء الكريه المنظر والمرعب وبعيدة القعر. ارجع إلى سورة الرعد آية (١٨) لمزيد من البيان.

﴿ٱلَّتِى﴾: اسم موصول يفيد الذّم.

﴿يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾: أي: لا يصدق بها المجرمون، جمع مجرم. ارجع إلى سورة الأنعام الآية (٥٥)، وسورة الجاثية آية (٣١) لمزيد من البيان.

كقوله تعالى: ﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ [الطور:١٤-١٥].

يكذب، ولم يقل: كذب للدلالة على الاستمرار في التكذيب حتّى تلك اللحظة.

[٤٤] ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾:

﴿يَطُوفُونَ﴾: الطّواف: البدء من مكان، ثمّ العودة إليه أو التّردُّد.

﴿بَيْنَهَا﴾: تعود على جهنم.

﴿وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾: الحميم: ماء حار، آن: اشتدت حرارته وبلغ أقصى درجات الغليان، أي: بلغ غايته في الحرارة، أي: تارة يُحرقون في جهنم وتارة يسقون من الحميم إذا عطِشوا.

[٤٥] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾:

ارجع إلى الآية (١٣) للبيان.

[٤٦] ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾:

يعود الله سبحانه بعد الإنذار والتّحذير إلى ذكر أكبر وأعظم النّعم في الآخرة وهي الجنة.

﴿وَلِمَنْ﴾: الواو استئنافية، لمن: اللام لام الاستحقاق (الاختصاص) من: اسم موصول تشمل المفرد والجمع والمثنى والذّكر والأنثى، وتستعمل للعاقل.

﴿خَافَ﴾: الخوف: هو الشّعور بعدم الأمن والرّاحة. خوف مقرون بالإيمان والعمل الصالح والتعظيم والرجاء.

﴿مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾: أي: عظمته وجلاله أو القيام (الوقوف) بين يدي ربه للحساب والجزاء، والاطلاع على سجل أعماله.

﴿جَنَّتَانِ﴾: وكيف يخاف مقام ربه بأن ينهى النّفس عن الهوى، كقوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾. [النازعات: ٤٠-٤١].

جنتان: **التّفسير الأوّل**: بأنّ الله سبحانه أعد لكلّ عبد مقعدين مقعداً في الجنة ومقعداً في النّار. فإذا أُدخل العبد مقعده في الجنة ترك مقعده في النّار فارغاً، وإذا أُدخل العبد مقعده في النّار ترك مقعده في الجنة فارغاً، فعندها يرث كل عبد المقعد الآخر الذي تركه الآخر في الجنة أو النار، فيصبح للمؤمن مقعدان في الجنة.

ويصبح للكافر مقعدان في النار.

**التفسير الثاني**: ولمن خاف مقام ربه من (الإنس) له جنة، ومن الجن له جنة، أيْ: ولمن خاف مقام ربه من (الجن والإنس) لكل واحد جنة.

[٤٧] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾:

ارجع إلى الآية (١٣) للبيان.

[٤٨] ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾:

هذا وصف للجنتين.

﴿ذَوَاتَآ﴾: مثنى ذوات.

﴿أَفْنَانٍ﴾: أغصـــان: جمع فنن: أي: غصن وهي التي تحمل الورق والثّمر، وقيل: كثير الورق والثّمر، وقيل: أفنـــان: ألوان، وفنن: لون، ذواتا ألوان أو ذواتا أغصان أو كلاهما. أي: أغصان ملونة.

[٤٩] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾:

ارجع إلى الآية (١٣) للبيان.

[٥٠] ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾:

﴿عَيْنَانِ﴾: مثنى عين، أي: عين الماء.

﴿تَجْرِيَانِ﴾: بالماء الفرات العذب أو عين السّلســـبيل وعين التّسنيم، وعين تجمع على أعين أو عيون، أعين: التي نبصر بها، وعيون: أي: عيون الماء.

[٥١] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾:

ارجع إلى الآية (١٣) للبيان.

[٥٢] ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾:

﴿فَٰكِهَةٍ﴾: اسم جنس يشمل كلّ أنواع الفاكهة والثّمار.

﴿زَوْجَانِ﴾: صنفان قيل: صنف معروف وصنف غريب.

[٥٣] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾:

ارجع إلى الآية (١٣) للبيان.

[٥٤] ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾:

﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾: من الاتكاء وهو الجلوس أو الاضطجاع.

﴿عَلَىٰ فُرُشٍۭ﴾: جمع فراش.

﴿بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾: بطائنها: جمع بطانة وهي تحت الظهارة التي هي الأقرب إلى البدن مصنوعة من الإستبرق، وهو ما غلظ من الحرير، ولم يذكر الظّهارة التي قد تكون مصنوعة من السّندس؛ أي: ما رقَّ من الحرير، أو من غير الحرير لا يعلمها إلا الله.

﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾: الجنى: هو الثّمر المستوي، أي: وثمر هاتين الجنتين دانٍ، أي: قريب من الدّنو، وهو القرب، أي: قريب من الجاني يستطيع أن يقطفها القائم والقاعد والمضطجع من دون جهد أو عناء، أي: ثمارها دانية لا يحتاج معها إلى سُلم أو جهد ومشقة، وكما قال تعالى: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ [الحاقة:٢٣] ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ [الإنسان:١٤].

[٥٥] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾:

ارجع إلى الآية (١٣) للبيان.

[٥٦] ﴿فِيهِنَّ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾:

﴿فِيهِنَّ﴾: تعود على الجنتين.

﴿قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾: قيل: هن الحور العين، وقيل: من نساء الدنيا؛ قاصرات

من القصر وهو الحبس والطّرف: العين، أي: قصرن أبصارهن على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم لا ترى إلا زوجها.

﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾: لم: النّافية، يطمثهن: أصل الطّمث الجماع المؤدّي إلى خروج دم البكر، ثمّ أطلق على كلّ جماع، وإن لم يكن معه دم، إنس قبلهم ولا جان: أي: هن أبكار لم يمسسهن أحد من الخلق لا إنس ولا جن. (لا) يفيد توكيد النّفي، وتعني: لا إنس ولا جان ولا كلاهما؛ لأنهن خلقهن في الجنة.

[٥٧] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾:

ارجع إلى الآية (١٣) للبيان.

[٥٨] ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾:

﴿كَأَنَّهُنَّ﴾: الكاف للتشبيه، إنّهن: للتوكيد.

﴿الْيَاقُوتُ﴾: في الصّفاء. والياقوت واللؤلؤ من الأحجار الثمينة.

﴿وَالْمَرْجَانُ﴾: في بياضهن، وقيل: المرجان الخرز الأحمر.

ارجع إلى الآية (٢٢) من نفس السورة.

[٥٩] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾:

ارجع إلى الآية (١٣) للبيان.

[٦٠] ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾:

﴿هَلْ﴾: استفهام يفيد النّفي، أي: وما جزاء الإحسان إلا الإحسان.

﴿جَزَآءُ﴾: الثّواب والأجر.

﴿ٱلْإِحْسَٰنِ﴾: مصدر للفعل الرباعي أحسن، وأما حُسناً فمصدر الفعل حسن والإحسان جودة الإيمان والطّاعة والتقوىٰ والعمل الصّالح، كمّاً وكيفاً، ارجع إلىٰ سورة البقرة الآية (١١٢) للبيان.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿ٱلْإِحْسَٰنُ﴾: في الثّواب والارتقاء في درجات الجنة والزيادة في النعيم.

[٦١] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾:

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾: ارجع إلىٰ الآية (١٣) للبيان.

[٦٢] ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾:

﴿وَمِن دُونِهِمَا﴾: في الجزاء والثّواب أو المنزلة والقدر أو المرتبة والدّرجة.

﴿جَنَّتَانِ﴾: جنتان أخريان لأصحاب اليمين، وأما الجنتان السّابقتان، فللسابقين السّابقين، أي: المقربين.

[٦٣] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾:

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾: ارجع إلىٰ الآية (١٣) للبيان.

[٦٤] ﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾:

مثنىٰ مدهامة، ومدهامة مؤنث مدهام: اسم فاعل أو مفعول من الفعل السداسي ادهامَّ.

مشتقة من الدّهمة: وهي في الأصل سواد الليل.

مدهامتان: شـــديدتا الخضرة، والخضرة إذا اشتدت مالت إلىٰ السّواد من كثرة الرّي أو الماء، أو سوداوان من شدة الخضرة من الرّي.

[٦٥] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾:

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. ارجع إلىٰ الآية (١٣) للبيان.

[٦٦] ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾:

﴿نَضَّاخَتَانِ﴾: مثنىٰ نضاخة، ونضاخة مؤنث نضاخ.

﴿نَضَّاخَتَانِ﴾: فوارتان بالماء العذب وأقل فواراناً بالماء من العينين اللتين تجريان الآية (٥٠) أي: تجريان أشدَّ وأقوىٰ من النّضاختين.

[٦٧] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾:

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. ارجع إلىٰ الآية (١٣) للبيان.

❖ ❖ ❖

فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾
فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ
مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾
لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَارَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾

## سُورَةُ الْوَاقِعَةِ

ترتيبها ٥٦ — آياتها ٩٦

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ربع الحزب ٥٤

إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ
﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾
فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَٰبُ
ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ
ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾
فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْـَٔاخِرِينَ
﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾

## سورة الرحمن [الآيات ٦٨ - ٧٨]

[٦٨] ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾:

﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ﴾: فاكهة: اسم جنس يشمل كلّ أنواع الفاكهة بما فيها النّخل والرّمان.

﴿وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾: والنّخل والرّمان من الفاكهة، ويمكن اعتبار ذلك من عطف الخاص على العام للتوكيد على الأهمية، وبياناً لفضلهما، وهناك من المفسرين من قال: إنّ النّخل والرّمان ليستا من الفاكهة.

[٦٩] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾:

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. ارجع إلى الآية (١٣) للبيان.

[٧٠] ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾:

﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ﴾: أي: في الجنات. خيرات: جمع خيرة: بفتح الخاء وسكون الياء أو بفتح الخاء وكسر الياء مخففة من خيرة بفتح الخاء وتشديد الياء، وهذا هو الأصل.

﴿خَيْرَٰتٌ﴾: الخُلقُ أو الأخلاق.

﴿حِسَانٌ﴾: جمع حسناء صفة مشبهة من حسن. أي: جميلات الهيئة الوجه والجسم والطول.

[٧١] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾:

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. ارجع إلىٰ الآية (١٣) للبيان.

[٧٢] ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي ٱلْخِيَامِ﴾:

﴿حُورٌ﴾: جمع حوراء وهي البيضاء، والحوراء قيل: التي يغلب بياض عينيها سوادهما.

﴿مَّقْصُورَاتٌ﴾: جمع مقصورة مؤنث مقصور، قصر بمعنىٰ ستر، أي: ملازمات لقصورهن وخيامهن لا ينظرن إلا لأزواجهن.

﴿فِي ٱلْخِيَامِ﴾: خيام الجنة، أي: لا تشبه خيام الدّنيا، فهي من اللؤلؤ المجوف الصّافي. قيل: يصل طولها إلىٰ ٦٠ ميلاً.

[٧٣] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾:

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. ارجع إلىٰ الآية (١٣) للبيان.

[٧٤] ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾:

ارجع إلىٰ الآية (٥٦) السابقة.

[٧٥] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾:

ارجع إلىٰ الآية (١٣) للبيان.

[٧٦] ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾:

﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾: جالسين أو مضطجعين.

﴿عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾: وسائد خضر ومفردها رفرفة أو غطاء يوضع علىٰ ظهر الفراش. ويتدلىٰ من الأسرَّة.

﴿وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾: البســط أو السّجاد التي فيها الأصباغ والنّقوش الجليلة الفاخرة، وعبقري اسم جنس جمعي، مفرده: عبقرية والعبقر كل جليل فاخر.

وقيل: العبقري منسوب، أو مصنوع في بلد للجن، اسم البلد عبقر، فكانت العــرب تطلق على كل شــيء جليل وفريد من صنع عبقــر، وكذلك يطلق على الرجل الذكي عبقري.

[٧٧] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾:

ارجع إلى الآية (١٣) للبيان.

[٧٨] ﴿تَبَارَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾:

﴿تَبَارَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى﴾: ذي: تعود على الاســم، أي: اســم ربــك، أي: نعت للاســم. ولو كانت تعود على الذّات (ربك) لجاء بـ(ذو) بدلاً من (ذي)، كما هو في الآية (٢٧) من نفس السّورة.

تبارك اسم ربك: تعالى قدره وتعاظم وتنزه وتقدس عن شبه ما سواه، ودام خيره وعم إحســانه وثبت إنعامه، ارجع إلى ســورة الملك الآية (١) لمزيد من البيان.

﴿ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾: ارجع إلى الآية (٢٧) من نفس السّورة وهي قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾؛ أي: تبارك وجهه وتبارك اسمه.

❖ ❖ ❖

فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾
فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ
مَّقْصُورَٰتٌ فِي ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾
لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَارَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِي ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾

## سُورَةُ الْوَاقِعَةِ

ترتيبها ٥٦ — آياتها ٩٦

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ربع الحزب ٥٤

إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ
﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾
فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَٰبُ
ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ
ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾
فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْـَٔاخِرِينَ
﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾

## سورة الواقعة [الآيات ١ - ١٦]

ترتيبها في القرآن (٥٦) وترتيبها في النّزول (٤٦).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾:

﴿إِذَا﴾: شرطية تدل على حتمية الحدوث وظرفية للزمن المستقبل.

﴿وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾: أي: إذا قامت الساعة (النفخة الأولى نفخة الفزع أو الصعق)؛ بدأ انهيار معالم الكون الحالي ودماره؛ وقعت: وأصل وقع في اللغة: كان ووجد، ووقعت: بصيغة الماضي لتدل على وقوعها لا محالة، وكأنها وقعت وانتهت، ولأنّ الزّمن كله واحد عند الله تعالى الماضي والحاضر والمستقبل؛ لأنه سبحانه خالق الزمان والمكان، وقيل: الواقعة اسم من أسماء يوم القيامة مثل القارعة، الحاقة، الطامة، الصاخة، وتاء التّأنيث للمبالغة، ووقعت الواقعة: تفيد تأكيد وقوعها أو حلولها.

[٢] ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾:

﴿لَيْسَ﴾: للنفي.

﴿لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾: اللام للتوكيد، لوقعتها كاذبة: لن تجد نفساً مكذِّبة لها كما كانت تكذِّب بها في الدّنيا، أو إذا وقعت لا مردَّ لها ولا رجوع عنها.

[٣] ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾:

تشير إلى صوت النفخة في الصور (الصيحة) قد تبدأ منخفضة، ثم ترتفع شدتها كي تذهل العقول، ويسمعها القريب والبعيد، كما روى ابن عباس، أو

خافضة لأقوام، الخفض يعني: الذّل والإهانة؛ أيْ: خافضة للكفرة والمشركين والعاصين والظّالمين في الدّركات السّفلىٰ من النّار.

﴿رَّافِعَةٌ﴾: لأقوام، الرّفع يعني: الرّفعة والعزة، أيْ: رافعة للمؤمنين الموحّدين في الدّرجات العلىٰ في الجنة. كما قال ابن عباس.

[٤] ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا﴾:

﴿إِذَا﴾: ارجع إلىٰ الآية الأولىٰ للبيان.

﴿رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا﴾: اضطربت الأرض أو تحركت تحريكاً شديداً، رجاً: للتوكيد، وقد بيّنت الآيات الأخرىٰ ما سيحدث لهذه الأرض الحالية يوم القيامة من الزّلزلة والاضطراب كقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج:١]، والدّك ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾ [الحاقة: ١٤]. وكقوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ﴾ [المزمل:١٤].

[٥] ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا﴾:

البس: التفتت، أيْ: فتتت الجبال تفتيتاً.

فهذه مرحلة من المراحل التي تمر بها الجبال يوم القيامة. فالجبال ترجف ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ﴾ [المزمل: ١٤].

وتنسف ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾ [المرسلات: ١٢].

وتصبح كثيباً مهيلاً ﴿وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ [المزمل: ١٤]، ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [النبأ: ١٤].

﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ [القارعة: ٥].

[٦] ﴿فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾:

﴿فَكَانَتْ﴾: أي: صارت.

﴿هَبَآءً﴾: أيْ: غباراً دقيقاً قلما يُرىٰ بالعين لا قيمة له ولا فائدة.

﴿مُّنۢبَثًّا﴾: أيْ: متفرِّقاً متطايراً.

الهباء: هو ما يثور مع شعاع الشّمس حين يدخل كوة أو ما يلوح في خيوط شعاع الشّمس من دقيق الغبار، وهذه هي نهاية الجبال الشّامخة التي كانت الأوتاد والرّواسي لهذه الأرض.

فكل هذه التغيرات ستحدث للأرض الحالية لكي تتبدل إلىٰ أرض جديدة.

[٧] ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً﴾:

في يوم القيامة.

﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً﴾: أصنافاً ثلاثة؛ المقربين وأصحاب اليمين وأصحاب الشّمال.

[٨] ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾:

﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾: الفاء للتقسيم، أصحاب الميمنة: الذين يؤتون صحائف أعمالهم بأيمانهم كقوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الحاقة: ١٩] الميمنة: مصدر ميمي منتهٍ بتاء المبالغة من فعل يمن علىٰ وزن مفعلة.

﴿مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾: ما: استفهام فيها معنىٰ التّعظيم، أيْ: من هم أو ما هم أصحاب الميمنة، وسيبدأ بوصف حالهم وأنواع النّعيم الذي ينتظرهم في الآية (٢٧) القادمة، وكان العرب قديماً يظنون أنّ اليُمن، أي: الخير يأتي عن جهة اليمين.

[٩] ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾:

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾: أي: الذين يؤتون صحائف أعمالهم بشمائلهم، والمشئمة: جهة الشّمال وتفيد الشّؤم، والعرب تسمّي اليد اليسرىٰ الشّؤمىٰ،

وكأن الشّؤم يأتي عن الشّمال، وسُمِّي الذين كفروا وأشركوا وأجرموا بأصحاب المشئمة، المشئمة: مصدر ميمي منتهٍ بتاء المبالغة من فعل شأم.

﴿مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ﴾: ما: للاستفهام والتّهويل والتّعظيم والتّعجب وفيها معنى الذّم والتّحقير.

[١٠] ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾:

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾: أي: الصنف الأول، والسّابقون: الواو عاطفة، السّابقون في الدّنيا إلى الإيمان والطّاعة وفعل الخيرات والتّقوى والإحسان وإسلام الوجه، السّابقون إلى مرضاة الله تعالى وحبه والقرب منه، السّابقون: التّكرار للتوكيد والتّعظيم، أو السابقون في الدنيا هم السّابقون في الآخرة إلى دخول جنات النّعيم، ونجد حذف حرف (ما) كالقول: السابقون ما السابقون؛ لأنه ذكر (ما) مرتين في أصحاب الميمنة، وأصحاب المشئمة فحذف (ما) لدلالة ما قبله عليه.

[١١] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾:

وهم الأنبياء والصّديقون والشّهداء والصّالحون وغيرهم.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة واللام للبعد، وتدل على عظم شأنهم، وعلوِّ منزلتهم عند الله تعالى.

﴿ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾: عند الله تعالى كما قال تعالى: ﴿هُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٦٣] بالنّسبة للقرب منه، منزلة وكما قال تعالى: ﴿لَهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ [الأنفال: ٤] بالنسبة للجنة.

[١٢] ﴿فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾:

﴿فِي﴾: ظرفية.

﴿جَنَّٰتِ﴾: جمع جنة. ومنها جنات الفردوس، وعدن، وجنات المأوى وغيرها.

﴿ٱلنَّعِيمِ﴾: السرور، وفيها كلّ ما تشـتهيه الأنفس وتلذ الأعين مع الخلود والرّضوان.

[١٣] ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾:

﴿ثُلَّةٌ﴾: جماعة كثيرة.

﴿مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: من الأمم الماضية ومن الأولين من أمة محمّد كالصّحابة. والأنبياء والرسل والصديقين والشهداء والصالحين.

[١٤] ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾:

أيْ: من أمة محمّد وغيرهم، الذين جـاؤوا من بعد جيل الصّحابة الكرام، وهذا يدل على فضل الله تعالى أنّه ترك أمام أيِّ عبد مسـلم الفرصة للمسابقة مع الأولين، ولكن يا حسرة على العباد أين هؤلاء.

[١٥] ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾:

منسوجة بالذّهب وغيره من الحلي.

﴿مَّوْضُونَةٍ﴾: من وضَنَ الغزل؛ أيْ: نسجه.

[١٦] ﴿مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ﴾:

﴿مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا﴾: جالسين أو مستقرين أو مضطجعين عليها.

﴿مُتَقَـٰبِلِينَ﴾: من حسن أدبهم وعشرتهم وجَّه كلّ منهم وجهَه إلى وجه صاحبـه، فلا يرى ظهر صاحبه. فهم يرون أو يـزور بعضهم بعضاً، ولو كانوا في درجات مختلفة في الجنة.

❖ ❖ ❖

يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ
﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ
﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ
ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا
تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ
ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ
﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا
مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ
أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ
ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٠﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ
ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ
وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ
عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا
وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ
ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾

## سورة الواقعة [الآيات ١٧ - ٥٠]

[١٧] ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾:

﴿يَطُوفُ﴾: من الطواف: الدوران أو المرور بين أيديهم بشكل متكرر.

﴿وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾: وفي سورة الطّور ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الطور: ٢٤].

اختلف في الولدان المخلدون والغلمان: الولدان أقل أعماراً من الغلمان، الغلمان: من يقارب سن البلوغ أو الحلم، وغلام تعني: خادم وقيل: إنّ الولدان هم خلق من خلق الجنة، وليسوا من أبناء الدّنيا، والله أعلم.

ارجع إلى سورة الطّور آية (٢٤).

﴿مُخَلَّدُونَ﴾: لا تزيد أعمارهم عن تلك السّن.. على سن واحدة لا يهرمون.

[١٨] ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾:

﴿بِأَكْوَابٍ﴾: أقداح جمع كوب.

﴿وَأَبَارِيقَ﴾: لها عُرى، جمع إبريق.

﴿وَكَأْسٍ﴾: لشرب الخمر.

﴿مِّن مَّعِينٍ﴾: خمر جارية في أنهار ظاهرة للعيون جارية على وجه أرض الجنة، كقوله تعالى: ﴿وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ﴾ [محمد: ١٥].

وكأس من معين: قيل: كأس من شراب معين نابع من عيون الجنة، عيون التّسنيم أو السّلسبيل أو الكافور.

[١٩] ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾:

﴿لَّا﴾: النافية.

﴿يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾: لا يصابون بصداع بسبب الشّرب من الكأس كما يحدث في الدّنيا، ولا ينزفون: تكرار (لا) يفيد التّوكيد، ينزفون: لها عدة تفسيرات لا تذهب عقولهم من شربها يقال: أنزف الشّارب إذا ذهب عقله أو يصابون بنزف من شربها، كما يحدث في الدّنيا حيث شرب الخمر المتواصل يؤدّي إلىٰ تشمع الكبد وارتفاع الضّغط في الأوردة الدّموية حول المعدة، وأحياناً يؤدّي إلىٰ نزف دموي مميت من الجزء العلوي من المعدة أو منطقة المري.

يُنْزِفُون: مبالغة من النّزف، أيْ: نزف شديد حاد مميت (بكسر الزّاي) بينما في سورة الصّافات يُنزَفُون بفتح الزّاي تعني: تذهب عقولهم أو يصابون باختلاطات أقل شدة مثل النزف غير الحاد أو المميت كما يحدث في الدنيا.

[٢٠] ﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾:

﴿وَفَٰكِهَةٍ﴾: اسم جنس يشمل الفواكه، وهي أنواع كثيرة.

﴿مِّمَّا﴾: من ابتدائية، ما بمعنىٰ النّوع الذي يتخيرون.

﴿يَتَخَيَّرُونَ﴾: التّخيير يكون من بين أنواع مختلفة من الفاكهة، يتخيرون تفيد التّجدُّد والتّكرار.

[٢١] ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾:

الشّهية: توقان النّفس وميل الطّباع إلىٰ ما يلذ ويسر.

بما أنّ اللحم متشابه في المنظر والذي يميِّز بينها هو الطّعم والشّهية واختار لحم الطّير؛ لأنه أفضل اللحوم وألذها، فهم يُسألون عما يشتهون من أنواع اللحم، لحم غنم أو طير أو غيرها.

[٢٢] ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾:

﴿وَحُورٌ﴾: جمع حوراء: حوراء بيضاء من الحور، أي: البياض.

﴿عِينٌ﴾: جمع عيناء، أيْ: واسعة العينين.

[٢٣] ﴿كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾:

﴿كَأَمْثَالِ﴾: الكاف للمبالغة في التّشبيه.

﴿اللُّؤْلُؤِ﴾: الأبيض اللون.

﴿الْمَكْنُونِ﴾: المصان الذي لم يغير صفاء لونه ضوء الشّمس، ولا عبث الأيدي، وفي سورة الرّحمن الآية (٥) شبههنَّ بالياقوت والمرجان الأحجار الكريمة الثمينة.

[٢٤] ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾:

﴿جَزَاءً﴾: الجزاء بمعنى الثّواب، أو مقابل العمل.

﴿بِمَا﴾: الباء للتعليل أو سببية أو بدلية، ما: اسم موصول بمعنى الذي أو مصدرية.

﴿كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: كانوا في الدّنيا، يعملون: يقولون ويفعلون؛ لأنّ العمل يضم القول والفعل.

[٢٥] ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا﴾:

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾: لا النّافية، يسمعون فيها: في جنات النّعيم.

﴿لَغْوًا﴾: كلاماً عبثاً أو لا فائدة منه. ارجع إلى سورة المؤمنون آية (٣) لمزيد من البيان.

﴿وَلَا﴾: تكرار لا يفيد النّفي ويفيد فصل اللغو عن التّأثيم ولا كلاهما.

﴿تَأْثِيمًا﴾: من الإثم: أيْ: كلاماً قبيحاً أو فاحشاً. تأثيماً: مصدر من إثم.

[٢٦] ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾:

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء أو حضر: استثناء منقطع، أي: المستثنىٰ ليس بعضاً من المستثنىٰ منه، أي: قيلاً سلاماً سلاماً ليس من اللغو ولا من التأثيم.

﴿قِيلًا﴾: مصدر لفعل (قال ويقول)، ومنهم من قال: هي اسم؛ أيْ: لا يسمعون إلا القول ﴿سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾: السّلام علىٰ بعضهم بعضاً أو السّلام من الرّب الرّحيم أو السّلام من الملائكة، سلاماً: بصيغة النّكرة ليشمل علىٰ سلام التّحية وسلام الأمن والطّمأنينة وسلام من كلّ الآفات والأمراض، ومن كلّ مكروه وللتوكيد (توكيد لفظي).

[٢٧] ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾:

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾: أي: الذين يؤتون صحائف أعمالهم بأيمانهم.

﴿مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾: ما: للاستفهام والتّعظيم والتّفخيم، وللسؤال عن ذوات ما لا يعقل ولصفات من يعقل، ارجع إلىٰ الآية (٨) للبيان.

[٢٨] ﴿فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾:

﴿فِى﴾: ظرفية.

﴿سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾: السّدر شجر النبق المخضود: لا شوك له، أيْ: خضد شوكه أيْ: قطع ونزع. كما روىٰ ابن عباس وقيل: المُوقَّر حملاً: أيْ: تثنت أغصانه من خضدت الغصن: أيْ: ثنيته.

[٢٩] ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾:

الطلح: شجر الموز.

منضود: الموز المتراكب بعضه فوق بعض، موز واحدتها تسمّىٰ طلحة.

وقيل: ليس بالموز، وإنما شـــجر لها ظل بارد ورطب شجر طيب الرّائحة يشبه طلح الدّنيا المنضود المتراكم من النّضد متراكب علىٰ بعضه.

[٣٠] ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾:

ظل دائم ممتد لا يزول، كما قال رسول الله ﷺ: إِنَّ فِي الجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِئَةَ عَامٍ لاَ يَقْطَعُهَا. كما روىٰ البخاري ومســـلم في حديث أبي هريرة.

[٣١] ﴿وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ﴾:

ماء دائم الجري بغزارة لا ينقطع مصبوب لا يحتاج أن يصبه بيده، فهو مهيأ للشرب في أكواب يحمله الغلمان أو الولدان إليهم.

[٣٢] ﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ﴾:

فاكهة اسم جنس يشمل كل أنواع الفاكهة المتنوعة.

[٣٣] ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾:

﴿لَّا﴾: النّافية.

﴿مَقْطُوعَةٍ﴾: لا تنقطع في فصول كما هي الحال في فواكه الصّيف وفواكه الشّتاء فهي دائمة الوجود.

﴿وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾: لا تمنـــع عن أحد إذا أراد تناولهـــا، أي: مُطْلقة لمن أرادها، ليس لها ثمن يجب دفعه، وتكرار (لا) لتوكيـــد النّفي، نفي كلاً علىٰ حِدَةٍ، ونفي كلاهما معاً.

[٣٤] ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾:

وفرش مرفوعة، أي: منضدة علىٰ الأسرة، وهي ﴿فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرحمن: ٥٤].

[٣٥] ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً﴾:

﴿إِنَّآ﴾: للتعظيم.

﴿أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً﴾: يعني: الحور العين، أي: الحور العين خلق من خلق الجنة، وليس من نساء الدّنيا، وحين يُذكر الحور العين لا يُذكر نساء أهل الدّنيا، الإنشاء: الإيجاد والتّربية والتّنشئة، وهي توكيد لفظي.

[٣٦] ﴿فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا﴾:

﴿فَجَعَلْنَٰهُنَّ﴾: الفاء للتوكيد، الجعل بعد النّشأة.

﴿أَبْكَارًا﴾: عذارىٰ جمع عذراء.

[٣٧] ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾:

﴿عُرُبًا﴾: متحببات لأزواجهن. جمع عروب بفتح العين فهو اسم للمرأة المتحببة إلىٰ زوجها.

﴿أَتْرَابًا﴾: متساويات في العمر قيل: سن (٣٣).

[٣٨] ﴿لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾:

اللام لام الاختصاص والاستحقاق، أصحاب اليمين. ارجع إلىٰ الآية (٢٧).

[٣٩] ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾:

الثلة الجماعة الكثيرة من الأولين من زمن آدم إلىٰ زمن نبينا ﷺ والصّحابة.

[٤٠] ﴿وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ﴾:

الجماعة الكثيرة من الآخرين من التّابعين، ومن جاء بعدهم إلىٰ يوم الدّين، ومن كلّ الأمم الأخرىٰ.

[٤١] ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾:

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾: الذين يأخذون صحائف أعمالهم بشمائلهم وهم أهل الكفر والشّرك والمعاصي.

﴿مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾: ما للاستفهام، والتعجب من حالهم، أيْ: ما أعد الله لهم يوم القيامة أو ما هي حالهم يوم القيامة.

[٤٢] ﴿فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ﴾:

﴿فِى سَمُومٍ﴾: ظرفية في جهنم تهب عليهم ريح حارة، تنفذ في مسام جلودهم وتفعل فيها فعل السّم الذي يسري في جسم الإنسان بعد اللدغ بالعقرب أو الأفعى.

﴿وَحَمِيمٍ﴾: ماء شديد الحرارة في حالة الغليان يقطع أمعاءهم عند الشّرب منه. كما قال تعالى: ﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ [محمد:١٥]، ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ﴾ [الحج:١٩-٢٠].

[٤٣] ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾:

﴿وَظِلٍّ﴾: ظل من دخان أسود.

﴿مِّن يَحْمُومٍ﴾: الدّخان الأسود، وتسميته ظلاً على سبيل التّهكم.

[٤٤] ﴿لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾:

﴿لَّا بَارِدٍ﴾: لا النّافية، بارد كسائر الظّلال.

﴿وَلَا كَرِيمٍ﴾: ولا نافع يحمي من حرِّ جهنم لمن يأوي إليه، وتكرار (لا) النّافية يفيد توكيد النّفي لكل منهما على حِدَةٍ أو معاً.

[٤٥] ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ﴾:

﴿إِنَّهُمْ﴾: للتوكيد، كانوا قبل ذلك: ذلك اسم إشارة واللام للبعد، أيْ: في الحياة الدّنيا قبل السّموم والحميم والظّل من يحموم.

﴿مُتْرَفِينَ﴾: متنعمين، التّرف: التّنعم منهمكين في الشّهوات والبطر والهوىٰ والتبذير.

[٤٦] ﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ﴾:

﴿وَكَانُوا﴾: كانوا في الحياة الدّنيا.

﴿يُصِرُّونَ﴾: يعكفون يقيمون.

﴿عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ﴾: الحنث: الذّنب العظيم وهو الشّرك والكفر، وقيل: القسم علىٰ إنكار البعث، وهو المشار إليه بقوله تعالىٰ: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ [النحل: ٣٨].

[٤٧] ﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾:

﴿وَكَانُوا﴾: في الحياة الدّنيا وتعود علىٰ أصحاب الشّمال.

﴿يَقُولُونَ﴾: بصيغة المضارع لتدل علىٰ حكاية الحال أو التّجدُّد والتّكرار.

﴿أَئِذَا﴾: الهمزة الأولىٰ للاستفهام والإنكار للبعث والحساب، والهمزة الثّانية للدلالة علىٰ الشّدة والتّوكيد علىٰ إنكارهم للبعث.

﴿مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾: متنا: السنين الطويلة، وتحولت أجسادنا إلىٰ تراب وعظام، انبعث من جديد؟ اللام في (مبعوثون) للتوكيد. مبعوثون من قبورنا من جديد.

[٤٨] ﴿ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴾:

الهمزة للاستفهام الإنكاري والاستبعاد؛ أيْ: وآباؤنا الذين ماتوا وصاروا تراباً وعظاماً منذ قرون طويلة لمبعوثون أيضاً.

[٤٩] ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ ﴾:

قل لهم يا رسول الله ﷺ: أنتم ومن مات من قبلكم من عهد آدم ومن سيأتي من بعدكم إلىٰ يوم القيامة.

[٥٠] ﴿ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾:

﴿ لَمَجْمُوعُونَ ﴾: اللام لتوكيد، مجموعون: الكلّ الأولين والآخرين مجتمعون في مكان واحد وزمن واحد.

﴿إِلَىٰ ﴾: حرف يستعمل لعموم الغايات.

﴿مِيقَٰتِ ﴾: ميقات زماني (يوم البعث والحشر، ومكاني أرض المحشر).

﴿يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾: يوم القيامة يوم الحشر يوم الجمع، معلوم: عند الله وحده ومحدد بالسّاعة والدّقيقة والثانية من الزمان.

لنقارن بين هذه الآية (٥٠) من سورة الواقعة (إلىٰ ميقات يوم معلوم). والآية ﴿ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾ [الشعراء: ٣٨].

إلىٰ ميقات: الميقات في هذه الآية قادم؛ أيْ: في المستقبل وسيجمعون في ذلك الميقات (اليوم والمكان).

لميقات يوم معلوم: الميقات في هذه الآية الآن؛ أيْ: جيء بالسّحرة عند حلول ذلك اليوم واجتمعوا لعرض سحرهم للناس. اللام التوقيت: دخول الزمن.

❖ ❖ ❖

ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾
فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ
شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا
تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ
ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾
عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ
عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ
﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ
حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ
﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ
أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ
﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ
نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ
﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ۞ فَلَآ أُقْسِمُ
بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾

نصف الحزب ٥٤

## سورة الواقعة [الآيات ٥١ - ٧٦]

[٥١] ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب الذّكري.

﴿إِنَّكُمْ﴾: للتوكيد والكاف للمخاطب، أيْ: إنّكم يا أصحاب الشّمال.

﴿أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ﴾: أيّها: أداة نداء والهاء للتنبيه، الضّالون: عن الهدىٰ أو الحق، المكذبون: بالبعث والحساب والآخرة.

وفي الآية (٩٢) من نفس السّورة (الواقعة) قال تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ﴾ عكس التّرتيب؛ لأن الآية (٥١) جاءت في سياق الحديث عن الضّلال والإعراض عن الإيمان والدّخول في الإسلام، فقدَّم الضّلال علىٰ التّكذيب.

أمّا الآية (٩٢) في سياق التّكذيب بآيات الله تعالىٰ، فقدَّم التّكذيب علىٰ الضّلال.

[٥٢] ﴿لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ﴾:

﴿لَآكِلُونَ﴾: اللام والنّون للتعليل والتّوكيد.

﴿مِن﴾: ابتداء الغاية.

﴿شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ﴾: ارجع إلىٰ سورة الصّافات الآية (٦٢ - ٦٧).

[٥٣] ﴿فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ﴾:

ارجع إلى سورة الصّافات الآية (٦٦) أيْ: يُكرهون على أكلها قسراً حتّى تمتلئ منها بطونهم.

[٥٤] ﴿فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ﴾:

﴿فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة، شاربون: على الطّعام أو الزّقوم.

﴿مِنَ﴾: ابتدائية.

﴿ٱلْحَمِيمِ﴾: الماء الحار الذي بلغ غاية الحرارة (الغليان).

[٥٥] ﴿فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ﴾:

﴿فَشَٰرِبُونَ﴾: شاربون شرب الهيم الإبل العطاش، تشرب فلا ترتوي وتشرب وتشرب، وذلك حين تصاب بداء الهيام يشبه داء الكبد، ويسمّى الاستسقاء أو الحبن حتّى تموت في النّهاية.

﴿ٱلْهِيمِ﴾: وهناك من قال: الهيم: الأرض الرّملية العطشى التي لا ترتوي من الماء مهما أسقيتها.

[٥٦] ﴿هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾:

﴿هَٰذَا﴾: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة للقرب.

﴿نُزُلُهُمْ﴾: النُّزل: ما يُعَدُّ ويهيَّأ لإكرام الضّيف أوّل نزوله من الطّعام والمبيت، وتسميته بالنُّزل: للتهكم والتّوبيخ.

﴿يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾: يوم الحساب.

ثمّ يذكر الله سبحانه الأدلة والبراهين على قدرته وعظمته ووحدانيَّته ونعمه عليهم.

[٥٧] ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾:

﴿نَحْنُ﴾: ضمير للتعظيم يفيد الاختصاص.

﴿خَلَقْنَاكُمْ﴾: من ذكر وأنثى الخلق الأول من بطون أمهاتكم.

﴿فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾: الفاء للتوكيد، لولا أداة حضٍّ وحثٍّ، تصدقون: بالبعث والحساب أو النّشأة الأخرى، كما أقررتم بالخلق الأوّل، فلا تصدقون بما جاءكم من الحق من ربكم. أو أُنزل عليكم..

[٥٨] ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ﴾:

﴿أَفَرَءَيْتُم﴾: الهمزة للاستفهام والإقرار والفاء للتوكيد، رأيتم: الرّؤية رؤية بصرية ورؤية قلبية بمعنى العلم، أيْ: أخبروني بعلم أو بتأكيد أو بعلم من له دراية.

﴿مَّا﴾: اسم موصول بمعنى الذي أو مصدرية.

﴿تُمْنُونَ﴾: من المني الذي يتدفَّق في كلّ مرة بمقدار (٢-٥سم) وعدد الحيوانات المنوية يصل إلى (٢٠٠) مليون حيوانٍ منويٍّ، ولكل حيوانٍ منويٍّ رأس وعنق وجسم وحركة ويسبح في سائل خاص تفرزه الخصية، وواحد فقط من هذه الحيوانات المنوية يلقح البيضة لتبدأ بالانقسام وتشكل العلقة، ثمّ المضغة والجنين.

[٥٩] ﴿ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾:

﴿ءَأَنتُمْ﴾: للاستفهام والتّقرير، الجواب المقدر: لا.

﴿تَخْلُقُونَهُۥٓ﴾: أي: المني أو تخلقون من المني بشراً.

﴿أَمْ﴾: للإضراب الانتقالي، وتعني: بل نحن الخالقون.

﴿نَحْنُ﴾: للتعظيم.

﴿ٱلْخَٰلِقُونَ﴾: المقدرون والخلق هو التّقدير والإيجاد، فقدرته وعظمته في هذه الآية هي في خلقه هذا الماء المهين بشراً، الخالقون تدل على الثّبوت والاستمرار في الخلق؛ ففي هذه الآية: ذكر سبحانه نعمة الخلق، وفي الآية (٦٣-٦٤): ذكر نعمة الحرث والزراعة؛ أي: الحب؛ أي: الطعام، وفي الآية (٦٨): ذكر نعمة الماء والشرب، وفي الآية (٧١): ذكر نعمة النار للدفء وطهي الطعام، وعلامة للضال، والتذكرة بالآخرة... وغيرها.

[٦٠] ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾:

﴿نَحْنُ﴾: للتعظيم والاختصاص.

﴿قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾: أيْ: حكمنا أو قضينا أو كتبنا عليكم الموت وقدرنا من التّقدير، وهو الحساب كم تعيشون ومتى وكيف تموتون، وقدرنا لكم آجالاً مختلفة أيْ: جعلنا لكل فرد أجلاً معيناً لا يتعدَّاه.

﴿وَمَا نَحْنُ﴾: الواو عاطفة، ما النّافية، نحن للتعظيم والاختصاص.

﴿بِمَسْبُوقِينَ﴾: الباء للإلصاق والمصاحبة، مسبوقين: بعاجزين أو لا يسبقنا أحد فينجو من الموت.

[٦١] ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾:

هذه الآية لها صلة بالآية السّابقة، وهي: وما نحن بمسبوقين أيضاً:

﴿عَلَىٰٓ أَن﴾: على تفيد العلو والمشقة، أن: حرف مصدري يفيد التّعليل.

﴿نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ﴾: أيْ: نحلق خلقاً بدلاً منكم.

﴿وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: من النّشأة والتّربية، أو ننشئكم أنتم أنفسكم في خلق جديد غير الذي تعلمونه بأن نشوّه خلقكم، وفي هذه الآية تهديد لهم بالمسخ والتّبديل، وتدل على عظمة الله سبحانه وقدرته على التّبديل والبعث والإماتة والإحياء.

[٦٢] ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو استئنافية، لقد: اللام للتوكيد، قد للتحقيق.

﴿عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾: علمتم: من العلم وهو الإدراك سواء كان خفياً أو جلياً (ظاهراً) النّشأة الأولى: في أرحام أمّهاتكم من نطفة، ثمّ علقة، ثمّ مضغة ثم نخرجكم طفلاً. ارجع إلى سورة الحج آية (٥) للبيان.

﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾: الفاء للتوكيد، لولا: أداة حثٍّ وحضٍّ، تذكرون: النّشأة الأولى، ولا تغافلون عنها أو تنسونها، وتذكرون الذي خلقكم أوّل مرة قادر على أن يبعثكم ويعيدكم مرة أخرى وهو أهون عليه؛ تذكرون الخلق، ولم يقل فلولا تتذكرون؛ لأن الكل يعلم هذه الحقيقة كيف خلقه الله فلا تحتاج إلى طول زمن للتذكر، وبالنسبة للحرث والزرع والماء والنار فلولا تشكرون.

[٦٣] ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾:

بعد ذكر النّطفة المني (ما تمنون) وتحويلها إلى جنين بعد زرعها في أرحام الأمّهات يذكرنا بعملية أخرى مشابهة لها، وهي زراعة الأرض.

﴿أَفَرَءَيْتُم﴾: ارجع إلى الآية (٥٨) للبيان.

﴿مَّا﴾: بمعنى الذي تحرثونه أو مصدرية بمعنى حراثتكم، و(ما) أوسع شمولاً تشمل كل أنواع الحرث.

﴿تَحْرُثُونَ﴾: أيْ: تزرعون في الأرض والحراثة تسبق عملية بذر الحب، وهي جزء من مراحل الزراعة وعبَّر عن الكلّ بذكر الجزء.

وفي هذه الآية تذكير بقوله: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣]. أيْ: تزرعون في أرحام أزواجكم. أو غيرها من الزراعات.

[٦٤] ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾:

﴿ءَأَنتُمْ﴾: استفهام تقريري استنكاري، الجواب محذوف تقديره: لا تزرعونه.

﴿تَزْرَعُونَهُۥٓ﴾: الزّراعة تشمل الحرث والبذر والسّقي والنّمو، ثمّ الحصاد. أو تطور الجنين يمر بمراحل في رحم أمه.

﴿أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾: أم للإضراب الانتقالي، نحن: للتعظيم والاختصاص، الزّارعون: المنبتون؛ لأن الله سبحانه هو المنبت الزّرع، والزارعون: تدل على الفعل؛ أي: الحدث نفسه مقارنة بقوله تعالى: ﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾ [الفتح:٢٩]؛ الزراع: تدل على الاسم؛ أي: من مهنته الزراعة.

[٦٥] ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾:

﴿لَوْ﴾: حرف امتناع لامتناع.

﴿نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ﴾: اللام لام التّوكيد، لجعلناه: والضّمير يعود على الزّرع.

﴿حُطَٰمًا﴾: لا نفع منه بالكلية؛ لا حب فيه فارغ من الحب، متحطماً: متكسراً عقوبة لكم على شرككم وتكذيبكم بآيات الله.

﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾: أصلها فظللتم: حذف اللام لقصر الزّمن: أيْ: لم يمضِ زمناً طويلاً حتّى صرتم تفكهون: تعجبون لما حل بزرعكم من هلاك ودمار، وقيل: تفكهون تندمون أو تتلاومون أو تتفجعون.

ارجع إلى سورة الطور آية (١٨)، وسورة ياسين آية (٥٥)، وسورة المطففين آية (٣١) للمقارنة ومزيد من البيان.

[٦٦] ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾:

﴿إِنَّا﴾: للتوكيد.

﴿لَمُغْرَمُونَ﴾: اللام: للتوكيد، مغرمون: جمع مغرم والمغرم: من الغرم، أو الغرامة: ما يلزم أداؤه، والغريم: الذي عليه الدين، والمغرم أيضاً: هو الذي ذهب ماله من دون عوض أو مقابل، أيْ: ما أنفقه على حرثه وبذره وزرعه كأنّه غُرم غرامة دفعها كعقوبة على ما ارتكبه من الآثام والمعاصي والغرامة: المبلغ المالي الذي يدفعه العبد على مخالفة القانون الوضعي.

أيْ: إنا لمعذبون؛ لأن الغرام عند العرب العذاب، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥] أيْ: إننا لمعذبون بنقص الحرث، أي: الرزق؛ ومغرمون: جملة اسمية تدل على الثبوت والاستمرار.

[٦٧] ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾:

﴿بَلْ﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾: من الـرّزق، أيْ: حُرمنا ما كنا نطمع بـه من الزّرع والرّزق بشكل كامل أو الولد وغيرها.

[٦٨] ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ﴾:

﴿أَفَرَءَيْتُمْ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٥٨).

﴿ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ﴾: هـذه الآية تذكير بنعمة الله علـىٰ عباده، وهي الماء العذب الذي يشربونه.

[٦٩] ﴿ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ﴾:

﴿ءَأَنتُمْ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٥٩).

﴿أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ﴾: المزن السّحاب الأبيض الذي يحمل الماء.

﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ﴾: أم: للإضراب الانتقالي، نحن: للتعظيم والاختصاص، المنزلون: اللـه هو وحده المنزل والمنزلون جملة اسـمية تـدل علىٰ الثّبوت. المنزلون من السحب الماء العذب.

[٧٠] ﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾:

﴿لَوْ﴾: شرطية.

﴿جَعَلْنَٰهُ﴾: أي: الماء الذي تشربون (الماء العذب).

﴿جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا﴾: مالحاً مرّاً (أي: جمع بين الملوحة والمرارة) لأصبح غير صالحاً للشـرب وغير مستساغ، ولكن يمكن اسـتعماله في أغراض أخرىٰ مثل الغسل وري الأرض وغيرها، فإذا قارنا (حطاماً) بقوله (أجاجاً) لوجدنا (حطاماً)

أشـــد عقوبة من (أجاجاً)، ولذلك أضاف اللام في (لجعلنـــاه حطاماً) للتوكيد، وحذف اللام في (جعلناه أجاجاً).

﴿فَلَوْلَا﴾: الفاء للتوكيد، لولا: أداة حضٍّ وحثٍّ.

﴿تَشْكُرُونَ﴾: اللـــه تعالىٰ علـــىٰ نعمة المـــاء العذب باللســـان والطّاعة والإيمان به، تشـــكرون: بصيغة المضارع تدل علىٰ التّجدُّد والتّكرار؛ ارجع إلىٰ ســـورة الأعراف آية (١٠) لمزيد في معنىٰ تشـــكرون. ولو قارنا هذه الآية: ﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا﴾ [الواقعـــة: ٧٠] مع الآية، وهي: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا﴾ [الواقعة: ٦٥] لوجدنا أنّه أضاف لام التّوكيد للزرع، ولم يضف اللام للماء؛ لأنّ الزّرع إذا تحول إلىٰ حطام لا يستفاد منه مطلقاً في أيِّ غرض أو مجال فالتّهديد والوعيد أشد، أمّا الماء العذب إذا تحول إلىٰ ماء أجاجاً فيمكن أن يســـتفاد منه في بعض الأحيان، في غسل الأواني والأدوات أو في الري كما ذكرنا سابقاً.

[٧١] ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ﴾:

﴿أَفَرَءَيْتُمُ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٥٥).

﴿ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ﴾: تشعلون أو توقدون.

[٧٢] ﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ﴾:

﴿ءَأَنتُمْ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٥٩).

﴿أَنشَأْتُمْ﴾: الإنشاء يعني: الإيجاد والنّمو والتّطور.

﴿شَجَرَتَهَآ﴾: التي تشكل الحطب والبترول أو الغازات الطّبيعة المستعملة في إيقاد النار والطاقة والمحركات والتدفئة، فهذه النباتات والشجر عندما تموت

وتدفن في الأرض قد تتحول إلى الفحم الحجري، هذا الفحم إذا ازداد الضغط عليه يشكل غاز الفحم... وإذا نزلت هذه الأشجار أو الحيوانات البحرية المليئة بالزيوت بعد موتها إلى قيعان البحار وطمرت بالرسوبيات، فقد تتحلل وتشكل لنا البترول والغازات الطبيعية التي أصبحت من مصادر الطاقة الكبرى.

فكل مصادر الطاقة ما عدا النووية مصدرها الشجر الأخضر والنباتات والحيوانات التي خلقت من الأرض، ثم ماتت وعادت إلى الأرض، وهكذا مصير كل كائن حيٍّ... وجواب الاستفهام: لا.

﴿أَمْ نَحْنُ﴾: ارجع إلى الآية (٥٩).

﴿ٱلْمُنشِـُٔونَ﴾: للشجر والنّار والبترول والغاز الطّبيعي والزّيت.

[٧٣] ﴿نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾:

﴿نَحْنُ﴾: للتعظيم والاختصاص.

﴿جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً﴾: أيْ: جعلنا نار الدنيا تذكرة بنار الآخرة، وتذكرة لكلّ عاص وكافر ومشرك، ولكلّ إنسان لكي يتقي منها.

﴿وَمَتَٰعًا﴾: المتاع هو كلّ ما ينتفع منه في الحياة الدّنيا، متاعاً: ينتفع منها المقوين (جمع مقوٍ).

﴿لِّلْمُقْوِينَ﴾: اللام لام الاختصاص، المقوين لها عدة معانٍ:

١ - للمسافرين.

٢ - الجائعين: المقوي الجائع الذي خلت بطنه من الطّعام لكي يطبخ طعامه.

٣ - أهل البادية والصّحراء أهــل القفر الأرض الخالية من العمران. فكل هؤلاء بحاجة إلىٰ النّــار للطبخ وتحضير الطّعام والاهتداء والتّدفئة والإنارة ورؤية ما حولهم وتجنب الأذىٰ.

[٧٤] ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾:

﴿فَسَبِّحْ﴾: الفاء رابطة لجواب شــرط مقدر هو بما أنّ الله ســبحانه أنعم عليك كلّ هذه النّعم، فعليك أن تسبحه، والتّسبيح هو تنزيه الله سبحانه عن الولد والشّريك والنّد والمثل، وتنزيه الله عما لا يليق بذاته وصفاته وأسمائه الحسنىٰ، ولمعرفة المزيد ارجع إلىٰ الآية (١) من سورة الحديد. وسورة الإسراء آية (١).

﴿بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾: البــاء للتوكيد، اســم ربك: هو الله تعالــىٰ الإله المعبود واجب الوجود.

﴿ٱلْعَظِيمِ﴾: صيغة مشــبهة من عظم: أي: الموصــوف بصفات الكمال والكبرياء والجلال والعلو والمجد المستحق التّعظيم من عباده بالطّاعة والشّكر والذّكر والتّنزيه والتّقديس.

وقيل: لما نزلت هذه الآية: فســبح باسم ربك العظيم قال رسول الله ﷺ: اجعلوها في ركوعكم، كما أخرج الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه وغيره، أيْ: قولوا: سبحان ربي العظيم ثلاثاً.

[٧٥] ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾:

﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾: الفاء استئنافية، لا أقسم؛ أي: أقسم قسماً مؤكداً، والقسم: يأتي في القرآن في ســياق الصــدق، وأما الحلف: فيأتي في ســياق الكذب، أو

إضمار الكذب، واليمين: يطلق على القسم المؤكد، أو الموثق باليمين؛ ارجع إلى سورة القيامة الآية (١) للبيان، ولا يقسم الله سبحانه إلا بشيء عظيم، وهو سبحانه غني عن القسم.

﴿بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾: النّجوم: أجرام سماوية تقدر بأكثر من تريليون نجم في مجرتنا مجرة التّبانة وحدها، وهي أجرام مضيئة بذاتها متماسكة بقوى الجاذبية والقوى الكهرومغناطيسية، وتبدو لنا النّجوم، وكأنّها ثابتة في السّماء، ولكنها في الحقيقة تدور وتتحرك، ولكن بعدها عن الأرض تجعلنا نراها، وكأنّها ثابتة، وكذلك الكواكب الأخرى تتحرك حركة مستمرة من لحظة إلى أخرى والضوء المنطلق منها يخرج بشكل متعرج بسبب البيئة الفلكية، فلكل كوكب بيئة فلكية مختلفة، ويبدو لنا غير متعرج لبعدها عنا وتنزل مواقع أو منازل جديدة، وتختلف في أحجامها ودرجات حرارتها والشّمس تعد إحدى هذه النّجوم، وتبعد عنا (١٥٠) مليون كم، وضوءُها يصل إلينا بعد (٨،٣) دقيقة (ثمان دقائق وثلاث أجزاء الدقيقة).

وكذلك هذه النّجوم البعيدة جداً عن الأرض فإننا حين نراها نظن أننا نراها بذاتها، والحقيقة العلمية أننا لا نرى النّجوم أبداً، وإنما نرى مواقعها التي شعت منها وكانت فيها أو مرت عليها وتركتها منذ أزمان قصيرة أو طويلة؛ لأنّها تتحرك بسرعات هائلة وتنتقل من موقع إلى موقع جديد، وبعض هذه النّجوم التي نرى أشعتها التي شعت منها منذ زمن طويل أو قصير ربما خبت أو اختفت وتفجرت عنا، ولم تعد تُرى أين هي فلكلّ نجم مواقع كثيرة، وبما أنّ عدد النّجوم الهائل فمواقعها أكثر من عددها، وكيف تتحرك ولا تصطدم ببعضها وتختفي، ثمّ تظهر

بعد السّنين الطويلة كلّ ذلك يدل على عظمته وقدرته سبحانه وأنّه الإله الحق الذي لا إله إلا هو، ويجب عدم الخلط بين مواقع النّجوم ومنازل القمر.

[٧٦] ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾:

﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ﴾: الواو للتوكيد، إنّه كذلك للتوكيد، لقسم: اللام لزيادة التّوكيد والتّهويل وتعظيم هذا القسم، والهاء تعود على مواقع النّجوم وعددها وحركتها ونظامها.

﴿لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ لو شرطية، أيْ: لو كنتم من أهل العلم لعلمتم عظم هذا القسم، وجواب لو محذوف أريد به نفي العلم عن النّاس أجمعين عن إدراك حقيقة ما يقوله رب العالمين عن مواقع النّجوم، ولا يستثنى منه أحداً، تعلمون تدل على التّجدُّد والتّكرار.

❖ ❖ ❖

إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا
ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ
أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَآ
إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ
إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ
﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ
﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ
ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ
ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ
﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

## سُورَةُ الحَدِيدِ

ترتيبها ٥٧ — آياتها ٢٩

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُۥ مُلْكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾
هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾

## سورة الواقعة [الآيات ٧٧ - ٩٦]

[٧٧] ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾:

جواب القسم.

﴿إِنَّهُۥ﴾: للتوكيد.

﴿لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾: اللام للتوكيد أيضاً، كريم: بمصدره وكريم بذاته وكريم بعطائه، كريم على الله تعالى كرَّمه الله؛ أيْ: أعزه ورفع منزلته على سائر الكتب السّماوية كثير النّفع والفائدة لا ينفد نفعه من الهداية والرّحمة والشّفاء والأجر والشّفاعة والحكمة والموعظة، قراءة كلّ حرف يقابلها (١٠) حسنات مثل ألم يقابلها (٣٠) حسنة.

والسّؤال: ما علاقة القسم بالنّجوم والمقسم عليه، وهو القرآن الكريم أو لماذا اختار الله سبحانه القسم بالنّجوم للقول بأنَّ القرآن كريم، فلعل ذلك يرجع إلى كون النّجوم مصدر للهداية من ظلمات البر والبحر التي هي ظلمات حسية، والقرآن الكريم هو مصدر للهداية من ظلمات الجهل والضّلال (ظلمات معنوية) فالقسم جمع بين الهدايتين.

[٧٨] ﴿فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ﴾:

﴿فِى﴾: ظرفية.

﴿كِتَٰبٍ﴾: هو اللوح المحفوظ.

﴿مَّكْنُونٍ﴾: مصون، أو مستور عن الخلق والشّياطين والجن لا يصلون إليه.

[٧٩] ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾:

كقوله تعالى: ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [عبس:١٣-١٦].

﴿لَّا﴾: النّافية.

﴿يَمَسُّهُۥٓ﴾: مشتقة من المس وهو أخف درجات اللمس: لا يصل إليه أو يقرؤه إلا المطهرون.

﴿إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾: إلا أداة حصر، المطهرون: الملائكة، المطهرون: من الجنابة والبول والغائط، أي: من النّجاسة ومطهَّرون من الذّنوب والآثام خلقهم الله تعالى مطهرون، وأمّا قوله المتطهرون، فالمتطهر هو الذي يكتسب الطّهارة بالوضوء والغسل كالإنسان.

ارجع إلى سورة التوبة آية (١٠٨) وسورة البقرة آية (٢٢٢) للمقارنة والبيان.

[٨٠] ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾:

﴿تَنزِيلٌ﴾: أي: القرآن الكريم؛ تنزيلٌ؛ لأنه منزل من عند الله تعالى نزل به جبريل (الروح الأمين) عليه السلام.

وصف الله سبحانه كتابه بأربع صفات:

**الصّفة الأولى**: قرآن كريم.

**الثّانية**: هي كتاب مكنون.

**الثّالثة**: لا يمسه إلا المطهرون.

**الرّابعة**: تنزيل من رب العالمين، أيْ: نزل تنزيلاً، أيْ: مقسطاً منجماً من رب العالمين، كما قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٣ - ١٩٤].

﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: الرّب هو الخالق والمالك والحاكم والقيم والمربي والرّزاق والمنعم، العالمين: البشر أو العقلاء أو المكلفين بما فيهم ذوو العلم، ورب الخلق كلّهم أجمعين، (رب عالم الملائكة، وعالم الإنس والجن، وعالم الحيوان والنّبات والجماد).

[٨١] ﴿أَفَبِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ﴾:

﴿أَفَبِهَٰذَا﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري، والفاء للتوكيد، والباء للإلصاق والملازمة، هذا: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة يشير إلى القرآن الكريم (الحديث).

﴿الْحَدِيثِ﴾: أي: القرآن الكريم، وسُمِّي الحديث: لأنه يُحدِّث بما كان، وما هو كائن، وما سيكون في المستقبل من أحداث مثل يوم القيامة والجنّة والنّار وما سيحدث للسموات والأرض والخلق.

والحديث: يعني: الخبر أو الأخبار، ويستدعي أنّ هناك محدثاً ومشاركاً وسُمِّي بالحديث؛ لأنّ النّاس يتحدثون به دائماً وما يتجدَّد ويتكرَّر.

﴿أَنتُم﴾: للتوكيد.

﴿مُّدْهِنُونَ﴾: من الإدهان وهو في الأصل دهن الجلد بالدّهن أو ما يشابه ذلك ليلين، ومنه اشتقت المداهنة: أي: التهاون في الأمر، أيْ: يلين جانبه مما يؤدِّي إلىٰ التّنازل والتّلاين أو المدارة في أمر الدّين لأجل شيء من دنياه، وقد تشتد المداهنة، وتصل إلىٰ درجة النّفاق فقيل: المدهن الذي ظاهره خلاف باطنه؛ أي: تلينون القول للمكذبين به أو متهاونون به (غير مبالين) بمن كذب به.

[٨٢] ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾:

كلمة رزقكم تعني: شكركم؛ لأنّ شكر الرّزق سبباً لزيادته فأطلق السّبب، وأريد به المسبب وهو الشّكر، أيْ: وتجعلون شكركم لله بإنزال القرآن عليكم أنّكم تكذبون به وتعرضون عنه، فماذا أنتم فاعلون حين تبلغ أرواحكم الحلقوم، أو تجعلون شكر رزقكم المطر من السّماء أن تقولوا مطرنا بسبب كذا. أي: الشرك بالله. وتكذِّبون بصيغة المضارع لتدل علىٰ التّجدُّد والتّكرار.

[٨٣] ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾:

﴿فَلَوْلَآ﴾: الفاء للتوكيد، لولا: أداة حضٍّ وحثٍّ، كلّها تعني التّحدِّي.

﴿إِذَا﴾: شرطية تفيد الحتمية.

﴿بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾: أيْ: بلغت روح المريض أو المحتضر، وهي تنتزع من

جسمه منطقة الحلقوم، وهي المنطقة بين البلعوم والحنجرة (على مستوى قاعدة اللسان).

[٨٤] ﴿وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ﴾:

﴿وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ﴾: حين: ظرف أضيف إلى ظرف هو إذن للتمكين والتّوكيد بجوار المتحضر تنظرون إليه وهو غمرات الموت (سكرات الموت) وليس باستطاعتكم ردَّ روحه إليه.

﴿تَنظُرُونَ﴾: تنظرون إليه وأنتم عاجزون عن فعل أيِّ شيء.

[٨٥] ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾:

﴿وَنَحْنُ﴾: للتعظيم، الله سبحانه بعلمه وملك الموت وملائكة الموت (الذين ينتزعون روحه والذين ينتظرون لحمل روحه إلى عليين أو سجين).

﴿أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾: بالعلم والمكان والنّظر.

نحن أقرب إليه منكم رغم أنكم جالسون بقربه تنظرون إليه.

﴿وَلَٰكِن﴾: حرف استدراك وتوكيد.

﴿لَّا تُبْصِرُونَ﴾: لا النّافية، تبصرون: أيْ: لا ترون الملائكة وملك الموت وما يفعلون به.

[٨٦] ﴿فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾:

﴿فَلَوْلَا﴾: الفاء للتوكيد، لولا: أداة حضٍّ وحثٍّ يفيد التّحدِّي والإعجاز.

﴿إِن﴾: شرطية تفيد الاحتمال أو الشّك.

﴿كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾: أيْ: إن كنتم غير محاسبين بعد الموت أو غير مبعوثين للحساب أو مجزيين على أعمالكم في الدّنيا.

[٨٧] ﴿تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾:

﴿تَرْجِعُونَهَآ﴾: ترجعون أو تمنعون خروج تلك الرّوح التي انتزعت من صاحبها المحتضر، والتي بلغت الحلقوم تبقونها في جسمه، أيْ: تبقونه حياً.

﴿إِن﴾: شرطية تفيد الشّك والندرة.

﴿كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾: في زعمكم أنكم غير محاسبين أو مدينين، انتبه إلى أنّ التّحدِّي والرّوح ما زالت لم تفارق الجسم بعد، ولم يتحدَّهم بعد تمام خروجها وقبضها.

[٨٨] ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾:

﴿فَأَمَّآ﴾: الفاء استئنافية، أما: حرف تفصيل.

﴿إِن﴾: شرطية تفيد الاحتمال والنّدرة.

﴿كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾: كان المحتضر أو المتوفّى من السّابقين السّابقين. ارجع إلى الآية (١١) من نفس السّورة.

[٨٩] ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾:

﴿فَرَوْحٌ﴾: الفاء: للتوكيد، روح: الفرح والراحة كما قال ابن عباس؛ أي: راحة وسرور من تعب الدّنيا واستراحة، وقيل: حياة دائمة بلا موت.

﴿وَرَيْحَانٌ﴾: الطيب، والرّيحان: شجر لورقه رائحة طيبة، وقيل: الرزق.

﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾: نعيم: من النعيم، وهو ما ينعمُ الله به على عباده المؤمنين في الآخرة، والنعيم يدل على النعم الكثيرة التي أعدت للمتقين؛ ارجع إلى الآية (١٢) من نفس السورة.

[٩٠] ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾:

﴿وَأَمَّآ﴾: حرف شرط وتفصيل.

﴿إِن﴾: شرطية تفيد الاحتمال.

﴿كَانَ﴾: المتوفَّى.

﴿مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾: ارجع إلى الآية (٢٧) من نفس السّورة.

[٩١] ﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾:

﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ﴾: الفاء رابطة لجواب الشّرط، سلام: نكرة يشمل سلام التّحية والسّلام من كل آفة ومرض ومكروه، وسلام: أمن وطمأنينة، سلام لك: من إخوانك أصحاب اليمين.

[٩٢] ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ﴾:

﴿وَأَمَّآ﴾: حرف شرط وتفصيل.

﴿إِن﴾: شرطية تفيد الاحتمال أو الفرض.

﴿كَانَ﴾: المتوفَّى في الدّنيا.

﴿مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾: بالله وآياته ورسله وكتبه والبعث والآخرة.

﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾: عن دين الحق أو الصّراط المستقيم (الإسلام).

[٩٣] ﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾:

﴿فَنُزُلٌ﴾: الفاء رابطة لجواب الشّرط، نزل: ما يعد للضيف من القرى والكرم من المأكل والمشرب والمبيت والرّاحة، واستعملت هنا للتهكم والتّقريع. أيْ: نزله أو إكرامه سيكون من حميم ونار معدة لحرقه.

﴿مِّنْ حَمِيمٍ﴾: من ابتدائية، حميم: ماء حميم في منتهى الحرارة والغليان.

[٩٤] ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾:

﴿وَتَصْلِيَةُ﴾: التّصلية مصدر صلاه: إذا أحرقه وشواه.

﴿جَحِيمٍ﴾: النّار المؤجّجة اسم من أسماء النّار. ارجع إلى سورة الرعد آية (١٨) لمزيد من البيان.

[٩٥] ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾:

في هذه الآية أربع توكيدات: إن واللام في كلمة لهو وضمير الفصل هو وإضافة الشيء إلى مرادفه للتوكيد مثل إضافة الحق إلى اليقين.

﴿هَٰذَا﴾: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة للقرب ويشير إلى الوعد والوعيد والبعث والحساب، وما ذكر عن أصحاب اليمين والشّمال والمقربين ويوم القيامة.

﴿لَهُوَ﴾: اللام للتوكيد، هو ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾: الحق هو الأمر الثّابت الـذي لا يتغيَّر أو يتبدَّل واليقين هو العلم الذي ليس هناك غيره.

ودرجات اليقين في القرآن هي ثلاث:

١ - علم اليقين: وهو أعلىٰ وأصدق درجات العلم علىٰ الإطلاق.

٢ - عين اليقين: وهي أعلىٰ وأصدق درجات الرؤيا علىٰ الإطلاق.

٣ - حق اليقين: ويشمل العلم والعين، ولا يوجد هناك درجة أعلىٰ من هذه الدرجة. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٤) لمزيد من البيان.

[٩٦] ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾:

ارجع إلىٰ الآية (٧٤) للبيان.

❖ ❖ ❖

إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا
ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ
أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَآ
إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ
إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ
﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ
﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ
ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ
ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ
﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

## سُورَةُ الْحَدِيدِ

ترتيبها ٥٧ — آياتها ٢٩

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُۥ مُلْكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾
هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾

## سورة الحديد [الآيات ١ - ٣]

ترتيبها في القرآن (٥٧) وترتيبها في النزول (٩٤) ومن المعجزات العددية أنّ رقم سورة الحديد في القرآن (٥٧) والوزن الذّري لمعدن الحديد هو (٥٧) أيضاً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾:

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾: التّسبيح هو تنزيه الله تعالىٰ تنزيهاً كاملاً من كلّ نقص وعجز وعيب وولد وشريك وندّ ومثيل تنزيهاً لذاته فلا ذاتاً مثل ذاته، ولصفاته فلا صفة مثل صفاته، ولأفعاله فلا فعلاً مثل أفعاله، تنزيهاً مطلقاً ليس مرتبطاً بزمان ولا مكان.

والتّسبيح لا يكون إلا لله وحده فلا يوجد غيره تعالىٰ ليُسبَّح، والتّسبيح أمر ثابت لله تعالىٰ في الماضي والحاضر والمستقبل، والتّسبيح هو نوع من أنواع الذّكر، فكل تسبيح هو ذكر وليس كلّ ذكر تسبيحاً.

وجاء التّسبيح بكلّ الصّيغ الماضي والحاضر والأمر؛ ليدل علىٰ أنّ تسبيحه مستمر منذ الأزل إلىٰ أن تقوم السّاعة لا ينقطع أبداً ودائم بدوام ذاته وصفاته؛ تسبّح له السموات السّبع والأرض ومن فيهن، وسواء شارك الإنسان أم لم يشارك، فجاء بصيغة الماضي في سورة الحديد والحشر والصف قال تعالىٰ: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحديد:١]، ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ وَهُوَ

﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر:١] و[الصف:١]، وبصيغة المضارع في سورتي الجمعة والتغابن: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الجمعة:١] و[التغابن:١] ليدل على أنّ التّسبيح يتجدد ويتكرر ومستمر، وبصيغة الأمر في سورة الأعلى والواقعة والحاقة: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى:١]، ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقعة:٧٤-٩٦] وسورة الحاقة (٥٢)، وجاء بصيغة المصدر ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء:١]. ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ [الروم:١٧]، ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء:٤٤].

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾: تقديم الجار والمجرور (لله) يفيد الحصر.

﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: ما لغير العاقل والعاقل الكل سبّح ويسبّح وسيبقى يسبّح لله تعالى من ملائكة ومن شمس وقمر ونجوم وكواكب ورياح ورعد وبرق ومجرّات وغيرها، وبما أن هناك مخلوقات موجودة في السماء، وليست موجودة على الأرض مثل الملائكة الصّافّين من حول العرش والمقرّبين وغيرهم، ومخلوقات موجودة في الأرض غير موجودة في السموات ولذلك كرر (ما في) لذكر كلّ منهما على حدةٍ أو كلاهما معاً، لا يشاركه فيهما أحد، وقيل: تكرار (ما في) يصاحب الكلام عن أهل الأرض، أو يصاحب التفصيل في الآيات.

﴿وَهُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: القوي والقاهر الذي يَقهر ولا يُقهر والغالب الذي يَغلب ولا يُغلب، الممتنع لا يناله أحد بسوء.

﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: الحكيم في تدبير شؤون خلقه وكونه وشرعه، فهو أحكم الحاكمين وهو أحكم الحكماء.

ارجع إلى سورة البقرة آية (١٢٩) لمزيد من البيان. فالله سبحانه وتعالى

يستحق أن يعبد ويُسبَّح لعظمته وقدرته ونعمه وخلقه، ولأنه العزيز الحكيم، ولأنّه مالك السماوات والأرض وله المُلك؛ أي: الحكم.

[٢] ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾:

﴿لَهُۥ﴾: تقديم (له) يفيد الحصر؛ أي: له وحده لا يشاركه أحد في الملك.

﴿مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: له الحكم التّام المطلق يحكم ما يشاء، ولا معقِّب لحكمه، وسبحانه هو المالك والحاكم يتصرف كيف يشاء في ملكه.

﴿يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾: يُحيي من يشاء ويميت من يشاء من إنس وجن وحيوان ونبات وجماد.

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾: تام القدرة لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السّماء.

ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٠) لمزيد من البيان.

[٣] ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾:

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد والحصر.

﴿ٱلْأَوَّلُ﴾: على الإطلاق والقصر، واجب الوجود ليس كمثله شيء ولا يشاركه في هذه الصّفات أحد؛ وله سبحانه أن يصف ذاته بما يشاء، ولا يجوز وصفه بالقول: هو السابق أو بالشيء، بل نصفه كما وصف ذاته سبحانه بدون تحريف أو تبديل؛ لأنّ ذلك يوهم أنّ معه أشياء موجودة قد سبقها، ولا يجوز القول: هو الأوّل قبل كلّ شيء؛ لأنّ الله سبحانه ليس شيئاً، ولا يجوز القول: هو قبل الأشياء أو بعدها، ولا يجوز القول: قبل أو بعد؛ لأنّه سبحانه غير محدد

بزمن قبل أو بعد فالله سبحانه تفرّد بالكمال المطلق والإحاطة المطلقة الزّمانية والمكانية؛ لأنه خالق الزمان والمكان.

﴿وَٱلْآخِرُ﴾: على الإطلاق والقصر.

﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾: للوجود بكثرة آياته والأدلة والبراهين.

﴿وَٱلْبَاطِنُ﴾: لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ولا تحيط به العقول، يعلم ما ظهر وما بطن، يعلم السّر وأخفى، والنّجوى وذوات الصّدور، والواو: هنا جاءت للاهتمام ولتقريب أو جمع الصّفات المتباعدة: الأوّل والآخر والظّاهر والباطن.

﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: (وهو) ضمير فصل يفيد التّوكيد، بكلّ: الباء للإلصاق وكلّ للتوكيد، شيء عليم: عليم صيغة مبالغة، أحاط علمه المطلق بكلّ شيء في السموات والأرض، وكما قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ﴾ [يونس:٦١].

❖ ❖ ❖

هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ
عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ
ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ
﴿٥﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ
ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم
مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾
وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ
أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ
ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ
لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ
وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ
وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ مَّن ذَا
ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾

## سورة الحديد [الآيات ٤ - ١١]

[٤] ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾:

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد والحصر.

﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول يفيد التّعظيم.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾: ارجع إلىٰ سورة فصلت الآيات (٩-١٢) وسورة الفرقان الآية (٥٩) وسورة الأنبياء آية (٣٠)، وسورة الأعراف آية (٥٤).

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: يلج من الولوج: هو الدّخول بصعوبة وشدة فالدّخول أوسع من الولوج، يلج في الأرض من كنوز ومعادن وبذور وماء وأموات. ارجع إلىٰ سورة سبأ آية (٢) للبيان.

﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾: من نباتات ومعادن وبترول وغازات وأبخرة.

﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: من مطر وعذاب وثلج وصواعق، وملائكة ومواد منفجرة من كواكب أخرىٰ. ارجع إلىٰ سورة سبأ آية (٢) لمزيد من البيان.

﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾: من أبخرة وأعمال وملائكة، وغيرها من مركبات فضائية وأقمار صناعية. والعروج: هو الصّعود بشكل مائل. ارجع إلىٰ سورة الحجر الآية (١٤) للبيان، ارجع إلىٰ سورة سبأ الآية (٢) لمزيد من البيان.

﴿وَهُوَ﴾: ضمير يعود علىٰ الله سبحانه الذي خلق السموات والأرض.

﴿مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾: في الأرض أو البحار أو تحت البحار أو في السّماء؛ أي: الله سبحانه معكم بعلمه وببصره وهو أقرب إليكم من حبل الوريد فلا تخفىٰ عليه خافية، وهذه المعية عامة لجميع الخلق معهم بالعلم والقدرة والرّؤية وهناك المعية الخاصة للمتقين والمحسنين كقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل:١٢٨] ولا تعني المعية بنوعيها المعية بالذّات أبداً.

﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: بما: الباء للإلصاق والدّوام، ما: تعني الذي، وما أوسع شمولاً من الذي أو مصدرية، بصير؛ أي: يرىٰ أعمالكم (الأقوال والأفعال) الظّاهرة والباطنة فلا يخفىٰ عليه شيء.

[٥] ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾:

﴿لَهُ﴾: تقديم الجار والمجرور (له) يفيد التّوكيد والحصر؛ أي: له وحده ملك السموات والأرض.

﴿مُلْكُ﴾: أي الحكم والملك فهو الحاكم ومالك السموات والأرض.

﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: قد تكون هذه الآية تكراراً للآية (٢)، والتّكرار يفيد التّوكيد من جهة، وقد لا يكون ذلك وإنما يعني:

له ملك السموات والأرض؛ أي: الحكم في الدّنيا؛ لقوله: ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

وله ملك السموات والأرض؛ أي: الحكم في الآخرة؛ لقوله: ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾.

﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾: تقديم الجار والمجرور (إلىٰ الله) بدلاً من القول ترجع الأمور إلىٰ الله، يفيد الحصر: إليه وحده ترجع الأمور كلّها؛ للنظر فيها وإصدار الحكم.

[٦] ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾:

ارجع إلىٰ سورة آل عمران الآية (٢٧) للبيان.

﴿وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: وردت (عليم بذات الصّدور) (١٢) مرة في القرآن، ارجع إلىٰ سورة آل عمران الآية (١١٩) للبيان.

[٧] ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾:

﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾: صدقوا بألوهيته وربوبيته، بوحدانيته وصفاته وأفعاله وبما أنزل عليكم وبرسوله؛ أي: بما أتاكم به أو نهاكم عنه واتّبعوه.

﴿وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾: أنفقوا في سبيل الله، مما: مركبة (من ما): من البعضية، ما: بمعنىٰ الذي، وما أكثر شمولاً وعموماً أو مصدرية؛ أي: أنفقوا من بعض (وليس كل) ما جعلكم مستخلفين فيه من الرزق (المال والمتاع وغيره).

﴿مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾: جمع مستخلف: تدل علىٰ أنّ الملك الحقيقي هو لله تعالىٰ وحده.

﴿فَٱلَّذِينَ﴾: الفاء للتوكيد، الذين: اسم موصول يفيد المدح.

﴿ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟﴾: خاصة.

﴿لَهُمْ﴾: اللام لام الاختصاص والاستحقاق.

﴿أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾: الأجر علىٰ طاعتهم وعبادتهم بالقول والفعل والأجر الكبير. قيل: هو الجنة.

[٨] ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾:

﴿وَمَا لَكُمْ﴾: ما استفهام، فيها معنى التّوبيخ على عدم إيمانهم رغم كلّ هذه الآيات الدّالة على عظمة الخالق، وأنّه الإله الحق الذي يستحق أن يُعبد.

﴿لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾: لا النّافية، تؤمنون بالله: إيمان العقيدة، والباء للإلصاق، تصدّقون بوحدانيته وألوهيته وربوبيته.

﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ﴾: أي جاءكم بالحجج والبراهين (الآيات) التي تبعث على الإيمان، فبادروا إلى الإيمان واتركوا الكفر.

﴿لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ﴾: اللام لام التّعليل، بربكم: خالقكم ومربّيكم ورازقكم.

﴿وَقَدْ﴾: قد للتحقيق والتّوكيد.

﴿أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ﴾: الميثاق: هو العهد الموثّق؛ أي: المؤكد بأدلة أو شهود أو أيمان (باليمين).

قد يكون ذلك ميثاق الذّرّ كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ [الأعراف:١٧٢].

﴿إِن﴾: شرطية تفيد الشّك أو الاحتمال والنّدرة.

﴿كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: أي إن كنتم صادقين في إيمانكم فقد جاءتكم كلّ الدّواعي والأسباب للإيمان بإرسال رسوله إليكم وإنزال أعظم كتبه عليكم، وأبان لكم طريق الخير من الشّر.

[٩] ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾:

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد والحصر، ويعود على: الله ربكم.

﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول يفيد المدح والتّعظيم.

﴿يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ﴾: ينـزّل بصيغة المضارع؛ لتدل علىٰ التّجدد والتّكرار، ينزّل علىٰ دفعات، عبده: محمّد ﷺ، وإضافة الهاء تدل علىٰ التّشريف والتّكريم.

﴿ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾: أي آيات قرآنية أو معجـزات أو بيّنات أو دلائل وبراهين كافية وواضحة.

﴿لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: اللام لام التّعليل، يخرجكم من ظلمات الجهل والضّلال والشّرك، والكفر والمعاصي والهوىٰ.

﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾: نور الإيمان والهدىٰ، وهو القرآن والسّـنة والإسلام، وبين أنّ النّور واحد أما الظّلمات فهي متعددة.

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ﴾: إنّ للتوكيد.

﴿بِكُمْ﴾: الباء للإلصاق، بكم خاصة أيها المؤمنون، ولم يقل بالنّاس.

﴿لَرَءُوفٌ﴾: الـلام للتوكيد، الرّأفة أشـد من الرّحمـة، والرّأفة أخص من الرّحمـة، والرحمة عامة تعم المؤمـن وغير المؤمن، أما الرأفـة: خاصة بعباده المؤمنين، فهو لا يحمّل عباده ما لا يطيقون، وما جعل عليهم في الدين من حرج، وشرع لهم الرخص في السفر والمرض وغيرها.

﴿رَّحِيمٌ﴾: مـن الرّحمـة علىٰ وزن فعيـل: كثير الرّحمـة، وخاصة بعباده المؤمنين، دائم الرّحمة، والرّحمة هي الوقاية من السّيئات والضّر وجلب ما يسُر. وإذا قارنا هذه الآية وهي قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ مع الآية (٧) في سـورة النحل وهي قوله تعالـىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾: نجد أن الآية في الحديد خاصة بالمؤمنين، والآية في سـورة النحل عامة بالكل وفي سياق تعداد النعم علىٰ العباد عامة، والآية في سورة الحديد جاءت في سياق العبادة والإيمان

والإنفاق ولذلك ذكر الله تعالىٰ المعبود، وآية النحل جاءت في سياق تعداد النعم التي هي من الرب جلىٰ وعلا.

[١٠] ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾:

﴿وَمَا لَكُمْ﴾: ما: الاستفهامية، وفيها معنىٰ التّعجب والتّوبيخ؛ أي: ما لكم من حجة أو عذر من عدم الإنفاق.

﴿أَلَّا تُنفِقُوا﴾: ألا: أصلها أن المصدرية تفيد التّعليل والتّوكيد.

﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: أي لوجه الله أو ابتغاء مرضات الله.

وإذا قارنّا هذه الآية ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا﴾ مع قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ نجده شدّد علىٰ التّوبيخ علىٰ عدم الإيمان بالله أكثر من التّوبيخ علىٰ عدم الإنفاق بإضافة نون التّوكيد؛ لأنّ الإنفاق لا جدوىٰ منه ويحبط ثوابه إذا كان المنفق غير مؤمن، والإيمان يحب أن يؤخذ به مباشرة بدون تأخير، بينما الإنفاق يمكن أن يؤخّر.

﴿وَلِلَّهِ﴾: تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر.

﴿مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: بعد فناء خلقه إليه يرجع كلّ الملك في السموات والأرض.

﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم﴾: لا: النّافية، يستوي منكم: مَن أنفق من قبل الفتح وقاتل؛ أي: الاستواء في الأجر أو الثّواب، منكم: (من) تحمل معنىٰ الإفراد والتّثنية والجمع، وسواء كان ذكراً أو أنثىٰ، منكم خاصة.

﴿مَّنْ أَنفَقَ﴾: من الابتدائية، من للعاقل تحمل معنىٰ العدد القليل أو القلة، بينما استعمال (الذين) يدل علىٰ الكثرة، أنفق من المال بشكل عام.

﴿مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ﴾: أي فتح مكة.

﴿وَقَٰتَلَ﴾: في سبيل الله الكفارَ وأعداء الإسلام، ولم يذكر من بعد الفتح وقاتل؛ لوضوح المعنىٰ، ولم يقل من قبلُ وقاتل: ضمّ اللام يدل علىٰ زمن محدد أو مكان محدد، أمّا كسرها يدل علىٰ زمن غير محدد قريب أو بعيد من قبل الفتح.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة واللام للبعد؛ يفيد المدح والعلو.

﴿أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟﴾: أي من بعد فتح مكة؛ لأنّ حاجة النّاس قبل فتح مكة للمال والإنفاق كانت أشد، وكذلك العدد عدد المسلمين كان أقل وأضعف، أمّا بعد فتح مكة فقد دخل في الإسلام العدد الكبير من النّاس وغنموا من غنائم خيبر وغيرها.. فكانت حالتهم المادية أفضل.

﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾: أي وكلا الفريقين مَن أنفق وقاتل من قبلِ الفتح ومَن أنفق وقاتل من بعد الفتح كلاهما وعد الله الحسنىٰ: وهي الجنة، مع تفاوت درجاتهم.

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾: خبير: أي يعلم بواطن الأمور ومن يعلم بواطن الأمور فهو بالأحرىٰ يعلم ظواهرها؛ أي: يعلم كلاهما، وقدّم تعملون علىٰ خبير؛ لأنّ السّياق في الأعمال والإيمان والإنفاق.

[١١] ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾:

﴿مَّن﴾: اسم استفهام يحمل معنىٰ التّشويق والتّرغيب، والخطاب موجَّهٌ إلىٰ كلّ فرد.

﴿ذَا﴾: اسم إشارة، وحذف الهاء التي تفيد التنبيه.

﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول يفيد المدح. وإذا قارنا قوله تعالىٰ: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى﴾ مع قوله تعالىٰ: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى﴾ تستعمل الهاء (هاء التنبيه) للأمور التي تحتاج تنبيهاً أشد.

﴿يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾: القرض من باب التّطــوع وليس الإلزام، والقرض الحسن لابدّ أن تتوفر فيه الشّروط التالية:

١ - بنيّة حسنة وابتغاء وجه الله.

٢ - بحبٍّ لا بكراهية.

٣ - لا يُتبَع بالمنّ والأذىٰ.

٤ - ومن مال حلال طيب.

٥ - عن طيب نفس.

٦ - وأن يتحرّىٰ الجهات فيعطي القرض لأشد النّاس حاجة.

ويجب الانتباه إلىٰ أنّ القرآن وصف القرض بالحسن في جميع الآيات في القرآن في ســورة البقرة الآية (٢٤٥) وسورة المائدة الآية (١٢) وسورة الحديد الآية (١١) وسورة التّغابن الآية (١٧) وسورة المزمل الآية (٢٠).

﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ﴾: وعد الله بمضاعفــة الأجر أضعافاً كثيرة؛ أي: الحســنة بعشر أمثالها إلىٰ (٧٠٠) ضعف أو أكثر من ذلك باختلاف الأشخاص والأحوال والأوقات، ومضاعفة الأجر تعني مضاعفة الكمّ.

﴿وَلَهُۥٓ﴾: له: اللام لام الاستحقاق (الاختصاص).

﴿أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾: كريم: يعني: الكيف، والأجــر الكريم نوع من أنواع الأجر؛ فهناك الأجر العظيم، والحسن، والممنون، والكبير، والمبين؛ يعني: الجنة، فبيّن فــي هذه الآية الكمّ والكيف ومضاعفة الجر كما قلنــا مضاعفة الكم؛ ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٢٤٥) لمزيد من البيان في القرض الحسن.

❖ ❖ ❖

يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم
بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ
هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا
فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ
ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ
أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ
ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا
مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ
﴿١٥﴾ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ
وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ
فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾
ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟
ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٥٤

## سورة الحديد [الآيات ١٢ — ١٨]

[١٢] ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾:

﴿يَوْمَ﴾: نكرة: للتهويل والتعظيم؛ ويعني يوم القيامة.

﴿تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾: رؤية العين؛ أي: الرؤية رؤية عينية، والمخاطب أيُّ إنسان، والمخبر بذلك هو الله سبحانه وما يخبرنا به الله سبحانه أصدق وأفضل مما تراه عيوننا.

المؤمنين والمؤمنات: المؤمنين (تشمل الرجال والنساء) والمؤمنات: قسم من المؤمنين، جاء بذكر الخاص بعد العام؛ للتوكيد.

﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم﴾: يسعىٰ: من السّعي هو أسرع من المشي ولا يصل إلىٰ درجة الرّكض؛ أي نورهم يسعىٰ: يُسرع بين أيديهم، نورهم: الذي يخرج من وجوههم وأيديهم من آثار الوضوء، فينوّر أمامهم ولا يعني أمامهم قادم نحوهم، وإنما هو نور صادر منهم ويضيء أمامهم فقد يكون أمامهم وبعيداً عنهم ولا يضيء لهم أو يُنتفع منه. وقوله: يسعىٰ بين أيديهم وبأيمانهم، ويدل ذلك علىٰ الإسراع بهم إلىٰ الجنة؛ أي: نور يشعّ منهم ومحدّد بين أيديهم وبأيمانهم؛ أي: يتقدّمهم لا ينفصل عنهم بحيث إذا سعوا (سعىٰ) معهم وإذا وقفوا توقّف فأسند السعي إلىٰ النور، ولم يقل يسعون ليدل ذلك علىٰ الجهد أو التعب يلاقوه أو يعانوه. وبأيمانهم: ذكر الأيمان؛ للتشريف: والباء للإلصاق والملازمة. والمراد به في جميع الجهات.

﴿بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾: تبشّرهم الملائكة، والبشرىٰ إذا أطلقت عادة لا تكون إلا بخبر يسرّ صاحبه إلا إذا استعملت علىٰ سبيل التّهكم أو بشكل مقيد؛ وانظر كيف تحول الكلام من صيغة الغائب: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم﴾ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿بُشْرَىٰكُمُ﴾ بصيغة المخاطب مباشرة، وكان المشهد مشهد البشرىٰ أمامك، وهذا يبعث الفرح والسرور أكثر مما لو قيل بشراهم، وقوله تعالىٰ: ﴿بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾: اليوم بصيغة المعرفة للدلالة علىٰ التوكيد والكمال في ذلك اليوم.

﴿جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾: جناتٌ مثل: جنات الفردوس أو عدن أو جنات النّعيم أو الخلد، تجري من تحتها الأنهار: أي تنبع من تحتها الأنهار.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾: الخلود: الاستمرار والبقاء إلىٰ ما لا نهاية ولكن له نقطة بداية هي زمن دخولهم تلك الجنات.

﴿ذَٰلِكَ﴾: ذا اسم إشارة واللام للبعد.

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾: أعظم أنواع الفوز، أعظم من الفوز الكبير أو المبين. وإذا قارنا هذه الآية: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ مع قوله تعالىٰ في الآية (١١١) من سورة التوبة وهي قوله تعالىٰ: ﴿وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ بزيادة الواو التي تدل علىٰ الفوز العظيم في آية التوبة أقوىٰ وآكد من الفوز العظيم في آية الحديد.

[١٣] ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾:

﴿يَوْمَ﴾: تعود علىٰ: يوم القيامة، أو علىٰ: يوم ترىٰ المؤمنين والمؤمنات.

﴿يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: المنافقون هم الذين قالوا آمنا

بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم (أظهروا الإسلام أخفوا الكفر) يقولون للذين آمنوا: (الذين نورهم يسعىٰ بين أيديهم وبأيمانهم).

﴿ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ﴾: وهـذا يدل علىٰ أنهم في ظلمـة؛ أي: أمهِلونا أو اصبروا قليلاً حتىٰ نلحـق بكم ونقتبس من نوركم (انظرونـا: اصبروا قليلاً) أو انظرونا قليلاً ولم يقولوا انتظرونا؛ لأن الانتظار فيه تمهُّل وإبطاء، فهم يطلبون من المؤمنين والمؤمنات أقل وقت أو زمن حتّىٰ يتمكّنوا من استخدام نور المؤمنين في رؤيـة طريقهم أو ما حولهم؛ لأنّهم لا نور لهم. وهناك احتمال قليل أن يكون معنىٰ انظرونـا: أي انظروا إلينا قليلاً بوجوهكم أو نـوّروا علينا بنوركم، نقتبس من نوركم: جمع نور؛ نور كل مؤمن ومؤمنة، ونوركم: يدل علىٰ عظم هذا النور (نقتبس) صيغة مبالغة من القبس علىٰ وزن نفتعل، القبس: أي نأخذ من نوركم أو نستفيد منه، والقبس يعني شيئاً قليلاً: واقتبس منه ناراً أو علماً؛ أي: استفاد منه.

﴿قِيلَ﴾: مبنـي للمجهول؛ لأنه ليس مهماً معرفـة القائل والمهم المقولة، وقيل: القائل هم الملائكة.

﴿ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗا﴾: أي اسـتديروا وارجعـوا إلـىٰ ورائكم باحثين عن نور آخر، وهذا نوع من التّوبيـخ والتّهكّم، فليس هناك نور آخر. أو: ارجعوا وراءكم إلىٰ الدنيا فالتمسـوا نوراً: الفاء للمباشـرة والتّعقيـب، الالتماس: هو الطّلب، والتماس هذا النّور، وطلبه كان يجب أن يكون بالإيمان والعمل الصّالح في الدنيا وليس الآن.

فيرجعون باحثين عـن ذلك النّور، فيضرب بينهم وبين المؤمنين بسـور؛ أي: حاجز أو حائط. ومنهم من قال: هو السّـور الذي ذكر في سـورة الأعراف: ﴿وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞ﴾ [الأعراف:٤٦].

﴿لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ﴾: أي داخله أو باطنه فيه الرّحمة (أي جانب المؤمنين).

﴿وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾: أو خارج السّور أو ظاهره العذاب؛ أي: حيث يوجد المنافقون.

[١٤] ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾:

﴿يُنَادُونَهُمْ﴾: ينادي المنافقون المؤمنين من وراء السّور، والنّداء لا يكون إلا برفع الصّوت، وأضاف النّون بدلاً من ينادوهم للتوكيد، وينادونهم تدل على تجدد وتكرار النّداء، فلم ينادوهم مرة أو اثنتين، ينادونهم لعلّهم يمدون إليهم يد العون بأيّ شيء ممكن أو يساعدونهم على ما حلّ بهم.

﴿أَلَمْ﴾: الهمزة للاستفهام والتعجب والتقدير.

﴿نَكُن مَّعَكُمْ﴾: نكن معكم في الدنيا. أي: إخوانكم نمدّ لكم يد العون أو نساعدكم، معكم: ولم يقولوا منكم: هناك فرق كبير بين منكم أو معكم، منكم: أي من المؤمنين فهم يعلمون حقيقة إيمانهم في أنفسهم أنهم اتخذوا أيمانهم جُنّة فصدوا عن سبيل الله وكما قال تعالى: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾ [التوبة:٥٦].

﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾: أي قال المؤمنون: بلى، ردّاً على استفهام النّفي. ارجع إلى سورة الأحقاف الآية (٣٤) لمزيد من البيان.

﴿وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾: لكن حرف استدراك وتوكيد والكاف للمخاطب

خاصة، فتنتم أنفسكم: الفتنة هي أشد التّكليف؛ أي: أثقلتموها وحمّلتموها بالنّفاق أو أضللتم أنفسكم في ظلمات المعاصي والشّهوات.

﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾: تربصتم بمحمّد ﷺ وأصحابه الدّوائر أو نوائب الدّهر، والتّربُّص: هو الانتظار والمراقبة مع السّؤال والتّفتيش عن الأنباء والأخبار، وأنّ محمداً سيُغلب ويقهر أو يفشل في رسالته، وأن الإسلام سيندحر، وقدم التربص (الانتظار) على الريبة؛ لأن طول الانتظار يؤدي إلى الريبة.

﴿وَٱرْتَبْتُمْ﴾: الرّيبة هي الشّك والتّهمة، ارتبتم في دين الله تعالى وفي القرآن وفي نبوة محمّد ﷺ، والبعث والحساب والآخرة.

﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ﴾: أي خدعتكم الأماني الكاذبة أو الباطلة (جمع أمنية، والتّمنّي: هو أن يقول القائل: ليت الأمر كذا وكذا) والتّمنّي: معنى في النّفس يقع عند فوات فعل كان للتّمنّي في وقوعه نفع أو في زواله ضرر في الماضي أو المستقبل، وغرّتكم الأمانيّ أنّ النصر والغلبة ستكون لكم. أو أن الله لن ينصر رسوله ﷺ، أو أن الله سيغفر لكم وغيرها...

﴿حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾: وهو إمّا الموت أو نصر الله لدينه ورسوله ودخول الناس في دين الله أفواجاً.

﴿وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾: أي الشّيطان الذي زيّن لكم الكفر والشّرك والنّفاق وسَعة رحمة الله لكم والنّجاة من عذاب الله، ولن يؤاخذكم الله على فسادكم وصدّكم عن سبيل الله تعالى. ارجع إلى سورة فاطر الآية (٥) لمزيد من البيان، والفرق بين الغُرور والغَرور.

[١٥] ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾:

﴿فَٱلْيَوْمَ﴾: الفاء استئنافية، يوم القيامة يوم الحساب.

﴿لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ﴾: الخطاب موجه إلى المنافقين؛ لا النّافية، يؤخذ منكم فدية: الفدية: هو ما يدفع من المال لحفظ النّفس من الهلاك أو النّجاة من النّار أو فكّ الأسر أو غيرها، والفدية ليست مختصة بالمال فقط فهناك فدية من صيام أو صدقة أو نسك، وبما أنّه قال: (لا يؤخذ منكم فدية)، فمعنى ذلك: المال، ولو قال تعالى لا تقبل منكم فدية، فقد يعني المال أو الصّيام أو الصّدقة أو النّسك، منكم: أيّها المنافقون، فدية: نكرة؛ أي: مهما كان نوعها لن تؤخذ منكم. حتى ولو كانت ملء الأرض ذهباً أو ما في الأرض جميعاً ومثله معه.

﴿وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: لا النّافية، وتكرارها يفيد توكيد النّفي: عدم الأخذ؛ أي: لا منكم أيّها المنافقون ولا من الذين كفروا ولا منكما معاً.

﴿مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ﴾: المأوى: دار الإقامة. ارجع إلى سورة الرّعد الآية (١٨) لمزيد من البيان، الخطاب للكفار والمنافقين.

﴿هِىَ مَوْلَىٰكُمْ﴾: أولى بكم أو تتولّى أموركم، مولاكم من: المولى، والمولى؛ أي: المعين والنّاصر؛ فالنار مأواهم ومولاهم معاً، وفي هذا إهانة شديدة لهم؛ أي: النار كل شيء بالنسبة لهم.

﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾: بئس: من أفعال الذّم، المصير: النّهاية والمآل.

[١٦] ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَالَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾:

﴿أَلَمْ﴾: الهمزة للاستفهام وفيها معنىٰ الاستبطاء والتّقرير.

﴿يَأْنِ﴾: يحِن الوقت، من أنَىٰ الوقت، والأين: الحين.

﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ﴾: اللام لام الاختصاص، أن مصدرية تفيد التّعليل والتّوكيد، تخشع قلوبهم لذكر الله: ترقّ وتلين قلوبهم، الخشوع: هو أن تخضع قلوبهم وتذلّ، ويظهر ذلك الخشوع علىٰ الصوت والبصر.

﴿لِذِكْرِ اللَّهِ﴾: آيات الله ووعده ووعيده وعموم الذّكر والموعظة.

﴿وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾: وهو القرآن، ذكر الخاص بعد العام للتوكيد والاهتمام بالقرآن، نزل بشكل منجّم أو علىٰ دفعات من الآيات والذّكر الحكيم، الحق: هو القرآن الحكيم الذي لا يتبدل أو يتغير، والذي ليس هناك غيره.

﴿وَلَا يَكُونُواْ كَالَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَٰبَ﴾: لا النّافية، الذين أوتوا الكتاب: ولم يقل لا يكونوا كالذين آتيناهم الكتاب، أو كأهل الكتاب. أوتوا الكتاب أو أوتوا نصيباً من الكتاب تستعمل في سياق الذّم حين يُبنىٰ للمجهول، والذين أوتوا الكتاب؛ أي: اليهود والنصارىٰ بشكل عام وأهل الكتاب؛ أي: (التوراة والإنجيل).

﴿مِن قَبْلُ﴾: من قبل نزول القرآن، وضمّ اللام يدل علىٰ زمن محدد معلوم؛ أي: لا يكونوا كاليهود والنّصارىٰ في الغفلة أو الإعراض عن ذكر الله، أو عدم الاستجابة له أو في قسوة القلوب وعدم الخشوع.

﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ﴾: أي الزّمن البعيد؛ أي: بينهم وبين أنبيائهم.

﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: الفاء السّببية، لم تعد تلين وتخشع قلوبهم لذكر الله من وعد ووعيد أو آيات الله؛ أي: تنفعل وتسمع لها وتؤخذ بها.

﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾: خارجون عن طاعة اللـه تعالىٰ أو دينه، الفرق بين (كثير منهم فاسقون) وأكثرهم فاسقون: أكثرهم تعني العدد أو النّسبة أكثر من قوله: كثير منهم فاسقون.

[١٧] ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾:

**المناسبة**: كما يحيي الله القلوب القاسية بذكر الله وبآياته، يحيي الله الأرض بعد موتها بماء المطر أو الغيث، وفي هذا دلالة وبرهان علىٰ البعث بعد الموت.

﴿اعْلَمُوا﴾: مشتقة من العلم.

﴿أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: ولم يقل من بعد موتها؛ أي: مباشرة من بعد موتها، وإنما ماتت منذ زمن طويل أو بعيد.

ولمعرفة كيف يحيي الأرض: ارجع إلىٰ سورة الحج آيتين (٥، ٦٣) وسورة فصلت آية (٣٩)، وسورة الأنعام آية (٩٩).

﴿قَدْ﴾: للتحقيق.

﴿بَيَّنَّا لَكُمُ﴾: أوضحنا لكم الآيات، جمع آية سواء كانت آيات القرآن، أو الآيات الكونية والبراهين والدّلائل.

﴿لَعَلَّكُمْ﴾: لعل تفيد التّعليل.

﴿تَعْقِلُونَ﴾: تصلون إلىٰ الحقيقة، من عقل الشّيء: عرفه بدليله وفهمه

بأسبابه ونتائجه. ولعلكم تفهمون معنىٰ تلك الآيات. وإذا قارنا ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ بقوله في الآية (٦٠) من سورة القصص: ﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾، وقوله تعالىٰ في الآية (١١٨) من سورة آل عمران: ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾: نجد أشدها توبيخاً (إن كنتم تعقلون)، ثم تليها (أفلا تعقلون)، و(لعلكم تعقلون) أخفها.

[١٨] ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾:

﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ﴾: إنّ للتوكيد، المصّدّقين والمصّدّقات فيها مبالغة أكثر من المتصدقين والمتصدقات؛ أي: بالغوا في تقديم الصّدقات للفقراء والمساكين؛ أي: المكثرون في إعطاء الصّدقات؛ تضم الزّكاة وصدقة التّطوع والإنفاق في سبيل الله وغيرها، وعلىٰ الفقراء والمساكين وإعلاء كلمة الله ودينه.

﴿وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾: لتعريف القرض الحسن: ارجع إلىٰ الآية السّابقة (١١)، بالنّفقة في سبيله، وفيها ندب ومن باب التّرغيب وليس الإلزام.

﴿يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾: ارجع إلىٰ الآية (١١) للبيان.

❖ ❖ ❖

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ
عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟
بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٩﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ
ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ
وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ
مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ
مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾
سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ
وَٱلْأَرْضِ ۖ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ
ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ مَآ أَصَابَ
مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ
مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا
تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ
لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ
ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾

## سورة الحديد [الآيات ١٩ - ٢٤]

[١٩] ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾:

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾: والذين آمنوا بالله ورسله: ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٨٥) للبيان. أولئك اسم إشارة واللام للبعد يفيد المدح والتّعظيم، هم: للتوكيد، الصّدّيقون: أمثال أبي بكر وعمر وعثمان وعلي والحمزة وطلحة والزّبير وسعد وزيد وغيرهم؛ أي: من سبقوا بالإيمان أو حازوا على درجة الصّدّيقين، والتي تلي درجة النّبوة كما قال تعالى: ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النساء:٦٩].

﴿وَٱلشُّهَدَآءُ﴾: الواو استئنافية، وللاهتمام: الشّهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم، الشّهداء جمع شهيد: وهو من قُتل في سبيل الله.

﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾: العنديّة الخاصة عنديّة الشّرف، لهم درجات منه ومغفرة ورحمة ولهم الحسنى وهم: ﴿أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران:١٦٩]. ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ﴾ ارجع إلى سورة البقرة آية (٣٩) للبيان.

[٢٠] ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾:

﴿ٱعْلَمُوٓا۟﴾: للوعظ والإرشاد، المخاطب كلّ إنسان.

﴿أَنَّمَا﴾: كافة مكفوفة تفيد الحصر أو القصر.

﴿ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾: الدّنيا: صفة، والدّنيا مشتقة من الدّنو والقرب؛ أي: القريبة أو الحياة السّفلىٰ، وقد تسمىٰ العاجلة.

﴿لَعِبٌ﴾: اللعب: هو شغل لا يُلهي عن واجب فإذا صرف الإنسان عن واجب؛ أي: انشغل باللعب عن الصّلاة يسمىٰ اللعب لهواً.

﴿وَلَهْوٌ﴾: هو شغل يُلهي عن واجب وهو أسوأ من اللعب، وهو أعم من اللعب. وقدم اللعب علىٰ اللهو في هذه الآية؛ ارجع إلىٰ سورة العنكبوت آية (٦٤) للمقارنة حيث قدم اللهو علىٰ اللعب.

واللعب بالنسبة للأطفال أمر طبيعي وعادي، وأمّا بالنّسبة للكبار فهو مذموم إن شغل صاحبه عن فرض أو واجب، واللعب إذا كان يتمثل بالرّياضة والسّباحة أو غايته بناء الجسم أو نقص الوزن ومكافحة السّمنة فهو أمر جيد، شرط أن لا يشغل العبد عن صلاته أو واجبه.

﴿وَزِينَةٌ﴾: باللباس والجواهر والحليّ والذّهب والفضة والمتاع وغيره.

﴿وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ﴾: بالألقاب والأنساب، بالقوة والصّورة، واللباس والزّينة، والمساكن والقصور والمراكب كالسّيارات والخيول.. والجاه والسّلطان.. أطلق التّفاخر ولم يحدد؛ لتشمل كلّ أمر.

﴿وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾: وانتبه إلىٰ قوله: (في الأموال والأولاد)، ولم يقل بالأموال وبالأولاد، في: ظرفية، استعمل في لكي لا يحدد المبلغ وإنما تركه مفتوحاً الآلاف أو الملايين أو أكثر، ولو استعمل الباء لحدّد كقوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [البقرة:٢٧٤] فهو حدّد، والتّكاثر في الأموال والأولاد قد يكون للتفاخر بينكم، وقدّم الأموال علىٰ الأولاد؛ لأنّ الأموال أعمّ فكلّ فرد عنده المال وأمّا الأولاد فهناك الكثير ممن ليس له ولد.

﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ﴾: الكاف للتشبيه، غيث: ولم يقل مطر؛ لأنّ الغيث فيه معنىٰ

النّفع والرّحمـــة، والمطر فيه معنىٰ الضّرر والفيضانات وغيره (من خصائص لغة القرآن).

﴿أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ﴾: الكفـــار: الـــزُّرّاع أو الفلاحين، ســـموا كفاراً من الكفر: وهو السّـــتر لغةً؛ لسترهم البذر في التّراب بعد حرث الأرض وإلقاء البذر فيها؛ أي: أعجب الزُّراع بعد نموّه واستبشروا وفرحوا به.

﴿ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا﴾: ثمّ للترتيب والتّراخي؛ أي: آن حصاده، بلغ النّبات أشُدَّه.

﴿ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا﴾: ثمّ يتكسّر ويفتّت؛ ليخرج منه الحب ويبقىٰ القش التّبن؛ لتدوســـه الحيوانات وتأكل منه، وهكذا حال الدّنيا وسرعة زوالها بعد خضارتها ونضارتها التي تمثل مرحلة الشّباب تأتي مرحلة الكهولة ثمّ الشيخوخة والموت. وإذا قارنا قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا﴾ مع قوله تعالىٰ في الآية (٢١) من سورة الزمر: ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا﴾: نجد في الفعل يكـــون حطاماً يعد إلىٰ النبات، وأما الفعل في يجعله حطاماً يعود إلىٰ الله سبحانه.

﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾: للذين كفروا وكذبوا بآيـــات الله، ولم يقل من الله؛ لأنه لا يجوز أن ينسب السوء إلىٰ الله تعالىٰ؛ لأنه بما قدت أو كسبت أيديهم.

﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ﴾: مغفـــرة: إســـقاط العقاب، وإيجـــاب الثواب، والرضوان: كثير الرضا؛ الرضا من الله تعالىٰ للذين آمنوا بالله ورسله.

فـــي هذه الآية قـــدّم العذاب علىٰ المغفـــرة والمغفرة علـــىٰ رضوان الله، المغفرة: يُحتاج إليها لدخول الجنة، والرّضـــوان: يكون بعد الدّخول إلىٰ الجنة ولا يكون إلا من الله تعالىٰ وحده.

﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾: ارجـــع إلـــىٰ ســـورة آل عمران الآية (١٨٥) وسورة فاطر آية (٥).

[٢١] ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾:

﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ﴾: أي بدلاً وأفضل لكم من التّسابق إلىٰ الدّنيا ولعبها ولهوها وزينتها وتفاخرها، وما فيها من أموال وأولاد: أن تتسابقوا إلىٰ مغفرة من ربكم وجنته، فهذا هو التّسابق الحقيقي والأفضل والدّائم، والتّسابق عادة يحتاج إلىٰ أكثر من واحد أو فرد، فلابدّ من اثنين أو أكثر، وهناك فرق بين سابقوا وسارعوا، كما ورد في سورة آل عمران الآية (١٣٣)، ارجع إلىٰ آية آل عمران للبيان.

﴿وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾: وفي آية آل عمران (١٣٣) قال تعالىٰ: ﴿عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾ ففي آية الحديد استعمل كاف التّشبيه (عرضها كعرض السّماء والأرض) وتعريف السّماء: هي كلّ ما عَلاك، فالسّماء تشمل السموات السّبع وغيرها.

وقوله: كعَرض وليس عرض السّماء والأرض؛ تعني الإطلاق؛ أي: بلا تحديد، فقوله: (كعرض السّماء والأرض)؛ أي: أكبر وأوسع وأشمل من عرضها السموات والأرض، هذا بالنّسبة للعرض فما بالك بالطّول! فلم يحدّده أبداً، إذن الجنة غير منتهية وغير محدودة.

﴿أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾: بينما في آية آل عمران (أعدّت للمتقين)، للذين: اللام لام الاختصاص والاستحقاق، للمتقين: اللام لام الاختصاص والاستحقاق أيضاً، ففي آية الحديد (للذين آمنوا بالله ورسله) وهم أكثر عدداً من المتقين؛ ولذلك ناسبهم (جنة عرضها كعرض السّماء والأرض)، وأمّا المتقين فهم أقل عدداً من الذين آمنوا بالله ورسله فناسبهم (جنة عرضها السماوات والأرض) أي: الأقل سَعة من جنة عرضها كعرض السّماء والأرض.

﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾: ذلك اسم إشارة واللام للبعد، يشير إلىٰ المغفرة ودخول الجنة، فضل الله: الفضل هو الزّيادة علىٰ ما يستحق العبد من الأجر وما يتفضل به الله سبحانه من غير سبب يوجبه أو يقدّمه العبد، يؤتيه: من الإيتاء: وهو العطاء، وهناك فرق بين الإيتاء والعطاء، ارجع إلىٰ سورة البقرة الآية (٢٥١) للبيان. من يشاء: من ابتدائية، وهو ذو الفضل المطلق يعطيه من يشاء من عباده، وأعظم الفضل هو فضل النبوة والتقوىٰ والعلم والخير بكل أشكاله.

﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾: والله واسع الفضل والإحسان، فالملك ملكه والخلق خلقه، وكما قال تعالىٰ: ﴿لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف:٥٤].

[٢٢] ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾:

﴿مَآ أَصَابَ مِن﴾: ما النّافية، أصاب من: استغراقية تستغرق كلّ مصيبة مهما كانت صغيرة أو كبيرة، ومهما كان نوعها.

﴿أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: المصيبة: في اللغة هي كلّ ما يصيب الإنسان من خير أو شر وتستعمل غالباً في الشّر، مصيبة في الأرض: من حرائق أو فيضانات أو قحط أو جدب، أو كوارث جوية وريح عاصفة وغيرها.

﴿وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾: بالمرض وفقد الولد أو المال أو الموت، تكرار (لا) يفيد توكيد النّفي وفصل كلّ منهما علىٰ حدةٍ أو كلاهما معاً، أنفسكم: ولم يقل نفوسكم، أنفسكم لا تعني كلّ نفس، ونفوسكم تعني كلّ نفس ذكر أو أنثىٰ.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿فِى كِتَٰبٍ﴾: في ظرفية، مكتوبة في اللوح المحفوظ منذ الأزل من قبل أن نبرأها.

﴿مِّن قَبْلِ﴾: تعني زمناً غير معين.

﴿أَن نَّبْرَأَهَآ﴾: أن حرف مصدري يفيد التّعليل والتّوكيد، نبرأها: تعود على الأنفس. برأ الخلق: أوجدهم على غير مثال سابق، أو نخلقها ونصوّرها على أشكالها المختلفة، وقوله نبرأها: بصيغة الجمع للتعظيم وعظم البرء.

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾: إنّ للتوكيد، ذلك: اسم إشارة يشير إلى البرء، على الله: تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر، يسير: هيّنٌ سهلٌ، والله سبحانه ليس عنده صعب أو هيّن، وإنما يذكر ذلك للتقريب لعقول البشر.

انتبه إلى هذه الملاحظة: دائماً في القرآن كلمة (أصاب) تصاحب مصيبة، مصيبة أصلها من: الإصابة، والإصابة ضد الخطأ؛ أي: أصاب فلان الهدف؛ أي: لم يخطئ.

قدّم (في الأرض) على (في أنفسكم)؛ لأنّ ما يقع في الأرض بشكل عام من كوارث أكثر من المصائب التي تصيب الأنفس، أو لأنّ المصائب تصيب الأرض أوّلاً ثمّ تؤثّر في الأنفس ثانياً.

[٢٣] ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾:

﴿لِّكَيْلَا﴾: اللام لام التّعليل، وكي حرف مصدري وتشير إلى السبب الحقيقي، ولا النافية.

﴿تَأْسَوْا﴾: من الأسى: الحُزن الشديد، وفيه نوع من الجزع والندم، وقد تطول، والحزن أشد من الأسى.

﴿عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾: على ما لم تحصلوا عليه من متاع أو خَلاق الدّنيا،

ونعيمها؛ لأنه ليس مقدّراً لكم أو ليس من نصيبكم، أو لأنكم لم تقدّموا الأسباب الكافية للحصول عليه.

﴿وَلَا﴾: لا النّافية، تكرارها يفيد توكيد النّفي وفصل كل منهما على حدةٍ أو كلاهما معاً.

﴿تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾: فالفرح إذا بلغ حدّ الإعجاب بالنّفس يصبح مصيبة وقد يتحول إلى الاختيال والكبر، فالفرح بالأولاد والأموال من جبلة الإنسان والفرح غير مذموم، فهذا هبة من الله، ولكن المصيبة لماذا تتفاخر وتتكبر؟!

﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾: تقديم الله: الفاعل على الفعل يفيد القصر وإزالة الوهم من ذهن المخاطب. كلّ: للتوكيد، مختال: مشتقة من خَال: تكبّر، والكلمة مأخوذة من حركة الحصان حين يتخايل في حركاته عندما يركبه فارسه للسباق أو العرض، والحصان سمي خيلاً؛ لأنّه يتخايل، فخور: الذي يفخر بالقول أو بالشّعر، أو الأجداد والأنساب، أو بماله وجاهه. ارجع إلى سورة لقمان آية (١٨) وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ لمزيد في معنى مختال فخور.

لنقارن هذه الآية مع الآية (١٥٣) من سورة آل عمران.

آية الحديد: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾

وآية آل عمران: ﴿لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران:١٥٣] الحزن أشد وأصعب وأبلغ من الأسى في آية الحديد؛ لأن آية آل عمران نزلت بعد غزوة أحد والحزن كان على أمرين:

١ - ما فاتهم من الغنائم.

٢ - ما أصابهم من الهزيمة والجراح.

أمّا آيّة الحديد: الأسى عامة على ما فاتهم من متاع الدّنيا وخلاقها أو نعيمها؛ أي: أمر واحد.

وإذا قارنّا هذه الآية مع الآية (٣٠) من سورة الشّورى وهي قوله: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى:٣٠] فهي تبين سبب المصائب: هو بما كسبت أيدي النّاس.

وإذا قارنّا هذه الآية من سورة الحديد وهي قوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ مع الآية (١٨) من سورة لقمان وهي قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان:١٨].

نجد أنّ الفرق بينهما يرجع إلى زيادة (إنّ) في آية لقمان، وإنّ تدل على التّوكيد، في لقمان يرجع ذلك إلى أنّه ذكر عدداً كثيراً من الصّفات التي تدعو إلى الفخر والاختيال مثل: رفع الصّوت والمشي في الأرض مرحاً والمشي بسرعة. فناسب ذلك زيادة أداة التوكيد (إنّ)، ولا ننسى قوله تعالى في سورة البقرة آية (٢٧٦): ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾: نزلت في سياق آكل الربا، والآية (٣٦) في سورة النساء وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾: في سياق العبادة والإحسان والطاعة، وأما الآية (١٠٧) في سورة النساء وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾: جاءت في سياق طعمة بن أبيرق.

[٢٤] ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾:

﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾: تعود على كلّ مختال فخور، فالمختال غالباً ما يكون بخيلاً؛ لأنّه لا يرى لغيره حقاً عليه، والفخور يشعر بعظم نفسه ويفرح بالنّعمة وينسى شكر المنعم، فهؤلاء يبخلون بأداء حق الله (الزّكاة)

وبالصّدقة على الفقراء والمساكين، ولا يكتفون بذلك فهم يطلبون من النّاس الكفّ عن الإنفاق والصّدقة على الفقراء والمساكين، وفي الحقيقة هم يبخلون عن أنفسهم ﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ [محمد:٣٨].

﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾: من شرطية، يتولّ: أي يبتعد ويعرض عن الإنفاق في سبيل الله.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ﴾: الفاء رابطة لجواب الشّرط، إنّ للتوكيد.

﴿هُوَ﴾: تفيد التّوكيد.

﴿ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾: الغني عن خلقه وعن إنفاقهم.

فهو الكامل الغني، والغني عن العالمين، وقد ذكر هذا الاسم (الغني) ثمان عشرة مرة. وهو الغني المغني عباده وكلّ الغنى من غناه، الحميد المحمود في الأرض والسّماء؛ لما أنعم على خلقه، الحميد: له الحمد كلّه؛ لأنّه يستحق الحمد كلّه في السّراء والضّراء، وله الحمد في الأولى والآخرة، له الحمد لذاته وأفعاله وصفاته، ولفضله وإحسانه وخلقه، وشرعه وأحكامه ورحمته، وقد ذكر هذا الاسم الحميد في القرآن سبع عشرة مرة.

وقد اقترن اسم الغني بالحميد في عشر مرات؛ لأنه سبحانه هو الغني عن عباده وعن عبادتهم، والغني في ملكه يعطي عباده فيُحمد، ويحمد للأسباب التي ذكرناها.

❖❖❖

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ
وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ
بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ
بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ
وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ
وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم
بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ
وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً
ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا
رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ
وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ
وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ
نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ
أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ
الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

## سورة الحديد [الآيات ٢٥ — ٢٩]

[٢٥] ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾:

﴿لَقَدْ﴾: اللام للتوكيد، قد للتحقيق؛ أي: تحقق وتمّ ذلك. وجاءت لقد بدون واو كقوله: ولقد؛ لأن الآية بدء لخبر جديد؛ انظر إلى الآية القادمة (آية:٢٦)، وهي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ﴾ فقد تقدم لقد الواو الدالة على العطف.

﴿أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا﴾: أرسلنا رسلنا، لمعرفة معنى (أرسلنا) والفرق بين أرسلنا وبعثنا: ارجع إلى سورة البقرة الآية (١١٩)، رسلنا: الأنبياء والرّسل، وإضافة الرّسل له سبحانه للتشريف.

﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾: الباء للإلصاق والملازمة، البينات: جمع بينة: وهي الدّليل والبرهان والمعجزة الدّالة على أنّه الإله الحق المعبود، وأنّه الواحد الأحد خالق كلّ شيء ومليكه، والدّالة على صدق نبوّتهم ودعوتهم إلى الله تعالى.

﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾: أي الكتب السّماوية والأحكام والشّرائع والصّحائف.

الكتاب: اسم جنس يشمل كلّ الكتب والشرائع.

﴿وَالْمِيزَانَ﴾: يعني العدل، أو أمر بالعدل، وقد يعني: الميزان الحقيقي العادي (آلة الوزن). والعدل موجود في الكتاب وفي الميزان وما يتضمن الكتاب

(القرآن) من أحكام وشرائع هي العدل؛ أي: لنقيم العدل يجب تطبيق الكتاب والميزان.

﴿لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾: اللام لام التّعليل؛ أي: أنزلنا الكتاب والميزان؛ لكي يقوم النّاس بالقسط، ولم يقل بالعدل؛ لأنّ القسط هو تطبيق العدل وتنفيذ الحكم مثل: رفع الظّلم والجَور، وانتبه إلىٰ الفرق بين قَسَط: جار وظلم، وقِسط: رفع الجَور والظّلم؛ أي: ليتعاملوا بينهم بالقِسط.

﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ﴾: شبّه إنزال الحديد علىٰ الأرض بإنزال الكتب السماوية أو الرسالات السماوية، فهو إنزال حقيقي لا ريب فيه، فقد أثبتت الدّراسات العلمية أنّ عدداً من النّجوم تتحوّل في مرحلة احتضارها (قبل انفجارها) إلىٰ كتلة حرارية هائلة تقدر بمليارات الدرجات المئوية، ويتحوّل النجم إلىٰ ما يسمىٰ العملاق الأحمر، عندها يتحول لبّ النجم بالكامل إلىٰ حديد ثم ينفجر النجم فتتناثر أجزاؤه في صفحة الكون، ويدخل الحديد عندها في مجال جاذبية أجرام سماوية تحتاج إليه كما حدث للأرض عندما كانت في مرحلة الخلق والتّمايز، حيث كانت مكوّنة من رماد، فنزلت ذرات الحديد من تفجُّر تلك النّيازك واخترقت طبقات الأرض؛ لتستقرّ في مركزها علىٰ شكل حديد صلب، وتسمىٰ الطبقة المركزية؛ أي: اللب، وطبقة أخرىٰ محيطة بالطّبقة السّابقة من الحديد المذاب وتسمىٰ الطبقة الخارجية. انظر في الصّورة الملحقة.

وأصبح من الحقائق العلمية أن حديد الأرض قد أُنزل من السّماء، وتصل نسبة الحديد في تكوين الأرض ما يقارب (٤٠٪) من كتلة الأرض المقدرة بحوالي (٦٠٠٠) مليون مليون مليون طن، وعلىٰ هذا تكون كمية الحديد هي حوالي (٢٠٠٠) مليون مليون مليون طن. ويستقر في مركز الأرض بشكل حديد صلب وبشكل حديد منصهر في الطّبقة المحيطة بالمركز، وله دور هائل في توليد المجال المغناطيسي للأرض الذي يمسك للأرض بغلافها المائي والغازي

والحيوي، والغلاف الكهرومغناطيسي يمثل سقفاً محفوظاً للأرض من الأشعة الكونية والأشعة الشمسية القاتلة للحياة، مما يجعل الأرض كوكباً صالحاً للحياة.

ومن المذهل أن يكون رقم سورة الحديد في ترتيب القرآن (٥٧) وهو الوزن الذّري نفسه لمعدن الحديد.

﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾: فقد وجد أن تلاحم ذرات الحديد داخل النواة الحديد يفوق تلاحم ذرات كل العناصر أو المعادن التي يفوق وزنها الذري الوزن الذري للحديد، فهو أشد تلاحماً من الذهب والفضة والنحاس وغيرها من المعادن، وتحتاج نواة ذرة الحديد إلى كمية هائلة من الطاقة للانصهار والذوبان.

﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾: أي تصنع منه الآلات الحربية والآلات الزّراعية والسّيارات وأدوات النّقل والعمارة والبناء والأدوات مثل: أدوات الحفر، فلا تكاد تقوم أيُّ صناعة مدنيّة على غير الحديد.

﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ﴾: وليعلم: الواو عطف، ليعلم: اللام لام التّعليل، ليعلم الله: العلم هنا لا يعني لإعلام الله ما لا يعلم، وإنما لإقامة الحُجة على النّاس أو لإظهار إخلاصهم؛ ليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب: أي ليعلم أنّ من يجاهد في سبيله كي ينصره؛ أي: ينصر دين الله أو يُعلي كلمة الله في الأرض، ورسله: من ينصر ويؤيّد رسله في الدّعوة والإبلاغ بالغيب بالخفاء أو بالجهر، ومعناه: أفعلوا ذلك لوجه الله تعالى وحده وليس لحظٍّ دنيوي.

﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾: إنّ للتوكيد، قوي: لا يحتاج إلى نصرة أحد؛ لأنّه هو النّاصر ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السّماء، ووردت كلمة (قوي) في تسع آيات في القرآن الكريم، عزيز: القوي الذي لا يُغلب ولا يُقهر ولا يناله أحد بسوء، وترددت كلمة (العزيز) في القرآن ثماني وثمانين مرة.

[٢٦] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾: ارجع إلى الآية السّابقة (٢٥).

﴿نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ﴾: نوحٌ يعتبر أبا البشر، وإبراهيم هو أبو الأنبياء والرسّل.

﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾: فكلّ الأنبياء والرّسل الذين جاؤوا هم من ذريتهما، وكل الكتب المنزلة الزّبور والتّوراة والإنجيل والقرآن منزلة على ذريتهما، وقدّم النّبوة على الكتاب فلابدّ من بعث وإرسال الرّسل والأنبياء أوّلاً ثمّ ينزل الكتب ثانياً.

﴿فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ﴾: أي من الذّرية، الفاء للتوكيد، من بعضية، مهتد: ولم يقل مهتدي، وإنما قال: مهتد تعني: هدايته لا تحتاج إلى زمن طويل، أمّا المهتدي يحتاج إلى زمن طويل.

﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾: خارجون عن طاعة الله ورسله ودينه؛ أي: عاصون، ولم يقل وأكثرهم فاسقون: أكثر على وزن أفعل، وأكثر تعني: أكثر عدداً من كثير، ولكي يوصف بالفسق لابدّ من تبليغه أوّلاً والعلم؛ لأنّ هناك من الفسق الذي يكون عن قصد وعلم والفسق الذي لا يكون عن قصد وعلم.

[٢٧] ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: تفيد التّراخي في الزمن.

﴿قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم﴾: قفّينا: مشتقة من القفا: وهو الظّهر، من قفى على

أثره؛ أي: اتّبعه بدون فاصل زمني طويل، فالأثر لا يزال يُرىٰ؛ أي: أرسلنا الواحد تلو الآخر بدون فاصل زمنـي طويل، علىٰ آثارهم: علىٰ آثار نوح وإبراهيم بزمن قصير.

﴿بِرُسُلِنَا﴾: إسماعيل إسحاق يعقوب يوسف.. وموسىٰ.

﴿وَقَفَّيْنَا﴾: للتوكيد.

﴿بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾: ولـم يقـل علىٰ آثارهم حين ذكر عيسـىٰ؛ لأن بين عيسىٰ وآخر نبي أكثر من (٨٠٠) عام، ولذلك حذف كلمة (آثارهم).

﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ﴾: آتينا عيسىٰ ابن مريم الإنجيل.

﴿وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾: من الحواريين وأتباعهم وغيرهم.

﴿رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾: رأفة: شفقة ولياناً، والرّأفة أخصّ من الرّحمة؛ أي: أشد من الرّحمة، ورحمة للناس؛ أي: متوادّين بينهم، والرّحمة قد تعني تجنُّب الوقوع في الذّنوب، وتعني جلب ما يسرُّ ودفع ما يضرُّ.

﴿وَرَهْبَانِيَّةً﴾: الرّهبانيـة: هي الانقطاع للعبادة بعيداً عن النّاس في الصّوامع والجبال، والزّهد في لذيذ الطّعام والشّراب والزّواج، رهبانية: نسبة إلىٰ الرّاهب: الخائف من الله، والأصل في الكلمة: الرّاهبية.

﴿ٱبْتَدَعُوهَا﴾: لم نأمرهم أو نفرضها أو نكتبها عليهم، لم يشرعها الله لهم، ابتدعوها: من الإبداع: وهو الخلق أو الإيجاد؛ علىٰ الخلق: علىٰ غير مثال سابق، ومنها: البدعة، اختلقوها بأنفسهم لإرضاء الله أو نَيل رضوان الله.

﴿فَمَا﴾: الفاء للتوكيد، ما النّافية.

﴿رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾: لـم يُوفوا بمـا ألزموا به أنفسـهم، أو لم يوفوا بما عاهدوا عليه الله عز وجل.

﴿فَـَٔاتَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۡهُمۡ أَجۡرَهُمۡ﴾: آتينا الذين صدّقوا بعيسىٰ وآمنوا بالله تعالىٰ أجرهم علىٰ عملهم الصالح.

﴿وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٢٦) للبيان.

[٢٨] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾:

أسباب النّزول: هناك من المفسرين من يقول: إنّ هذه الآية نزلت تحضّ الذين آمنوا من أهل الكتاب، وتحضّ الذين آمنوا من المسلمين علىٰ التّقوىٰ والإيمان بالرّسول ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: نداء جديد للذين آمنوا بتكليف جديد أو أمر جديد.

﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾: من التقوىٰ: وهي امتثال أوامر الله وطاعته، وتجنّب نواهيه؛ لكي نتجنّب غضبه وسخطه وناره، أو استقيموا علىٰ تقوىٰ الله والإيمان بوحدانيته.

﴿وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ﴾: محمّد ﷺ؛ أي: صدّقوا رسوله. وقيل: الخطاب إلىٰ مؤمني أهل الكتاب (اليهود والنّصارىٰ) للإيمان بمحمّد ﷺ.

﴿يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ﴾: الكفل: هو المثل أو النّصيب وقد يكون في الخير أو الشر، كفلين: نصيبين.

﴿وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ﴾: (في الآخرة) ولم يقل تمشون به في النّاس؛ لأنّ ذلك يعني في الدّنيا كما في قوله تعالىٰ في الآية (١٢٢) في سورة الأنعام: ﴿وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ﴾.

﴿وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ﴾: ذنوبكم كاملة، ولم يقل من ذنوبكم؛ أي: بعض ذنوبكم أو ما أسلفتم من الذّنوب، والغفر؛ أي: الستر (ترك العقاب).

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: غفـور: صيغـة مبالغة (كثير المغفـرة) ورحيم صيغة مبالغة؛ أي: كثير الرحمة لعباده المؤمنين. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٢٦٨) لبيان معنىٰ الغفور، وارجع إلىٰ سورة الحمد آية (٣) لبيان معنىٰ الرحيم.

[٢٩] ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾:

﴿لِّئَلَّا﴾: مبنيـة مـن (أن) و (لا)، أن المخففة، لا النّافيـة، أو لا للتوكيد، فيكون معناها: أي أن يعلم، أو لأن يعلم، وزيدت لا للتوكيد.

أي: ليعلم أهل الكتاب (اليهود والنّصارىٰ) الذين لم يؤمنوا بمحمّد ﷺ.

﴿أَلَّا﴾: أداة استفتاح.

﴿يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾: أي: لكي يعلم أهل الكتاب أنهم لا يقدرون علىٰ حصر فضل الله يعني: النّبوة في بني إسرائيل ومنع غيرهم، ولذلك جحدوا بالإيمان برسالة محمد ﷺ.

﴿وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ﴾: وأنّ للتوكيد، الفضل كله بيد الله: في ملكه وتصرفه. ولتعريف الفضل: ارجع إلىٰ سورة الجمعة آية (٤).

﴿يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾: من يستحقه من عباده كقوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام:١٢٤].

﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٢١) من نفس السورة للبيان.

❖ ❖ ❖

# سورة المجادلة

ترتيبها ٥٨ — آياتها ٢٢



بسم الله الرحمن الرحيم

قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ
وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ
مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي
وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ
ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ
لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ
بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ
مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ
مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ
وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟
كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ
عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا
عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾

## سورة المجادلة [الآيات ١ - ٦]

ترتيبها في القرآن (٥٨) وترتيبها في النّزول (١٠٥).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾:

أسباب النّزول: قيل: نزلت هذه الآية في خولة بنت ثعلبة الأنصارية، وزوجها أوس بن الصّامت، جاءت إلى رسول الله ﷺ تشكو إليه ما فعله زوجها فقد قال لها: أنت عليَّ كظهر أمّي، وكان الظّهار يومئذ طلاقاً، فراحت تشكو وتقول: يا رسول الله، أكل شبابي ونثرتُ له بطني حتّى كبر سني وانقطع ولدي ظاهَرَ مني! وكانت أم المؤمنين عائشة في الحجرة نفسها، فلما نزل الحكم قالت عائشة رضي الله عنها فيما معناه: تبارك الذي وسع كلّ شيء، لقد كنت بجوار رسول الله ﷺ فلم أسمع ما تقول وسمعها الله من فوق سبع سموات طباقاً! كما أخرج الحاكم والإمام أحمد والبخاري.

﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق؛ أي: للتوكيد إذا دخلت على الماضي تفيد تحقيق وقوعه.

﴿سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾: أي خولة بنت ثعلبة وزوجها أوس ابن

الصّامت تشكو إلىٰ الله تعالىٰ حيث قالت: إنّ لي صبية صغاراً إن ضممتُهم إليه ضاعوا وإن ضممتهم إليَّ جاعوا، تجادلك في زوجها: حيث قال لها رسول الله: قد حرمتِ عليه، وتقول له: ما ذكر طلاقاً، وفي رواية أخرىٰ قالت: والذي أنزل عليك الكتاب ما ذكر طلاقاً، أو قال لها ﷺ: ما أراكِ إلا حَرُمتِ عليه، وتقول: إنما هو أبو ولدي وأحبُّ النّاس إليّ.

الجدال: هو حوار بين طرفين أو أكثر؛ لإثبات حق أو إظهار حُجة أو دفع شبهة، وهو أشد من الحوار حدّةً ومخاصمةً.

﴿وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾: تحاوركما: أي: خولة بنت ثعلبة ورسول الله ﷺ؛ تحاوركما: من التحاور: وهو الحوار بين طرفين، ويتميز بالهدوء، والحوار غير الجدال؛ الجدال ـ كما قلنا ـ يتميز بالشدة، والمخاصمة، ورفع الأصوات؛ يؤكد سبحانه أنّه يسمع تحاورهما، ثمّ نزل جبريل عليه السلام بالحكم كما ورد في الآيات القادمة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾: إنّ للتوكيد.

﴿سَمِيعُۢ﴾: لأقوال الرّسول ﷺ وأقوال خولة وما قاله أوس ابن الصّامت، وسميع لكلّ ما يقوله عباده في أيّ زمان أو مكان.

﴿بَصِيرٌ﴾: يرىٰ كلّ المبصرات أو الأمور المشاهدة؛ أي: عالم بظواهر الأمور، وخبير عالم ببواطن الأمور.

[٢] ﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾:

تعريف الظّهار: أصله: مقابلة الظّهر بالظّهر؛ ويعني: تحريم وطء الزّوجة بجعلها محرمةً كظهر أمّه أو أخته.

اصطلاحاً: أن يشبّه الزّوج زوجته في الحرمة بإحدىٰ محارمه مثل: أمه أو أخته، وكانت العرب تعتبر ذلك من أساليب الطّلاق والظّهار له كفارته، كما سنرىٰ في الآيات القادمة.

﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم﴾: أي يقولون لنسائهم: أنت عليَّ كظهر أمي، يعني تحريم وطء الزّوجة بجعلها محرمةً عليه كحرمة أمّه وما يشبهها من العبارات؛ منكم: أي: من الصحابة خاصة، والسؤال هنا: ما هو الفرق بين نسائهم وأزواجهم؟ الزوج: يطلق علىٰ الرجل والمرأة كقوله تعالىٰ: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة:٣٥]، والزوج: يعني المثيل، أو المماثلة، وفي القرآن لا يطلق علىٰ المرأة زوجة إلا إذا كانت مماثلة لزوجها في الدين، والعادات والصحة والعافية والأخلاق، وإذا كانت مخالفة لزوجها يطلق عليها امرأة كقوله تعالىٰ: ﴿ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ﴾ [التحريم:١٠].

﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ﴾: (ما) أقوىٰ نفياً من ليس، ما هنّ أمّهاتهم؛ أي: مخطؤون يحلفون أو يزعمون هنّ أمّهاتهم.

﴿إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ﴾: إن: للتوكيد، إلا: أداة حصر، اللائي ولدنهم: ولم يقل اللاتي، وهذا من خصوصيات القرآن يستعمل اللائي في سياق الطّلاق

والظّهار، وبما أنّ الطّلاق والظّهار حالتان نادرتان استعمل في سياق ذكرهما الهمزة بدلاً من التّاء (اللاتي) لأنّ الهمزة من الحروف الثّقيلة النّادرة الاستعمال، فاستعملها لتناسب حالتي الظّهار والطّلاق النّادرتين، هذا من جهة، ومن جهة أخرىٰ: اللائي من اللأىٰ: وهو الحبس، والمُطلّق والمُظاهِر تحبس عنه امرأته شرعاً حتّىٰ يقوم بالكفارة أو ما هو مطلوب منه شرعاً.

﴿وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا﴾: إنّ للتوكيد، واللام في ليقولون: تعود علىٰ العرب في الجاهلية؛ لزيادة التّوكيد، منكراً من القول وزوراً: منكراً قولاً وزوراً، منكراً من القول؛ أي: قولاً ينكره الشّرع والعرف والعقل، وزوراً: كذباً وباطلاً (أي منحرفاً عن الحق).

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾: إنّ للتوكيد، واللام في (لعفوّ) لزيادة التّوكيد، عفوّ: حيث شرع الكفارة ولم يجعله طلاقاً كما كانوا يفعلونه في الجاهلية، غفور: صيغة مبالغة كثير الغفران مهما ثقلت ذنوبه إذا تاب وأناب إلىٰ الله تعالىٰ.

[٣] ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَـٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾:

﴿وَٱلَّذِينَ يُظَـٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ﴾: الخطاب في هذه الآية للمسلمين عامة يبين لهم أحكام الظهار، بينما الخطاب في الآية (٢) للصحابة خاصة؛ ارجع إلىٰ الآية السّابقة لبيان معنىٰ الظهار.

﴿ثُمَّ يَعُودُونَ﴾: لما قالوا: يرجعون عما قالوا ويريدون وطء أزواجهم بعد أن

حرموهن على أنفسهم، أو يعودون إلى تحليل ما حرّموه على أنفسهم من وطء الزّوجة، فعليهم كفارة قبل الوطء هي تحرير رقبة.

﴿فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّا﴾: الفاء للتوكيد؛ أي: بإعتاق رقبة مملوكة. وجاءت (رقبة) بصيغة النّكرة؛ أي: سواء كانت مؤمنة أو كافرة، أو ذكراً أو أنثى، وبعض العلماء اشترطوا أن تكون رقبة مؤمنة فقط ولا يصلح عتق رقبة غير مؤمنة؛ وتحرير رقبة: تقال في الرق الذي لم يعد موجوداً الآن، وأما في قضية الأسرى، أو تبادل الأسرى فذلك يعد فك رقبة من الأسر، ولا يزال موجوداً، وبما أن تحرير رقبة ليست موجودة نطبق حكم صيام شهرين متتابعين، أو إطعام ستين مسكيناً؛ من قبل أن يتماسّا: المراد بالتّماسّ: هو الجماع؛ أي: لا يجوز وطء الزّوجة حتّى تتمّ الكفارة التي ذكرت؛ وهي تحرير رقبة، وهناك فرق بين تحرير رقبة، وفك رقبة؛ تحرير رقبة: يعني: عتق رقبة بالفداء، أما فك رقبة: قد يعني: تخليصها من الأسر، أو السجن، أو من دين، أو عُسر، أو مغرمة.

﴿ذَٰلِكُمۡ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ﴾: ذلكم الحكم المذكور، وذلكم ولم يقل وذلك؛ للتوكيد وعظم الكفارة وعظةً لكم حتى تتركوا الظّهار؛ بينما في الآية (١٢) من نفس السورة قال ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾.

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾: أي خبير ببواطن الأمور والنّوايا وما تخفون في أنفسكم، وقدّم تعلمون على خبير؛ لأنّ السّياق في العمل.

[٤] ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۗ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾:

﴿فَمَن لَّمْ﴾: الفاء استئنافية، من شرطية، لم للنفي.

﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾: فمن لم يجد الرّقبة لتحريرها، أو لم يجد ثمنها: فصيام شهرين متتابعين.

﴿مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا﴾: تكرار (ذلك) للتوكيد، فلا يجوز أو يحلُّ لمن ظاهر زوجته وطؤها حتّىٰ يؤدّي الكفارة، فمن لم يستطع الصّيام لمرض أو عجز فإطعام (٦٠) مسكيناً، واختلف العلماء في مقدار الطّعام.

﴿ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾: ذلك: اسم إشارة واللام للبعد يشير إلىٰ التّخفيف في الكفارة أو حكمنا، لتؤمنوا: اللام لام التّعليل، أي: لتصدّقوا بالله ورسوله.

﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾: أي أحكام الله في الظّهار، فلا تعتدوها أو محارمه، حدود: جمع حدّ، والحد: عقوبة مقررة لأجل حقّ الله وليس لوليّ الأمر أو للوالي التدخل أو العفو، ولا يجوز تعدّي هذه الحدود.

﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: الواو عاطفة، وللكافرين :اللام لام الاستحقاق، الذين يتعدّون حدود الله عذاب أليم في الدنيا أو الآخرة. وفي الآية (٥) التالية قال تعالىٰ: ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾؛ أي: للكافرين عذاب أليم مهين معاً، وعذاب أليم: جاء في سياق الكفر بالإيمان بالله ورسوله، وعذاب مهين: جاء في سياق

الذين يحادُّون الله ورسوله؛ فهؤلاء كبتوا، والكبت يعني: الذل والإهانة فناسبهم العذاب المهين، فهذا وعيد للكافرين عذاب أليم ومهين.

[٥] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾:

المناسبة: بعد ذكر الظّهار وأحكامه يُبيّن وعيده للذين يحادُّون الله سبحانه ورسوله ﷺ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ﴾: للتوكيد، الذين: اسم موصول يفيد الذّم والتّحقير.

﴿يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾: يكون في حدٍّ والله ورسوله في حدٍّ يخالف الحدّ الآخر؛ أي: يعادون دين الله وشرعه، وسنّة رسوله، ويخالفون أوامر الله ورسوله، وكذلك يحادّون المؤمنين وأولياء الله تعالىٰ، ويحادّون: فيها نون التّوكيد وبصيغة المضارع: لتدلّ علىٰ التّجدد والتّكرار.

﴿كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: أي الكبت هو الإذلال والإهانة؛ أي: خُذِلوا، ولها معانٍ أخرىٰ مثل: الخزي والذّل والهزيمة، وأن يُصرعوا علىٰ وجوههم وهم ما زالوا في الدّنيا، وأصلها: أن يصابوا في أكبادهم بالحزن والغيظ، كما كبت الذين كفروا من قبلهم من الأمم السّابقة، وجاء بصيغة الماضي (كبتوا): لتحقق وقوع الكبت، وكأنه حدث وانتهىٰ.

﴿وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾: الواو الحالية تفيد التّوكيد، قد للتحقيق، أنزلنا آيات بينات: أي آيات القرآن الدّالة علىٰ صدق الرّسول ﷺ وما جاء به؛ أنزلنا:

تدل على نزول الآيات دفعة واحدة، أو في زمن واحد؛ آيات بينات: أي: واضحات لا تحتاج إلى توضيح وتبيان؛ آيات: أي: أحكام الظهار وغيرها.

﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾: اللام لام الاختصاص والاستحقاق، وللكافرين بآيات الله عذاب مهين، العذاب المهين: المُذلّ الذي يكون على مرأى النّاس؛ عذاب مهين مقابل مخالفة حدود الله ومعادة الرسول ﷺ والمؤمنين.

[٦] ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾:

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾: يوم يبعثهم الله (أي: الكفار) من قبورهم يوم البعث، لا يفوته أحدٌ من الأولين والآخرين، وفي الآية (١٨) القادمة في نفس السورة يقول تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾: هذه الآية تختلف عن الآية (٦)؛ الآية (١٨): جاءت في سياق المنافقين، والآية (٦): جاءت في سياق الكفار.

﴿جَمِيعًا﴾: للتوكيد، وجميعاً تعني: كلّهم، وتعني: مجتمعين في مكان واحد.

﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟﴾: الفاء للتوكيد، ينبّئهم بما عملوا: ينبّئهم: يخبرهم بأعمالهم؛ أي: أقوالهم وأفعالهم (التي عملوها في الدنيا)، ويُطلعهم عليها ويطلب منهم أن يقرؤوا كتبهم بأنفسهم؛ لإقامة الحجة عليهم.

﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾: أي حفظ الله أعمالهم وعدّها لهم ولم يغب عليه شيء، وهم قد نسوا تلك الأعمال.

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾: شهيد صيغة مبالغة؛ أي: مطّلع على ظواهر

أعمالهم وبواطنها، وعلىٰ أقوالهم ونواياهم. والشّهادة تعني: العلم مع الحضور، فهو سبحانه شهيدٌ علىٰ أقوالهم وأفعالهم؛ لأنّ علمه أحاط بكلّ ما يجري في السّموات والأرض وما تخفي الصّدور، وكفىٰ بالله شهيداً، ولا يُحتاج إلىٰ شهادة غيره، وتكرر اسم الشهيد في القرآن في (١٩) آية.

❖ ❖ ❖

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ
مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ
وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم
بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ
نُهُوا عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ
وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ
بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ
جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِذَا
تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا
بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ
مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا
إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا يَفْسَحِ
ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا فَٱنشُزُوا يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا
مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾

## سورة المجادلة [الآيات ٧ - ١١]

[٧] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾:

﴿أَلَمْ﴾: الهمزة للاستفهام والتّقرير.

﴿تَرَ﴾: الرّؤية هنا رؤية فكرية عقلية، وهذا أسلوب من أساليب البيان، فالله سبحانه يخبرك أو يُعلمك بذلك، ولكنه سبحانه يريد أن تكون الإجابة من العبد؛ أي: إقراراً من العبد لإقامة الحجة عليه، ولا يريد أن تكون بصيغة الخبر والإنشاء، ولكن بصيغة الاستفهام؛ لأنّها آكد وأقوىٰ في النّفس، وإذا قال سبحانه لنا: ألم تر، أو: أولم تروا ذلك الشّيء، وكان ذلك الشيء معنوياً غير حسياً؛ يعني: ألم تفكر أو تفكروا، والرؤية هنا فكرية قلبية، وأما إذا كان الشيء حسياً فتكون الرؤية حسية بصرية، وتكون رؤية الله سبحانه أفضل من رؤية أعيننا، وهي تعتبر رؤية بعين اليقين، فلا نحتاج نحن أنفسنا إلىٰ رؤية ذلك؛ لأننا نؤمن بالله وما يخبرنا حق وصدق ورؤيته سبحانه تكفينا، وإذا رأينا ذلك نراها كما أخبر الله سبحانه بها.

﴿أَنَّ اللَّهَ﴾: أن: للتوكيد.

﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾: السبع. (ما): تشمل من العاقل وغير العاقل، وما في السموات ذاتها وما فيها؛ أي: وما تحتويه.

﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: وما في الأرض ذاتها وما تحتويه، وتكرار (ما) في

للتوكيد وفصل كل منهما عن الآخر أو كلاهما معاً، ومن الأشياء التي يعلمها سبحانه السّر والنّجوىٰ.

﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ﴾: ما النّافية، يكون من نجوىٰ: من استغراقية، نجوىٰ: تعريفها: هي حديث السّر أو الخفي بين اثنين أو أكثر بحيث لا يسمعهم البقية ممن هم حاضرو مجلسهم، مثال: هناك ثلاثة أفراد يتناجىٰ اثنان دون الثّالث؛ أي: ألغوه من المشاركة فكأنّك ترفع من تناجي عن غيره، لأنّ النّجوىٰ أصلها الرّفعة ومشتقة من النّجوة من الأرض (أي الأرض المرتفعة) أو أصلها البعد؛ لأنّ القريب يصعب عليه سماع الكلام فكأنّه صار بعيداً. ولنعلم أن السر أعم من النجوىٰ، وأشد خفاء من النجوىٰ؛ لأن النجوىٰ قد يطلع عليها عدة أفراد، أما السر لا يعلم به إلا صاحبه، والله يعلم بكل شيء النجوىٰ والسر وما هو أخفىٰ من السر.

﴿ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾: والنّجوىٰ لكي تحصل لابدّ من ثلاثة علىٰ الأقل، اثنان يتناجيان والثّالث محروم من النّجوىٰ، (المشاركة في الحديث) أو سماعه، إلا: أداة حصر، هو: تعود علىٰ الله سبحانه واجب الوجود، وهو رابعهم، يسمع ويرىٰ كل ما يحدث.

﴿وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾.

﴿وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ﴾: أدنىٰ من ثلاثة اثنين ولا أدنىٰ من خمسة؛ أي: ثلاثة أو أربعة.

﴿وَلَآ أَكْثَرَ﴾: من ثلاثة؛ أي: أربعة أو خمسة أو أكثر.

﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾: سبحانه معهم بعلمه وقدرته، ولا تعني بذاته، أينما كانوا.

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب والتّراخي.

﴿نُبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: بما عملوا في الدّنيا من النّجوىٰ وغيرها من الأقوال والأفعال.

﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: إنّ للتوكيد، بكلّ: الباء للإلصاق، شيء عليم: عليم: صيغة مبالغة؛ أي: كثير العلم؛ أي: سبحانه مطّلع علىٰ بواطن الأمور وظواهرها لا تخفىٰ عليه خافية في السّموات ولا في الأرض، أحاط علمه بخلقه وكونه فلا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السّموات ولا في الأرض.

وأمّا الفرق بين النّجوىٰ والسّر: فالسّر هو تكتّمه في نفسك ولا تُطلع عليه أحداً.

[٨] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾:

﴿أَلَمْ تَرَ﴾: ارجع إلىٰ الآية السّابقة للبيان.

﴿إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ﴾: قيل: هم اليهود والمنافقون فقد كانوا يتناجون بينهم سراً للتآمر علىٰ المسلمين؛ لإيقاع الرّيبة في قلوبهم، فنهاهم رسول الله ﷺ عن النّجوىٰ.

﴿ثُمَّ﴾: ثمّ لتباين الدّرجة لمن نُهي عن النّجوىٰ لأوّل مرة وبين من نُهي عنها، ثمّ عاد إلىٰ التّناجي ولم يطع الله ورسوله ﷺ فالإثم أكبر.

﴿يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾: يعودون عمداً إلىٰ التناجي وعدم السّماع لأمر رسول الله ﷺ بعدم التّناجي، ويعودون: تدل علىٰ التّكرار والتّجدد.

﴿وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ﴾: الإثم في اللغة: التقصير، والإثم: هو الذنب الذي

يستحق العقوبة؛ أي: يتناجون بما هو إثم، والإثم: هو ما يكون بتعمّد مثل التّناجي بالكذب والظن والغيبة والكيد والمكر، أو الاستهزاء والسخرية.

﴿وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾: التجاوز في الحدود والظلم والمعاداة وعداوة الرّسول والمؤمنين.

﴿وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ﴾: يتناجون بمعصية الرّسول، عدم طاعة الرّسول ﷺ أو مخالفته.

﴿وَإِذَا﴾: شرطية ظرفية تفيد حتمية الحدوث.

﴿جَآءُوكَ﴾: اليهود أو المنافقون.

﴿حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾: حيّوك: من التّحية وقالوا: السام عليك؛ أي: الموت عليك بدلاً من: السّلام عليك أو راعنا.

﴿وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾: يحدّثون أنفسهم أو فيما بينهم.

﴿لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾: لولا: أداة حضّ وحثّ، يعذّبنا الله بما نقول؛ أي: لو كان نبياً حقاً لعذّبنا الله بنا نقول.

﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ﴾: أي يكفيهم جهنم، جهنم: اسم من أسماء النّار، ارجع إلى سورة الرّعد الآية (١٨)، حسبهم عذابها.

﴿يَصْلَوْنَهَا﴾: يحرقون بها أو يقاسون حرّها.

﴿فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾: الفاء للتوكيد، بئس: من أفعال الذّم، المصير: المنتهى والمآل.

[٩] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾: نداء جديد إلىٰ الذين آمنوا بتكليف جديد يتعلق بالنّجوىٰ.

﴿إِذَا﴾: ظرفية شرطية تفيد حتمية الحدوث.

﴿تَنَٰجَيْتُمْ﴾: من النّجوىٰ، ارجع إلىٰ الآية (٧) لتعريف النّجوىٰ.

﴿فَلَا﴾: الفاء للتوكيد، لا النّاهية.

﴿تَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٨) للبيان.

﴿وَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾: البرّ: هو كلّ ما يتقرّب به إلىٰ الله من إيمان وعمل صالح واعتقاد وأخلاق ومعاملات، التّقوىٰ: طاعة الله ورسوله وامتثال أوامرهما وتجنب ما نهىٰ الله عنه ورسوله.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾: واتقوا الله: استقيموا علىٰ طاعة الله وامتثال أوامره وتجنّب نواهيه، اتقوا غضبه وسخطه وناره وذلك بطاعة أوامره وتجنّب نواهيه، الذي: اسم موصول يفيد المدح. إليه: تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر؛ أي: إليه وحده تحشرون، تحشرون: الحشر هو السَّوق والجمع يوم البعث للحساب والجزاء.

[١٠] ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾:

﴿إِنَّمَا﴾: كافة ومكفوفة تفيد التّوكيد والحصر.

﴿ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾: أي: النّجوىٰ بالإثم والعدوان ومعصية الرّسول من تزيين الشّيطان لهم ووساوسه.

﴿لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: اللام لام التّعليل؛ أي: ليوقع الذين آمنوا في الحُزن وهو الألم النّفسي النّاتج عن ضيق في الصّدر وهو مؤقّت أو محدّد بزمن وينتهي مهما طال، بعكس الحزَن ـ بفتح الزّاي ـ الذي يدوم حتّىٰ الموت، فقد كانوا يتناجون ويوهمون المؤمنين أنّ عدوهم هو أقوىٰ منهم ويتربص بهم الدوائر؛ ليؤدي ذلك إلىٰ حزن المؤمنين والغمّ.

﴿وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا﴾: ليس: للنفي، بضارهم شيئاً: الباء للإلصاق؛ أي: النّجوىٰ أو التّناجي أو الشّيطان ليس بضار الذين آمنوا شيئاً. ضار: من الضّر وهو ضد النّفع، شيئاً: نكرة تعني: ليس بضارهم أيّ شيء مهما كان مقداره أو نوعه، والشّيء هو أقل القليل، سواء أكان حسياً (مادياً)، أم معنوياً.

﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: إلا: أداة حصر، أو استثناء، بإرادة الله أو مشيئته.

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: وعلىٰ الله: تقديم الجار والمجرور لفظ الجلالة يدل علىٰ الحصر؛ أي: علىٰ الله وحده فليتوكل المؤمنون؛ أي: يقدّمون كلّ الأسباب ما بوسعهم، ويستعيذون بالله من الشّيطان الرجيم ولا يبالون، بنجوىٰ غيرهم ويفوضون أمرهم إلىٰ الله لمساعدتهم.

[١١]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾:

نداء جديد للذين آمنوا بتكليف جديد يتعلق بآداب المجالس.

﴿إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟﴾: إذا: ظرفية شرطية تفيد حتمية الحدوث، قيل: القائل مبني للمجهول، والمهم المقولة، لكم: اللام لام

الاختصاص؛ أي: لكم خاصة، تفسحوا في المجالس: إذا طلب منكم التّوسع في المجالس، مجالس العلم أو المساجد وغيرها، فليوسع أحدكم للآخر، وتفسحوا فيها معنىٰ الجهد والمشقة والتكلف، وليس مجرد الفسح؛ أي: لا يشغل أحدكم مكان اثنين أو أكثر مما يحتاجه ليوسع لأخيه حتىٰ يصلي أو يجلس، فافسحوا: الفاء رابطة لجواب الشّرط.

﴿يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾: في الرّزق أو صدوركم؛ أي: يوسع صبركم أو في العلم وأبواب الخير، فالمكان ليس ملكاً له وإنما لكم، ويجلس حيث انتهىٰ به المجلس، ولا يترك بينه وبين جاره فسحة.

﴿وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ﴾: وإذا: شرطية ظرفية تفيد حتمية الحدوث.

انشزوا: أي طلب من أحد أو بعض الجالسين في المجلس بأن ينهضوا من أماكنهم ليجلس أهل الفضل والدين والعلم، فليقوموا.

انشزوا: أي انهضوا من أماكنكم أو تقدّموا قليلاً أو غيّروا أماكنكم أو قوموا من أماكنكم حتىٰ يجلس غيركم بعد انتهاء الدّرس أو الجمعة للتوسعة علىٰ الآخرين.

﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾: في الدّنيا بالنّصر والمنزلة والكرامة والعزة، وفي الآخرة يرفعهم درجات في الجنة، وفي الآية حث وترغيب في طلب العلم الشرعي.

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾: خبير؛ أي: عليم ببواطن الأمور وما تخفي الصّدور والنّوايا، وما تقولوا في السّر والنّجوىٰ والعلن، وما تفعلوه في السّر والعلن من الإيمان والبرّ والإثم والعدوان.

❖ ❖ ❖

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ
صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
(١٢) ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ
وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ
وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٣) ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْمًا
غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ
وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤) أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ
يَعْمَلُونَ (١٥) ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ
عَذَابٌ مُّهِينٌ (١٦) لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ
شَيْـًٔا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ (١٧) يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ
ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ
إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ (١٨) ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ
ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ
(١٩) إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ (٢٠)
كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ (٢١)

ربع الحزب ٥٥

## سورة المجادلة [الآيات ١٢ - ٢١]

[١٢] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾:

**سبب النّزول:** عن ابن عباس قال: إنّ المسلمين أكثَروا الأسئلة على رسول الله ﷺ حتى شقُّوا عليه، فأراد الله تعالى أن يخفف عن نبيه فأنزل هذه الآية، فلما نزلت كفَّ بعض النّاس عن سؤاله. وقيل: نزلت هذه الآية في الأغنياء الذين كانوا يكثرون الأسئلة على رسول الله ويطيلون الجلوس بين يديه، وكان ﷺ يصاب بحرج من ذلك.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ﴾: نداء جديد إلى الذين آمنوا بتكليف جديد هو: إذا أردتم الحديث مع رسول الله أو مسارَّته في أمر من الأمور الخاصة بكم.

﴿إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ﴾: إذا شرطية ظرفية.

ناجيتم: ارجع إلى الآية (٤) لمعرفة معنى النجوى.

﴿فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً﴾: فقدّموا قبل المناجاة صدقة للفقراء؛ لتعظيم رسول لله ﷺ وانتفاع الفقراء والنّهي عن الإفراط في الأسئلة، ولم يُبيّن مقدار هذه الصّدقة.

﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ﴾: ذلك: اسم إشارة، والمشار إليه أو المخاطب واحد، ولم يقل (ذلك)؛ لأنه للجمع، أو التوكيد في الحكم، كما في الظهار والطلاق في الآية (٣)؛ أي تقديم الصّدقة قبل النّجوىٰ، خير لكم: لما فيه طاعة الله وامتثال أوامره في الدّين، وأطهر: لأنّ الصدقة طهرة، أو لعل الصّدقة تطهّر مسارّاتكم أو نجواكم إذا حدث خلل أو مضايقة، وأطهر لأنفسكم من البخل والشُّحّ وحبّ المال.

﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا﴾: الفاء رابطة لجواب الشّرط؛ إن: تفيد الاحتمال أو القلة؛ لم: نافية؛ تجدوا صدقة.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: لا حرج ولا جناح عليكم وبدون صدقة؛ لأنّ المأمور بتقديم الصّدقة هو الغني القادر، ثم رفع الحكم في الآية (١٣) من نفس السورة، فإن: للتوكيد، غفور: لمن تاب وآمن وعمل صالحاً مهما كانت ذنوبه عددها ونوعها، رحيم: بتأخير العذاب عنه وكثير المغفرة، رحيم بعباده المؤمنين.

[١٣] ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾:

﴿ءَأَشْفَقْتُمْ﴾: الهمزة همزة استفهام تقريري وتعجب.

الإشفاق: الخوف مع الحذر والشّعور بالعطف والتعظيم.

﴿أَن﴾: حرف مصدري يفيد التّعليل، وأن تفيد الاستقبال.

﴿تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ﴾: أي أخِفتُم أو حذِرتُم أن تتصدّقوا قبل مناجاة الرّسول.

﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾: إذ حرف زماني للماضي أو المستقبل وشرطية، لم: للنفي، تفعلوا: ما أمرتم به وشقَّ عليكم تقديم الصّدقات أو فعل ما أمركم الله تعالىٰ به، وهذا يعتبر نوعاً من مخالفة الأمر ويحتاج إلىٰ توبة.

﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ﴾: الفاء للتوكيد، أقيموا الصلاة: أي أدّوها في أوقاتها وأركانها وشروطها، وطهارتها وسننها وآدابها والمداومة عليها.

﴿وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ﴾: الواجبة في أموالكم.

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾: فيما أمرا به أو نهيا عنه، فذلك يكفي عوضاً عن الصّدقة؛ ارجع إلىٰ سورة آل عمران آية (٣٢)، وسورة النساء آية (٥٩) لمعرفة الفرق بين أطيعوا الله ورسوله، وبين أطيعوا الله وأطيعوا الرسول.

﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾: أي يعلم بواطن الأمور ما تخفي الصّدور فيما يتعلق بالإشفاق في تقديم الصّدقات وغيرها، وخبير بما تقولون وتفعلون، وقدّم خبير علىٰ ما تعلمون؛ لأنّ السياق في تقديم الصّدقات، والإشفاق: هو عمل قلبي والله وحده يعلم به وبما تكنُّ الصّدور.

وقيل: كان بين نزول الآية (١٢) وهي قوله: ﴿إِذَا نَٰجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً﴾، وبين نزول الآية (١٣) وهي: ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ عشر ليال.

وقال مجاهد: لما نُهوا عن المناجاة، فلم يناجيه إلا علي بن أبي طالب رضي الله عنه تصدّق بدينار وناجاه، ثم نزلت الرّخصة فكان عليٌّ يقول: آية في كتاب الله لم يعمل بها أحد قبلي ولم يعمل بها أحد بعدي وهي آية المناجاة.

[١٤] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾:

﴿أَلَمْ تَرَ﴾: ارجع إلى الآية (٧) السّابقة.

﴿إِلَى الَّذِينَ﴾: اسم موصول تفيد الذّم، وتعني المنافقين.

﴿تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم﴾: قوماً: أي اليهود، تولّوا: من الموالاة وتعني: المودة والمحبة والعون والنّصرة؛ أي: أحبوهم ومدّوا إليهم يد العون والنّصرة ونقل أسرار المؤمنين إليهم.

﴿مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾: ما النّافية، هم: (أي المنافقين)، منكم: (من المؤمنين) ولا: للنفي، منهم؛ أي: من اليهود، وتكرار أداة النّفي (لا) يفيد التّوكيد.

﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ﴾: من خصوصيات القرآن هناك فرق بين: يحلفون بالله وأقسموا بالله، الحلف يأتي في سياق الكذب، والقسم يأتي في سياق الصّدق، أو يقسم على أمر يظنه صحيحاً وهو خطأ، ويصدق فيما يظنه، أو يحلفه أو يقوله لو كان على غير الحق. ارجع إلى سورة التوبة آية (٥٦) لمزيد من البيان.

أي يحلفون على الكذب: أنهم مسلمون أو مؤمنون، أو أنهم معكم ولم ينقلوا أسرار المؤمنين إلى اليهود.

يحلفون على الكذب: على تفيد الاستعلاء والمشقّة، فكأنهم جعلوا الكذب مطيّة لهم فاستقروا واستووا عليها، أو الكذب أصبح من سماتهم التي تعلو على وجوههم واستمروا عليه.

﴿وَهُمْ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿يَعْلَمُونَ﴾: أنهم كاذبون في أيمانهم.

[١٥] ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾:

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ﴾: هيّأ وجهّز.

﴿لَهُمْ﴾: اللام لام الاختصاص والاستحقاق، وتقديم (لهم) يفيد الحصر، لهم تعني: المنافقين.

﴿عَذَابًا شَدِيدًا﴾: في الدّرك الأسفل من النّار.

﴿إِنَّهُمْ سَآءَ﴾: إنهم للتوكيد، ساء :من أفعال الذّم والتّقبيح.

﴿مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾: ما: اسم موصول بمعنىٰ الذي أو مصدرية، ولكنها أكثر شمولاً، ساء ما كانوا في الدّنيا يعلمون: (تشمل الأقوال والأفعال).

[١٦] ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾:

﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ﴾: جعلوا، صيَّروا، أيمانهم: (جمع يمين) هو الحلف أو القسم.

جنة: وقاية وسترة علىٰ أنفسهم من المؤاخذة، أو وقاية من القتل والنَّبذ ووقاية علىٰ أموالهم وأهليهم من العقاب؛ أي: يستترون وراء أيمانهم من العقاب وأذىٰ المسلمين.

﴿فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: الفاء للتوكيد، صدوا: النّاس عن الدخول في دين الله تعالىٰ، أو الهداية إلىٰ الصّراط المستقيم.

﴿فَلَهُمْ﴾: الفاء للتوكيد، لهم: خاصة، اللام لام الاختصاص والاستحقاق.

﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾: توكيد آخر ووعيد ثان، في الآية (١٥): عذاب شديد، وفي هذه: عذاب مهين؛ أي: هو عذاب فيه ذلّة وفضيحة على مرآى من الناس.

[١٧] ﴿لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾:

﴿لَّن﴾: أداة نفي للمستقبل القريب أو البعيد في الدنيا والآخرة.

﴿تُغْنِيَ عَنْهُمْ﴾: أي لن تنفعهم أو تدفع عنهم العذاب.

﴿أَمْوَالُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم﴾: تكرار (لا) يفيد التّوكيد، توكيد النّفي ونفي كلٍّ على حدةٍ لا الأموال وحدها ولا الأولاد ولا كلاهما معاً.

﴿مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾: من استغراقية، شيئاً: ولو أقلّ القليل، وشيئاً: نكرة، أيّ شيء مهما كان قليلاً أو كثيراً أو مهما كان نوعه.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة، واللام للبعد ويفيد التّحقير والذّم.

﴿أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾: أي ملازمون لها لا يفارقونها ولا تفارقهم. ارجع إلى الآية (٣٩) من سورة البقرة.

[١٨] ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾:

﴿يَوْمَ﴾: البعث أو القيامة، والتنكير يفيد التعظيم والتهويل.

﴿يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾: من قبورهم؛ أي: المنافقين ويحشرهم يوم القيامة أوّلهم وآخرهم.

﴿فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ﴾: لله تعالىٰ في الآخرة علىٰ أنّهم ما كانوا منافقين، أو ما ينسب إليهم من إثم وسيئات.

﴿كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾: الكاف للتشبيه، لكم أيّها المؤمنون الآن في دار الدّنيا: أنّهم لمنكم وماهم منكم، أو ما قالوا كلمة الكفر، وما كفروا بعد إسلامهم... وغيرها.

﴿وَيَحْسَبُونَ﴾: من حسب: وهو الظّن الرّاجح؛ أي: يعتقدون.

﴿أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾: علىٰ شيء من الإيمان أو شيء من الحق، أو يعتقدون أن أيمانهم لكم تنفعهم عند الله تعالىٰ كما كانت تنفعهم في الدّنيا، شيء: نكرة، تعني: أيّ شيء مهما كان نوعه، والشيء: هو أقل القليل سواء أكان حسياً (مادياً)، أم معنوياً.

﴿أَلَآ﴾: أداة للتنبيه والتّوبيخ.

﴿إِنَّهُمْ هُمُ﴾: للتوكيد، وهم: لزيادة التّوكيد.

﴿ٱلْكَٰذِبُونَ﴾: أي صفة الكذب أصبحت ثابتة عندهم لا تتغير.

[١٩] ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾:

﴿ٱسْتَحْوَذَ﴾: من الحَوْذ، حاذ البعير؛ أي: ساقه سَوقاً عنيفاً.

﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: استولى عليهم الشيطان وأحاط بهم، وغلب على عقولهم فتركوا أوامر الله تعالى وأطاعوا الشّيطان.

﴿فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ﴾: أنساهم أن يذكروا الله بجميع الطّرق وشتى الوسائل، بألسنتهم وبقلوبهم وبأعمالهم، وأنساهم الصّلاة والقرآن والخوف من الله.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة واللام للبعد، ويفيد الذّم والتّحقير.

﴿حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾: الحزب يعني الجماعة من النّاس اجتمعوا على منهج أو مبدأ فيه مصلحتهم أو فائدة لهم.

﴿أَلَآ﴾: ألا: للتنبيه والتّوبيخ.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾: أتباعه وأولياءه وأنصاره.

﴿هُمُ﴾: للتوكيد.

﴿ٱلْخَٰسِرُونَ﴾: لأنفسهم ولأهليهم، الخاسرون في الدّنيا والآخرة. ارجع إلى سورة النساء آية (١١٩) لمزيد من البيان.

[٢٠] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ﴾:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾: ارجع إلى الآية (٥) من السّورة نفسها؛ للبيان.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة واللام للبعد، ويفيد الذّم والتّحقير.

﴿فِي ٱلْأَذَلِّينَ﴾: في ظرفية، الأذلّين: جمع الأذل: وهو الأكثر ذلاً من كل ذليل، والذّل: الصَّغار والمهانة؛ أي: هم أذلُّ خلق الله.

[٢١] ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾:

﴿كَتَبَ ٱللَّهُ﴾: قضى وحكم، أو كتب الله في اللوح المحفوظ أو أم الكتاب.

﴿لَأَغْلِبَنَّ﴾: بالحجة وبالقوة وكل أنواع الغلبة، واللام للتوكيد والنّون لزيادة التّوكيد؛ أي: لأغلبن الكفار (حذف ذكرهم استحقاراً لهم) أو لا يريد ذكرهم؛ لأنهم لا يستحقون الذكر.

﴿أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ﴾: أنا: ضمير الشأن يفيد التفخيم، ورسلي: الأنبياء والرسل.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾: إن للتوكيد.

﴿قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾: ارجع إلى سورة الحديد آية (٢٥).

❖ ❖ ❖

لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ
حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ
أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ
الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا
عَنْهُ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾

## سُورَةُ الْحَشْرِ

ترتيبها ٥٩ — آياتها ٢٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
﴿١﴾ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ
لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا ۖ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ
حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ۖ وَقَذَفَ
فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ
فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ
الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٣﴾

## سورة المجادلة [الآية ٢٢]

[٢٢] ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾:

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا﴾: (هذا هو المفروض).

﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ﴾: ارجع إلى سورة البقرة آية (٨) لمزيد من البيان. (يحبّون ويوالون).

﴿مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: حاد؛ أي: من عادى الله ورسوله وشاقّهما ولو كانوا أقرباءهم مثل آبائهم أو أبنائهم أو إخوانهم أو عشيرتهم، وهذا الزّجر والنّهي عن موالاة أعداء الله ورسوله ورد بلفظ الخبر.

﴿أُولَئِكَ﴾: تعود على الذين يؤمنون بالله ورسوله ولم يوادُّوا من حادَّ الله ورسوله، كتب في قلوبهم الإيمان: أي أثبته وأقرَّه في قلوبهم.

﴿وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾: أي بالقرآن، وسمّاه روحاً وسمّى من نزل به الرُّوح الأمين (أي جبريل)، كما قال تعالى في سورة الشورى آية (٥٢): ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾.

﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: أي تنبع من تحتها الأنهار.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾: ورضوان الله عليهم أعلى درجة من دخولهم الجنات.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة واللام للبعد، تفيد المدح والتّعظيم.

﴿حِزْبُ ٱللَّهِ﴾: حزب: ارجع إلى آية (١٩) من السّورة نفسها؛ أي: أولياء الله وأنصاره.

﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ﴾: ألا: للتنبيه والتّوكيد.

﴿هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: هم: ضمير فصل يفيد التّوكيد، المفلحون: النّاجون من النّار والفائزون بالجنة، الفلاح: هو النّفع الباقي ونَيل الخير الدّائم. ارجع إلى سورة البقرة آية (٥) لمزيد من البيان في معنى (المفلحون).

❖ ❖ ❖

لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ
حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ
أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ
الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي
مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا
عَنْهُ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾

## سُورَةُ الْحَشْرِ

ترتيبها ٥٩ — آياتها ٢٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
﴿١﴾ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ
لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا ۖ وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ
حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ۖ وَقَذَفَ
فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ
فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ
الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٣﴾

## سورة الحشر [الآيات ١ - ٣]

ترتيبها في القرآن (٥٩) وترتيبها في النزول (١٠١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

**أسباب النّزول**: بعد أن انتصر المسلمون في غزوة بدر وعادوا إلىٰ المدينة جاء بنو النّضير (من يهود المدينة) رسولَ الله وعاهدوه علىٰ أن لا يقاتلوه ولا يقاتلوا معه ويبقوا علىٰ الحياد، وبعد غزوة أُحد أظهروا العداوة لرسول الله ﷺ، ونقضوا عهدهم مع رسول الله ﷺ بعد أن ذهب وفداً من بني النّضير إلىٰ قريش في مكة، وكان كعب بن الأشرف رئيس الوفد، واجتمع كعب بزعيم قريش أبي سفيان، وعاد كعب إلىٰ المدينة فأخبر الله سبحانه نبيَّه بما حصل، وأمر النّبي بقتل كعب بن الأشرف، وأمر الرّسول ﷺ المؤمنين بالمسير إلىٰ بني النّضير بعد أن قُتل كعب بن الأشرف، وأمرهم بالخروج والجلاء عن المدينة المنورة فرفضوا، وانحاز المنافقون إلىٰ جانب بني النّضير وشجعوهم علىٰ ألّا يخرجوا من ديارهم وعاهدوهم إن قاتلكم محمّد وأصحابُه لننصرنّكم وإن خرجتم للقتال لنخرجنّ معكم، وحاولوا الغدر برسول الله ﷺ برئاسة عبد الله بن أُبَيٍّ ابن سلول.

وحاصر الرّسول ﷺ وأصحابه بني النّضير (٢١) يوماً خلالها قذف الله سبحانه الرّعب في قلوب بني النّضير، ويَئِسُوا من مساعدة المنافقين لهم، وسألوا رسول الله ﷺ الصّلح، فقبل علىٰ شرط جلائهم عن المدينة بلا رجعة، فنزلت هذه الآيات تصف ما حدث.

[١] ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾:

ارجع إلى سورة الحديد الآية (١) للبيان في معنى سبح لله ما في السموات... وهناك اختلاف بين الآيتين هو تكرار (ما في) مرتين، ففي سورة الصف والحشر قال تعالى: ﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ﴾ بينما في سورة الحديد قال تعالى: ﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ﴾ فقد تبين من مقارنة هذه الآيات إفادة ذكر (ما في) اسم الموصول وفي الظرفية قد يكون للتوكيد، أو هذا التّكرار لوحظ أنه يصحبه عادة الكلام عن أهل الأرض كالجهاد أو القتال في سبيل الله مثلاً، أو يأتي في مقام التّفصيل في البيان والآيات والشمول والاستغراق مثل الفزع والصعق والسجود الذي يشمل أهل الأرض والسموات، وعدم إعادة (ما) اسم الموصول يكون في مواطن الإجمال، أو للتخصيص لأنَّ هناك أشياء ومخلوقات في السموات، ليست موجودة على الأرض أو بالعكس كالملائكة المقربين أو الحافين من حول العرش، حرف (ما) يشمل العاقل وغير العاقل، وهذا التحليل ينطبق للإعادة (ما في) أو إعادة (من في) في كل آيات القرآن.

[٢] ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يعود على الله سبحانه واجب الوجود.

﴿ٱلَّذِيٓ﴾: اسم موصول يفيد التّعظيم.

﴿أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾: أيْ: بني النّضير (من اليهود).

﴿مِن دِيَٰرِهِمْ﴾: قرب المدينة على مسافة (٢) ميل من المدينة.

﴿لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾: سُمِّيَ هذا الجلاء بأوّل حشر، أي: الحشر الأول، وأمّا

الحشر الثّاني فقد قيل: كان بعد غزوة خيبر، أو ربما يكون يوم القيامة، واللام في كلمة لأول للتوقيت، كقوله تعالىٰ: ﴿لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ﴾[الإسراء:٧٨].

﴿مَا ظَنَنتُمۡ﴾: أيها المسلمون أن بني النّضير يخرجون ويتركون ديارهم لعزتهم ومنعتهم، فقد كانوا أهل حصون ونخيل ومال.

﴿أَن يَخۡرُجُواْ﴾: أن للتعليل والتّوكيد.

﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾: وظنوا، أي: بنو النّضير أن حصونهم تحميهم أو تقيهم من الله، أيْ: من بأس الله تعالىٰ ونقمته؛ فتقدم الخبر (مانعتهم) علىٰ المبتدأ (حصونهم) يدل علىٰ شدة اعتمادهم حماية حصونهم لهم ونصرهم علىٰ المؤمنين.

﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْ﴾: أيْ: جاءهم بأسه أو عذابه من حيث لم يخطر علىٰ بالهم لقوتهم أن يأتيهم من جهة محمّد ﷺ وصحابته المؤمنين، وأنّهم قادرون علىٰ حصارهم لمدة (٢١) يوماً.

﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ﴾: القذف الإلقاء بقوة، أي: ملأ قلوبهم رُعباً، وخاصة بعد قتل سيدهم كعب بن الأشرف؛ والرعب: الاضطراب النفسي الناشئ عن أمر لم يكن متوقع أو منتظر، ويتمثل بمزيج من الخوف والشدة، ومحاولة الفرار، وإيجاد مخرج أو ملجأ.

﴿يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾: لما أيقنوا بالجلاء، فقد كانوا يقلعون العمد والأبواب فيأخذونها معهم لكونها ثمينة، ولكي لا يسكن ديارهم أحد من المسلمين أو المؤمنين، فحاولوا تخريب منازلهم من الدّاخل وخرب المؤمنون ما تبقىٰ من ديار بني النّضير.

﴿فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾: اعتبروا مشتقة من العبرة، وهي الدّلالة الموصلة إلىٰ الحق والعبرة، الحالة التي يُعبر منها من منزلة الجهل إلىٰ منزلة العلم بمقارنة

أو مساواة شيء مشاهد أو محسوس إلىٰ الوصول إلىٰ أمر لم يكن متوقع أو منتظر؛ يا أولي الأبصار، يا أصحاب العقول، أي: البصائر أو ذوي البصيرة، كيف أخرج الله سبحانه بني النضير من ديارهم وهزمهم علىٰ يد المؤمنين الذين لا زلت جراحهم تنزف دماً من الهزيمة في معركة أُحد. ارجع إلىٰ سورة آل عمران آية (١٣) لمزيد من البيان في أولي الأبصار.

[٣] ﴿ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴾:

﴿ وَلَوْلَآ ﴾: الواو استئنافية، لولا شرطية.

﴿أَن ﴾: حرف مصدري يفيد التّعليل والتّوكيد.

﴿كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ ﴾: كتب: قضىٰ وحكم أو فرض، وكتب أبلغ من فرض عليهم الجلاء من المدينة، أي: الخروج الجماعي من المدينة مع الأهل والولد خوفاً، وهناك فرق بين الجلاء والإخراج؛ أما الإخراج: فهو الخروج الذي قد يكون لواحد أو جماعة مع بقاء الأهل والولد. والجلاء: يشمل الأهل والأولاد، والجلاء: مصدر لفعل جلا.

﴿لَعَذَّبَهُمْ ﴾: اللام لام التّعليل والتّوكيد واقعة في جواب الشّرط.

﴿فِى ٱلدُّنْيَا ﴾: بالقتل والسّبي والفقر والمرض أو غيرها.

﴿وَلَهُمْ ﴾: اللام لام الاختصاص والاستحقاق.

﴿فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴾: أيْ: وإن نجوا من عذاب الدّنيا بأن أجلوا من ديارهم من دون قتل وتشريد، فلن ينجوا في الآخرة من عذاب النّار بسبب نقضهم ميثاقهم وعهودهم ومحاربتهم لرسول الله ﷺ.

❖ ❖ ❖

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ
ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً
عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ
عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ
وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ
وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ
دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا
نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾
لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ
يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ
يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً
مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ
وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾

## سورة الحشر [الآيات ٤ - ٩]

[٤] ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾:

﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة، يشير إلىٰ الجلاء الذي كتب عليهم والعذاب بأنّهم شاقوا الله ورسوله.

﴿بِأَنَّهُمْ﴾: الباء للإلصاق والتّعليل.

﴿شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾: شاقوا من المشاقة والمشتقة من الشّق، أيْ: بني النّضير في شقٍّ ورسول الله ﷺ والمؤمنين في شقٍّ آخر، خالفوا الله وعادوا الله ورسوله.

﴿وَمَن﴾: شرطية استغراقية.

﴿يُشَآقِّ ٱللَّهَ﴾: يعادي ويخالف الله سبحانه، يشاق ولم يقل: ورسوله؛ لأن مشاقة الرسول هي مشاقة لله، ولم يفك إدغام يشاق ويقل: يشاقق؛ لأنه سبحانه لم يذكر الرسول مرة أخرىٰ ولو ذكره لفكَّ الإدغام. ارجع إلىٰ الأنفال آية (١٣) للبيان والمقارنة.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾: الفاء للترتيب والمباشرة إن للتوكيد، العقاب: هو الجزاء علىٰ العمل عقيب فعله.

[٥] ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾:

**أسباب النّزول:** كما أخرج البخاري ومسلم من حديث ابن عمر في أثناء حصار بني النّضير قام بعض الصّحابة بقطع بعض شجر النّخيل وإحراقه لإغاظة بني النضير، فقال بنو النّضير: كيف ينهىٰ محمّد عن الفساد في الأرض، ثم يأمر قومه بحرق النّخيل وقطعه. فنزلت هذه الآية تُبيح عمل بعض الصّحابة، ولا إثم عليهم وكل شيء قطعوه أم لم يقطعوه كان بإذن الله.

﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ﴾: ما: النّافية، قطعتم: قطع كامل أو بعض الأغصان.

من: ابتدائية بعضية، لينة: نخلة شجرة نخل وجمعها ألْيان، واختيار لينة بدلاً من نخلة؛ لأن لينة تعني: كرام النّخل أو نوع من النّخل غنية بثمرها ولثمرها ألوان مختلفة واحدها لون أو لينة.

﴿أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا﴾: أيْ: لم تقطعوها وتركتموها قائمة علىٰ سوقها وجذورها.

﴿فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: فبأمر الله تعالىٰ.

﴿وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾: أي: الإذن بالقطع، ليخزي: اللام للتعليل، الفاسقين علىٰ فسقهم، والخزي هو ذل لهم وفضيحة، أخبر جبريل عليه السلام رسولَ الله ﷺ بذلك الحكم، أيْ: لا إثم عليه ولا علىٰ المؤمنين. والفاسقين: جمع فاسق، وهو الخارج عن الدين، أو متعدي لحدود الله ورسوله. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٢٦) لمزيد من البيان.

[٦] ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾:

﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ﴾: وما: الواو: عاطفة على ما قطعتم من لينة؛ ما: شرطية، أفاء: أيْ: ما أعطى الله رسوله ﷺ من فيء بني النّضير (غنائم بني النّضير) هو خاص به، ولا شيء لكم منه، فالأمر لله تعالى يعطي أو يقسم الفيء، كما يشاء الله، فهذه أموال لم تأخذونها بالقتال أو الحرب.

أما الفرق بين الفيء والأنفال: فالفيء هي الغنائم التي تؤخذ من العدو من دون قتال؛ كأن يفر العدو من أرض المعركة تاركاً وراءه غنائم أو أسلحة أو أموال أو كان نتيجة عقد صلح وسلام، أما الأنفال: فهي الغنائم التي تؤخذ من العدو بقتال وحرب. ارجع إلى سورة الأنفال آية (١) للبيان.

﴿فَمَآ﴾: الفاء للتوكيد.

﴿أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾: الإيجاف الإسراع في السّير، أيْ: ما أسرعتم بالمسير إليه بالركوب، الركاب: ما يُركب من الإبل أو السّيارات أو وسائل النّقل الحديثة. أيْ: لم تقاتلوا عدواً من أجله أو تبذلوا جهداً للحصول عليه.

﴿وَلَٰكِنَّ﴾: حرف استدراك وتوكيد.

﴿ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾: رسلَهُ محمّد ﷺ على من يشاء من أعدائه، ورسله قد تعني أيضاً ملائكته فيقذفون الرّعب في قلوب أعداء الله تعالى.

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾: أيْ: يمنح هذه الغنائم لمن يشاء تارة بحرب،

وتارة من دون حرب، فهو على كل شيء قدير. ارجع إلى الآية (١) من سورة التّغابن للبيان.

أيْ: هذه الغنائم من بني النّضير أخذت منهم قهراً وعنوة، ومن دون قتال فلم يعطِ الأنصار نصيباً منها حيث طلبوا قسمة تلك الغنائم، ولكن رسول الله ﷺ أعطى هذه الأموال للمهاجرين، وقسمها حسب ما أوحى إليه ربه، ولم يعط الأنصار إلا ثلاثة نفر منهم.

[٧] ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾:

﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ﴾: ما: اسم شرط جازم، ولم يسبقها واواً كما في الآية السابقة (٦)؛ لأن الكلام استئناف، أو هذه الآية ليس لها علاقة بما سبق؛ فهي حكم جديد في أمر الفيء؛ فقد كان البيان الأول: ما أفاء الله على رسوله منهم (هذا أمر خاص ببني النّضير).

أما البيان الثّاني: فهو بيان عام يشمل كل الكفار والأعداء وهو ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى كافة التي تفتح من دون قتال أو حرب (قرى الكفار عامة).

فهي توزع كما يلي (١/ ٥) خُمس هذه الغنائم هي لله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السّبيل.

أما الأربعة أخماس الأخرىٰ (٤/ ٥) فللفقـــراء الذين أخرجوا من ديارهم وأبنائهم؛ تعني: المهاجرين وبعض الفقراء خاصة.

﴿فَلِلَّهِ﴾: تعني: رسول الله ﷺ، وقيل: سهم الله للتعظيم أو يعني للرسول، ويصرف سهم الرّسول بعد موته ﷺ علىٰ الإمام أو الجيش أو مصالح المسلمين، وسهم ذي القربىٰ: يوزع علىٰ بني هاشم وبني عبد المطلب.

وسهم اليتامىٰ: أطفال المسلمين الذين فقدوا آباءهم وهم فقراء.

وسهم المساكين: ذوي الحاجة من المسلمين.

وابن السّـــبيل: المنقطع في سفره من المســـلمين، وليس معه مال يرده إلىٰ بلده.

﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ﴾: دُولة: بضم الدّال وليس دَولة، دَولة: هي الحكومة أو الوطن، أما دُولة فلكيلا يتداولها الأغنياء بينهم، أي: تقع في أيديهم.

﴿كَيْ﴾: للتعليل الحقيقي.

﴿لَا﴾: النّافية.

كي لا يكـــون: الفيء أو الغنيمة، غنيمة للأغنياء منكم وهم ليســـوا بحاجة إليه.

﴿مِنكُمْ﴾: خاصة.

﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾: من مـــال أو غنيمة أو فـــيء، وما أمركم به الرسول فافعلوه.

﴿وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾: وما أمركم بتركه والابتعاد عنه فاجتنبوه؛ لأنه ﷺ ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم:٣-٤].

وطاعته ﷺ هي طاعة لله تعالىٰ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء:٨٠].

يتبيَّن أنّ رسول الله ﷺ أُعطي حق التّشريع.

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾: امتثلوا أوامر الله وتجنبوا نواهيه، فبذلك تتقوا سخطه وغضبه وناره.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾: إن للتوكيد، شديد العقاب: لمن عصاه وتعدَّىٰ حدوده.

[٨] ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾:

﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾: اللام لام الاستحقاق والملكية، للفقراء المهاجرين: الأربعة أخماس الباقية من الغنائم.

وتبدو هذه الآية إجابة علىٰ سؤال حين سُئل بما أنّ الخُمس (١/ ٥) يصرف لله وللرسول ولذي القربىٰ واليتامىٰ والمساكين وابن السّبيل، فلمن تصرف الأربعة أخماس الباقية من الغنائم، فجاء الرّد الإلهي للفقراء والمهاجرين.

﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ﴾: أي: أخرجوهم كفار مكة وأخذوا أموالهم وتركوا ديارهم ومتاعهم حين خرجوا من مكة إلىٰ المدينة مهاجرين.

﴿أُخْرِجُوا۟﴾: رغماً عن إرادتهم وقسراً وقهراً، ولم يقل: خرجوا: أي: بإرادتهم ورغبتهم.

﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾: يطلبون أو يلتمسون فضلاً من الله: الفضل هو الزيادة عما يستحق العبد من الأجر والثواب على ما يقدِّمه من أعمال صالحة، والفضل ليس بواجب لأحد، ولكن الله يتفضل على من يشاء من دون سبب وأعظم الفضل التوفيق ورؤية وجهه الكريم في الجنة.

﴿وَرِضْوَٰنًا﴾: رضوان الله هو أكبر من الجنة والمساكن الطيبة والنعيم كما قال تعالى في سورة التوبة آية (٧٢): ﴿فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾. والرضا هو اطمئنان القلب إلى أمر فيه نفع. ارجع إلى سورة آل عمران آية (١٥) لمزيد من البيان في الرضوان.

﴿وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾: من النصرة، وهي تقديم المعونة الخاصة للأنبياء والرسل للنصرة على أعدائهم ولنصرة هذا الدِّين وإعلاء كلمة الله تعالى.

أما الفرق بين المعونة والنصرة، فالمعونة عامة والنصرة خاصة تكون بالجهاد والمال، وغيرها من الوسائل.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾: أولئك اسم إشارة واللام للبعد تفيد المدح. هم: ضمير فصل يفيد التوكيد.

الصادقون: في أقوالهم وأفعالهم وإيمانهم ونصرتهم لله ورسوله قرنوا الإيمان بالعمل الصالح، والصّادقون صفة ثابتة لا تتغيَّر فيهم.

وإذا قارنا هذه الآية (٨) من سورة الحشر ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ﴾: والآية (٢٧٣) من سورة البقرة ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

نجد أن آية الحشر جاءت في سياق الفيء وتقسيم الغنيمة، وأما آية البقرة فجاءت في سياق الصدقة.

[٩] ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾:

﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: الذين: أي: الأنصار الذين سكنوا المدينة من قبل المهاجرين، تبوَّءُوا الدار: سكنوا المدينة، والإيمان: الإيمان ليس بمكان يتبوَّأ فكيف عطف الإيمان على الدّار؛ لأنّ الإيمان هو اعتقاد أو عقيدة فكأنه شبه الإيمان بمنزل أو مسكن آخر لهم فأصبح لهم منزلين وفي هذا مدح للأنصار فهم سكنوا المدينة والإيمان سكن في قلوبهم بعد إسلامهم. ارجع إلى سورة يونس آية (٨٧) لمزيد من البيان في معنى تبوأ.

﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾: من مكة أو غيرها من سائر المدن، ومن هاجر إليهم من المؤمنين.

﴿وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟﴾: ولا يجدون في صدروهم في أنفسهم حاجة، أي: حسداً ولا غيظاً مما أُعطي المهاجرون من الفيء أو الغنيمة.

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾: من الإيثار وهو تقديم مصلحة الغير على النّفس بأموالهم ومنازلهم، أي: يقدِّمون المهاجرين على أنفسهم أو يؤثرون المهاجرين على أنفسهم في المال والمتاع.

﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾: الخصاصة الفقر والحاجة وسوء الحال.

﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾: من شـــرطية، يوق شـــح نفســـه: يحمي نفسه من الشّح، والشّح: هو أشد البخل مع الحرص الشّديد علىٰ المال ومنع الخير وكأنه جُبل عليه.

فمـــن كفاه الله البخل والإفراط في الحرص علىٰ المـــال، فأدّىٰ ما أوجبه الشّرع عليه من زكاة وصدقة.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾: الفاء رابطة لجواب الشّرط.

﴿هُمُ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: أي: هؤلاء في طليعة المفلحين يوم القيامة، المفلحون: المدركون أمانيهم، أي: الفائزون بالجنة والنّاجون من النّار والمدركون لأمانيهم. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٥) لمزيد من البيان في معنىٰ الفلاح.

❖ ❖ ❖

وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا
وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا
غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى
ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ
ٱلۡكِتَٰبِ لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ
أَحَدًا أَبَدٗا وَإِن قُوتِلۡتُمۡ لَنَنصُرَنَّكُمۡ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ
﴿١١﴾ لَئِنۡ أُخۡرِجُواْ لَا يَخۡرُجُونَ مَعَهُمۡ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمۡ
وَلَئِن نَّصَرُوهُمۡ لَيُوَلُّنَّ ٱلۡأَدۡبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾
لَأَنتُمۡ أَشَدُّ رَهۡبَةٗ فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ
لَّا يَفۡقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرٗى
مُّحَصَّنَةٍ أَوۡ مِن وَرَآءِ جُدُرِۭۚ بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٞۚ تَحۡسَبُهُمۡ
جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ ﴿١٤﴾
كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَرِيبٗا ذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ
أَلِيمٞ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ
قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾

نصف الحزب ٥٥

## سورة الحشر [الآيات ١٠ - ١٦]

[١٠] ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾:

﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾: أي: من بعد المهاجرين والأنصار في الزمان وهم التابعون، أو قد تعني: ليس فقط التّابعون لهم في حقبة معينة من الزّمن، بل الإيمان أي: من أمن بعد المهاجرين والأنصار إلى يوم القيامة.

﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا﴾: اغفر لنا ذنوبنا ويقولون تدل على التّجدُّد والتّكرار.

﴿وَلِإِخۡوَٰنِنَا﴾: واغفر لإخواننا الذين سبقونا بالإيمان (من المهاجرين والأنصار).

﴿وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا﴾: حقداً أو حسداً لما أتاهم الله سبحانه في المنزلة والحظ في الآخرة.

﴿رَبَّنَآ﴾: تكرار ربنا يفيد التّوكيد والتقرُّب من الله تعالى.

﴿إِنَّكَ﴾: للتوكيد.

﴿رَءُوفٞ﴾: الرّأفة أخص من الرّحمة وأشد، وتكون للمؤمنين خاصة.

﴿رَّحِيمٌ﴾: بعباده المؤمنين ـ دائم الرّحمة ـ ويقيهم السّيئات والضّر ويجلب لهم ما يُسر.

[١١] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾:

﴿أَلَمْ﴾: الهمزة للاستفهام والتّعجب.

﴿تَرَ﴾ رؤية قلبية فكرية.

﴿إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ﴾: من قريش، أي: أظهروا الإيمان بألسنتهم وأخفوا كفرهم في قلوبهم أمثال عبد الله بن أُبَيٍّ ابن سلول وأصحابه.

ارجع إلى سورة المنافقون آية (١) لمزيد من البيان.

﴿يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾: (اليهود من بني النّضير وقريظة).

﴿لَئِنْ﴾: اللام للتوكيد، إن أخرجتم: من المدينة، إن شرطية تفيد الاحتمال أو الشّك.

﴿لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ﴾: اللام والنّون في يخرجنَّ للتوكيد، أيْ: لئن أخرجتم من المدينة لنخرجنَّ معكم.

﴿وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا﴾: ولا نطيع في قتالكم أحداً أبداً مثل رسول الله ﷺ

والمسلمين، أو لا نطيع في خذلانكم أحداً أو مخالفة ما وعدناكم من الولاء والنّصرة.

﴿وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ﴾: إن شرطية، تفيد ندرة الحدوث، أو الاحتمال، أو الشّك، قوتلتم: قاتلكم أحد لننصرنكم، واللام والنّون في لننصرنكم للتوكيد.

﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾: إنّ واللام في لكاذبون للتوكيد، إنهم لكاذبون في وعودهم لبني النّضير بالخروج معهم أو القتال معهم ونصرتهم.

[١٢] ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾:

﴿لَئِنْ﴾: اللام للتوكيد، إن شرطية تفيد الشّك أو الاحتمال.

﴿أُخْرِجُوا﴾: من ديارهم أو أُجلُوا عن المدينة أو غيرها من المدن، أو القرى.

﴿لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ﴾: لا النّافية يخرجون معهم كما وعدوهم.

﴿وَلَئِن﴾: مثل السّابقة.

﴿وَلَئِن قُوتِلُوا﴾: من قبل المسلمين أو غيرهم لا ينصرونهم كما وعدوهم.

﴿وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ﴾: يعني: ولئن نصروا بني النّضير.

﴿لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ﴾ ليفرُّون هاربين مهزومين معهم، وتكرار لئن للتوكيد ولفصل كل واحد من هذه الاحتمالات على حِدَةٍ.

﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾: ثم للتراخي من الزّمن، أي: لا ينصرون الآن، ولا في المستقبل مهما طال، وفي هذا وعد للمؤمنين بالنّصر على الكافرين والمنافقين.

[١٣] ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾:

﴿لَأَنتُمْ﴾: اللام لام الاختصاص للتوكيد، أنتم أيها المؤمنون.

﴿أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ﴾: أشد رهبة في صدورهم (أي: في قلوب المنافقين) من الله، والرّهبة: هي الخوف والحذر، أي: يخافونكم ويخشونكم ويحذرونكم أكثر مما يخافون الله ويحذرونه ويخشونه.

﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة يشير إلى الرّهبة.

﴿بِأَنَّهُمْ﴾ الباء للإلصاق والملازمة.

﴿قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾: الفقه: الفهم لا يفهمون. والفقه اصطلاحاً: معرفة الأحكام الشرعية، وإدراك المعاني والأسرار الخفية في كلام الله تعالى؛ فهم لا يفقهون؛ لأنهم خافوا منكم لشعورهم بالضعف، ولم يخافوا الله سبحانه القهار والجبار؛ أي: خافوا الظاهر، ولم يخافوا ما وراءه وهو الله سبحانه؛ ارجع إلى سورة النساء آية (٧٨) لمزيد من البيان في يفقهون.

ووصفهم في الآية (١١) ﴿لَكَاذِبُونَ﴾.

ووصفهم في الآية (١٤) ﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾.

فهم لا يفقهون ولا يعقلون إضافة إلى كونهم يكذبون.

[١٤] ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾:

﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾: لا: النّافيــة، يقاتلونكم: أضاف النّون للتوكيد أصلها لا يقاتلوكم، أي: اليهود والمنافقون.

﴿جَمِيعًا﴾: أيْ: لا يقاتلونكــم حين تكونون مجتمعين موحَّدين تحت راية واحدة، ولكن يقاتلونكم حين تكونون متفرقين.

﴿إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ﴾: إلا: أداة حصــر، في قرىٰ محصنة: أي: حين يكونوا قد تحصنوا في حصونهم وقلاعهــم وخنادقهم، أو قرىٰ محصنة بنوع جديد من التّحصن، وهو زرع البطاريات المضادة للصواريخ أو القبة الحديدية.

﴿أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ﴾: ببناء الجدر العازلة بين المدن أو علىٰ الحدود.

﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾: البأس الحرب بينهم، شديد: أي: إذا قاتلوا بعضم بعضاً يقاتلون بشدة.

﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا﴾: تحسبهم من الحســب، وهو الظّن الرّاجح، تظنون ظناً راجحاً أنهم موحَّدون متفقون في الظاهر.

﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾: قلوبهــم متفرقــة لاختــلاف عقائدهــم ونواياهــم ومقاصدهم، أي: في الباطن متفرقون ومختلفون، وفي الظّاهر أو العلن موحدون.

﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة إلىٰ تفرقهم وبأسهم بينهم شديد.

﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾: الباء: للإلصاق والملازمة، لا يعقلون: لا يفكرون فيما فيه صلاحهم وعاقبة أمرهم ولا يدركون الحق؛ لا يعقلون: لأن قلوبهم متفرقة (شتى)، ولو عقلوا وأدركوا الحق لما قاتلوكم، وأصابهم ما أصابهم.

[١٥] ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾:

﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: الكاف للتشبيه، الذين: اسم موصول، من قبلهم: من تدل على الزّمن القريب (أي: من زمن قريب).

أي: مثل بني النّضير والمنافقين كمثل الذين من قبلهم قد يكونون بني قريظة أو بني قينقاع أو كفار قريش يوم بدر في خيانة العهود ومحاربة الرّسول ﷺ والغدر وعدم الإيمان.

﴿ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾: ذاقوا سوء عاقبة كفرهم وتخاذلهم وعدم الوفاء بعهودهم، والوبال: في الأصل: من البول، ويعني: الشّدة والثّقل والوخامة، ثم استعير ليمثل سوء عاقبتهم ووَبل المرتع وبالاً: كثر فيه البول ووَخْم فيه الرّائحة الوسخة. وذكرت كلمة وَبَال في القرآن في (٤) سور: المائدة آية (٩٥) والحشر آية (١٥) والتغابن آية (٥) والطلاق آية (٩).

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: في الآخرة.

[١٦] ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾:

﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾: الكاف للتشبيه، كمثل الشيطان: أي: مثل المنافقين فيما صنعوا، مع بني النّضير في إغرائهم على القتال معهم ونصرتهم والخروج معهم.

﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ﴾: أي: أغراه ووسوس إليه وزين له الكفر.

﴿فَلَمَّا كَفَرَ﴾: أي: استجاب للشيطان.

﴿قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ﴾: تبرؤ الشّيطان فيه مخافة أن يشاركه في العذاب.

﴿إِنِّىٓ﴾: للتوكيد.

﴿أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: جمع خوفين خوف من الألوهية، وخوف من الرّبوبية. ارجع إلى سورة الأنفال آية (٤٨) لمزيد من البيان.

❖ ❖ ❖

فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ
نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ
﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ
ٱلْجَنَّةِ ۖ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا
ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ
ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ
﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ
هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ
ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ
ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ
﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ
يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

## سُورَةُ الْمُمْتَحَنَةِ

ترتيبها ٦٠ آياتها ١٣

## سورة الحشر [الآيات ١٧ - ٢٤]

[١٧] ﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾:

﴿فَكَانَ﴾ الفاء استئنافية، كان: تشمل كل الأزمنة ومنها المستقبل.

﴿عَٰقِبَتَهُمَآ﴾: الشّيطان والإنسان.

﴿أَنَّهُمَا﴾: للتوكيد.

﴿فِي﴾: ظرفية.

﴿خَٰلِدَيْنِ فِيهَا﴾: خلود يبدأ من زمن دخولهم إليها وبلا نهاية.

﴿وَذَٰلِكَ﴾: الواو للتوكيد، ذلك: اسم إشارة يشير إلى العذاب والخلود في النّار.

﴿جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الجزاء على العمل والجزاء يكون في الخير والشّر وأما الأجر يكون عادة في الخير، الظالمين: الكافرين والمشركين.

[١٨] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾:

نداء جديد للذين آمنوا بتكليف وأمر جديد بتقوى الله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا﴾: الياء النداء وللبعد والهاء للتنبيه.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾: التّقــوىٰ هي امتثال أوامر الله وطاعته، وتجنب نواهيه؛ لكي نتقي سخطه وغضبه وناره.

﴿وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖ﴾: الواو عاطفة، واللام لام الأمر أو التّوكيد.

﴿نَفۡسٞ﴾: ١ – جاءت بصيغة التّنكير تعني: أيَّ نفس مثقلة بالذّنوب أو زكية أو مطمئنة أو غيرها.

ونفس تشير إلىٰ القلة، أي: الأنفس النّواظر لغد قلة.

﴿مَّا قَدَّمَتۡ﴾: ما بمعنىٰ الذي أو مصدرية، (وما) أوســع شمولاً من الذي. قدَّمت: أحضرت أو عملت من الأعمال الصّالحة ليوم حسابها.

﴿لِغَدٖ﴾: الــلام لام التّوقيت وغد يعني: يوم القيامــة وجاء بصيغة التّنكير للتهويــل والتّعظيم، ولقرب يوم القيامة، وتحقق وقوعــه اعتبره الغد، أي: اليوم الذي يلي اليوم الذي نحن فيه، أو أي: يوم في المستقبل قريباً أو بعيداً.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾: تكرار ذلك يعني: التّوكيدَ والحضَّ علىٰ التّقوىٰ والاستقامة عليها.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾: إن للتوكيد، خبير: ببواطن الأمور، ومخفيات الصّدور، وقدَّم خبير علىٰ ما تعملون؛ لأنّ السّياق في التّقوىٰ والتّقوىٰ عمل قلبي لا يعلمه إلا الله تعالىٰ. ولم يقل: إن الله بما تعملون خبير.

[١٩] ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾:

﴿وَلَا﴾: الواو حرف عطف، لا: النّاهية.

﴿تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ﴾: نسوا طاعة الله وذكر الله، ونسوا الصلاة أو عبادة الله أو نسوا امتثال أوامره وتجنب نواهيه، أو نسوا حق الله عليهم.

﴿فَأَنسَىٰهُمْ﴾: الفاء فاء السّببية، أيْ: أنساهم أن يقدِّموا خيراً لأنفسهم وتركهم في شهواتهم وغيهم وضلالهم يعمهون، كما نسوا الله سبحانه وتعالىٰ أنساهم أنفسهم باللهو واللعب وإضاعة الزمن والانشغال بتوافه الأمور والجدال أحياناً مع الناس من دون علم والتمتع والأكل كما تأكل الأنعام.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة يشير إلىٰ الذين نسوا الله.

﴿هُمُ﴾: للتوكيد.

﴿ٱلْفَٰسِقُونَ﴾: أيْ: إذا كان هناك فاسقون فهم في المقدِّمة، والفسق هو الخروج عن طاعة الله وطاعة رسوله.

ارجع إلىٰ الآية (٢٦) من سورة البقرة لمزيد من البيان.

[٢٠] ﴿لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾:

﴿لَا﴾: النّافية.

﴿يَسْتَوِىٓ﴾: في المنزلة والدّرجة والفضل كلٌّ من أصحاب النّار وأصحاب الجنة.

والآية تعني: لا يستوي أصحاب النّار فهم في درجات مختلفة قيل: سبع دركات والدّرك الأسفل للمنافقين، وقيل: هي جحيم وجهنم ولظىٰ وسعير وسقر والحطمة والهاوية.

وأصحاب الجنة هم درجات، فقد قيل: إنّ الجنة (١٠٠) درجة وبين الدرجة والدرجة كما بين السماء والأرض بُعداً.

﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾: إعادة كلمة أصحاب الجنة للتوكيد، وكلمة أصحاب مشتقة من الصّحبة: الملازمة وعدم الفرقة والصّداقة والمودة.

وقدَّم أصحاب النّار على أصحاب الجنة؛ لأنّ سياق الآيات في الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أو قدَّمها للتنبيه والتّحذير، أو لكثرة عددهم.

[٢١] ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾:

﴿لَوْ﴾: حرف امتناع لامتناع، امتنع نزول القرآن على جبل لامتناع رؤية الجبل خاشعاً متصدعاً.

﴿أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ﴾: ولو أُنزل هذا القرآن على جبل وحصل ذلك لرأيته خاشعاً؛ الخشوع: الخضوع والذل والانكسار، وتظهر آثاره في القلب والسمع والبصر والصوت متصدعاً من خشية الله تعالى، أو من خشية القرآن، والخشية: هي الخوف المقرون بالتعظيم، والعلم فيمن تخشاه؛ لأنّ القرآن كلام الله تعالى أو يتصدع من كلام الله فإذا تصدع من كلام الله، فكيف إذا تجلى الرّب سبحانه للجبل، كما حصل حين طلب موسى ذلك، فقد جعله دكاً وخرَّ موسى صعقاً؟

وأنت أيها الإنسان أنزل إليك القرآن، فلا يخشع له قلبك، ولا يقشعر له جلدك، ولا تتأثر به حين يُتلى عليك أو تتلوه بنفسك.

فلو أنزل هـذا القرآن على الجبل الجامد الذي يـزن ملايين الأطنان يلين ويتصـدع وأنت هجرتـه وراء ظهرك وهذا توبيخ لهـؤلاء الذين لا يقرؤون ولا يتأثرون به؛ مما يدل على أن قلوبهم كالحجارة أو أشد قسوة.

﴿وَتِلْكَ﴾: اسم إشارة واللام للبعد.

﴿ٱلْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾: مثل إنزال القرآن على جبل.

﴿لَعَلَّهُمْ﴾: لعل للتعليل.

﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾: ينظرون في الآيات والدّلائل، فإذا تفكروا وتدبروا فسوف يصلـون إلى النتيجة أنّ الله هـو الإله الحق واجب الوجود المسـتحق للعبادة وحده. وقيل: ضرب الأمثال لإزالة الغموض.

[٢٢] ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾:

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد والحصر.

﴿ٱللَّهُ﴾: هـو علم على الذات الواجب الوجـود، الإله الحق لا إله إلا هو المسـتحق العبودية وحده، لا شـريك له في الملك، والخلق، فهو مالك الملك وإليه يرجع الأمر كله في الأولى والآخرة، والله: الاسـم الجامع لجميع صفات الكمال والجامع للأسـماء الحسنى تفرَّد به سبحانه واختصه لنفسه، وقدَّمه على سائر الأسماء الحسنى، ليس كمثله شـيء لا مثيل ولا نظير ولا صاحبة ولا ولد ولا شريك.

﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول يفيد الكمال والتّعظيم.

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: لا إله: تفيد النّفي، إلا هو: تفيد الإثبات أو توكيد النّفي.

ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٥٥) لمزيد من البيان.

﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾: عالم الغيب: أيْ: عالم ما غاب عن المدركات والحواس واستتر، عنده علم السّاعة ويعلم ما في السموات والأرض والبر والبحر، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها، ولا حبة في ظلمات الأرض، ولا رطب ولا يابس إلا يعلمها، وما يعزب عنه من مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، يعلم ما في الأرحام وما تخفي الصّدور ويعلم ما تكسب كل نفس وبأي أرض تموت والسّر والنّجوى.

﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾: عالم ما يشاهد بالمدركات والحواس، وما يجري في كونه وما يعلمه خلقه وهو اللطيف الخبير.

﴿هُوَ﴾: تكرار هو للتوكيد والحصر.

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾: هو من شملت رحمته جميع الكائنات في الدّنيا بما في ذلك المؤمن والكافر والمطيع والعاصي والحيوان والنّبات، صيغة مبالغة من الرّحمة على وزن فعلان تفيد التّجدُّد والتّكرار.

﴿ٱلرَّحِيمُ﴾: رحيم بعباده المؤمنين في الدّنيا والآخرة، على وزن فعيل تفيد الثّبوت، فالله سبحانه جمع بين الصّفتين حتى يظن أحد أنّ رحمته قد تزول أو تنقطع، فهي رحمة ثابتة ومتجدِّدة ومتكرِّرة في الدّنيا.

ارجع إلى سورة الفاتحة الآية (٢) لمزيد من البيان.

[٢٣] ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾:

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾: ارجع إلىٰ الآية السابقة.

﴿ ٱلْمَلِكُ ﴾: الحاكم ومشتقة من التّملك، أي: المالك فهو يملك السموات والأرض، ومن فيهن، وهو ملك الملوك فهو الملك الحقيقي؛ لأنه مالك الملك له ما في السموات وما في الأرض، له وحده، وما يملكه البشر وغيرهم هو استخلاف ومُلك مؤقت زائل.

﴿ ٱلْقُدُّوسُ ﴾: الطّاهر المنزه من العيوب وكل ما لا يليق به، المبالغ في التّنزيه والكمال، منزه عن كل ما تحيط به العقول أو يتصوره الخيال ومنزه عن كل وصف يدركه الحس، وتقدس في اللغة تطهَّر، والتّقديس هو التّطهير والقدس الطّهر، ويعني: التّطهير والبركة وأعظم تقديس قدس الله سبحانه ذاته عن اتخاذ الصّاحبة والولد والشّريك والنّد والتّقديس يتم بطريقتين: تنزيه الله عما لا يليق به، ومدح الله تعالىٰ بما هو أهله، ولم ترد القدوس إلا مع الملك وذكرت في سورة الحشر وسورة الجمعة.

﴿ ٱلسَّلَٰمُ ﴾: من العيوب والنّقائص، السّلام: من السّلامة والأمن، السّلامة من الظّلم وهو مصدر السّلام والأمن في الدّنيا والآخرة والسّلامة في الوجود والوقاية من الآفات والمصائب والشّر والضّر وكل مكروه.

﴿ ٱلْمُؤْمِنُ ﴾: واهب الأمن والطّمأنينة، أمَّن عبادَه الظّلمَ أو الجورَ، وأمَّن أولياءَه عذابَه وسخطه، والمصدِّق لنفسه ورسله.

والشّـــاهد على أنّه لا إله إلا هو، شهد لنفســـه بالوحدانية قبل شهادة خلقه وإليه يُعزى الأمن والأمان.

﴿ٱلْمُهَيْمِنُ﴾: القوي الخاضع لســـلطانه كل شـــيء والمسيطر والمدبر لكل شيء الرّقيب والقائم والشّاهد على أعمال خلقه ورزقهم وآجالهم، والهيمنة تعني كذلك: الرّعاية، أيْ: راعي كل شيء في كونه وخلقه.

﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: العزيز القوي عظيم القدرة له العـــزة جميعاً، عزة القوة وعزة القهر والغلبة وعزة الامتناع، فهو الغني عن خلقه لا يحتاج إلى أحد من خلقه ولا يضره أحد من خلقه، وورد هذا الاسم (٨٨) مرة في القرآن الكريم.

﴿ٱلْجَبَّارُ﴾: قهر خلقه وكونه ونفذت مشـــيئته وإرادته في عبيده إذا بطش إن بطش ربك لشديد، وإذا أخذ إن أخذه أليم شديد والجبار صفة تعظيم وتعني: القدرة مع كل شـــيء، صيغة مبالغة من جبر، ورغم أنـــه هو الجبار لكن لم يجبر عباده على عبادته وطاعته وترك لهم الخيار.

﴿ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾: ذو الكبرياء والعظمة، عن كل من ســـواه والمتعالي عن صفات الخلق والغني عن خلقه.

وذكر هذا الاسم مرة واحدة في هذه الآية فقط.

﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: ارجع إلى سورة النحل آية (١) للبيان.

[٢٤] ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾:

﴿هُوَ ٱللَّهُ﴾: ارجع الآية (٢٢).

﴿ٱلْخَالِقُ﴾: أصل الخلق هو التّقدير وإيجاد الشّيء من العدم.

﴿ٱلْبَارِئُ﴾: المظهر والقادر على إيجاد أو إظهار ما خلق إلى الوجود.

﴿ٱلْمُصَوِّرُ﴾: أعطى لكل مخلوق أو شيء حقيبته الوراثية؛ صورته وشكله ولونه وأبعاده وهيئته ليتميَّز بها عن غيره رغم كثرتها وتعدُّدها وصور خلقه كيف يشاء وأحسن صورهم.

﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾: تقديم له تفيد الحصر، الأسماء الحسنى: ارجع إلى سورة الأعراف آية (١٨٠) للبيان في الأسماء الحسنى.

﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾: ارجع إلى الآية (١) من نفس السورة، وإلى سورة الجمعة آية (١).

وانظر كيف بدأت سورة الحشر بقوله: سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم، وكيف انتهت بقوله: يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم؛ مما يدل على توافق بداية السورة مع نهايتها.

❖ ❖ ❖

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ
إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ
وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي
وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ
وَمَا أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن
يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم
بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ ۚ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ قَدْ
كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ ۚ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ
إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا
وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ۚ إِلَّا
قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ۖ
رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا
فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾

## سورة الممتحنة [الآيات ١ - ٥]

ترتيبها في القرآن (٦٠) وترتيبها في النّزول (٩١).

الممتحِنة بكسر الحاء: أي: المرأة التي تعطي الامتحان مثل المديرة أو المعلمة.

الممتحَنة بفتح الحاء: أي: المرأة التي تأخذ الامتحان (تُمتحَن) كما رجح الحافظ ابن حجر، وقال ابن عباس، والواحدي في أسباب النزول: نزلت في سُبيعة بنت الحارث الأسلمية بعد الفراغ من كتابة صلح الحديبية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾:

**أسباب النّزول:** نزلت هذه الآية بسبب كتاب حاطب بن أبي بَلتَعة إلىٰ أهل مكة بعد صلح الحديبية بعد أن نكثت قريش العهد مع رسول الله ﷺ، استشار رسول الله بعض الصّحابة بالخروج إلىٰ قريش وطلب منهم ألا يخبروا أحداً بذلك، ولكن حاطب بن بلتعة رضي الله عنه- ممن شهد بدر وهاجر مع رسول الله- كتب رسالة يخبر بها قريشاً بما ينوي به رسول الله ﷺ، وأعطىٰ الرّسالة إلىٰ امرأة هي سارة مولاة لبني عبد المطلب أتت المدينة في حاجة، فدفع إليها حاطب بالرّسالة، وأخبر الله سبحانه رسولَه بما فعل حاطب بن أبي بلتعة، فبعث رسول الله ﷺ عليّاً والزّبير والمقداد لملاقاة تلك المرأة وأخذ الرّسالة منها،

وحصل ذلك ودعا رسول الله حاطب بن أبي بلتعة وسأله عما حدث، فاعترف بذنبه، وبيَّن سبب فعلته هذه أنّ له بين أظهرهم (قريش) ولد وأهل، وأراد عمر بن الخطاب ضرب عنق حاطب بن أبي بلتعة، ولكن رسول الله ﷺ عفا عن حاطب بن أبي بلتعة، ونزلت هذه الآية. كما ذكر الواحدي في أسباب النزول.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: نداء جديد للذين آمنوا بتكليف جديد، والهاء للتنبيه.

﴿لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾: لا النّاهية، تتخذوا: تجعلوا أو تصيروا، عدوي: (أيْ: عدو الله) وهو من لم يؤمن بالله وما أنزل وبرسوله، أي: الكفار والمشركين.

وعدوكم: من قاتلكم وخانكم أو ظاهر عليكم، أولياء: جمع وليٍّ، أي: أعوان ونصراء.

﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾: الإلقاء هنا بمعنى الإرسال: ترسلون إليهم لتخبروهم بأسرار المسلمين وأخبار النّبي ﷺ، بالمودة: الباء للإلصاق والمودة: هي المحبة والإخلاص والوفاء، وكل مودة محبة، وليس كل محبة مودةً، فالمودة تبدأ بالمحبة، ثم تتحول إلى مودة، أيْ: تتخذونهم بطانة وأولياء وتسرون إليهم وتنصحونهم.

﴿وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾: وقد: الواو للتوكيد، قد للتحقيق، كفروا بما جاءكم من الحق: أيْ: كفروا بالقرآن الكريم وآياته وأحكامه وما جاءكم من ربكم، ولم يؤمنوا به أو يصدِّقوه، أيْ: جحدوا به وكذبوه، والباء للإلصاق والملازمة، ما اسم موصول بمعنى الذي جاءكم أو مصدرية. و(ما) أوسع شمولاً من (الذي).

﴿يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾: من مكة بالتّضييق عليكم ومحاربتكم وجاءت بصيغة المضارع للدلالة على حكاية الحال، أيْ: وكأن الإخراج يحدث الآن أمام الأعين.

﴿أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ﴾: أن مصدرية تفيد التّعليل والتّوكيد، أيْ: لأجل أو بسبب أنكم آمنتم بالله ربكم.

﴿إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي﴾: إن: شرطية تفيد الاحتمال والشّك والنّدرة؛ كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي: لا تفعلوا ذلك؛ أي: تلقوا إليهم بالمودة؛ أي: تخبروهم بأسراكم؛ لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء؛ أيْ: إن كنتم خرجتم من أوطانكم للجهاد في سبيلي وطلباً لمرضاتي لا تتخذوهم أولياء أو لا تتولوا أعدائي إن كنتم أوليائي.

﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾: تسرون إليهم بالإخبار بسبب مودتكم إياهم.

﴿وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ﴾: من المودة للكفار، من إرسال الرّسائل أو النّوايا والأعمال والحيل والمكر، وما أعلنتم: بألسنتكم من الصّدق والكذب والحق والباطل، وما أخبرتم رسول الله ﷺ من الأسباب والباء للإلصاق، وما: اسم موصول أو مصدرية ومن شرطية.

﴿وَمَن يَفْعَلْهُ﴾: يعود على الاتخاذ، أيْ: يوادد أعداء الله ورسوله ويفشي إليهم بالإسرار أو يَسر إليهم بالمودة.

﴿مِنكُمْ﴾: خاصة، وليس من غيركم.

﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾: فقد: الفاء للتوكيد، قد: للتحقيق، أخطأ طريق الصّواب والحق، السّواء هو في الأصل الوسط والسّبيل هو الطّريق المستقيم.

[٢] ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾:

﴿إِن﴾: شرطية تفيد الافتراض واحتمال الحدث أو النّدرة.

﴿يَثْقَفُوكُمْ﴾: أيْ: إذا ذهبتم إليهم وتمكنوا منكم أو ظفروا بكم.

﴿يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً﴾: تقديم لكم تفيد الحصر أو لكم خاصة ليس لغيركم،

قال: أعداء، ولم يقل: عدو: أعداء تعني في كثير من الأمور وليس أمراً واحداً، ولو كان في أمر واحد لقال: عدو.

﴿وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾: يبسطوا: من البسط: وهو المد، والبسط: قد يكون بالسوء، أو بالخير، والسياق هو الذي يحدد كقوله تعالىٰ: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ﴾ [المائدة:٢٨]، وكقوله تعالىٰ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤]، وتعني: بالخير والعطاء، وبالسوء يعني: بالقتل والأسر والأذىٰ وقدَّم إليكم للحصر أو خاصة.

﴿بِٱلسُّوٓءِ﴾: الباء: للإلصاق والدوام، والسوء: اسم مصدر لا يجمع، والسوء: كل ما يسيء إلىٰ النفس، وله معان كثيرة جداً؛ منها: القتل، والعذاب، والشرك، والمرض، والذنب، والإثم، والقبيح، والظلم، والأذىٰ.

﴿وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ﴾: تمنوا لو تكفرون، لو: حرف تمنٍّ وترجٍّ، أيْ: ودوا كفركم، أيْ: تمنوا لو ترتدون إلىٰ الكفر عن الإيمان فتكونون سواءً.

[٣] ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾:

﴿لَن﴾: حرف للنفي، تنفي المستقبل القريب والبعيد.

﴿تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ﴾: أيْ: لن تفيدكم قراباتكم الذين عصيتم الله لأجلهم يوم القيامة أو في الآخرة، أيْ: لن ينفعوكم حتّىٰ توالوا لأجلهم الكفار، بل ينفعكم اتِّباع أوامر الله ورسوله وعدم اتخاذهم أولياء أو ترك موالاتهم هذا الذي ينفعكم.

﴿وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ﴾: الواو: عاطفة، لا: للنفي تفيد توكيد النفي، أيْ: لن تنفعكم أرحامكم وحدها لو ظننتم ذلك، ولن تنفعكم أولادكم وحدها إن ظننتم ذلك، ولن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم معاً.

﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: ظرف زماني.

﴿يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾: يفرق بينكم، أيْ: يحكم بينكم بأن تكونوا في الجنة لإيمانكم بالله ورسوله، بينما أرحامكم وأولادكم الذين ماتوا على الكفر في النّار، فما فائدة المعصية لأجلهم واتخاذهم أولياء.

﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: والله سبحانه يرىٰ كلّ ما تعملونه في الظّاهر والباطن ومحيط بكلّ شيء من أقوالكم وأفعالكم لا تخفىٰ عليه خافية، وقدَّم تعملون علىٰ بصير؛ لأنّ الآية في سياق الأعمال.

[٤] ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾:

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ﴾: قد: للتحقيق، كانت لكم: أيها المؤمنون (المسلمون).

﴿أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾: أُسوة: قدوة صالحة في إبراهيم عليه السلام قولاً وفعلاً، والقدوة: المثل الأعلىٰ الذي يُقتدىٰ به في البراءة من الكفار والمشركين.

﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾: والذين: تدل علىٰ الكثرة، والذين معه: من المؤمنين فتأسوا بهم؛ إذ أعلنوا براءتهم من الكفار ومن الشرك بالله تعالىٰ.

﴿إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ﴾: إذ: ظرف زماني بمعنىٰ حين قالوا لقومهم: إنا بُرَءَاءُ منكم وأنتم عليكم أن تقولوا لأهليكم من الكفار والمشركين.

﴿إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ﴾: بُرَءَاءُ: جمع بريء: من يبرأ وبراءة، أي: لا صلة بيننا وبينكم ولا تقربونا ولا نقربكم كذلك.

﴿وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: من غير الله، من الأصنام والآلهة.

﴿كَفَرْنَا بِكُمْ﴾: أي: لا نصدقكم ولا نقرُّ بأنكم أولياء لنا أو أقارب لنا.

﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾: أي: وظهر جلياً بيننا وبينكم ولم يعد خافياً.

﴿ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ﴾: أي: الكراهية والبغض والعداوة.

﴿أَبَدًا﴾: دائماً.

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف نهاية الغاية.

﴿تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾: عندها، أي: إذا آمنتم بالله وحده عندها تكونون لنا أولياء، فالإيمان بالله وحده هو الجامع المشترك بيننا وبينكم.

﴿إِلَّآ﴾: أداة استثناء.

﴿قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ﴾: ارجع إلى سورة الأنعام آية (٧٤) للبيان؛ أي: عليكم التأسي بإبراهيم إلا قوله لأبيه (لعمه آزر): لأستغفرن لك، فليس لكم التّأسي بإبراهيم في ذلك (بأن تستغفروا للكفار)، ولو كانوا آباءَكم أو إخوانكم.

﴿لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾: قالها إبراهيم عليه السلام لعمه قبل أن يتبيَّن له أنّه عدو لله تعالى ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤].

﴿وَمَآ﴾: الواو عاطفة، ما النّافية.

﴿أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾: أي: لا أملك القدرة على الشفاعة لك أو النجاة، ولا أستطيع أن أدفع عنك من عذاب الله من شيء، وكان ذلك كما قال تعالى قبل: عن موعدة وعدها إياه، فلما تبين أنّه عدو لله تبرأ منه.

﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا﴾: ربنا: ولم يقل: يا ربنا حذف ياء النّداء للدلالة على قربه من الله تعالى، ربنا عليك توكلنا: التّوكل يعني: الاعتماد على الله والتّفويض له بعد تقديم كلّ الأسباب للوصول إلى المرجوِّ، وتقديم عليك: للحصر لا نتوكل إلا عليك وحدك. ارجع إلى سورة الأعراف آية (٨٩) لبيان معنى التوكل.

﴿وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا﴾: الإنابة: الرّجوع وسرعة التوبة والعودة إلى الله تعالى، تقديم إليك يفيد الحصر والقصر؛ أي: الإنابة لله وحده.

﴿وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾: إليك وحدك المصير: المنتهى والمآل.

ولا بُــدَّ من مقارنة إنا بُرَءَاءُ منكم في هذه الآية مع قوله: بُرَءَاءُ ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٦]. ارجع إلىٰ سورة الزخرف للبيان.

[٥] ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾:

﴿رَبَّنَا﴾: ولــم يقل: يا ربنــا حذف ياء النّداء الدّالة علــىٰ البعد لقرب الله تعالىٰ من عبده، فهو أقرب إليه من حبل الوريد بعلمه وقدرته.

﴿لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾: لا: النّاهيــة، تجعلنا فتنــة: أي: لا تعذبنا بأيدي الذين كفروا أو تظهرهم علينا أو تسلطهم علينا يفتوننا عن ديننا.

﴿وَاغْفِرْ لَنَا﴾: ذنوبنا وتقصيرنا في طاعتنا.

﴿إِنَّكَ﴾: للتوكيد والحصر.

﴿أَنتَ﴾: للتوكيد.

﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾: العزيز: القوي القاهر الذي يقهر ولا يُقهر، والغالب الذي لا يُغلب، والممتنع لا يناله أحد بســوء، الحكيم: في تدبير شــؤون خلقه وكونه وشــرعه وأنت أحكم الحاكمين وأحكم الحكماء. ارجع إلىٰ ســورة البقرة آية (١٢٩) لمزيد من البيان.

❖ ❖ ❖

ثلاثة أرباع الحزب ٥٥

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ۚ
وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦﴾ عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ
بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَاللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
﴿٧﴾ لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم
مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ
﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم
مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ
هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ
مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ۖ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ
فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَآتُوهُم
مَّا أَنفَقُوا ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ
وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا ۚ
ذَٰلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ
شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ
أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

## سورة الممتحنة [الآيات ٦ - ١١]

[٦] ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾:

هذه الآية ليست تكراراً للآية (٤)، فالآية الرّابعة جاءت في سياق اتخاذ إبراهيم أسوة حسنة، ومثال للقدوة في التبرؤ من الشّرك والمشركين والتبرؤ من أبيه (عمه آزر وقومه)، وأمّا الآية السّادسة هذه فجاءت في سياق اتخاذ إبراهيم أسوة حسنة وقدوة صالحة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر، أي: أسوة حسنة في الإيمان والطّاعة والاستعداد لليوم الآخر وتجنب المعاصي، والآية (٦) أشد توكيداً على أهمية اتخاذ إبراهيم عليه السلام والذين آمنوا معه، ولذلك قدم إبراهيم والذين آمنوا معه على الأسوة؛ لأنَّ إبراهيم ومن معه هم الأهم والأسوة تابعة لهم أو ملحقة بهم؛ بينما في الآية (٤) قدَّم الأسوة على إبراهيم والذين معه، واستخدم للتوكيد (لقد) بدلاً من (قد)، وكان بدلاً من كانت.

﴿لَقَدْ﴾: اللام للتوكيد، قد للتحقيق.

﴿كَانَ لَكُمْ﴾: كان تشمل كل الأزمنة الماضي والحاضر والمستقبل، وكان (بالتّذكير) أقوى من القول كانت (بالتّأنيث) لكم: اللام لام الاختصاص، أي: لكم خاصة.

﴿فِيهِمْ﴾: أي: إبراهيم والذين معه.

﴿أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾: قدوة صالحة مثالية ومثل أعلى.

﴿لِّمَن﴾: اللام للتوكيد.

﴿كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾: يؤمن بالله ويرجو لقاء ربه وحسابه وثوابه ومغفرته ويخاف ويخشى عذاب الآخرة وأهوال يوم القيامة.

﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾: من شرطية، يتول: أي: يذهب بعيداً ويصد عن الإيمان ويكفر بالله.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾: الفاء للتوكيد، إن: أيضاً لزيادة التوكيد، هو: للحصر والتوكيد، وأل التّعريف في الغني الحميد للتوكيد فجاءت الآية بأربع أدوات للتوكيد: الفاء وإن وهو وأل التّعريف، الغني: عن خلقه وعبادة خلقه لا يحتاج إلى غيره، بل هو المغني غيره، عنده خزائن السموات والأرض التي لا تنقص ولا تنفذ، غناه هو الغنى المطلق التّام ويرزق من غناه من يشاء بغير حساب، له ما في السموات وما في الأرض، وإذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون، الحميد: أي: المحمود من خلقه، أهل الثناء والحمد له الحمد كله؛ لأنّه يستحق أن يحمد لنعمه وفضله وإحسانه وكرمه ورزقه لعباده وخلقه، تحمده مخلوقاته حمداً دائماً لا ينقطع.

الحميد منذ الأزل على ذاته وصفاته وأفعاله وتدبيره ورحمته.

[٧] ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾:

**المناسبة**: بعد أن نزلت الآية (٤) قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه في التبرؤ من أقاربهم المشركين عندها تبرأ بعض المؤمنين من

الصّحابة من أقاربهم المشركين في مكة وأظهروا لهم العداوة، وكان ذلك صعباً على المسلمين، فأنزل الله تعالى هذه الآية. وقيل: نزلت في خزاعة وبني مدلج حين صالحوا رسول الله ﷺ على ألا يقاتلوه، كما رُوِيَ عن ابن عباس.

﴿عَسَى ٱللَّهُ﴾: من أفعال الرّجاء؛ أي: الترجي المتحقق حدوثها؛ ولعل: من أفعال الترجي أيضاً تفيد الإشفاق؛ أي: راجين الله تعالى أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم مودة.

﴿أَن﴾: هنا تفيد للدلالة على الاستقبال.

﴿يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم﴾: أي: من كفار مكة منهم (خاصة) أو غيرهم.

﴿مَّوَدَّةً﴾: أي: يسلموا ويصبحوا إخوانكم ومواليكم وتتحول العداوة إلى مودة والفرقة إلى ألفة.

﴿وَٱللَّهُ قَدِيرٌ﴾: على كلّ شيء، صيغة مبالغة على القدرة، ولم يقل: قادر لا يعجزه شيء في الأرض ولا السّماء، وإذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون.

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: إعادة كلمة الله تدل على التّوكيد على أنّه قدير، وعلى أنّه غفور رحيم وأنّه قدير وغفور رحيم معاً، وغفور صيغة مبالغة من غفر، غفر لمن أخطأ، ثم تاب وأناب، ويغفر الذّنوب جميعاً إلا الشّرك، رحيم: لا يعجل لهم العقاب ولا يعذبهم بعد التّوبة والإنابة إليه، رحيم بعباده المؤمنين ورحمته دائمة ثابتة.

[٨] ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾:

﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ﴾: لا: النّاهية، لا ينهاكم الله: أي: لا يمنعكم الله عن مبرة، أي: المعاملة الحسنة أو الإحسان... إلخ. إلىٰ الذين لم يقاتلوكم في الدِّين.

﴿عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾: (من أجل الدِّين) ولم يخرجوكم من دياركم بالحرب أو القسر أو القوة.

﴿أَن﴾: للتعليل والتّوكيد.

﴿تَبَرُّوهُمْ﴾: تحسنوا إليهم كصلة الرّحم وحسن الجوار والضّيافة. وسعة الفضل واللين، وقيل: البر: هو الخير الواصل إلىٰ الغير مع القصد، أي: النية.

﴿وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ﴾: لا تظلموهم أو تجوروا عليهم، بل تعاملوهم بالعدل مع التنفيذ والوفاء لهم بالوعود والأمانة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾: للتوكيد.

﴿يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾: جمع مقسِط، أي: الذي يرفع الظّلم عن العباد ولا يجورُ عليهم.

[٩] ﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾:

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة تفيد التّوكيد.

﴿يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ﴾: أي: يمنعكم الله أيها المؤمنون عن الموالاة والقرب من هؤلاء الذين قاتلوكم

في الدّين، وأخرجوكم مـــن دياركم وظاهروا على إخراجكم: مثل زعماء قريش وكفارها أو غيرهم، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

﴿أَن تَوَلَّوْهُمْ﴾: أن: حرف مصدري للتعليـــل والتّوكيد، تولوهم: تتخذوهم أولياء تمدوا إليهم بالعون والنّصرة والمحبة والمسرة.

﴿وَمَن﴾: شرطية ومن تفيد الواحد والاثنين والجمع والذّكر والأنثى.

﴿مِّنكُمْ﴾: منكم.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾: الفاء للتوكيد، أولئك: اســـم إشـــارة واللام للبعد يفيد التّحقير والذّم.

﴿هُمُ﴾: للتوكيد.

﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: الظلم: هو الجور والتّعدي، والإنســـان يظلم نفسه بالخروج عن منهج الله تعالى.

ويعصي الله ورسوله، وبفعل المعاصي والذنوب، أو يظلم غيره بالتّعدي على حقوقه.

[١٠] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾: نداء جديد للذين آمنوا بتكليف جديد، والهاء للتنبيه.

**سبب النزول**: كما أخرج الشيخان البخاري والمسلم أنّ رسول الله ﷺ لما

عاهد كفار قريش يوم الحديبية جاءه نساء من المؤمنات يردن الهجرة، فأنزل الله فيهن هذه الآية.

﴿إِذَا﴾: شرطية ظرفية تدل على حتمية الحدوث، أي: سيأتيكم المؤمنات.

﴿جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ﴾: الهجرة في اللغة: الخروج من أرض إلى أرض، وفي الشرع: الانتقال من دار الكفر إلى دار الإسلام، أو الهجرة من أرض السوء إلى أرض الصلاح.

﴿فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾: الامتحان: الاختبار لمعرفة سبب هجرتهن، امتحنوا إيمانهن: لتعلموا هل هن راغبات في الإسلام وحباً في الله تعالى ورسوله أم هنَّ هاربات من أزواجهنَّ طمعاً في دنيا أو غيره من النوايا.

﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ﴾: جملة اعتراضية، أي: اعلموا أنه يكفي لكم العلم الظّاهر، أما العلم الحقيقي أو الباطن أو النوايا فليس مطلوباً منكم أن تعلموا أسرارهنَّ ونواياهنَّ.

﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾: الكفار جمع كافر (الكفر المضاد للإيمان) وفيها مبالغة والكفار أكثر من الكافرين، وتعني: عموم الكافرين وتعني: الحدث أو الاسم (الكفر) والكافرين يغلب عليها فعل الكفر. وعلل عدم رجوعهنَّ إلى أزواجهنَّ الكفار لا هنَّ حلٌّ لهم ولا هم يحلُّون لهنَّ.

**والسّؤال:** لماذا غيَّر صيغة من ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ﴾ (حين ذكر النساء)، وقال

تعالىٰ: ﴿وَلَاهُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ (حين ذكر الرجال)، ولم يقل: ولا هم حلٌّ لهنَّ أو لا هنَّ يحللن لهم ولا هم يحلُّون لهنَّ؟

**الجواب:** ﴿لَاهُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ﴾ جملة اسمية تدل علىٰ الثّبوت، أي: من النّادر أن تتغير حالة إيمانهن وتصبح المؤمنة كافرة بينما جاء بالصّيغة الفعلية ﴿وَلَاهُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ التي تدل علىٰ التّجدُّد والتّكرار حين ذكر الرّجال؛ لأنّ الكافر قد يصبح مؤمن إذا أسلم وآمن.

﴿وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ﴾: أعطوا أزواجهن الكفار مثل ما دفعوا إليهن من المهور هذا إذا تزوجها مسلم، فإن لم يتزوجها أحد فليس لزوجها الكافر شيء، وأمّا إذا كان زوجها من أهل العهد فعليه رد الصّداق أو المهر. ارجع إلىٰ المصادر الفقهية لمزيد من البيان.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾: أجورهنَّ، أيْ: مهورهنَّ، لا: النّافية، جناح: إثم أو حرج عليكم، إن: للتعليل، تنكحوهنَّ: تتزوجوهنَّ بعقد ومهر.

﴿وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾: لا: النّاهية، أي: من كانت له امرأة كافرة لم تهاجر مع زوجها، فقد زالت عصمة النّكاح؛ أي: حكم الزواج، وهو العصم أو الحبل الذي يربطهما، أي: تخلوا عن عقد النّكاح بينكم وبين الكوافر، الكوافر: جمع كافرة علىٰ وزن فواعل جمع تكسير جمع كثرة، والكوافر أكثر عدداً من الكافرات، فالكوافر جمع كثرة، أمّا الكافرات فجمع قلة، ولم يذكر الكافرات في القرآن، وذكرت الكوافر مرة واحدة في القرآن في هذه الآية.

﴿وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ﴾: أي: إن لحقت امرأة منكم بالكفار مرتدة فاسألوهم ما أنفقتم من المهر.

﴿وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟﴾: أي: ليسأل المشركون أو الكفار الذين لحقت أزواجهم بكم مؤمنات إذا تزوجن منكم فادفعوا إليهم ما أنفقوا.

﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ﴾: ولم يقل: ذلك؛ لأن ذلكم: تدل على التّوكيد والأهمية، ولأنّه يشمل عدة أحكام مهمة، وليس حكماً واحداً.

﴿يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾: يقضي بينكم.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾: عليم بأحوالكم وأقوالكم وأفعالكم ونواياكم وأسراركم.

﴿حَكِيمٌ﴾: مشتقة من الحكم فهو أحكم الحاكمين أو الحكمة فهو أحكم الحكماء حكيم في شرعه، وما يفرض عليكم من أحكام. ارجع إلى سورة البقرة الآية (١١٩) لمزيد من البيان.

[١١] ﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾:

**أسباب النزول:** قيل: نزلت هذه الآية في أمّ الحكم بنت أبي سفيان ارتدت وتركت زوجها ولم ترتد غيرها، ثمّ عادت إلى الإسلام. كما رُوِيَ عن ابن عباس.

﴿وَإِن﴾: شرطية تفيد الاحتمال والنّدرة.

﴿فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ﴾: أي: إن ذهبت إحدى الزّوجات وارتدت

عن الإسلام، أو ارتدت إحدىٰ أزواجكم إلىٰ الكفار ولم يدفعوا إليهم ما دفع من المهر.

﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾: أي: غزوتم هـؤلاء الكفار وغنمتم بعـض المغانم من جراء الحرب والقتال معهم.

﴿فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟﴾: أي: أعطوهـم مـن الغنائم ما يعادل المهور التي دفعوها لأزواجهم اللائي ذهبن إلىٰ الكفار.

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾: وأطيعوا أوامر الله وتجنبوا نواهيه بتنفيذ حكمه وشرعه.

﴿ٱلَّذِىٓ﴾: اسم موصول يفيد التّعظيم.

﴿أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾: جمع مؤمن، ويعني: إيمان العقيدة بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر؛ هذا يدل علىٰ أنّ الإيمان يبعث علىٰ التّقوىٰ، مؤمنون صفة ثابتة فيهم.

❖ ❖ ❖

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ
بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ
بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ
فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ
قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾

## سُورَةُ الصَّفِّ

ترتيبها ٦١ — آياتها ١٤

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ
﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾
كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ
ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم
بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ
تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا
زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾

## سورة الممتحنة [الآيات ١٢ - ١٣]

[١٢] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾:

**المناسبة**: حدثت هذه البيعة في فتح مكة ومكانها كان على الصّفا، وسُمِّيت بيعة النّساء على الصّفا، وقد أخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: إنّ رسول الله ﷺ كان يمتحن من هاجرن إليه بهذه الآية، فمن قبلت بهذه الشّروط من المؤمنات، قال لها رسول الله ﷺ: قد بايعتك كلاماً، ولم يصافح في البيعة امرأة، وإنما بايعهنَّ بالكلام.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾: نداء جديد إلى النّبي ﷺ بحكم جديد، والهاء للتنبيه.

﴿إِذَا﴾: شرطية تفيد حتمية الحدوث.

﴿جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ﴾: البيعة: العهد على الإسلام والطّاعة. ارجع إلى سورة الفتح آية (١٠) لمزيد من البيان في معنى البيعة.

﴿عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾: أن: حرف مصدري يفيد التّعليل.

لا: النّاهية، يشركن بالله شيئاً: أي: مهما كان من صنم أو بشر أو غيره.

بالله: الباء للإلصاق، أي: إشراك عقيدة أو عبادة أو أيِّ شيء مهما كان.

﴿وَلَا يَسْرِقْنَ﴾: تكرار (لا) النّاهية تفيد التّوكيد، وفصل كلّاً من هذه الأمور المحرَّمة على حِدَةٍ.

﴿وَلَا يَزْنِينَ﴾: من الزّنى (الفاحشة) الجماع من غير عقد شرعي.

﴿وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾: يعني: بالوأد، وأد البنات أو إسقاط الجنين.

﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾: البهتان: الكذب المتعمَّد الذي يبهت سامعه أو يدهشه، يفترينه: الافتراء: الاختلاق، أي: اختلاق الكذب المتعمَّد الذي يبهت سامعه، بين أيديهنَّ وأرجلهنَّ: كناية عن الولد؛ لأنّ الولد إذا وضعته، أي: ولدته أمّه سقط بين يديها ورجليها، مثال: تزني وتقول لزوجها: هذا ولدي منك.

﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾: أي: لا يعصينك في حكم من الأحكام أو في جميع ما أمرتهنَّ من شرائع الإسلام.

﴿فَبَايِعْهُنَّ﴾: الفاء رابطة لجواب الشّرط، بايعهنَّ: أي: اقبل بيعتهنَّ على تلك الشّروط معاً.

﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ﴾: اطلب لهنَّ المغفرة لكلّ ما فعلن من هذه الأمور المذكورة قبل هذه البيعة، أو ما سلف من ذنوبهنَّ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: إنّ للتوكيد، غفور رحيم: ارجع إلى الآية (٧) من نفس السّورة.

[١٣] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: نداء جديد إلى الذين آمنوا بتكليف جديد، والهاء للتنبيه.

﴿لَا تَتَوَلَّوْا۟﴾: لا: النّاهية، تتولوا: من الولاية وهي المحبة والتّقرب والعون

أو النصح لأعدائكم ونقل أخبار المسلمين إليهم ولا تتولوهم بالنّصرة أيضاً أو لكي يصيبكم منهم منفعة أو عرض دنيوي.

﴿قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾: اليهود وغيرهم.

﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق وتوكيد.

﴿يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾: اليأس: هو انقطاع أو فقدان الرجاء من الشّيء أو الأمر، واليأس: محله القلب، والقنوط: أشد من اليأس، والقنوط حالة خاصة من اليأس، فحين يشتد اليأس وتظهر آثاره على الفرد يصبح قانطاً من رحمة الله وتنقطع به السبل، (ونقيض اليأس: الرّجاء)، إما لكونهم لا يؤمنون بالبعث والحساب أو يؤمنون بالحساب ولكن يئسوا من ثواب الآخرة؛ لكثرة معاصيهم وبعدهم عن الله سبحانه.

﴿كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾: كما: الكاف للتشبيه، أي: لا تتولوا هؤلاء اليهود الذين غضب الله عليهم الذين يئسوا من ثواب الآخرة، كما يئس الكفار من عودة أصحاب القبور إلى الدنيا مرة أخرى ليحدِّثوهم بما حلّ بهم.

ومن الجدير بالانتباه إلى نهاية السّورة، وهي قوله: يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم، تشبه بداية السّورة يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء؛ مما يدل على توافق بداية السور مع نهايتها.

❖ ❖ ❖

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ
بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ
بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ
فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ
قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾

## سُورَةُ الصَّفِّ

ترتيبها ٦١ | آياتها ١٤

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ
﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾
كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ
ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم
بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ
تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا
زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾

## سورة الصف [الآيات ١ - ٥]

ترتيبها في القرآن (٦١) وترتيبها في النّزول (١٠٩).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾:

ابتدأت هذه السورة بنفس الآية التي ابتدأت بها سورة الحشر آية (١) ارجع إلى سورة الحشر للبيان، ومن الملاحظ أيضاً ذكر القتال في سبيل الله في كلا الآيتين بعد ذكر التّسبيح.

[٢] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾: نداء جديد للذين آمنوا بتكليف جديد، وتحذير واستعمل يا النّداء والهاء الدّالة على التّنبيه.

﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾: لم: ما الاستفهامية حذفت ألفها وتفيد الاستفهام الإنكاري والتّوبيخي والتّعجب، تقولون: جاء بصيغة المضارع بدلاً من صيغة الماضي (فهذا يُسَمَّى حكاية الحال) وهو أن يعبر عن الحدث الماضي بصيغة المضارع لاستحضار ما قالوه وكأنه يقال الآن ويجب النّظر فيه وعدم تكراره. أو لأنه يدل على التجدُّد والتكرار؛ أي: ما قالوه لا يزال يحدث الآن قول بلا فعل.

تعال ننظر ما قالوا: هم قالوا قبل أن يفرض الجهاد: لو نعلم أحب الأعمال

إلى اللـه تعالى لعملناه، فأخبر الله تعالى نبيه أنّ أحب الأعمال إلى الله إيمان بالله وجهاد في سبيله، ولما فرض الجهاد تقاعس فريق من الذين قالوا ذلك عن الجهاد في سبيل الله أو الخروج، فنزلت هذه الآية: لم تقولون أنكم تريدون أن تجاهدوا في سبيل اللـه، ثمّ لا تفعلونه، أو تقولون: لو خرجتم إلى الجهاد لخرجنا معكم، ثم لا تخرجون أو لو أمرتنا لأطعناك، ثمّ يأمرهم، ثم يتولون وهم معرضون.

[٣] ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾:

﴿كَبُرَ مَقْتًا﴾: عظم وقبح، مقتاً: المقت أشد البغض وأبلغه.

﴿عِندَ اللَّهِ﴾: عند ظرفية مكانية، أيْ: أنّ الله يمقت من يقول ما لا يفعل أو إذا وعد أخلف.

﴿أَن﴾: مصدرية تفيد التّعليل والتّوكيد.

﴿تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾: تكرار ما لا تفعلون مرتين للتهويل وتعظيم الأمر والتّعجب.

[٤] ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾:

﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: إنّ للتوكيد.

﴿يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ﴾: الحب لما فيه من الثّواب والأجر العظيم للذين يقاتلون في سبيل الله، أي: ابتغاء وجهه ومرضاته، وهذا يدل على أن الجهاد أمر محبوب عند الله تعالى، وتركه أمر ممقوت.

﴿صَفًّا﴾: أيْ: صافين صفاً واحداً.

﴿كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾: كأنّهم في اتحادهم وقتالهم في سبيل الله بنيان محكم لا فرج فيه ولا خلل، مرصوص من التّراص والتّلاصق والثّبات في الجهاد. يشد بعضه بعضاً.

[٥] ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾:

**المناسبة**: بعد أن ذكر الله تعالىٰ أنّه يحب الذين يقاتلون في سبيله كأنّهم بنيان مرصوص يذكر الله طرفاً من قصة موسىٰ عليه السلام مع قومه حين دعاهم إلىٰ قتال القوم الجبارين ودخول الأرض المقدسة فخالفوه وعصوه، وقالوا له: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون.

﴿وَإِذْ﴾: تعني: واذكر إذ قال موسىٰ لقومه.

﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ﴾: ياء النّداء نداء فيه التّودُّد والتّحبُّب والاستعطاف، واللام في كلمة لقومه للاختصاص.

﴿لِمَ تُؤْذُونَنِى﴾: لم: استفهام تعجبي واستنكاري، تؤذونني: بأقوالكم وأفعالكم، كما ذكر ذلك في سورة الأحزاب الآية (٦٩): ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾، أو تؤذونني بالعصيان ومخالفة أوامر الله سبحانه. وعبادة العجل والتكذيب بآيات الله وعدم دخول الأرض المقدسة أو اتهامه بعيوب غير حقيقية وقذفه بالباطل.

﴿وَقَد تَّعْلَمُونَ﴾: قد للتحقيق والتّوكيد.

﴿تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾: من خلال كلّ هذه الآيات

والمعجزات كانفلاق البحـــر والغمام والمن والسّـــلوىٰ وانفجار الحجر ورفع الطّور ومن خلال التّوراة والألواح، أنّي: للتوكيد، رسول الله إليكم: خاصة (أيْ: لبني إسرائيل).

﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ﴾: الفاء للترتيب والتّعقيب، زاغـــوا: من الزّيغ وهو الميل عن اتّباع الحق إلـــىٰ اتّباع الباطل، زاغـــوا عن الإيمان وانصرفوا عنـــه إلىٰ ارتكاب المعاصي والآثام وقتل الكثير من الأنبياء. وزاغوا مأخوذة من زيغ الأســـنان أيْ: ميل بعضها عن بعض والحاجة إلىٰ تقويمها.

﴿أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾: أيْ: تركهم في ريبهم يتردَّدون ولم يهدهم.

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾: جمع فاســـق وهو الخارج عـــن طاعة الله والدّين، واتباع طريق الفســـق والضّـــلال والثّبات عليه بدلاً مـــن طريق الطّاعة والهدايـــة والتزام منهج الله والذهاب بعيداً في طريق الضلال، ولم يعد هناك أيُّ أمل في عودته، فالله سبحانه يتركه وشـــأنه، وما اختار لنفسه من الفسق، والزيغ ارجع إلىٰ الآية (٢٦) من سورة البقرة لمزيد من البيان.

❖ ❖ ❖

وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا
لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا
جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ
عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ
﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ
ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ
عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ
عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ
فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾
يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ
طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ
مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟
أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ
قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۚ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾

## سورة الصف [الآيات ٦ - ١٤]

[٦] ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾:

المناسبة: كما أنّ بني إسرائيل عصوا موسى عليه السلام، وزاغوا كذلك عصوا عيسى عليه السلام، وقالوا للبينات، أي: المعجزات ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾.

﴿وَإِذْ﴾: أيْ: واذكر إذ قال عيسى أو اذكر حين قال عيسى ابن مريم: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: ولم يقل: يا قوم كما قال موسى عليه السلام: يا قوم؛ لأنه لا نسب له فيهم وهم ليسوا منه. أيْ: ليسوا قومه.

﴿إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم﴾: إنّي للتوكيد، رسول الله إليكم خاصة.

﴿مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾: مؤيداً ومقراً بالتّوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام من قبلي قولاً وعملاً.

﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِى﴾: مبشراً من البشارة: الخبر السّار لأوّل مرة والذي يولد السّرور على وجه المبُشر.

﴿ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾: أيْ: محمّد ﷺ واسم أحمد أو محمد كلاهما مشتق من صفة الحمد، وأحمد، أيْ: أحمد خلق الله لله تعالى، ومحمّد المحمود من

الكلّ أو ذات يقع عليها الحمد من غيرها أو يحمده الكثير من الخلق، وله أسماء أخرىٰ منها الماحي الذي يمحو الله به الكفر، والحاشر الذي يحشر النّاس بعده والعاقب (المقضي) أي: الآخر الذي يأتي آخر الأنبياء أو نبي الرّحمة. وخاتم النبيين.

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء للتوكيد، لما: ظرفية بمعنىٰ حين.

﴿جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: أيْ: جاءهم عيسىٰ عليه السلام والضّمير في جاءهم تعود علىٰ بني إسرائيل، أيْ: جاء عيسىٰ عليه السلام بني إسرائيل بالبينات: بالمعجزات الدّالة علىٰ صدق نبوته وعلىٰ عظمة الله وقدرته مثل إحياء الموتىٰ وخلق الطّير من الطّين وإبراء الأكمه والأبرص وإخبارهم بما يأكلون ويدخرون في بيوتهم.

﴿قَالُوا۟﴾: أيْ: بني إسرائيل قالوا معاندين مكذبين.

﴿هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة ويشير إلىٰ ما جاء به عيسىٰ، سحر: ارجع إلىٰ سورة طه الآية (٥٨) للبيان، مبين: واضح لكل فرد ولا يحتاج إلىٰ برهان أو دليل أنّه سحر وأطلقوا عليه سحر؛ لأنه كان خارقاً للعادة أو لأنه أثر في أنفسهم.

[٧] ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾: الواو استئنافية، مَنْ: استفهام يفيد النّفي والتّوبيخ والتّقرير، استفهام بصيغة السّؤال كي يشارك المخاطب في الإجابة بدلاً من القول: لا أظلم ممن افترىٰ علىٰ الله الكذب (جملة إنشائية)، والمعنىٰ: لا أحد أظلم ممن افترىٰ علىٰ الله الكذب، وافترىٰ: من الافتراء وهو الكذب

المتعمَّد المختلق، والكذب جاء بصيغة المعرفة بينما في كثير من الآيات يأتي الكذب بصيغة النّكرة، فيقول: فمن أظلم ممن افترىٰ الله كذباً أو كذب بآياته، والكذب هنا يقصد به ما تقدم من قول اليهود وجعل البينات سحراً، والتّكذيب بنبوة محمد ﷺ، وما ورد في صفاته في التّوراة والإنجيل.

﴿وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ﴾: وهو ضمير فصل يفيد التّوكيد، يدعىٰ إلىٰ الإسلام: أيْ: إلىٰ التّوحيد والدّين الحق. من أهل الكتاب أو المشركين.

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: ارجع إلىٰ سورة الجمعة الآية (٥) للبيان، والظالمين: المشركين، وسورة البقرة آية (٥٤) للبيان.

[٨] ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾:

﴿يُرِيدُونَ﴾: اليهود وغيرهم من الذين أشركوا والكفار، ليطفؤوا نور الله ويريدون تدل علىٰ التجدُّد والتكرار.

﴿لِيُطْفِـُٔوا۟﴾: اللام لام التّوكيد والتّعليل؛ أي: لأجل ان يطفئوا.

﴿نُورَ ٱللَّهِ﴾: هو دين الإسلام والقرآن.

﴿بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾: الباء للإلصاق وتدل علىٰ الملازمة، بأفواههم: أيْ: بتحريفهم للتوراة والإنجيل وأقوالهم وكتبهم وإذاعاتهم وإعلامهم ومحاضراتهم. أن يطفؤوا نور الله.

﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ﴾: أيْ: والله مظهر دينه وشرعه في الآفاق، وناصر رسله وأوليائه، ومُعلي كلمته لا محالة، مثلهم كمثل الذي يريد أن يطفئ أشعة الشّمس بفيه، وهيهات أن يتم ذلك.

﴿وَلَوْ﴾: الواو للتوكيد، لو: شرطية.

﴿كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾: الكافرون: تدل على الفعل أو الحدث، ولم يقل: الكفار، الكفار تدل على الاسم وتشمل كلّ كافر، الكافرون أقل عدداً من الكفار.

ولا بُدَّ من مقارنة هذه الآية (٨) من سورة الصف: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، مع الآية (٣٢) من سورة التوبة: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾:

**أولاً**: والله متم نوره: جملة اسمية أقوى وأكد، وتدل على الثّبات من الجملة الفعلية، وهي قوله: أن يتم نوره، التي تدل على المستقبل والتّجدُّد والتّكرار، والله متم نوره: يعني: الأمر واقع لا محالة والأمر منتهٍ، لا تبديل لحكم الله بينما أن يتم نوره: أي: الأمر يقع الآن، ولا بُدَّ من إتمام في المستقبل.

**ثانياً**: ليطفئوا: في آية الصّف أن يطفئوا، في آية التوبة: اللام في ليطفئوا تدل على التّوكيد والتّعليل بينما أن يطفئوا أن تفيد الاستقبال.

وإذا رجعنا إلى السّياق نجد أن آية التّوبة جاءت في سياق اليهود والنّصارى الذين يقولون عزير ابن الله أو المسيح ابن الله والذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، وهم الذين حرفوا الكلم عن مواضعه، وبدلوا دين الله وأحلوا الحرام وحرموا الحلال، فهم يريدون بكلّ هذه الأفعال وغيرها أن يطفئوا دين الله بأفواههم، الآن وفي المستقبل بالزّيادة والنّقصان والتّحريف والتّزوير والتّبديل.

وأمّا السّياق في آية الصّف فجاء في سياق كفرهم برسالة محمّد ﷺ ونبوته وحربهم على رسول الله ﷺ، فهم لم يكتفوا بما فعلوه بالتّحريف والتّبديل

والزّيادة والنّقصـــان في دينهم وفي التوراة. بل يريدون التّصدي لدين الإســـلام ومحاربة رسوله، ولذلك أكد بالجملة الاسمية (متم اسم فاعل.) واللام في كلمة ليطفئوا نور الله، ارجع إلىٰ سورة التوبة الآية (٣٢) لمزيد من البيان.

[٩] ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾:

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ﴾: ضمير منفصـــل يفيد الاختصاص والتّوكيـــد تعود علىٰ الله سبحانه وتعالىٰ، والذي: اسم موصول يفيد التّعظيم.

﴿أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ﴾: محمّداً ﷺ.

﴿بِٱلْهُدَىٰ﴾: الباء للتوكيد والإلصاق، بالهدىٰ: بالقرآن.

﴿وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾: دين الإسلام.

﴿لِيُظْهِرَهُۥ﴾: اللام لام التّعليل والتّوكيد، وهاء الضّمير تعود علىٰ الرّسول ﷺ أو تعود علىٰ الدّين أو كلاهما.

﴿عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾: علىٰ ســائر الملل والشّـــرائع ولم يقل: علىٰ الأديان؛ لأنه ليس هناك إلا دين الإســـلام، لقوله تعالـــىٰ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ أيْ: ليظهر الإســـلام، إظهار حُجَّة وبرهان، أيْ: يجعله مهيمنـــاً هيمنة برهان وحُجَّة وثبـــات، ولا يعني: أنّه يلغـــي الدّيانات الأخرىٰ، ولا يعنـــي: ظهور أتباع بحيث يصبح كلّ واحد مســـلم، وهناك من قال أنّه إظهار يشمل كلّ فرد، وهذا سيحدث بعد نزول عيســـىٰ عليه السلام قبل قيام السّاعة، وإظهار الحُجَّة والبيان يتمثل في تطبيق المبادئ الإسلامية السّـــمحة في معاملاتهم وحل مشاكلهم الدّنيوية، ولا

يعني أنّ النّاس كلّهم سيدخلون في الإسلام، وكما قال تعالىٰ: ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَـٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾[الأنفال:٨].

[١٠] ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: نداء جديد للذين آمنوا بتكليف، أو موعظة، أو أمر جديد.

﴿أَدُلُّكُمْ﴾: بالبيان والتعريف والدلالة قد تكون في الخير أو الشر وبقصد وبغير قصد وهنا الدلالة تعني إلىٰ الخير وتحمل معنىٰ الإشفاق والحنان.

﴿هَلْ﴾: للاستفهام وتفيد العرض والتّرغيب والتّشويق.

﴿أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: ما نوع هذه التّجارة، فسرتها الآية التي بعدها (١١) وهي قوله تعالىٰ: ﴿تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ إذن هي تجارة إيمان وجهاد، وجاءت التجارة بصيغة النّكرة للتهويل والتّعظيم، من عذاب أليم: في الدّنيا والآخرة.

[١١] ﴿تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾:

في الآية السّابقة قال تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ في هذه الآية قال: ﴿تُؤْمِنُونَ﴾ فكيف خاطبهم بالذين آمنوا، ثمّ قال: تؤمنون، وهم مؤمنون سابقاً.

تفسير تؤمنون: كقوله تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [النساء:١٣٦]، أي: استقيموا واستمروا علىٰ إيمانكم بالله ورسوله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، تؤمنون: بصيغة المضارع لتدل علىٰ التّجدُّد والتّكرار.

﴿وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: أيْ: في سبيل إعلاء كلمة الدّين والحق وابتغاء مرضاته.

﴿بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾: قدَّم الأموال على الأنفس؛ لأنّها الآكد والأعم والجهاد يبدأ بالإنفاق والاستعداد والباء بأموالكم للإلصاق، وتعني: ببعض أموالكم، وقدَّم في سبيل الله: للحصر والقصر.

﴿ذَٰلِكُمْ﴾: ولم يقل: ذلك؛ لأنّ هناك عدة أمور مطلوبة منها الإيمان والجهاد وغيره وللمبالغة والاهتمام والتّوكيد.

﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: أيْ: أفضل لكم.

﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: إن شرطية تفيد الاحتمال والنّدرة، كنتم تعلمون: إن كنتم أهل دراية ووعي وعلم، أو كنتم تعلمون ما هي مصلحتكم وخيركم.

[١٢] ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾:

يُبيِّن في هذه الآية والآية التي تليها ثمرة الإيمان والجهاد والاستقامة في سبيل الله ومنها:

﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾: أيْ: يغفر لكم كلّ ذنوبكم، ولم يقل: يغفر لكم من ذنوبكم، من تعني: بعض ذنوبكم، كما هي الحال حين يخاطب غير لمؤمنين كما في الآية (٣١) في سورة الاحقاف وهي قوله تعالىٰ: ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾، والغفران يعني: السّتر والمحو والعفو والإثابة علىٰ الحسنات.

﴿وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾: دخول هذه الجنات هو برحمته وفضله وليس بسبب أعمالكم، جنات: منها جنات الفردوس والنّعيم وعدن والخلد، تجري من تحتها الأنهار: أيْ: تنبع من تحتها الأنهار.

﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ﴾: مريحة جميلة حسنة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علىٰ قلب بشر.

﴿فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖ﴾: أيْ: جنات إقامة دائمة.

﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة واللام للبعد.

﴿ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾:أعظم من الفوز المبين والفوز الكبير، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (١١١) في سورة التوبة وهي قوله تعالىٰ: ﴿وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾: نجد في آية التوبة زيادة (الواو) وضمير الفصل (هو) لزيادة التوكيد؛ ارجع إلىٰ سورة التوبة لمزيد من البيان، وارجع إلىٰ سورة النساء آية (٧٣) لبيان معنىٰ الفوز وأنواعه أو درجاته.

[١٣] ﴿وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾:

هذه الآية تتعلَّق بالثّواب الدّنيوي، أيْ: يؤتكم تجارة أخرىٰ في الدّنيا تحبونها (لأنّها عاجلة..) هي نصر من الله وفتح قريب. وهناك فرق بين الفتح والنصر.

﴿نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ﴾: النّصر: الغلبة بالقوة والعتاد والحرب والقتال بينما الفتح يكون بالنّصر من دون قتال أو حرب.

﴿وَفَتۡحٞ قَرِيبٞ﴾: قيل: فتح مكة، وقيل: فتح بلاد فارس والرّوم.

﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: برضوان من الله وجنات النعيم والبشارة تعني: الخبر السّار لأول مرة. ارجع إلى سورة البقرة آية (١١٩)، وسورة النحل آية (٨٩) لمزيد من البيان.

[١٤] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: نداء جديد للذين آمنوا بتكليف جديد، أو موعظة، أو أمر، أو حكم.

﴿كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾: أيْ: كونوا أنصار دينه ونبيه كونوا جند الله، أنصار: جمع نصير فيه مبالغة في النصرة نصرة الله ورسوله، وتدل على ثبات الصفة، بينما ناصرين: جمع ناصر ليس فيه مبالغة، وتأتي في سياق النصرة على الظالمين، والنّصرة تعني: المعونة والتّأييد والمد بالمال والأنفس، وكل الوسائل.

﴿كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ﴾: الحواريون: هم أصفياؤه وهم أوّل من آمن به، وقيل: كانوا اثني عشر رجلاً، وحواري الرّجل صفيه وخالصته، الحواريون مشتقة من الحور: هو البياض الخالص، وقيل: كانوا يحورون الثّياب، أيْ: يبيضونها. ارجع إلى سورة آل عمران آية (٥٢) لمزيد من البيان.

﴿مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾: من استفهامية، أنصاري إلى الله: جمع نصير أيْ: من يكون معي في نصرة دين الله تعالى؟

﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ﴾: الحواريون: جمع أنصار دينه ورسله؛ ارجع إلىٰ سورة آل عمران آية (٥٢) لبيان معنىٰ الحواريون.

﴿فَآمَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ﴾: فآمنت: الفاء للترتيب والتّعقيب، آمنت طائفة بعيسىٰ أنه عبد الله ورسوله، وكفرت طائفة: أيْ: ضلت طائفة وكفرت به، وبنبوَّته، واتهموا أمّه بالفاحشة، وطائفة أخرىٰ تغالت ووصفوا عيسىٰ ابن مريم بأنّه ابن الله، أو هو الله، أو ثالث ثلاثة.

﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾: أيدنا: من التّأييد مشتق من اليد، وتعني: القوة والنّصرة، فأيدنا الذين آمنوا بأنّ عيسىٰ هو رسول الله وعبده علىٰ عدوِّهم الذين زعموا أن عيسىٰ ابن الله، أو ثالث ثلاثة، أو هو الإله.

﴿فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾: الفاء: للترتيب والتعقيب؛ أصبحوا ظاهرين: أي: غالبين عدوهم من الفرق النصرانية الأخرىٰ بالحُجة والبينة.

❖ ❖ ❖

## سُورَةُ الجُمُعَةِ

ترتيبها ٦٢ | آياتها ١١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحزب ٥٦

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ
الْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا
عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا
مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ
وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ
ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ
يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ۚ بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ
الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾
قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن
دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ
أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ
الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ
إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

## سورة الجمعة [الآيات ١ - ٨]

ترتيبها في القرآن (٦٢) ترتيبها في النّزول (١١٠).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾:

﴿يُسَبِّحُ﴾: جاءت بصيغة المضارع؛ لتدّل على أن تسبيح الله سبحانه هو دائم ومستمر ولا ينقطع في الماضي والحاضر والمستقبل كقوله: (سبّح)، وكقوله: (يسبّح). والتّسبيح: تنزيه ذات الله من كل ولد وشريك وندٍّ ومثيل، ومن كل عيب أو نقص؛ ارجع إلى سورة الإسراء الآية (١)، وسورة الحديد آية (١)، وسورة الحشر آية (١) لبيان معنى التسبيح، ومقارنة آيات التسبيح.

﴿مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: تكرار (ما في) مرتين؛ للتوكيد وفصل كل منهما عن الآخر، فهناك مخلوقات أو أشياء في السّماء لا توجد في الأرض وبالعكس، والسموات وما فيهن والأرض وما فيهن الكل يسبّح الخالق. ولمزيد من البيان ارجع إلى سورة الحشر آية (١).

﴿الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾: ارجع إلى سورة الحشر آيتين (٢٣-٢٤) لبيان معنى الملك القدوس العزيز الحكيم.

[٢] ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾:

﴿هُوَ﴾ ضمير فصل تفيد التّوكيد والحصر.

﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول يشير إلىٰ الله الملك القدّوس العزيز الحكيم.

﴿بَعَثَ﴾: ولم يقل أرسل؛ البعث فيه إثارة وحض، وهو أعم من الإرسال وأقوىٰ؛ هناك فرق بين البعث والإرسال. ارجع إلىٰ سورة [البقرة:١١٩] لمعرفة معنىٰ بعث والفرق بين بعث وأرسل.

﴿فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ﴾: في ولم يقل إلىٰ؛ لأنّ رسول الله ﷺ كان موجوداً فيهم قبل بعثته (٤٠) عاماً.

﴿ٱلْأُمِّيِّـۧنَ﴾: جمع أمّيٍّ: هو الّذي لا يكتب وباستطاعته القراءة، فالرّسول كان يقرأ علىٰ جبريل أو يتلو عن سماع، وأحسن من قرأ كتاب الله الأميّون، وقيل: الأمّيّون: تعني العرب، وأطلق عليهم (الأميين) لأنهم لم يكونوا أهل كتاب في ذلك الزّمن، وقيل: الأمّيّون مشتقة من كلمة (الأم) الّتي ولدته والّتي لا تعرف القراءة ولا الكتابة، وبقي علىٰ ذلك.

﴿رَسُولًا﴾: كل رسول هو نبي وليس كل نبي هو رسولاً. ارجع إلىٰ سورة النّساء الآية (١٦٤) للبيان ومعرفة الفرق بين الرّسول والنّبي.

﴿مِّنْهُمْ﴾: ولم يقل من أنفسهم، منهم؛ أي: من العرب الأمّيين أو قريش، أما قوله: من أنفسهم: قد تعني من المؤمنين خاصة.

﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ﴾: التلاوة هي القراءة من كتاب الله، وتعني: تلاوة الآية بعد الأخرىٰ، والتلاوة تكون لأكثر من كلمة ولها أجر.

﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾: التّزكية التّطهير من الشّرك والأوثان، والخبائث والرّجس وعبادة الأصنام.

﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ﴾: القرآن، قراءته وأحكامه وتفسيره.

﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾: قيل: هي السّـــنة النّبوية، وقيل: الأحكام الشّرعية. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٢٦٩) لمعرفة معنىٰ الحكمة.

﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ﴾: قبلُ: مجيء محمّد ﷺ؛ أي: من قبل بعثته بزمن بعيد أو قريب.

﴿لَفِى﴾: اللام للتوكيد.

﴿ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾: فـــي ضلالٍ وبُعدٍ عن الحق، والصـــواب مبين: يعني ظاهر واضح لكل فرد يعرف قريش أو العرب آنذاك وضلال لا يحتاج إلىٰ تبيين واضح بنفسه أو مظهر لنفسه، وفي هذه الآية قدم التزكية علىٰ يعلمهم الكتاب والحكمة، بينما في الآية (١٢٩) في ســـورة البقرة وعلىٰ لسان إبراهيم قدم يعلمهم الكتاب والحكمة علىٰ يزكيهم (أي: أخر التزكيـــة)؛ أرجع إلىٰ أية البقرة للمقارنة ومزيد من البيان.

[٣] ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾:

﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ﴾: أي من العرب وغيرهم من التابعين وتابعوا التابعين إلىٰ يوم القيامة.

﴿لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾: لمَّا تفيد النّفي إلىٰ زمن التّكلم؛ أي: لم يلحقوا بهم بعد؛ أي: سيلحقون بهم في المســـتقبل وهم الّذين سيأتون من بعدهم إلىٰ يوم القيامة (أي الذين جاؤوا من بعدهم).

هناك فرق بين آخَرِين وآخِرِين بفتح الخاء أو كسر الخاء.

آخِرين بكسر الخاء تعني: من غيرهم؛ أي: هناك انقطاع في الأجيال.

وكلمة آخَرِيـــن: بفتح الخاء؛ أي: من الأميين الّذين كانوا على عهده وزمن بعثته (غير الأميين).

أو بعثه الله سـبحانه وتعالى ليعلِّم الأميين الكتاب والحكمة ويعلِّم الّذين سيلحقون بهم، أو تعني كلٌّ يعلِّمُ الآخر.

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾: ارجع إلى سورة الحشر آية (٢٤) للبيان.

[٤] ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾:

﴿ذَٰلِكَ﴾: ذا اسم إشارة واللام للبعد، ويشـير إلى فضل الله على رسوله وعلى الأميين، وعلى الّذين لم يلحقوا بهم بعد بالإسلام والقرآن والوحي وبعثة محمّد، وبالتّزكية وتلاوة الآيات وتعليمهم الكتاب والحكمة.

﴿فَضْلُ ٱللَّهِ﴾: الفضـل هو الزّيادة على الأجر والثّـواب، والفضل له أنواع منها: العظيم والمبين والكبير.

﴿يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾: الإيتـاء أعـمُّ من العطـاء، ولمعرفة الفـرق بين الإيتاء والعطاء: ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٥١).

﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾: ذو تعني: صاحب، وذو أفضل وأشرف من قول: صاحب، ذو الفضل العظيم: في الدّنيا والآخرة حيث يضاعف الجزاء والحسنات أضعافاً كثيرة.

﴿ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾: هـو الفضل الـذي لا يعلوه فضل أو يسـاويه فضل، والفضل العظيـم لا يكون إلا من الله تعالى يؤتيه بعـض عباده تفضلاً منه دون شرط.

وقد يكون مـالاً أو عافية أو أهلاً، أو متاعاً وأكبـر وأعظم فضل هو فضل الإيمان والإسلام والقرآن ومعرفة الله سبحانه ووحدانيته.

[٥] ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾:

المناسبة: بعد أن أنكر اليهود بعثة ونبوّة محمّد ﷺ وأنكروا ما جاء فيها من البشـارة بمحمّد، ولم يؤمنوا به أو ينتفعوا بتوراتهم، شـبَّههم الله بالحمار الذي يحمل أسـفاراً، فضربُ المثل غايته توضيحُ الغمـوض المجمل فحاملو التّوراة يماثلون أو يُشبهون الحمار في صفة واحدة هي الحمل.

﴿ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾: أي كُلِّفـوا أو أُمروا بتعلُّم التّوراة والعمل بها، ولم يقل الذين آتيناهم الكتاب أو أهـل الكتاب؛ لأن في ذلك مدح لهم، وإنما الذين حملوا التوراة فيها معنىٰ الذم وخاصة حين شبهوا بالحمار الذي يحمل أسفاراً.

﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾: أي لم يتعلّموها ولم يعملوا بها، أو تعلّموا التّوراة ولكنّهم لم يعملوا بها؛ أي: يطبّقوها حيث كانـت تصف لهم صفات هذا النّبي (محمّد) المبشّـر به، والذي كانوا ينتظرونه، فلم يؤمنوا به ولم ينتفعوا بما في التوراة كمثل الحمار يحمل أسفاراً.

فالتوراة تشـبه الأسفار: والأسفار جمع سِفر، والسِّـفر: الكتاب الكبير أو الكتـب الكبار الجامعة للعلـوم النّافعة، والمعنىٰ الثّاني: الأسـفار تعني الكتب الواضحة المعاني من السّـفر، والقول: أسـفر الصُّبح؛ أي: انكشف بنوره؛ أي: يكشف لهم الطّريق المستقيم، وسَفرت المرأة: إذا كشفت عن وجهها، والمعنىٰ الثّالث: سفرت البيت: كنسته وأزلت عنه التّراب حتىٰ تنكشف أرضه، فهو يكشف لهم ما يحتاجونه من علوم الدّين والمنهج.

والذين حملوا التوراة: أي اليهود حملوا التّوراة كمنهج ودرسوا التّوراة ولكنّهم لم يطبّقوها أو يستفيدوا منها، لم يعملوا بالأمانة ولم يوفوا بعهدهم، فشبّههم الله تعالىٰ بالحمار الذي يحمل علىٰ ظهره الكتب، فهو لا يعلم ما فيها ولا يستفيد منها، أو لا يفهم ما يحمل علىٰ ظهره من صخر أو متاع أو كتب أو حاجات أخرىٰ.

ولندرك أنّ الله سبحانه خلق الحمار للحمل وليس عليه واجب أن يدرك ما علىٰ ظهره من أحمال، فهم يشبهون الحمار في خاصيّة الحمل وليس بخاصيّة الغباء، والله سبحانه لا يطعن فيما خلق.

﴿بِئْسَ﴾: من أفعال الذّم.

﴿مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾: أي كذبوا بآيات الله عز وجل الدّالة علىٰ صدق نبوة محمّد ﷺ، ولم يؤمنوا به أو يفعلوا ما أمرهم الله به، أو كذّبوا بآيات الله؛ أي: آيات القرآن وآيات التّوراة، وتكذيب أحدهما يكفي، فالذي يكذّب القرآن يكذّب التّوراة ولا يؤمن بها.

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾: أي المشركين الظّالمين أنفسهم بتكذيب الأنبياء والرّسل وقتلهم الأنبياء بغير حق؛ أي: لا يهدي الله هؤلاء الذين اختاروا بأنفسهم طريق الضّلال والغواية والشّرك، فالله لا يهدي الظّالم ولا الفاسق وإنما يهدي المؤمن المتّقي ومن سلك طريق الهداية، ولمعرفة معنىٰ الظّلم ارجع إلىٰ سورة [البقرة:٥٤].

[٦] ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾:

﴿قُلْ﴾: خطاب إلىٰ النّبي ﷺ.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ﴾: هم اليهود، ومعنىٰ (هادوا)؛ أي: رجعوا بالتوبة إلىٰ الله من عبادة العجل، واشتقَّت من قولهم: إنّا هُدنا إليك.

﴿إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ﴾: إن شرطية تفيد الشكّ والنّدرة.

أي: إن كنتم صادقين في زعمكم أنكم أولياء الله أبناء الله وأحباؤه دون غيركم من النّاس، وأنّ (الدّار الآخرة خاصة لكم).

﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ﴾: الفاء: رابطة جواب الشرط؛ تمنوا: التمني: هو قول القائل ليت كان كذا، وليت لم يكن، ويقع علىٰ الماضي والمستقبل، والتمني في قوله: (فتمنوا الموت): هو تمني بالقول فقط أو بالقلب، فتمنوا الموت؛ لأن ولي الله حقاً يتمنىٰ لقاءه والإسراع إلىٰ ما أعدَّ له من النّعيم المقيم؛ أي: أن يميتكم وينقلكم إلىٰ دار الآخرة.

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾: إن شرطية فيها معنىٰ الاحتمال والنّدرة؛ أي: إنكم غير صادقين.

[٧] ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾:

﴿وَلَا﴾: النافية.

﴿يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ﴾: ارجع إلىٰ الآية السابقة (٦) لبيان معنىٰ التمني، وإضافة النون في يتمنونه للتأكيد.

﴿أَبَدًۢا﴾: لزيادة التوكيد.

﴿بِمَا﴾: الباء: السببية أو للتعليل؛ ما: أوسع شمولاً من الذي.

﴿قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ﴾: أي: عملت أو كسبت أيديهم من المعاصي والآثام.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾: عليم: صيغة مبالغة من علم؛ أي: كثير العلم؛

بالظالمين: الباء: للإطلاق؛ الظالمين: جمع ظالم وهو كل من خرج عن منهج الله تعالىٰ، ولابد من مقارنة هذه الآية مع الآية (٩٥) في سورة البقرة وهي قوله تعالىٰ: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ لوجدنا الاختلافات التالية:

١ - (لا): النافية في آية الجمعة: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾، (لن) في آية البقرة.

لن: أقوىٰ نفياً، من: (لا) تنفي المستقبل القريب البعيد.

(لا): جاءت في سياق الذين زعموا أنهم أولياء الله، بينما (لن) جاءت في سياق الذين زعموا أنَّ الدار الآخرة خاصة بهم وحدهم، هذا الزّعم أشد وأبلغ من الزّعم بأنّهم أولياء الله، لذلك استعمل (لن).

٢ - يتمنَّونه: تدل علىٰ كثرة الذين زعموا أنّهم أولياء الله مقارنة بآية البقرة (يتمَّنوه) تدل علىٰ قلة عدد الذين يزعمون أنَّ الدّار الآخرة (الجنة) خاصة بهم، بما قدّمت أيديهم: الباء سببية تعليلية، ما: اسم موصول أو مصدرية بسبب ما اقترفوا من الكفر والمعاصي، ومن ذلك كفرهم برسول الله ﷺ.

ولا يتمنّونه أبداً (بسبب ما قدّموا من الكفر). ولأنهم أحرص الناس علىٰ حياة، كما ال تعالىٰ: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [البقرة:٩٦]، فالنفي في آية البقرة أشد وأقوىٰ وأكثر توكيداً من النفي في آية الجمعة؛ ارجع إلىٰ آية البقرة لمزيد من البيان.

[٨] ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾:

﴿قُلْ﴾: لهم يا محمّد ﷺ.

﴿إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ﴾: الفرار هو الخوف والهروب بسرعة بدون محاولة التّستُّر والخفاء.

﴿مُلَٰقِيكُمْ﴾: مدرككم وجهاً لوجهه، لاحقٌ بكم لا تفوتونه.

ثم: للتراخي في الزمن والترتيب.

﴿تُرَدُّونَ﴾: الرّد ولم يقل ترجعون، الرّد يكون بدون اختيار لكم.

ارجع إلى سورة القصص آية (٧) لمعرفة الفرق بين الرجع والرد.

﴿إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾: عالم الغيب: عالم ما غاب واستتر من الغيب بكل أنواعه، والشّهادة: عالم يشاهد بالمدركات (العيون والآذان) والحواس، فهو عالم كل مخلوقاته بغيبها وظاهرها لا يعزُب عنه شيء في الأرض ولا في السّماء. ارجع إلى سورة التوبة آية (١٠٥) لمزيد من البيان.

﴿فَيُنَبِّئُكُم﴾: الفاء: للترتيب والتّعقيب، ينبّئكم: يخبركم.

﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: الباء للإلصاق، ما: اسم موصول أو مصدرية، كنتم: في الدّنيا، تعملون: العمل يشمل القول والفعل؛ أي: تقولون وتفعلون.

❖ ❖ ❖

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ
فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ
وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ
﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ
مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾

## سُورَةُ الْمُنَافِقُونَ

ترتيبها ٦٣ آياتها ١١

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ
إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾
ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ
يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ
فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ
وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ
صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾

ربع الحزب ٥٦

## سورة الجمعة [الآيات ٩ - ١١]

[٩] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾: نداء للذين آمنوا بيا النّداء والهاء للتنبيه، نداء جديد بتكليف جديد بتكليف جديد للذين آمنوا.

﴿إِذَا﴾: ظرفية زمانية شرطية تفيد حتمية الحدوث وكثرته.

﴿نُودِىَ﴾: أي أُذِّن لصلاة الجمعة، والنداء هو الأذان وهو الإعلام برفع الصوت.

﴿لِلصَّلَوٰةِ﴾: اللام لام الاختصاص.

﴿مِن﴾: ظرفية، يوم الجمعة: هو اليوم المعروف من أيام الأسبوع، والجمعة بضمّ الميم: صفة لليوم؛ أي: يوم تجمُّع الناس.

﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾: السّعي يعني المشي بجدٍّ وعزم وقصد، ويعني: المضيّ إليها أو الإسراع والاشتغال بها، أو التّحضير لها بالوضوء والخروج إلى المسجد بشكل مبكِّر والتّفرُّغ لها، إلى ذكر الله: أي الخطبة والصّلاة، فالخطبة تعدُّ ذكراً لله وكذلك الصّلاة.

﴿وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ﴾: توقفوا عن البيع وسائر الأعمال الدنيوية من بيع وشراء، أو شغل يشغلكم عن الصلاة، وذروا البيع: مجاز مرسل، يعني: كل أنواع الأعمال والتّجارة وغيرها وتفرّغوا للصلاة.

﴿ذَٰلِكُمْ﴾: أي إشارة إلى السّعي إلى ذكر الله والصّلاة والخطبة خير لكم من البيع والتّجارة والرّبح، ذلكم: خير لكم وأبقى من أعمالكم الدّنيوية. ولم يقل ذلك؛ لأن (ذلكم) للتعظيم والتأكيد وتشمل عدة أمور.

﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: إن شرطية تفيد الاحتمال والنّدرة، كنتم تعلمون: ما هو الأفضل والأصلح لكم، أو ما ينفعكم وما يضركم، وما في صلاة الجمعة من ثواب وخير.

[١٠] ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾:

﴿فَإِذَا﴾: الفاء للترتيب والتّعقيب، إذا: ظرف زماني.

﴿قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ﴾: انتهت الصّلاة، أُدِّيت الصّلاة.

﴿فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: أي تفرّقوا لقضاء حوائجكم.

﴿وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾: اطلبوا الرّزق من الله، أو عودوا إلى بيعكم وشرائكم، والفضل لا يقتصر على طلب الرزق فقط، وإنما يشمل طلب العلم، أو زيارة مرضاكم وإخوانكم، وامشوا في الجنائز وساعدوا إخوانكم، وغيرها من

الأعمال الصالحة التي تورث الزيادة في الأجر والفضل من الله الكريم واسع العطاء.

﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾: بالتّهليل والتّكبير والحمد والشّكر، والصّلاة والتّسليم على النّبي ﷺ.

﴿لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: لعل: تفيد التّعليل، تفلحون: الفوز بالدّارين، ارجع إلى سورة البقرة آية (٥).

[١١] ﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَـٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾:

سبب نزول هذه الآية: كما أخرج البخاري ومسلم وغيرهما، عن جابر قال: كان النّبي ﷺ يخطب يوم الجمعة إذا أقبلت عيرٌ؛ أي: إبل، محمّلة طعاماً ودقيقاً وغيره من المتاع، قدمت من الشّام، فخرجوا إليها حتى لم يبقَ معه ﷺ إلا (١٢) رجلاً، فأنزل الله سبحانه هذه الآيات.

وكان من عادة أهل المدينة إذا جاءت قافلة تجارية تحمل الميرة؛ أي: الطعام والحاجيات، يستقبلونها باللهو وضرب الطّبول والمزامير، فخرج النّاس يتسلّلون حتى لم يبقَ مع رسول الله ﷺ إلا (١٢) رجلاً، فنزلت هذه الآيات.

﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَـٰرَةً﴾: وإذا: ظرفية زمانية. رأوا تجارة قادمة إليهم.

﴿أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا﴾: أي خرجوا إليها، من: الفضّ وهو: كسر الشّيء والتّفريق بين أجزائه؛ أي: خرجوا متفرقين لمجرد سماع الطّبل، منهم من خرج

للانتفاع مـــن التجارة ومنهم من خرج للهو. والضّمير في كلمة (إليها) يعود على التجارة أو اللهو، اللهو هنا هو استقبال العير بالطّبول والتصفيق والمزامير والغناء، أو تركهم الجمعة (الخطبة والصلاة) يعتبر عملاً يُلهي عن واجب، فهو يعتبر لهواً بحدِّ ذاته، ولم يقل إليهما؛ لأن خبر أحدهما يغني عن الآخر.

﴿وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا﴾: أي على المنبر تخطب.

﴿قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ﴾: تكرار (من) مرتين؛ لفصل أحدهما عن الآخر: فصل اللهو من التّجارة وكلاهما معاً.

﴿قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ﴾: من الثّواب والجزاء كالجنة والنّعيم المقيم.

﴿خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ﴾: وما عند الله خير؛ أي: أفضل من اللهو، وتعريفه: هو ما يشـــغل الإنسان عن واجب أو ما يهمه، أو هو لعب يشغل عن واجب؛ أي: أفضل من سماع الطبول والمزامير والغناء، التي شغلتهم عن الصلاة إذا شغلتهم عن ذكر الله وعن الصلاة، وأفضل من التّجارة (البيع والشّراء).

﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾: والله سبحانه هو الرّزاق الحقيقي وغيره ليسوا رازقين حقيقةً؛ لأنّهـــم عرضة للموت والأغيار، ولكنّه ســـبحانه من كرمه وفضله أطلق عليهم هذه الصّفة التي هي صفة حقيقية ثابتة من صفاته.

وإذا نظرنا إلى الآية (١١) نجده في مطلع الآية قدّم التّجارة على اللهو فقال: (وإذا رأوا تجـــارة أو لهواً انفضّوا لها)؛ لأن التجارة كانت هي الســـبب الحقيقي للخرج من صلاة الجمعة لنزول الآية وليس اللهو.

وفـــي نهاية الآية: (قل ما عند الله خير من اللهو ومـــن التّجارة) قدّم اللهو علىٰ التّجارة، فكيف نفسر ذلك؟ لأن اللهو أعم من التجارة؛ أي قدّم الأعمَّ علىٰ الأخصّ؛ لأنّ اللهو أعمُّ من التّجارة بالنّسبة للناس فليس كل إنسان تاجراً، والمهم العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، الإلهاء في ما لا خير فيه مذموم.

❖ ❖ ❖

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ
فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ
وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ
﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ
مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾

## سُورَةُ المُنَافِقُونَ

ترتيبها ٦٣ — آياتها ١١

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ
إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾
ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ
فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ
وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ
صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾

ربع الحزب ٥٦

## سورة المنافقون [الآيات ١ - ٤]

ترتيبها في القرآن (٦٣) ترتيبها في النّزول (١٠٤).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ۘ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ ۗ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾:

﴿إِذَا﴾: ظرفية شرطية تفيد حتمية الحدوث.

﴿جَاءَكَ﴾: من المجيء، والمجيء فيه الصعوبة والمشقة؛ لأنهم يأتون بغير رغبة؛ أي: وهم كارهـــون، أو يخافون أن يظهر نفاقهم أمام الناس بعكس الإتيان فيه معنى السّهولة؛ أي: الحضور بسهولة.

﴿الْمُنَافِقُونَ﴾: جمع منافق، والمنافق هو من يظهر الإسلام والإيمان ويبطن الكفر، فقلبه لا يوافق لســانه، وكلمة منافق مشــتقة من نفق اليربوع وهو حيوان يشبه الفأر ويسكن في الصحراء ويحفر لنفسه نفقاً في الأرض له بابان أو أكثر إن ترصّده عند أحدهما يخرج من الثاني، كالمنافق له وجهان.

﴿قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾: قالوا: بألســنتهم فقط وتأبى قلوبهم تصديق ذلك، واللام في كلمة (لرسول الله) تفيد التّوكيد.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾: ولم يقل والله يشــهد إنك لرسوله، فما هو الفرق بين يعلم ويشهد؟ الذي يشهد يعلم فهو لا يشهد إذا لم يعلم (فهو حاضر ويعلم ما

يحدث)، والذي يعلم ليس بالضروري أن يكون شهيداً (حاضراً) فهو يعلم بدون حضور بأن يخبره غيره.

﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾: إنّ للتوكيد، واللام في (لكاذبون) لزيادة التوكيد، وفي هذه الآية تساؤلان:

السؤال الأول: ما غاية إدخال جملة (والله يعلم إنك لرسوله)؟ الجواب: لو حذف هذا الجزء من الآية وقال تعالىٰ: إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول، والله يشهد إن المنافقين لكاذبون: لكان ظاهر القول أن المنافقين يشهدون إنك لرسول الله، والله سبحانه لا يشهد بذلك، وحاشا لله ذلك.

السؤال الثاني: متىٰ يستعمل كلمة يشهد ومتىٰ يستعمل كلمة يعلم؟ إذا كان الأمر المطروح يعلمه المؤمنون والله يعلمه، عندئذ يستعمل يشهد فالله يشهد علىٰ الكلّ، وأما إذا كان الأمر المطروح عملاً قلبيّاً كالنفاق والإسرار عندئذ يعلمه الله وحده فقط ولا يعلمه المؤمنون، فيستعمل يعلم.

مثال: ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ سورة التوبة الآية [التوبة:٤٢] هذا عمل قلبي لا يعلمه إلا الله فقال: يعلم، ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ سورة التوبة الآية [التوبة:١٠٧] هذا الحلف (ليحلفن) حدث أمامهم ويعلمونه والله يعلم ذلك ولذلك استعمل: يشهد.

[٢] ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾:

﴿ٱتَّخَذُوٓا۟﴾: من الاتخاذ وهو التّصيير والجعل، والضمير يعود علىٰ المنافقين.

﴿أَيْمَٰنَهُمْ﴾ جمع يمين، وهو القسم أو الحلف.

﴿جُنَّةً﴾: ستـرة ووقاية لهم من القتل والأذىٰ؛ أي: استتروا وراء أيمانهم الكاذبة حتىٰ لا تكشف حقيقتهم فكلما ظهر شيء يوجب معاقبتهم حلفوا الأيمان الكاذبة.

﴿فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: الفـاء للتوكيد، صدّوا النـاس عن دين الله وعن إطاعة أوامره مثل الخروج في سبيل الله أو الجهاد أو غيرهما.

﴿إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾: إنهم: للتوكيد، ساء: من أفعال الذم والقبح؛ أي: بئس، ما: اسـم موصول بمعنىٰ الذي أو مصدرية، وما: أوسع شمولاً من الذي؛ كانوا: في الدنيا، يعملون: تشـمل الأقوال والأفعال، وتعني: ما كانوا يعملون من النفاق وصد الناس عن سبيل الله واتّخاذ أيمانهم جُنّة وغيرها.

[٣] ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾:

﴿ذَٰلِكَ﴾: ذا: اسم إشـارة واللام للبعد ويشير إلىٰ الكذب والنفاق والصدّ عن سبيل الله واتّخاذ أيمانهم جُنّة.

﴿بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟﴾: الباء للإلصاق باء السببية، آمنوا: في الظّاهر آمنوا بألسنتهم.

﴿ثُمَّ كَفَرُوا۟﴾: ثم للترتيـب الإخباري، كفروا: ولم يصدّقـوا بما أنزل الله تعالىٰ.

﴿فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾: بسـبب ما كانوا يعملون، فلا يدخلها إيمان ولا يخرج منها كفر، والطبع أشد من الختم؛ الختم قد يفكّ، وأما الطبع لا يفكّ أبداً.

﴿فَهُمْ﴾: للتوكيد.

﴿لَا يَفْقَهُونَ﴾: لا النافية، يفقهون: لا يفهمون أو لا يعرفون معنىٰ الإيمان.

والفقه لغةً: هو الفهم، واصطلاحاً: هو معرفة الأحكام الشرعية. ارجع إلىٰ سورة النساء آية (٧٨) لمزيد من البيان.

[٤] ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: شرطية تفيد حتمية الحدوث وبكثرة.

﴿رَأَيْتَهُمْ﴾: رؤية بصرية عينية.

﴿تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾: الجسم: يشمل البدن+ الروح+ النفس، ويمتاز بالحياة، وأما الجسد: يشمل البدن+ الروح بدون النفس لضخامتها وهيئتها وحسن صورها.

﴿وَإِن يَقُولُوا﴾: إن شرطية تفيد الاحتمال والنّدرة، يقولوا: يتحدثوا بأمر ما.

﴿تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾: لفصاحتهم وحلاوة كلامهم وتحسب ما يقولوه صدقاً وحقاً لحسن منطقهم.

﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾: شبّه جلوسهم في مجالس رسول الله ﷺ كأنّهم خُشُب مسنّدة إلىٰ الجدار أو الحائط؛ أي: منصوبة مستندة بشكل مائل إلىٰ الحائط، وخُشُب: جمع خشباء، والخشباء هي الّتي فسد جوفها ونخرها السّوس فأصبحت فارغة، خُشُب مسندة لا تتحرك ولا تسمع ولا تعقل، ولا تبصر ولا تحسّ، ولو كانت خشباً مفيدة لاستعملت في السُّقُف والحيطان، أو شبّهوا لضخامة أجسامهم وحسن صورها بالأصنام المنحوتة من الخشب المسندة؛ أي: المعلّقة علىٰ الجدران.

﴿يَحْسَبُونَ﴾: من خوفهم ورعبهم يحسبون: من الحسب وهو الاعتقاد أو الظّن الرّاجح.

﴿كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾: كلّ نازلة، كلّ واقعة أو حديث أو قول يخصّهم أو موجّهاً إليهم؛ وذلك لما في قلوبهم من الخوف والرّعب والذُّعر أن يكشف الله أسرارهم ويبيح دماءهم، صيحة: نكرة، مهما كانت شدتها ونوعها وتشمل كلّ أنواع الصّيحات.

﴿هُمُ الْعَدُوُّ﴾: هم: ضمير فصل يفيد التّوكيد؛ أي: أعدىٰ الأعداء أو الكاملوا العداوة.

﴿فَاحْذَرْهُمْ﴾: الفاء للتوكيد، احذرهم: أي لا تأمنهم ولا تطلعهم علىٰ أسرارك، واحذرهم أن يتمكّنوا منك، أو احذر مؤامراتهم ولا تغترّ بظاهرهم وأقوالهم.

﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ﴾: دعاء عليهم بالطّرد من رحمة الله، أو عاداهم الله.

﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾: أنىٰ للاستفهام الإنكاري وتعني: كيف يصرفون عن الحق ويميلون إلىٰ الكفر والباطل؟ أو: من أين أو بأيّ سبب يصرفون عن الحق؟! للتعجب من جهلهم وضلالهم، والإفك: هو الكذب المتعمد، والصّرف عن الحق وقلب الحقائق.

❖ ❖ ❖

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ
وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ
أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ
ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ
لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ
خَزَآئِنُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ
﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ
مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَـٰكِنَّ
ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ
أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ
ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَـٰكُم
مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ
إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن
يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾

## سُورَةُ التَّغَابُنِ

ترتيبها ٦٤ — آياتها ١٨

## سورة المنافقون [الآيات ٥ - ١١]

[٥] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾:

﴿وَإِذَا﴾ ظرفية شرطية تفيد حتمية الحدوث.

﴿قِيلَ لَهُمْ﴾: مبني للمجهول المهم هنا المقولة أو قيمة القول وليس القائل.

﴿تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾: قيل: نزلت هذه الآية في المنافقين ومنهم عبد الله بن أُبي حين افتضح أمرهم بالنّفاق وقال: ليخرجنّ الأعز منها الأذل، وقال: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتّى ينفضُّوا، قيل لهم: اذهبوا إلى رسول الله ﷺ فاسألوه أن يستغفر لكم، فأبوا ذلك. ارجع إلى الآية (٧) من السورة نفسها؛ لمزيد من البيان.

﴿تَعَالَوْا﴾: أي أقبِلوا إلى رسول الله ﷺ، أقدموا إليه واطلبوا منه أن يستغفر لكم؛ لكي يعفو الله عنكم.

﴿لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ﴾: عطفوها إلى الأعلى؛ بمعنى (لا) كناية عن الإعراض، ولو عطفوها إلى الأسفل أو ناحية الصّدر لكانت تعني (نعم) ولكان أفضل لهم.

﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾: الصّد: الإعراض المصحوب بشيء من الغضب.

﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾: هم تفيد التّوكيد، مستكبرون: في أكمل مظاهر الاستكبار، ومستكبرون: جمع مستكبر: وهو الذي لا يملك مقومات التكبر

أو ليس أهلاً للتكبُّر، مستكبرون: أن يتوبوا إلىٰ الله وينيبوا إليه، ويأتوا إلىٰ رسوله ﷺ ليستغفر لهم.

ومستكبرون: جملة اسمية تدل علىٰ أنّ صفة الكبر ثابتة عندهم ولن تتغير، وليست مجرد عرض زائل. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٨٧) لمزيد من البيان في مستكبرون.

[٦] ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾:

﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ﴾: المساواة: المعادلة، واستوىٰ الشّيئان تساوياً؛ أي: ساوىٰ أحدهما الآخر، وسواء: مأخوذة من التّساوي.

﴿أَسْتَغْفَرْتَ﴾: الهمزة همزة تسوية؛ لكونها واقعة بعد كلمة سواء؛ أي: الأمران متساويان عند الله تعالىٰ سواء أستغفرت أم لم تستغفر لهم النّتيجة واحدة: لن يغفر الله لهم.

والمغفرة: تعني ستر الذّنوب ومحوها، وبالتّالي العفو.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾: إنّ للتوكيد.

﴿لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾: ارجع إلىٰ سورة الصف الآية (٥) للبيان. والبقرة الآية (٢٦) وللربط بين هذه الآية (٦) من سورة المنافقون وهي قوله تعالىٰ: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ مع الآية (٨٠) من سورة التوبة وهي قوله: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾.

قيل: نزلت آية التوبة: قبل نزول آية المنافقون، وعندما نزلت آية سورة التوبة:

﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ قال النّبي ﷺ: (لأزيدنَّ على السّبعين) فأنزل الله: بعد ذلك الآية (٦) من سورة المنافقون: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ وروي عن ابن عبّاس قال: لما نزلت آية براءة قال النّبي ﷺ: (وأنا أسمع، إنّي قد رخّص لي فيهم، فو الله لأستغفرنّ أكثر من سبعين مرة، لعل الله أن يغفر لهم) فنزلت الآية: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾.

[٧] ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾:

أسباب نزول هذه الآية (٧) والآية (٨) كما روى البخاري ومسلم وغيرهما:

في غزوة بني المصطلق ازدحم رجل من المهاجرين مع رجل من الأنصار على ماء المُرَيْسيع وضرب أحدهما الآخر، مما أثار الفتنة بين المهاجرين والأنصار وعلى رأسهم عبد الله بن أُبيّ الّذي قال: أوَقد فعلوها! والله ما مَثَلُنا ومثَلُهم إلا كما قيل: سمِّن كلبك يأكلك، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل؛ يعني محمّداً ﷺ! وقال لقومه الأنصار: كفّوا طعامكم عن محمّد وأصحابه ولا تنفقوا على من عنده؛ حتّى ينفضُّوا ويتركوه، وأنكر عبد الله بن أُبي أنّه قال ذلك، وقيل له: اذهب إلى رسول الله واستغفره، فأبى ولوى رأسه، ونزلت هذه الآيات.

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ﴾: هم: ضمير فصل للتوكيد، تعود على عبد الله بن أُبيّ بن سلول وأصحابه من المنافقين، الّذين: ضمير متصل يفيد الذّم ويفيد الكثرة.

﴿يَقُولُونَ﴾: بصيغة المضارع؛ لتدل على التّجدد والتّكرار، وحكاية الحال: يقولون للأنصار.

﴿لَا تُنفِقُوا﴾: لا النّاهية، تنفقوا: المال وغيره من الطّعام والشّراب؛ حتّى يجوعوا ثمّ ينفضّوا عنه.

﴿عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾: أي على المهاجرين.

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف نهاية الغاية.

﴿يَنفَضُّوا﴾: يتفرقوا عن رسول الله ولا يبقوا حوله، من الفضّ: وهو التّفريق بين الشّيء المُجمع، أو كسر الشيء والتفريق بين أجزائه.

﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: الواو للتوكيد، لله: تقديم الجار والمجرور يدل على الحصر؛ أي: لله وحده، خزائن: جمع خزينة، خزائن الأرزاق والمال والخيرات والطعام والشراب، والمعادن والذهب والفضة والحديد وكل ما يتصوره الإنسان ويحتاجه في حياته على الأرض، هذه الخزائن هي النجوم التي لا تحصى ولا تعد ويقدّر عددها بالمليارات، وهي أفران نووية تصنع فيها كل المواد والمعادن والذهب والفضة والحديد وغيرها. ارجع إلى سورة الحجر آية (٢١) وسورة الأنعام آية (٥٠) لمزيد من البيان.

﴿وَلَٰكِنَّ﴾: لكن حرف استدراك وتوكيد.

﴿ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾: الفقه: وهو الفهم للحقائق أن الله سبحانه وحده

هو الرّزاق، ومنعهم الإنفاق على رسول الله، أو صحابته لا يضر، وذلك لجهلهم بعظمته وقدرته، وإن الله قادر على أن يرزق من يشاء بغير حساب.

والفقه اصطلاحاً: معرفة الأحكام الشرعية. ارجع إلى سورة النساء آية (٧٨) لمزيد من البيان.

[٨] ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾:

﴿يَقُولُونَ﴾: بصيغة المضارع؛ لتدل على حكاية الحال والتجدد والتّكرار؛ أي: عبد الله بن أُبيّ والمنافقون يقولون.

﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾: من غزوة بني المصطلق، لئن: اللام لام التّوكيد، إن شرطية تفيد الاحتمال والشّك.

﴿لَيُخْرِجَنَّ﴾: اللام لام التّوكيد، وكذلك النّون في (يخرجن) لزيادة التّوكيد على أنّهم سيُخرِجون المهاجرين ومحمّداً ﷺ من المدينة.

﴿ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾: الأعز حسب زعمهم: هو أمثال عبد الله بن أُبيّ بن سلول، والأذل: يعني رسول الله ﷺ وأصحابه المهاجرين.

﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ﴾: الواو عاطفة تفيد التّوكيد، لله: جار ومجرور والتّقديم يفيد الحصر؛ أي: لله وحده العزة فهو مالك العزة وصاحبها.

﴿وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾: والعزة هي عزة الغلبة والقهر والقوة والامتناع، وعزة الرّسول والمؤمنين نابعة من عزة الله تعالى وفضله وإحسانه على رسوله وعلى المؤمنين.

﴿وَلَٰكِنَّ﴾: حرف استدراك وتوكيد.

﴿ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾: لا يعلمون أن العزة لله وحده، وهو معز لرسوله ولأوليائه، وانتبه إلى التّدرّج كيف يكون: أوّلاً التّفكر (بالعقل بالمعطيات) ثم التدبّر (النظر في عواقب الأمور، والتّدبر يكون بالعقل والقلب) ثم الفقه ثالثاً، ورابعاً يكون العلم، فالّذي قال: ليخرجنّ الأعز منها الأذل هو عبد الله بن أُبيّ بن سلول جاهل لا يعلم حقائق الأمور أنّ العزة لله جميعاً.

وهناك تفسير ثان لنهاية هذه الآية (٨) وهي قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ مع نهاية الآية (٧) وهي قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾: فقوله تعالى: لا يعلمون (أن العزة لله جميعاً، والعزة أمر معنوي)، ولا تنفقوا: الإنفاق أمر ظاهر حسي، فقال: لا يفقهون.

أنّ العزة لله جميعاً: وهذا أمر يجهله الكثير ويجهله المنافقون ولا يعلمونه فقال: لا يعلمون. وبما أنّ الكثير يعلمون أنّ الرزق من عند الله تعالى فلا يحتاج هذا الأمر إلا القليل من الفهم والفقه، ولذلك قال: لا يفقهون، ووصفهم بأنهم (لا يفقهون) أسوأ وأقبح من وصفهم (لا يعلمون).

[٩] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: نداء جديد بتكليف جديد أو موعظة أو بيان، والهاء للتنبيه.

﴿لَا﴾: النّاهية.

﴿تُلْهِكُمْ﴾: من اللهو، وتعريف اللهو: هو شغل يُلهي عن واجب أو العبث بشيء بقصد تضييع الوقت أو بشيء لا جدوىٰ منه ولا فائدة، واللعب إذا شغل الإنسان عن واجب أو فريضة يعتبر لهواً، والإلهاء: يكون عادة في ما لا خير فيه، وهو مذموم.

﴿أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ﴾: تكرار (لا) النّاهية يفيد التّوكيد؛ لأن كلاً من الأموال والأولاد سبب من أسباب اللهو؛ أي: تلهكم أموالكم بمفردها، ولا تلهكم أولادكم بمفردها، أو لا تلهكم أموالكم وأولادكم معاً، وقدّم الأموال علىٰ الأولاد؛ لأنَّ الأموال هي الأعم فالكلّ يملك المال وليس الكلّ عندهم أولاد، وكأن الخطاب في هذه الآية للأموال، وخاطبها كأنها تعقل؛ أي: لها عقل، ونهاها، ونهىٰ الأولاد عن إلهاء المؤمن، ووجه الخطاب للأموال والأولاد للمبالغة، والأصل لا تلتهوا بأموالكم وأولادكم.

﴿عَن﴾: تفيد المجاوزة والمباعدة.

﴿ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾: أي الصّلاة وكل أنواع الذّكر مثل: التّسبيح والتّكبير والتّهليل، وتلاوة القرآن وحضور مجالس العلم والدّين، وأداء العبادات والفرائض في المساجد.

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾: ومن: شرطية، يفعل: بصيغة المضارع؛ للدلالة علىٰ الاستمرار والتجدد في النّهي عن اللهو بالأموال والأولاد.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾: الفاء للتوكيد، أولئك: اسم إشارة للتصغير والتّحقير.

﴿هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾: هم للتوكيد، الخاسرون؛ أي: إذا كان هناك خاسرون

فهم في مقدمة هؤلاء؛ أي: هم الخاسرون حقاً لأنفسهم ولأهليهم. ارجع إلى سورة النساء آية (١١٩) لمزيد من البيان.

[١٠] ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾:

﴿وَأَنفِقُوا﴾: الإنفاق: هو إخراج المال من الملك فلا يعد ملكه.

﴿مِن مَّا رَزَقْنَاكُم﴾: من ابتدائية تدل على التّبعيض؛ أي: من بعض (ما) بمعنى: الّذي رزقناكم؛ أي: المال وغيره، و(ما) أوسع شمولاً من (الذي) ولو قال تعالى أنفقوا ما رزقناكم، لكان يعني: كلّ ما رزقناكم، وهذا مستحيل ولن تقدروا عليه، أنفقوا من ما رزقناكم؛ أي: من مال الله الذي رزقكم وفي هذا حثٌّ على الإنفاق والصّدقة.

﴿مِّن قَبْلِ﴾: ولم يقل من قبلُ: من قبل بكسر اللام: الزّمن غير محدد قد يطول أو يقصر؛ أي: في أيّ زمن. ولو قال من قبلُ: تدل على تعيين زمن محدد، ومن قبل تشير أيضاً إلى قرب الموت من أحدكُم؛ أي: لا فاصل زمني بين الإنسان وأجله، كأنّ الموت ملتصق به.

﴿أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾: أنّ حرف مصدري للتعليل والتّوكيد.

يأتي أحدكم الموت: ولم يقل من قبل أن يأتي الموت أحدكم، تقديم المفعول به (أحدكم) على الفاعل وهو الموت؛ للمبالغة والاهتمام بالنفس (أحدكُم) للاستعداد والتّحضير للموت، أو أخّر ذكر الموت؛ لأنّ الموت شيء مكروه للنفوس ولا تحب سماعه.

وفائـدة أخرىٰ في التّأخيـر: لتجنّب المفاجأة؛ أي: مجـيء الموت؛ لأنّ الإنسـان يخاف من الموت ولذلك أخّره وحتّىٰ لا يفاجأ به، واختار كلمة (يأتي) ولم يقل من قبل أن يجيء أحدكم الموت؛ لأنّ المجيء فيه صعوبة ومشـقة علىٰ النّفس، والموت لم تبدأ سـكراته بعد فلو بدأت سكراته لاستعمل جاء، وبما أنّه سيحدث في المستقبل ولم يجيء بعد اختار (يأتي).

﴿فَيَقُولَ﴾: الفاء تـدل علىٰ التّرتيب والتّعقيـب، والنّصب لكلمة (يقول) ليدل علىٰ أنَّ القول سـيكون في المسـتقبل أو الحال، ولـو حدث في الماضي لاستعمل: فيقولُ.

﴿رَبِّ﴾: ولم يقل يـا رب. رب؛ لأنّ الرّب قريب من العبد فلا يحتاج إلىٰ ياء النّداء التي تدل علىٰ البعد، أو لأنّ الوقت قصير وليس هناك متسـع في الزّمن حين يحضر الموت، لذلك حذف الياء.

﴿لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ﴾: أخرتني: أشـد في الطّلب والحث من لو أخرتني وجواب الطّلب: (فأصَّدّق).

﴿أَخَّرْتَنِىٓ﴾: استعمل ياء المتكلم ولم يقل لولا أخرتن بدون ياء؛ لأنّه طلب لمصلحة العبد وهو طلب تام وصريح ليس فيه شك مقارنة بقول إبليس في سورة الإسـراء آيـة (٦٢): ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾ فطلب إبليس التأخير ليس فيه النفع لنفسه، وإنما ليضل ذرية آدم. ارجع إلىٰ سورة الإسراء آية (٦٢) لمزيد من البيان.

﴿إِلَىٰٓ﴾: حرف يمكن استعماله لكلّ الغايات.

﴿أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾: طلب تأخير الموت فقط إلى أجل قريب، أيّ زمن أو وقت قريب قصير.

﴿فَأَصَّدَّقَ﴾: الفاء فاء السّببية، وهي جواب الطّلب (أصَّدّق) ولم يقل أتصدق، (أصَّدّق) أقلّ حروفاً من أتصدق، اختار الكلمة المناسبة لقصر الوقت الذي يرجوه طمعاً في تأخير الموت عنه.

وكلمة فأصَّدّق: فيها تضعيفان: الأول في الصّاد والآخر في الدّال؛ للمبالغة والتّكثير في الصّدقة؛ أي: ينوي أن يكثر من الصّدقة، أي الإنفاق؛ لأنّ الأجل قريب وليس هناك زمن طويل وحتّى يكون من الصّالحين.

ونصب (أصَّدّقَ) بأنّ المضمرة؛ أي: أن أصَّدّقَ.

﴿وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾: الواو هنا واو المعية؛ أي: أقوم بكلا الفعلين أصَّدّق وأكن من الصّالحين معاً، وأكن: أصلها: وأكون من الصّالحين حذف الواو؛ ليناسب عدم وجود متسع من الزّمن، وقدّم الصّدقة على الصّلاح: مع أنّ الصّلاح أهم من الصّدقة؛ لأنّ التّقديم هنا والتّأخير ليس مبنياً على الأفضل وإنما التّقديم والتّأخير مبني على السّياق، والسّياق في الآيات على الإنفاق والأموال فقدّم الصّدقة.

[١١] ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ۚ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾:

﴿وَلَن﴾: الواو استئنافية، لن حرف نفي ينفي المستقبل القريب والبعيد، وهي أقوى حروف النّفي.

﴿يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا﴾: نفساً: نكرة تعني: أيَّ نفس مهما كانت زكية أو مسيئة.

﴿إِذَا﴾: ظرفية زمانية بمعنى: حين يجيء أجلها، وشرطية، وإذا تدل على حتمية الحدوث.

﴿جَآءَ﴾: المجيء فيه معنى المشقة والصّعوبة.

﴿أَجَلُهَا﴾: الأجل: الوقت المضروب لانقضاء أو انتهاء الشّيء، وأجل الإنسان: هو الوقت لانقضاء عمره.

﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾: الله خبير؛ أي: عليم ببواطن الأمور، بما: الباء للإلصاق، (ما) بمعنى الّذي أو مصدرية، ما أوسع شمولاً من الذي، تشمل كل شيء: ما عملتم.

تعملون: العمل يضم القول والفعل، عليم بما تقولون وتفعلون في الدّنيا، وقدّم كلمة (خبير) على (تعملون)؛ لأنّ سياق الآيات في الموت والغيب وهذا من اختصاص وصفات الله سبحانه وتعالى، فلذلك قدّم (خبير).

❖ ❖ ❖

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ
وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ
وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾
يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَٱللَّهُ
عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ
فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ
رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ ۚ وَّٱسْتَغْنَى
ٱللَّهُ ۚ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى
لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ
وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ
يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ
صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا
ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾

## سورة التغابن [الآيات ١ - ٩]

ترتيبها في القرآن (٦٤) ترتيبها في النزول (١٠٨).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾:

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ارجع إلىٰ سورة الحديد آية (١)، والحشر آية (١)، والصف آية (١) لبيان معنىٰ سبح، وارجع إلىٰ سورة الجمعة (١) لبيان معنىٰ يسبح، وبدأت سورة التغابن آية (١) كذلك بقوله تعالىٰ: (يسبح)، وبدأت سورة الإسراء آية (١) بقوله تعالىٰ: (سبحان الذي أسرىٰ بعبده)، وبدأت سورة الأعلىٰ آية (١) بقوله تعالىٰ: (سبح أسم ربك الأعلىٰ).

﴿لَهُ الْمُلْكُ﴾: له: اللام لام الاختصاص والملكية، له وحده سبحانه الملك، وتقديم (له) للدلالة علىٰ الحصر.

﴿الْمُلْكُ﴾: الحكم المطلق علىٰ ما في السموات وما في الأرض.

﴿وَلَهُ الْحَمْدُ﴾: له: يفيد الاختصاص والحصر؛ أي: له وحده الحمد المطلق حصراً.

له الحمد: علىٰ الخلق والتدبير والتّصريف. ارجع إلىٰ سورة الفاتحة آية (١) لمزيد من البيان.

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: وهو: الواو عطف، هو: ضمير فصل يفيد التوكيد ويعود علىٰ واجب الوجود: وهو الله، علىٰ كل شيء قدير: قدير صيغة مبالغة

لقادر، قادر إن شاء فعل وإن لم يشأ لم يفعل، قدير تعني كذلك: القوي العظيم الشّأن القادر على خلق كل شيء وتصويره وإبداعه وذرئه ونشره وملكه، والعلم به والقدرة عليه، لا يعجزه شيء في سماواته وأرضه، وإذا أراد شيئاً فإنما يقول له: كن فيكون.

فكونه جمع الملك والقدرة على كل شيء، فهذا يدل على كماله وعظمته.

[٢] ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾:

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد والحصر ويعود على واجب الوجود الّذي له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وهو الخالق أيضاً، فهذه من كمال صفات الألوهية والربوبية.

﴿خَلَقَكُمْ﴾: الخلق هو التّقدير والإيجاد، والخلق من العدم خلقكم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلّقة وغير مخلّقة.

﴿فَمِنكُمْ﴾: الفاء: للتفصيل أو التفريغ منكم: خاصة من جنسكم (من الإنس).

﴿كَافِرٌ﴾: من اختار لنفسه طريق الكفر، فالكفر من فعل الإنسان وكسبه.

﴿وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾: وتكرار منكم يفيد التّوكيد، ومن جنسكم الإنس من هو مؤمن؛ أي: اختار لنفسه طريق الإيمان، فالإيمان من فعله وكسبه، وقدّم (كافر) على (مؤمن)؛ لأن الكفر هو الأعم والأكثر.

كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف:١٠٣].

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: والله بما تعملون من الكفر أو الإيمان بصير؛ أي:

يرىٰ أعمالكم، والعالم بها والمدرك والمحيط بكل ما يُبصر، وقدم تعملون علىٰ بصير؛ لأن سياق الآيات في عمل الإنسان.

[٣] ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾:

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾: ارجع إلىٰ سورة فصلت آيات (٩- ١٢) للبيان وسورة الأنبياء آية (٣٠).

﴿بِٱلْحَقِّ﴾: الباء للإلصاق وتعني: بالشّيء الثابت الّذي لا يتغير، فالسماوات والأرض وما فيها من كواكب وأقمار وشموس وأفلاك ومجرّات تسير علىٰ نظام ثابت وقوانين ثابتة، وأبعاد وأحجام وقوىٰ جاذبة وكهرومغناطيسية لا تتبدّل، و(بالحق) تعني: لم يخلقها عبثاً بغير حكمة وفائدة.

﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾: صوّركم: صوّر كل إنسان بصورته وهيئته بحسب الشفرة الوراثية، وميّز كلاً عن الآخر فلا يشبه إنسان إنساناً آخر. ارجع إلىٰ سورة آل عمران آية (٦) والأعراف آية (١١) للبيان المفصّل.

﴿وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾: إليه المنتهىٰ؛ أي: الوقوف بين يديه للمحاسبة والجزاء. وتقديم (إليه) يفيد الحصر؛ أي: إليه وحده المصير.

[٤] ﴿يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾:

﴿يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: (ما) تشمل العاقل وغير العاقل، ما في السموات والأرض من خلق أو مخلوقات وأشياء، وأحياء وأموات ومن نبات وحيوان وجماد، ويعلم ما في البر والبحر، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس، ولا تخفىٰ عليه خافية أو غائبة أو حركة.

﴿وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾:ما: أوسع شمولاً من الذي؛ تسرون: السر هو ما يخفي الإنسان في نفسه ولا يطلعه علىٰ أحد، وما تعلنون من الأقوال والأفعال

وما تسرّون من دعاء ونداء ونجوىٰ وشكوىٰ، والنّوايا والأفكار والخير والشر، وتكرار (ما) للتوكيد، وفصل ما تسرون عن ما تعلنون أو كلاهما معاً.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: عليم صفة مبالغة من: عالم، الصّدور؛ أي: القلوب، عليم بكل المعتقدات والخواطر والنّوايا الّتي تعيش في قلب الإنسان وتصاحبه ولا تفارقه، وتجول وتعيش فيه ولم تخرج إلىٰ النّاس. ارجع إلىٰ سورة الحج آية (٤٦) لمزيد من البيان.

[٥] ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾:

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾: الهمزة استفهام تقريري.

﴿نَبَؤُاْ﴾: الخبر العظيم.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ﴾: مثل قوم نوح وعاد وثمود وفرعون وقوم لوط وأصحاب الأيكة وغيرهم.

﴿فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾: ذاقوا عاقبة كفرهم في الدّنيا بالقتل والتّدمير، وبال: تعني الشّدة في الوخامة في سوء العاقبة. ارجع إلىٰ سورة الحشر آية (١٥) لمزيد من البيان.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: اللام للاختصاص والملكية، عذاب أليم في الدنيا أو الآخرة، أو في الدنيا والآخرة معاً.

[٦] ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْ ۚ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾:

﴿ذَٰلِكَ﴾: ذا اسم إشارة واللام للبعد، ويشير إلىٰ العذاب (ذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم).

﴿بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: بأنّه: الباء باء السببية؛ أي: ذلك العذاب الأليم سببه: بأنّه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات (بالحجج والبراهين والمعجزات والآيات) الدالة على وجوب الإيمان وتوحيد الله، ولم يقل بأنهم؛ كما في الآية (٢٢) في سورة غافر وهي قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ۝ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾؛ بأنه: تفيد تعظيم الأمر: وهو الكفر والشمول سواء صدر منهم أو من غيرهم. ولو قال بأنهم، لكان خاصاً بهم؛ أي: (أنه) تعني العموم، (أنهم) تفيد الخصوص.

﴿فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾: أبشرٌ: الهمزة همزة استفهام إنكاري وتعجب (أبشر يهدوننا): أنكروا أن يكون الرسل بشراً.

﴿فَكَفَرُوا۟﴾: الفاء للترتيب والتعقيب بالرّسل، لم يصدّقوا رسلهم وأنكروا عليهم رسائلهم.

﴿وَتَوَلَّوا۟﴾: ابتعدوا عن الرّسل وأعرضوا عن الإيمان والتدبّر في البينات.

﴿وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ﴾: عنهم وعن إيمانهم وطاعتهم، ولم يجبرهم على الإيمان قسراً، بل أهلكهم وقطع دابرهم.

﴿وَٱللَّهُ غَنِىٌّ﴾: غني عن عباده وغني عن عبادتهم وعمَّا في السموات وما في الأرض، ومن غناه يرزق من يشاء بغير حساب، وغني يرزق المطيع والعاصي والبارَّ والفاجر.

﴿حَمِيدٌ﴾: محمود في الأرض والسّماء بما أنعم على خلقه، حميد لنعمه وفضله وإحسانه وكرمه، حمداً دائماً لا ينقطع؛ وهو الحميد منذ الأزل له الحمد على ذاته وأفعاله وتدبيره ورحمته، ارجع إلى سورة الحديد آية (٢٤) للبيان.

[٧] ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾:

﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: الزّعم هو القول غير المستند إلىٰ دليل أو ادعاء العلم، وأكثر ما يستعمل في الباطل؛ أي: ادّعىٰ الّذين كفروا باطلاً بدون دليل أو علم، أو قد يطلق علىٰ الظن والكذب، والزعم في القرآن كلّه فيه ذمٌّ.

﴿أَن لَّن﴾: أن: للتوكيد، لن: لنفي المستقبل القريب والبعيد؛ أي: لن يبعثوا قريباً أو بعد زمن بعيد من قبورهم.

﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي﴾: قل: لهم يا رسول الله ﷺ: بلىٰ وربي. الواو واو القسم.

﴿لَتُبْعَثُنَّ﴾: اللام لام التّوكيد، تبعثن: والنّون لزيادة التّوكيد؛ أي: لتخرجن من قبوركم أحياء للحساب والجزاء.

﴿ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾: ثم للترتيب العددي أو الإخباري، لتنبئنّ: اللام لام التّوكيد والنّون لزيادة التّوكيد.

﴿بِمَا﴾: الباء للإلصاق، ما بمعنىٰ: الّذي عملتم في الحياة الدّنيا، وعملتم: تشمل الأقوال والأفعال.

﴿وَذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة يشير إلىٰ البعث.

﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾: سهل، ولنعلم: ليس عند الله ما هو يسير وما هو صعب، وإنما ذكر ذلك لتقريب المعنىٰ إلىٰ أذهان السّامعين.

وهذه الآية هي ثالث آية أمر الله سبحانه رسول الله ﷺ أن يقسم بالله ربه عز وجل.

أما الآيتان الأخريان: فهما في سورة يونس آية (٥٣) وهي قوله تعالىٰ: ﴿وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ ۖ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾.

وفي سورة سبأ آية (٣): ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ﴾.

وإذا نظرنا إلى هذه الآيات الثّلاث نجد: أنّ آية التّغابن جاءت في سياق البعث، وآية يونس جاءت في سياق عذاب الآخرة، وآية سبأ جاءت في سياق السّاعة.

[٨] ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾:

﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾: الفاء للتوكيد، آمنوا بالله ورسوله: صدّقوا بعظمته وقدرته ووحدانيته، وبنبوة رسوله محمد ﷺ إيمان عقيدة وإخلاص.

﴿وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ﴾: أي القرآن الكريم، أنزلنا: دفعة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، أنزلناه على عبدنا محمّد ﷺ، و(أنزلنا) للتعظيم، وشبّه القرآن بالنّور الّذي يحتاجه النّاس في الدنيا؛ ليخرجهم من الظّلمات والشّبهات إلى النّور كما يحتاجون النّور الحسي في ظلمات الليل.

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾: خبير ببواطن الأمور، خبير بما تعملون؛ أي: بأقوالكم وأفعالكم وإيمانكم وما تُكنُّ صدوركم.

وقدّم (بما تعملون) على (خبير) ولم يقل خبير بما تعملون؛ لأن سياق الآيات في الأعمال.

[٩] ﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾:

﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ﴾: أي اذكروا يوم يجمعكم: يوم القيامة والبعث والحشر والجمع.

﴿لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾: اللام لام التّوقيت، يوم الجمع: اسم من أسماء يوم القيامة، يجمع الله فيه الأولين والآخرين في أرض المحشر، وكما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ [الواقعة:٤٩-٥٠].

وقوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾ [هود:١٠٣].

﴿ذَٰلِكَ﴾: ذا اسم إشارة واللام للبعد.

﴿يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾: اسم آخر من أسماء يوم القيامة، سمي يوم التّغابن: والتّغابن في الأصل مأخوذ من: الغبن وهو فوت الحظ أو أخذ الشّيء من صاحبه بأقل من قيمته، أو يبيع البائع بأقل من القيمة، أو يشتري المشتري بأكثر من الثّمن؛ أي: هو ضرر يلحق الفرد لخداع في عقد البيع والشراء. وفي هذه الآية يعني هو اليوم الذي يظهر فيه غبن الكافر (بعدم الإيمان) وغبن المؤمن (بتقصيره في العمل الصالح والإحسان). وسمي كذلك؛ لأن أهل الجنة يغبنون أهل النار؛ لأن أهل الجنة يأخذون مقاعدهم في الجنة ويرثون مقاعد الكفار في الجنة.

﴿وَمَن﴾: شرطية.

﴿يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا﴾: الإيمان هو الاعتقاد الجازم بأنّ الله واجب الوجود، وأنّه رب كل شيء وخالقه ومليكه، وأنّه الإله الحق الذي يستحق العبودية والمنزّه عن كل نقص وتوحيده.

﴿يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ﴾: والتّكفير يعني: يسترها عليه في الدّنيا ولا يعاقبه عليها في الآخرة. والسّيئات قيل: صغائر الذّنوب.

﴿وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: تنبع من تحتها الأنهار.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾: الخلود استمرار البقاء إلىٰ ما لا نهاية، يبدأ من وقت دخولهم الجنة.

ولم يقل يدخله بلفظ المفرد وإنما قال: (خالدين فيها) بلفظ الجمع؛ لأن في الصحبة استئناساً بعكس الوحدة.

﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾: ذلك اسم إشارة يشير إلىٰ تكفير السّيئات ودخول الجنات والخلود الأبدي، هو الفوز العظيم الّذي لا يعلوه فوزٌ، ولمقارنة هذه الآية مع الآية (١١) في سورة الطلاق وهي قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾؛ ارجع إلىٰ سورة الطلاق للبيان، ومعرفة الاختلاف بين الآيتين. ارجع إلىٰ سورة النساء آية (٧٣) لبيان معنىٰ الفوز وأنواعه أو درجاته.

❖ ❖ ❖

وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ
ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ مَآ أَصَابَ مِن
مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ
شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن
تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ
إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا
لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟
فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ
فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ
وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن
يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُوا۟
ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ
حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

## سُورَةُ الطَّلَاقِ

ترتيبها ٦٥ — آياتها ١٢

## سورة التغابن [الآيات ١٠ - ١٨]

[١٠] ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾:

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾: يبدأ خلودهم في النار من وقت دخولهم إياها ويستمر إلى ما لا نهاية، ولم يقل أبداً؛ لأن كلمة أصحاب تدل على أنهم ملازمون لها أبداً لا تفارقهم ولا يفارقونها. ارجع إلى الآية (٣٩) من سورة البقرة؛ للبيان المفصل.

﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾: بئس من أفعال الذّم والتّقبيح، المصير: المنتهى والمآل.

[١١] ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾:

هذه الآية: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ والآية (٢٢) من سورة الحديد: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾، والآية (٣٠) من سورة الشورى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾، أو: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [القصص:٤٧].

هذه الآيات تشير إلى أن كل مصيبة مكتوبة في كتاب (اللوح المحفوظ) وتحدث بما كسبت أيديكم ولا تحدث إلا بإذن الله؛ أي: بعلمه وتقديره، وهذه

المصائب تصيب الأرض أو تصيب الأنفس مما تسمى الكوارث الطبيعية أو الأوبئة والأمراض وقلة الغذاء والحروب والويلات.

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ﴾: ما النّافية، أصاب: حدث ووقع، من: استغراقية تستغرق كل ما يصيب الإنسان من خير أو شر، في النّفس أو الولد أو المال أو الأهل، أو الكون أو البيت أو المركب (السيارة والطائرة أو الفلك).

﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: إلا أداة حصر، بإذن الله: بإرادته ومشيئته وبعلمه وتقديره، وكلمة بإذن الله: تأتي في القرآن في سياق الأعمال التي لا دخل لنا فيها؛ أي هي بتدبير من الله تعالى مقارنة بقوله تعالى إلا ما شاء الله التي تأتي في سياق الأعمال التي لنا دخل فيها، أو نقوم بها بأنفسنا.

﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾: من: شرطية، يؤمن بالله: ارجع إلى الآية (٩) من السورة نفسها، يؤمن بالله ويصبر عند المصيبة ولا يجزع أو لا يسخط، ويرضى بقضاء الله وقدره.

﴿يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾: يطمئن قلبه ويثبّته؛ ليزداد صبراً ويعلم أنّ هذا ابتلاء من الله تعالى، ويعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾: بأحوال العبد وما يصيبه من ألم وحزن ومرض وحمى وهمّ وغمّ، وما يقع في كونه من عواصف ودمار وتخريب وكوارث جوية أو بيئية، فلا تخفى عليه خافية.

وإذا قارنّا الآية (١١) من هذه السورة: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾

مع الآية (٢٢) من سورة الحديد: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ﴾ نرىٰ: أنه فصل، وبيّن في آية الحديد أين تقع المصيبة، وفي آية التغابن أجمل.

[١٢] ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾:

﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ﴾: فيما أمركم ونهاكم عنه، أو ما شرع لكم فيما أجمل من الأحكام.

﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾: الطاعة: هي الانقياد لمطلوب الشارع (وهو الله سبحانه) بما أمر به واجباً ومستحباً فيما أمركم ونهاكم عنه وما فصّل لكم من الأحكام والشرائع. ارجع إلىٰ سورة آل عمران آية (٣٢) لمزيد من البيان، وسورة النساء آية (٥٩)، ومعرفة الفرق بين أطيعوا الله ورسوله، وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول.

﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾: الفاء للتوكيد، إن شرطية تفيد الاحتمال أو الشك أو النّدرة، توليتم: التولي: هو أشد من الإعراض؛ ابتعدتم؛ أي: أعرضتم ورفضتم طاعة الله وطاعة رسوله، فإنما بغيكم وإثمكم علىٰ أنفسكم.

﴿فَإِنَّمَا﴾: الفاء جواب الشّرط، إنما: كافة مكفوفة تفيد التّوكيد.

﴿عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾: إنما مهمة رسولنا فقط التّبليغ وإيصال الرّسالة إليكم، وقوله تعالىٰ رسولنا بدلاً علىٰ الرسول: فيه تشريف وتعظيم لرسول الله ﷺ، والمبين تعني: أن تصل إلىٰ كل فرد، تصل كاملة بدون نقصان وواضحة لا تحتاج إلىٰ دليل أو بينة.

لنقارن بين هذه الآية (١٢) من سورة التغابن وهي قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾، مع الآية (٩٢) من سورة المائدة وهي قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾.

ففي آية المائدة زاد كلمتين (واحذروا) (فاعلموا)؛ لأنّ آية المائدة مسبوقة بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ فناسب ذلك ذكر التحذير والعلم، بينما آية التّغابن لم يسبقها نهي عن محرمات (كما في المائدة).

[١٣] ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾:

﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: الله: هو الاسم الأعظم الّذي تفرد به الحق سبحانه واختصَّه لنفسه الدّال على واجب الوجود، وقدّمه على سائر الأسماء، وهو الاسم الجامع لكل صفات الكمال الإلهية، فهو المعبود ولا معبود إلا هو.

﴿لَا إِلَٰهَ﴾: لا النّافية للجنس، إله: معبود في الوجود إلا هو.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

لا إله إلا هو: تفيد النّفي وتفيد الإثبات، فقوله: (لا إله) تفيد النّفي.

(إلا هو): تفيد الإثبات أو تؤكد النّفي. ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٥٥) للبيان.

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: (وعلى الله) تقديم الجار والمجرور يدل على الحصر؛ أي: حصر التّوكل على الله وحده لا غيره.

فليتوكل: الفاء للتوكيد، يتوكل: التّوكل هو الاعتماد على الله تعالى في تدبير الأمور الدّينية والدّنيوية، وهو عمل قلبي، ويعني: تفويض الأمر لصاحب الأمر وهو الله تعالى، والاستعانة به للقيام وإتمام أيّ عمل بعد تقديم الأسباب كافة؛ لأنّ قدرة العبد محدودة لا تكفي مهما كانت وتحتاج إلى الاستعانة بقدرة العليم القدير، ومن يعلم الغيب. ارجع إلى سورة الأعراف آية (٨٩) لمزيد من البيان.

[١٤] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾: نداء جديد بتحذير جديد إلى الذين آمنوا، والهاء للتنبيه.

﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ﴾: إن للتوكيد، من ابتدائية بعضية؛ أي: بعض أزواجكم، ولا تعني الشّمول أو العموم.

﴿وَأَوْلَٰدِكُمْ﴾: وبعض أولادكم وليس الكل، والأولاد تشمل الذّكور والإناث.

﴿عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾: إذا كانوا سبباً للانشغال عن طاعة الله وذكره أو الدّخول في الإسلام، أو التّقصير في المجيء لصلاة الجماعة أو في الهجرة

مـــن مكة إلى المدينة، أو الخروج للجهاد في ســـبيل الله، أو عقوق الوالدين، أو الإنفاق في سبيل الله، أو في قطع الأرحام بسبب التفريق بين الزّوج وأهله.

﴿فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ﴾: الفاء السّـــببية (ربط السّبب بالمســـبب) أي: لا تطيعوهم واحذروا أن يكون سبباً لكم في المعاصي أو عدم طاعة الله.

﴿وَإِن﴾: شرطية.

﴿تَعۡفُواْ﴾: العفو ترك العقوبة (التّجاوز عن الذّنب).

﴿وَتَصۡفَحُواْ﴾: الصّفح هو العفو وترك اللوم.

﴿وَتَغۡفِرُواْ﴾: من الغفر وهو السّتر وعدم الفضيحة.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ﴾: إن للتوكيد، والفاء جواب الشّرط.

﴿غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾: غفـــور كثير المغفرة؛ أي: يســـتر الذّنـــوب ويعفو عنها، الذّنـــوب العظام والذّنـــوب الكثيرة ولو تكررت وتعددت، ولـــو كانت مثل زبد البحر.

رحيم: بعباده لا يؤاخذهم إذا نسوا أو أخطؤوا، رحيم بعباده المؤمنين؛ لأنه لا يعجّل لهم العقوبة لعلّهم يتوبون إليه، ورحمته وسعت كل شيء، ورحمته ثابتة دائمة دوام ذاته.

[١٥] ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾:

﴿إِنَّمَآ﴾: كافة مكفوفة تفيد التّوكيد، وليس الحصر.

﴿أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾: أي: ابتلاء واختبار، والفتنة: أشد الاختبار وأبلغه وتكون في الخير والشّر؛ أي: لنرىٰ هل تشغلكم عن العبادة والطاعة وعن الآخرة أم لا؟ وأموالكم كيف تجمعونها وتنفقونها؟ وقدم الأموال علىٰ الأولاد؛ لأنها هي الأعم، فكل الناس عندهم أموال، وليس كل الناس عندهم أولاد.

﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾: لمن آثر طاعة الله ورسوله وعلىٰ ماله وولده، والأجر العظيم: أعظم الأجور، فهناك الأجر الكبير، والأجر المبين، والأجر العظيم هو الجنة.

[١٦] ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾:

﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾: أي اتقوا الله حقّ تُقاته، ما استطعتم؛ أي: ما في وسعكم وجهدكم وطاقتكم.

والذي يحدّد الاستطاعة هو الله؛ أي: المشرِّع، فلا يصح للعبد أن يحدد الاستطاعة بنفسه، وهناك من المفسرين من يظن أنّ: (اتقوا الله ما استطعتم) نسخت قوله: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾.

﴿وَٱسْمَعُوا۟﴾: ما توعظون به أو يدعوكم الله ورسوله إليه.

﴿وَأَطِيعُوا۟﴾: الله ورسوله في كل ما أمروا به ونهوا عنه.

﴿وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ﴾: أنفقوا في سبيل الله وإعلاء كلمته ودينه؛ أي: المال وغيره.

﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾: الشّحُّ هو البخل مع الحرص، وهو أسوأ من البخل، الحرص الشّديد على المال والحفاظ عليه وعدم إنفاقه، والوقاية تكون بالإنفاق أكثر فأكثر أو قليلاً حتى يحصل الشّفاء من هذا المرض.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: أي من شُفي أو وُقي من مرض الشّح فأولئك: من المفلحين.

الفاء رابطة لجواب الشّرط؛ أي: أصبح في عداد المفلحين الفائزين بالجنة والناجين من النار، هم: تفيد التوكيد؛ أي: المفلحون حقاً أو في مقدمة المفلحين. ارجع إلى سورة البقرة آية (٥) لمزيد من البيان.

[١٧] ﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾:

﴿إِن﴾: شرطية تفيد الاحتمال أو النّدرة.

﴿تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾: ارجع إلى سورة الحديد آية (١١) للبيان. (معنى القرض الحسن).

﴿يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ﴾: تعني الكمّ، لكم خاصة، اللام لام الاختصاص؛ أي: يضاعفه لكم أضعافاً كثيرة. ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٤٥) لمزيد من البيان.

﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾: تعني الكيف، لكم خاصة، وتكرار (لكم) يفيد التوكيد؛ أي: يستر لكم ذنوبكم، وبالتالي يعفو عنها.

﴿وَٱللَّهُ شَكُورٌ﴾: لأنه يثيب على الطاعة ويضاعف الحسنات، ويجازي بالثواب الجزيل على العمل القليل.

﴿حَلِيمٌ﴾: لا يعجّل بالعقوبة لعباده على ذنوبهم، وينعم على خلقه رغم كثرة معاصيهم، يصفح ويعفو ويغفر، ويُمهل العاصي؛ ليتوب، وذكر (الحليم) إحدى عشرة مرة في القرآن.

[١٨] ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾:

﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾: أي عالم ما غاب واستتر عن العيون، عالم الغيب المطلق والغيب النسبي والساعة، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها، وما في الأرحام، ويعلم ما تكسب كل نفس، والسر والنجوى وذات الصدور.

﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾: يعلم كل ما يشاهد ويدرَك بالحواس والمدركات.

وما يلج في الأرض وما يخرج منها.

﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾: ارجع إلى سورة الحشر آية (٢٤) للبيان.

❖ ❖ ❖

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نصف الحزب ٥٦

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ
وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ
ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ
بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ
وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ
بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ
مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ
بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ
مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ
وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ
وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ
إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾

## سورة الطلاق [الآيات ١ - ٥]

ترتيبها في القرآن (٦٥) ترتيبها في النزول (٩٩).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ۚ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾: نداء تشريف وتعظيم لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم استعمل فيها (يا) أداة النداء والهاء للتنبيه، والنداء إلىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم، والمراد به أمته لقوله تعالىٰ بعد ذلك: ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ ولم يقل: إذا طلقت النساء؛ لأن الحكم ليس خاص برسول الله ﷺ وحده، وكذلك حين يخاطب الله سبحانه رسوله ﷺ، أو يا أيها النبي يجب علىٰ الكل أن ينتبه ويستمع للنداء.

﴿إِذَا﴾: شرطية تفيد حتمية الحدوث وكثرته.

﴿طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾: إذا أردتم الطلاق، الخطاب للأزواج فقد كان الرجل يطلق امرأته، ثم يرجعها قبل انقضاء عدتها، ثم يطلقها ويفعل ذلك تكراراً ليضارها، فنزلت هذه الآية.

﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾: الفاء جواب الشرط، أيْ: طلقوهنَّ وقت الطهر،

لا يجوز تطليق المرأة زمن الحيض؛ أيْ: يطلقها في طهر لم يجامعها فيه، فإذا جامعها، أيْ: مسها لا يجوز له أن يطلقها حينذاك، ويجب أن ينتظر إلىٰ أن تأتي الحيضة القادمة، وتنتهي وتعود طاهراً لم يمسها في زمن طهرها ويطلقها حينذاك. فقد روىٰ البخاري أن عبد الله بن عمر طلق امرأة له وهي حائض، فذكر عمر لرسول الله ﷺ فتغيظ رسول الله ﷺ ثم قال: «ليراجعها ثم يمسكها حتىٰ تطهر، ثم تحيض فتطهر، فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها طاهراً قبل أن يمسها فتلك العدة التي أمر الله عز وجل»، والحكمة من وراء ذلك والله أعلم لعل النفوس تهدأ وتعود الأمور إلىٰ ما كانت عليه، ويبقىٰ البيت قائماً.

﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾: الخطاب للأزواج والعدة هي ثلاثة قروء كاملة، أيْ: أكملوا ثلاثة قروء واحفظوا مدتها، احفظوا الوقت الذي وقع فيه الطلاق حتىٰ يتبيَّن متىٰ تنتهي العدة. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٢٢٨) للبيان.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾: أيْ: أطيعوا أوامر الله ربكم وتجنبوا نواهيه فلا تعصوه والتزموا حدوده. وانظر كيف جمع في هذه الآية بين الإلوهية والربوبية، اتقوا غضب الله وسخطه فهو الذي يرعاكم ويحفظكم ويُربيكم التربية الإسلامية بتعاليمه وآياته.

﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ﴾: وحذفت الواو من قوله تعالىٰ: (ولا تخرجوهن)؛ لأن هذا حكم أو كلام جديد؛ لا الناهية، أي: اتركوهنَّ في بيوتهنَّ التي كنَّ فيها قبل الطلاق ما دُمْنَ في العدة حتىٰ تنقضي العدة، وأضاف البيوت إليهنَّ لبيان استحقاقهنَّ للسكن في مدة العدة. مع أن البيت للرجل.

﴿وَلَا يَخْرُجْنَ﴾: التكرار للتوكيد وتحذير للأزواج والزوجات، لا الناهية، أو النافية، والنون في يخرجن لزيادة التوكيد، أيْ: لا تخرج المرأة المطلقة

في زمن عدتها إلا لضرورة ظاهرة، ولعل في البقاء في البيت يثير أهمية المعاشرة والاهتمام والتفكير بعواقب الأمور؛ ارجع إلى المصادر الفقهية لبيان الشروط.

﴿إِلَّآ﴾: أداة استثناء.

﴿أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾: أن المخففة للتوكيد وتدل على المستقبل، أيْ: لا تخرجوهنَّ من بيوتهنَّ إلا إذا فعلن فاحشة الزّنى عندها يخرجن لإقامة الحد عليهنَّ، وقيل: الفاحشة قد تعني بذاءة اللسان والتكبر على الزوج أو على من تسكن عندهم والنّشوز على الزوج.

﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾: الواو عاطفة، تلك: اسم إشارة واللام للبعد والإشارة إلى حدود الله مثل الطلاق في حالة الطهر وإحصاء العدة وعدم إخراج المطلقة من بيتها تلك أحكام الله تعالى لا يحل لكم أن تتجاوزها أو تتعدوها.

﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾: أيْ: ومن لم يلتزم بما أمر الله سبحانه ونهى عنه، فقد: الفاء للتوكيد، قد للتحقيق، ظلم نفسه: بأن عرضها للعقاب عاجلاً أو آجلاً؛ لأنّه ارتكب إثماً في حق نفسه بالخروج عن حدود الله.

﴿لَا تَدْرِى﴾: لا النافية، للحال والاستقبال تدري: من درى بمعنى علم وهناك فرق بين علم ودرى، فالدّراية تكون بعد جهل والدّراية أخص من العلم والعلم أعم، لا تدري: لا تعلم.

﴿لَعَلَّ﴾: أداة رجاء لشيء محبوب يطمع أو يرجى حدوثه.

﴿ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾: لعل الله إذا بقيت في بيتها أن يؤلف بين قلوبهما فيتراجعا أو يحنَّ كلٌّ للآخر، ويندم بعد الطّلقة أو الطلقتين وتجنب الطلاق للمرة الثالثة.

[٢] ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ

مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَـٰدَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴾:

﴿ فَإِذَا ﴾: الفاء استئنافية، إذا: ظرفية شرطية تفيد الحتمية.

﴿ بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ ﴾: أيْ: قاربن على انقضاء العدة وهي ثلاثة قروء.

(القـــرء في اللغة: يطلق على الحيض وعلـــى الطهر) فمنهم من قال: ثلاثة أطهار أو ثلاثة حيضات.

﴿ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ﴾: فأنتـــم بالخيـــار إن شـــئتم الرجعة فأمســـكوهنَّ بمعـــروف، أيْ: مـــن دون أيِّ قصد أو نية للإضرار بهنَّ، والفاء في فأمســـكوهنَّ جواب الشرط.

﴿ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ﴾: اتركوهـــنَّ حتـــى تنقضي عدتهنَّ، ثـــم فارقوهنَّ بمعروف، الباء للإلصاق والملازمة. أيْ: من دون الإساءة لهنَّ أو القذف والسب أو الإيذاء بكل أشكاله.

﴿ وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾: وأشهدوا على الطلاق أو المراجعة بُعداً عن الريبة وتجنباً للخصومة والأمر للندب، أي: افعلوا ذلك، أيْ: أشهدوا ذوي عدل: أي: شـــاهدين اثنين من ذوي العدل والأمانة، منكم: من المســـلمين ولا يجوز شهادة الكفار.

﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَـٰدَةَ لِلَّهِ ﴾: أيْ: أتموا الشهادة لوجه الله تعالى وليس لمنفعة دنيويـــة أو غرض ما أو مصلحة، أيْ: أدوا الشـــهادة بالصدق والعدل ولو كان ذا قربى.

﴿ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ ﴾: ذلكـــم ولم يقل ذلك: اســـتعمل ذلكم ؛لأن الأمر يشمل عدة أحكام وكونها أحكاماً مهمة وللحثِّ على إقامة الشهادة.

﴿مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾: من استغراقية، يؤمن بالله واليوم الآخر: أيْ: يؤمن: يصدق ويعتقد اعتقاداً جازماً بأن الله خالق كل شيء ومليكه، وإنه المستحق للعبادة وحده ولا شريك له، وكذلك يصدق باليوم الآخر بلا ريبة أو تردُّد.

ولم يذكر كلمة منكم؛ لأن الخطاب إلىٰ النبي وأمته، فلا حاجة إلىٰ ذكر كلمة منكم، كما هي الحال في سورة البقرة الآية (٢٣٢) ارجع إليها للبيان.

﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾: من: شرطية، يتق الله: يطع أوامر الله في الطلاق والعدة والرجعة ولا يخالف أحكامه وسنة رسوله، يجعل له: له اللام لام الاختصاص، مخرجاً: أي فرجاً من الضيق والكرب الذي وقع فيه. ومخرجاً من الحرام إلىٰ الحلال ومن الفقر إلىٰ الغنىٰ ومن الذل إلىٰ العزة ومن المرض إلىٰ العافية، ومن اليأس إلىٰ الأمل وغيرها.

وسر ذكر التقوىٰ في سياق آيات الطلاق أن التقوىٰ تحث علىٰ الصبر، ولو اتقىٰ الإنسان وصبر في هذه الظروف العصيبة، ولم يستعجل لعل الله تعالىٰ يهديه إلىٰ مخرج من هذه الأزمة، والناس في هذه الأيام أنهم يريدون المخرج أولاً، ثم التقوىٰ أو الصبر ثانياً بعكس ما أمر الله.

[٣] ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾:

هذه الآية تتمة للآية السابقة، أيْ: ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب، فالتقوىٰ والصبر: أيْ: إطاعة أوامر الله تعالىٰ ورسوله صلىٰ الله عليه وسلم وتطبيق أحكامه وعدم مخالفة شرعه في الطلاق والعدة

والرجعة وغيرها، والصبر يهدي إلىٰ الفرج والخروج من الضيق، ويؤدِّي إلىٰ الرزق، أي: يهيئ إلىٰ أسباب الرزق.

﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾: لا يحتسب من الحساب، أيْ: لا يدخل ذلك في تقديره وحسابه ذلك المصدر للرزق أو يهيئ له من أسباب الرزق؛ مما لا يخطر علىٰ باله، وهناك رزق منظور ورزق خفي كأن يدفع عنه ضراً كان سيقع، ويؤدي إلىٰ خسارة المال الكثير.

أيْ: من يطع الله ويؤدِّي ما عليه من حقوق الطلاق أو المهر أو العقد الجديد، ويدفع المهر المتأخر ويؤدِّي الحقوق والنفعات، فالله سبحانه سيرزقه ويعوض كل ما خسره.

﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾: ومن: شرطية، يتوكل علىٰ الله: أيْ: يقدِّم الأسباب المطلوبة منه، ثم يفوِّض أمره إلىٰ الله ويطلب منه العون فهو سبحانه كافيه؛ ارجع إلىٰ سورة الأعراف آية (٨٩) لمزيد من البيان في معنىٰ التوكل.

﴿فَهُوَ حَسْبُهُ﴾: الفاء رابطة لجواب الشرط، هو للتوكيد، حسبه: كافية ولا يحتاج إلىٰ أحد غير الله تعالىٰ.

﴿إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾: إن للتوكيد، بالغ أمره: لا يعجزه ولا يفوته أيُّ شيء أو أمر، وإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له: كن، فيكون.

﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾: قد للتحقيق، قدراً: زمناً أو توقيتاً أو ميقاتاً وحجماً ووزناً، جعل لكل شيء قدراً: أجلاً ومنتهىٰ بما فيها الشدة والكرب والرخاء والشقاء والمرض والألم والحزن والفقر والغنىٰ والصحة، وتقديم الجار والمجرور (لكل) يفيد الاختصاص، أيْ: لكل شيء، سواء أكان حسياً أم معنوياً.

[٤] ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾:

**سبب النزول:** بعد نزول آيات سورة البقرة في الطلاق سأل بعض الناس رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ما عدة التي لم تحض وعدة التي كبر سنها، وانقطع حيضها وعدة الحامل، فنزلت هذه الآية.

﴿وَٱلَّٰٓـِٔي﴾: ارجع إلىٰ سورة المجادلة الآية (٢) لبيان معنىٰ اللائي ولم يقل اللاتي.

﴿يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ﴾: لكبر السّن أو انقطع رجاؤهنَّ من الحمل، والميئوس منه في هذه الآية هو الحيض، من نسائكم: أيْ: أزواجكم.

﴿إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾: أهو دم الحيض أو دم لا علاقة له بالحيض، إن: شرطية، ارتبتم: من الرّيب وهو الشّك والتّهمة معاً. أو ارتبتم في مدة العدة ثلاثة أشهر.

﴿وَٱلَّٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ﴾: لصغرهنَّ، أي: اللاتي لم يبلغن سن الحيض عدتهنَّ ثلاثة أشهر.

﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ﴾: أشهر: جمع قلة (أقل من ١٠ يعتبر جمع قلة)، وأما شهور جمع كثرة (أكثر من ١٠)، وكان يكفي شهراً واحداً، ولكنه سبحانه لنفي الريب والشك جعلهن ثلاثة أشهر.

﴿وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾: أي: النّساء الحوامل سواء كنَّ مطلقات أو متوفًىٰ عنهنَّ أزواجهنَّ أجلهنَّ، أن: للتعليل، يضعن حملهنَّ، أي: متىٰ ولدت ما في بطنها فقط انقضت عدتها، ولو وضعته قبل تسعة أشهر، أو إذا أسقطت الحمل ولو كانت مضغة تعني: وضعن حملهنَّ، ويحق لها الزّواج بعدها.

﴿وَمَن﴾: شرطية.

﴿يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾: ومن يطع أوامر الله، ويتجنَّب نواهيه في هذه الأحكام المتعلِّقة بالحمل.

﴿يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾: يسهل عليه ويُيسر عليه أمره في الدّنيا والآخرة إذا حافظ على ما وصَّى به الله من السّكن والنّفقة وعدم التّعدي على الزّوجة وحقوقها.

ما هو الفرق بين أولات الأحمال في هذه الآية (٤)، وقوله: وإن كنَّ أولات حمل في الآية (٦).

١ - أولات الأحمال في الآية (٤) جمع كثرة بينما أولات حمل في الآية (٦) جمع قلة أو أولات الأحمال في الآية (٤) أكثر عدداً بالنسبة للأولات حمل آية (٦).

٢ - أولات الأحمال عامة وأشمل، وتشمل أولات حمل.

٣ - أولات الأحمال لا تختلف واحدة عن أخرى الكل يسري عليهنَّ حكم واحد.

بينما أولات حمل الحكم يختلف فيهنَّ بالنسبة للإنفاق حسب سعة الزوج.

ومن حيث الإرضاع ففيها أكثر من حكم؛ بينما آية (٤) حكم واحد يسري على الجميع.

[٥] ﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾:

﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ﴾: المذكور من جميع الأحكام المتقدِّمة في

الطّلاق والعدة والرّجعة وأحكام الإنفاق والسّكن وغيرها، هو أمر الله الذي أمر به عباده، أيْ: أمركم الله به في القرآن.

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾: أيْ: ومن يطع أوامر الله تعالىٰ ويتجنَّب نواهيه.

﴿يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ﴾: يستر عليه سيئاته ولا يعاقبه أو يؤاخذه عليها.

﴿وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾: يضاعف له حسناته في الآخرة، أيْ: ثوابه. ويدخله فسيح جناته، وإذا قارنا آيات ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ في هذه السورة: نجدها ثلاثة آيات وعد الله سبحانه عباده في كل آية نوعاً من العون أو التيسير ويختلف عن الآخر؛ ففي الأولىٰ: وعد الله تعالىٰ من يتق الله يجعل مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب (في الدنيا)، وفي الثانية: وعد الله تعالىٰ من يتق الله يجعل من أمره يُسرا (في الدنيا)، وفي الثالثة: وعد الله تعالىٰ من يتق الله بأن يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً وهذا هو أفضل الجزاء في لأخرة.

❖ ❖ ❖

أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟
عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ
فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن
تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ
وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا
إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ
عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا
عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾
أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ
قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ
لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ
وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا
ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ
سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ۖ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ
ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾

## سورة الطلاق [الآيات ٦ - ١٢]

[٦] ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ﴾:

﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم﴾: أسكنوا المطلقات من نسائكم المعتدات، من حيث: من للتبعيض، أيْ: بعض سكنكم.

﴿مِّن وُجْدِكُمْ﴾: الوُجْد السعة والقدرة، أيْ: أسكنوهنَّ مكاناً من مسكنكم مما تجدونه في وسعكم مما تطيقونه، أيْ: حسب القدرة وحسب وسعكم وطاقتكم.

﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ﴾: الواو استئنافية، لا النّاهية، تضاروهنَّ: من الضّرر، أيْ: في النّفقة والسّكن.

﴿لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ﴾: حتىٰ تضطروهنَّ إلىٰ الخروج من مساكنهنَّ، واللام لام التّعليل.

﴿وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ﴾: حتّىٰ: حرف نهاية الغاية. ارجع إلىٰ الآية (٤) السابقة لمعرفة معنىٰ أولات حمل والمقارنة.

﴿يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾: فيخرجن من عدتهنَّ. ارجع إلىٰ الآية (٤) السّابقة للمقارنة.

﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾: بعد الطّلاق أو انتهاء رابطة الزّواج فآتوهنَّ أجورهنَّ علىٰ الإرضاع.

﴿وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ﴾: الخطاب للزوجين المطلقين بأن لا يبخل بإعطائها ما تستحق من الأجر علىٰ الإرضاع، وهي لا تطلب مبلغاً لا يستطيع تحمله

فعليهما أن يتشاورا على أجرة الإرضاع بمعروف، وأْتمروا: من الأمر، أيْ: ليأمر بعضكم بعضاً والخطاب للآباء والأمهات، بمعروف: بالمسامحة والإشفاق على الولد والاهتمام به وعدم جعله سلعة كلٌّ يطمع في الآخر.

﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ﴾: إن شرطية تفيد الاحتمال، وإن لم يتفقا على الأجرة أو يصلا إلى نتيجة ترضي الطّرفان.

﴿فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ﴾: فليسترضع الوالد غير والدة المولود، أي: امرأة أخرى، الفاء جواب الشّرط، ولا تكره الأم على الإرضاع.

[٧] ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾:

﴿لِيُنفِقْ﴾: اللام لام التّعليل والتّوكيد.

﴿ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾: ذو: صاحب أو أهل السّعة، أي: الغني والموسر من سعته. من ماله وغناه.

﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ﴾: أيْ: ضيَّق عليه رزقه، أيْ: كان فقيراً فلينفق على قدر استطاعته، ومما آتاه الله تعالى.

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا﴾: إلا أداة حصر.

﴿مَآ﴾: اسم موصول بمعنى الّذي.

﴿ءَاتَىٰهَا﴾: أعطاها من رزق، أي: على قدر استطاعتها.

﴿سَيَجْعَلُ﴾: السّين للاستقبال القريب، أيْ: عن قريب.

﴿ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾: بعد الضيق والشّدة فرجاً وسعة في الرّزق، أو يفتح لهم أبواب الرّزق، للزوج والزوجة. وإذا قارنا قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾ مع قوله تعالى في الآية (٢٨٦) في سورة البقرة وهي قوله تعالى: ﴿لَا

﴿يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾: نجد أن آية ما أتاها تعني: من المال أو الرزق، وأما وسعها في آية البقرة تعني: من التكاليف الشرعية.

[٨] ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا﴾:

﴿وَكَأَيِّن﴾: مركبة من كاف التّشبيه وأيٍّ الاستفهامية المنونة، فصارت كلمة واحدة بمعنىٰ كم الخبرية المفيدة للتكثير، أيْ: كثيراً من القرىٰ عتت عن أمر ربها.

﴿مِّن قَرْيَةٍ﴾: من ابتدائية، القرية: المراد بها أهل القرية والقرية إذا اتسعت تصبح مدينة.

﴿عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ﴾: عصت وطغت وفسدت، وقيل: كفرت وأعرضت عن أمر ربها، أو كفرت به، والعتو يعني: التّجبر والفساد والتّكبر أيْ: لم تذعن وتطع أوامر ربها ورسله.

﴿فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا﴾: الفاء السّببية، حاسبناها: جاء بصيغة الماضي بدلاً من المستقبل للدلالة كأنّ الأمر تحقق وانتهىٰ، أي: الحساب ولا ننسىٰ أنّ الزّمن متساو وواحد عند الله تعالىٰ، سواء كان في الماضي أو الحاضر أو المستقبل؛ لأنه سبحانه خالق الزمان والمكان.

حاسبناها: جازيناها جزاء شديداً.

﴿وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا﴾: نُكراً: ينكره المرء من هوله وشدته ولا يصدقه العقل في الدّنيا بالجوع والفقر والمرض والقحط والخوف والرّعب والهزيمة أو في الآخرة بعذاب السّعير.

[٩] ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾:

﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾: الفاء للتوكيد، ذاقت وبال أمرها: بسبب العتو عن

أمر ربها، وبال أمرها: ذاقت سوء عاقبة كفرها وعتوها، وشبه ذلك بذوق الوبال: مشتق من البول. ارجع إلى سورة الحشر الآية (١٥) للبيان.

﴿وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾: قاعدة في القرآن إذا ذكر العاقبة كما في هذه الآية فإنّ العاقبة تعني: العذاب والهلاك، وإذا أنث العاقبة فقال: فكانت عاقبة أمرها تعني: الجنة والحسنى، أيْ: كان عاقبة أمرها في الدّنيا والآخرة الخسر، أي: الهلاك والدّمار والخسر والخسارة تدل على لا ربح أصلاً وخسارة رأس المال أيضاً.

[١٠] ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾:

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾: تعود على أهل القرية الّذين عتوا عن أمر ربهم ورسله، بالكفر والشّرك والفساد والظّلم وتكرار الوعيد يفيد التّوكيد، أعدّ الله: هيأ لهم: خاصة، عذاباً شديداً: عذاب يوم القيامة أو عذاب النار.

﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: الفاء للتوكيد أو جواب شرط مقدَّر إن أعد الله العذاب لهؤلاء، أما أنتم فاتقوا الله: أطيعوا أوامره وتجنبوا نواهيه ولا تكونوا أمثالهم، يا أولي الألباب: يا أصحاب العقول النّيرة وفيها حثٌّ على الإيمان والتّقوى والتّحذير من الوقوع في المعاصي.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: بدل من أولي الألباب أو عطف بيان على أولي الألباب.

﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق وتوكيد.

﴿أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾: أنزل جملة واحدة أو دفعة واحدة إليكم، ولم يقل: عليكم. ارجع إلى سورة البقرة الآية (٤) للبيان، إليكم: خاصة، ذكراً: أي: القرآن الحكيم.

[١١] ﴿رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ

إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴾:

﴿ رَّسُولًا ﴾: منصوب، وتقديره: قد أنزل الله إليكم ذكراً، وأرسل رسولاً يتلو عليكم آيات الله مبينات.

﴿يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾: أيْ: آيات القرآن. والتلاوة تعني: آية تلو آية ولا تكون إلا من كتاب الله.

﴿مُبَيِّنَٰتٍ﴾: موضحات للأحكام والشّرائع أو مبينات للناس ما نُزل إليهم من ربهم.

ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات: اللام لام التعليل.

من الظلمات إلىٰ النور: أيْ: من ظلمات الكفر والشرك والجهل والفساد إلىٰ النور نور الإسلام والقرآن والتوحيد والعمل الصالح. (الظلمات متعددة بصيغة الجمع والنور واحد بصيغة المفرد).

﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾: من شرطية.

﴿يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٩) من سورة التغابن للبيان، وهناك اختلاف بين الآيتين ففي آية الطلاق آية (١١) لم يذكر يكفر عن سيئاته، أما في آية التغابن آية (٩) ذكر تعالىٰ يكفر عنه سيئاته، وقد يعود ذلك إلىٰ أنه في سورة الطلاق قد ذكر الله يكفر عنه سيئاته في الآية (٥) فيكفي ذلك ولا داعي إلىٰ التكرار، أو قد يرجع إلىٰ أنه في سورة التغابن تقدم ذكر الذين كفروا والكافر إذا أمن هو بحاجة إلىٰ أن يكفر عن سيئاته، وأما في آية الطلاق فلم يرد ذكر الذين كفروا في السياق.

﴿يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾: أي: تنبع من تحتها الأنهار.

﴿خَٰلِدِينَ﴾: الخلود يبدأ من زمن الدخول ولا نهاية له، وخالدين بصيغة

الجمع وليس الإفراد؛ لأن الإفراد نوع من أنواع العزلة، والعزلة تعد من أنواع العذاب، ولذلك تأتي دائماً خالدين فيها (بالجمع).

﴿أَبَدًا﴾: للتوكيد.

﴿قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا﴾: قد حرف تحقيق وتوكيد.

﴿أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ﴾: أحسن: أبلغ من أعدَّ أو هيَّأ الإحسان لا يكون إلا بعد الإعداد، وفي سورة التغابن قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

﴿لَهُۥ﴾: اللام لام الاستحقاق.

﴿رِزْقًا﴾: وهو رزق الجنة: الذي لا ينفد ولا ينقطع ولا ينقص، وهذا وعد الله سبحانه للمؤمن إن الله لا يخلفُ الميعاد، وفي سورة التغابن وصف هذا الرزق الحسن بقوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

[١٢] ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾:

﴿ٱللَّهُ﴾: ارجع إلىٰ سورة التغابن آية (١٣) للبيان، وتقديم الله تفيد الحصر والقصر.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ﴾: اسم موصول يفيد التعظيم ﴿خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ ارجع إلىٰ سورة الأنبياء آية (٣٠) وسورة الأعراف آية (٥٤) وفصلت آية (١٠-١١) للبيان.

﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾: أيْ: وخلق سبع أرضين، وقيل: سبع أرضين، أيْ: سبع طبقات.

١ - الطبقة المركزية: (اللب) مكون من الحديد الجامد ومعدن النيكل الجامد.

٢ - الطبقة خارج المركزية: مكونة من الحديد السائل والنيكل السائل.

٣ - ثلاثة أوشحة السفلي والمتوسط والعلوي.

٤ - الصفيحة القارية تحت البحار.

٥ - القشرة الأرضية.

وهذا هو أرجح التفاسير العلمية، وهناك من قال: سبع أرضين، أيْ: سبع بيئات مختلفة على سطح الأرض تختلف كل بيئة عن غيرها بالرطوبة والنباتات والمعادن، وغيرها، وهناك من قال مثلهن ليس المقصود به العدد، وإنما أمور أخرى في مراحل الخلق والتسخير والإعداد.

﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾: أيْ: ينفذ قضاؤه وحكمه سبحانه فيهنَّ، أو يتنزل الوحي أو الأمر بين السّموات والأرض، والأمر هو أمر الله تعالى من وحي أو أمر أو نهي أو ما يدبِّره الله من شأن وموت وحياة وعطاء ومنع.

﴿لِتَعْلَمُوٓاْ﴾: اللام لام التعليل والتّوكيد.

﴿أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: أنّ: لزيادة التّوكيد، على كلّ شيء قدير: ارجع إلى سورة البقرة الآية (٢٠) للبيان.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾: وأنّ الله: للتوكيد، قد: لزيادة التّوكيد، أحاط بكلّ شيء علماً: أيْ: وسع كلّ شيء علماً، بكلّ: الباء للتوكيد، كلّ لزيادة التّوكيد، علماً: يتناول الموجود والمعدوم.

وختمت هذه السورة بقوله تعالى: ﴿لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ لأنّ كثيراً من آيات هذه السّورة مرتبطة بعلم الله تعالى وقدرته فجاءت الخاتمة لتؤكد على ذلك.

❖ ❖ ❖

## سُورَةُ التَّحْرِيمِ

مدنية ٦٦ | آياتها ١٢

ثلاثة أرباع الحزب ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ ۚ وَاللَّهُ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ ۚ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ ۖ
وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا
فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ ۖ
فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ
﴿٣﴾ إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ
فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ
بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا
خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ
ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ
نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ
لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾

## سورة التحريم [الآيات ١ - ٧]

ترتيبها في القرآن (٦٦) ترتيبها في النزول (١٠٧).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾:

**أسباب النزول**: أخرج البخاري ومسلم في الصحيحين عن عائشة أنها قالت: (كان رسول الله ﷺ يحب الحَلْواء والعسل، وكان إذا انصرف من العصر دخل على نسائه، يمكث عند زينب بنت جحش، فيشرب عندها عسلاً، فتواطأتُ أنا؛ أي: عائشة وحفصة أنّ أيّتنا دخل النبي ﷺ عليها، فلتقل له: إني أجد منك ريح مَغَافير؛ أي: تزعم أنها تشم منه رائحة كريهة؛ فدخل على حفصة فقالت ذلك له فحرم رسول الله ﷺ فقال لها بل شربت عسلاً عند زينب بنت جحش، ولن أعود إليه، وسألها أن لا تخبر بذلك أحداً).

والمغافير: نبات كريه الرائحة، أي صمغ حلو له رائحة كريهة من شجر العُرْفُط في الحجاز.

وأما ما ذكرته كتب التفسير في قصة مارية القبطية: كان رسول الله ﷺ يقسم بين نسائه، فلما كان يوم حفصة استأذنت رسول الله ﷺ في زيارة أبيها فأذن لها، فلما خرجت أرسل رسول الله ﷺ إلى مارية القبطية فأدخلها بيت حفصة فوقع عليها، فلما رجعت حفصة وجدت الباب مغلقاً فجلست عند الباب، فخرج رسول الله ﷺ ووجهه يقطر عرقاً، وبكت حفصة وسألها: ما يبكيك؟ فقالت: إنما أذنت لي من أجل هذا، أدخلت أمتك بيتي ثم وقعت عليها

في يومي وعلىٰ فراشـي، أما رأيت لي حرمة حقـاً! فطلب منها أن لا تخبر أحداً بهذا وقال: هي عليَّ حرام، فلما ذهب رسول الله من عند حفصة أخبرت حفصة عائشـة بأن رسول الله ﷺ حرّم مارية القبطية. وهذه رواية عطية العوفي عن ابن عباس، وهي رواية ضعيفة السند. والعبرة بعموم اللفظ وليس بخصوص السبب.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾: نداء تشريف إلىٰ النبي ﷺ، فيه أداة النداء الياء والهاء للتنبيه. ولمعرفة متىٰ ينادىٰ يأيها النبي، أو يأيها الرسول، والفرق بينهما ومتىٰ يذكر اسمه الشريف محمد بدون يا أيها؛ ارجع إلىٰ سورة المائدة آية (٤١)، وسورة الأحزاب آية (١) للبيان المفصل.

لِمَ: اللام حرف جر، ما: الاسـتفهامية حذفـت ألفها؛ لدخول حرف الجر عليها.

﴿تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾: سـواء كان العسـل أو مارية القبطية، لـمَ تحرّم ما أحلّ الله لك من الحلال أو الطيبات.

﴿تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ﴾: الابتغـاء هو الاجتهـاد في الطلـب؛ أي: تقصد أو تطلـب بذلك التحريـم مرضات أزواجـك. وماذا قال النبـي ﷺ في لفظ التحريم؟ الله سبحانه أعلم به، والفرق بين رضوان الله ومرضات الله تعالىٰ أن رضـوان الله؛ أي: أعظم الهنا، وأعظم من مرضات، والرضوان خاص به تعالىٰ، وأكبر من الجنة، والمرضات عامة، قد تأتي في سـياق الله سبحانه وسياق غيره كما في هذه الآية.

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: غفـور صيغة مبالغة من غفـر، غفور لمن تاب وأصلح وأناب إلىٰ الله، غفور لما حدث منك من تحريم الطيبات أو الحلال علىٰ نفسك.

﴿رَّحِيمٌ﴾: صيغة مبالغـة من رحم، رحيم بعباده المؤمنين، يرشـدهم إلىٰ طريق الصواب.

ورحيم صفة ثابتة له؛ أي: دائم الرحمة.

[٢] ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ ۚ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق وتوكيد.

﴿فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ﴾: أي قد شرع الله لكم ما تتحللون به من إيمانكم، وذلك بالكفارة (كفارة اليمين)، ارجع إلىٰ سورة المائدة آية (٨٩). ﴿فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾.

﴿وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ﴾: والله متولي أموركم ومدبرها ومصرّفها كيف يشاء وناصركم.

﴿وَهُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: بما تقولون وتفعلون وبما يصلحكم. صيغة مبالغة؛ أي: كثير العلم لا تخفىٰ عليه خافية في السماء ولا في الأرض.

﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: في أحكامه وشرعه، فهو أحكم الحكماء وأحكم الحاكمين. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (١٢٩) لمزيد من البيان.

[٣] ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾:

﴿وَإِذْ﴾: أي واذكر إذ أسرَّ النبي، أو: واذكر حين أسرَّ النبي إلىٰ بعض؛ البعض في اللغة: قد تعني الواحدة، أو الواحد، وقد تعني الجماعة كقوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [ص:٢٤]، أزواجه حديثاً (أي حفصة بنت عمر رضي الله عنها).

﴿حَدِيثًا﴾: حديث تحريم العسل على نفسه، وطلب منها أن لا تخبر بذلك السر إلى أحد.

﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ﴾: (أي لم تستجب حفصة لطلب الرسول ﷺ بعدم إفشاء السر، وأخبرت عائشة رضي الله عنها بذلك)، ولكن هذا الإفشاء أو إخبار حفصة لعائشة كان بعد تردد وتريث وزمن طويل، ولو قال فلما أنبات به لكان يعني بدون تردد وبسرعة.

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء للترتيب والمباشرة، لما: ظرف للزمان بمعنى حين نبّأت: حفصة عائشة؛ أي: أخبرتها الخبر.

﴿وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾: أي أخبر أو أطلع الله تعالى نبيه ﷺ أن حفصة أخبرت عائشة بما حدث، فغضب رسول الله ودعا حفصة للحضور.

﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ﴾: أي ذكر بعضه لحفصة وأعرض عن ذكر البعض الآخر لها.

﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ﴾: أخبرها أن الله أطلعه عما قالت لعائشة (وإفشائها السر)، وأعرض عن بعض: عن ذكر تحريم العسل.

وهناك من المفسرين من قال في تفسير أعرض عن بعض: يعني خلافة أبي بكر أو خلافة أبي بكر وعمر من بعد رسول الله، وفيها ضعف والله أعلم.

﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ﴾: أي أخبر رسول الله ﷺ عائشة الخبر؛ أي: قال رسول الله ﷺ لحفصة: أنت أفشيتِ السر إلى عائشة، فقالت حفصة:

﴿قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا﴾: أي من أخبرك بهذا الخبر؟ أي: النبأ حيث ظنت حفصة أن عائشة أخبرت رسول الله ﷺ.

قال ﷺ: ﴿نَبَّأَنِىَ﴾: بالتوكيد: العليم الخبير.

الفرق بين نبّأني وأنبأني، أنبأني المنبئ هنا يعني بشـــراً، بينما: نبّأني المنبيء هنا هو الله العليم الخبير. قال: نبّأني (مـــن فعل نبأ): أبلغ تنبيئاً وآكد من أنبأني. وأنبأك أو أنبأني من أنبـــأ، وأنبأ: فيها معنىٰ في وقت قصير، ونبّأ: فيها معنىٰ وقت أطول مقارنة بـ(أنبأ).

﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: بكل الأقوال والأفعال والســـر والعلن والنوايا وذات الصدور، لا يخفىٰ عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

﴿ٱلْخَبِيرُ﴾: ببواطن الأمور ومخفيّات الأمور والسر والنجوىٰ.

ثم خاطب حفصة وعائشة:

[٤] ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾:

﴿إِن﴾: شـــرطية تفيد الاحتمال أو القلة، والجواب محذوف تقديره: كان خيراً لكما.

﴿تَتُوبَآ﴾: الخطـــاب إلىٰ عائشـــة وحفصـــة: تتوبا من التعـــاون علىٰ إيذاء رسول الله ﷺ بالقول والفعل. والقائل: إن تتوبا؛ هو الله سبحانه وتعالىٰ.

وشروط قبول التوبة: التوبة تكون بالعودة إلىٰ الله، والإنابة إليه، والإقلاع عن الذنب. ارجع إلىٰ سورة النساء آية (١٨) لمزيد من البيان في معنىٰ التوبة.

﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾: فقد: الفاء للتوكيد، قـــد للتحقيق، صغت قلوبكما: زاغت قلوبكما عن الإخلاص لله ولرســـوله وانحرفت أو مالت (من الميل) عن الحق.

ولم يقل قلباكما بالتثنيـــة؛ لأن كل قلبين جماعة؛ لأن كل اثنين فما فوقهما جماعة كما قال تعالـــىٰ: ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ﴾ [النساء:١١]، وكما قال تعالىٰ:

﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة:٣٨] (جمع يد) بدلاً من يديهما (مثنى)، ولا ننسى القاعدة النحوية إذا أضيف المثنى إلى متضمنه فالأفصح جمع المضاف.

﴿وَإِن﴾: شرطية تفيد الاحتمال والندرة.

﴿تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ﴾: الخطاب لحفصة وعائشة؛ أي: تتعاونا على إيذاء النبي ﷺ أو فعل ما يسوء إليه، وحذفت إحدى التاءين؛ أي: تتظاهرا عليه؛ أي: ولو بأقل أو أخف التظاهر أو التعاون.

﴿فَإِنَّ﴾: الفاء رابطة لجواب الشرط، إن: للتوكيد.

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل لزيادة التوكيد.

﴿ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ﴾: مولاه: أي وليّه ومعينه ومساعده.

﴿وَجِبْرِيلُ﴾: عليه السلام.

﴿وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: أمثال أبي بكر وعمر وغيرهما من الصحابة، وقيل: تشمل كل من آمن وعمل صالحاً.

حذف الواو ولم يقل وصالحوا المؤمنين، صالحوا المؤمنين: تعني فقط الجمع ولا تشمل الإفراد والتثنية.

أما: صالح المؤمنين: تعني الواحد والاثنين والجمع وأكثر (عامة). أو يعني واحداً أريد به الجمع؛ لأن الصالح يمثل الجمع، والجمع يمثل الواحد، وهناك من قال أنها ترجع إلى رسم المصحف.

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾: أي أعوان لرسول الله ﷺ، وظهير بالإفراد والجمع: ظهراء؛ أي: كل واحد ليشمل الكل؛ لأن ما كان على وزن فعيل يستوي فيه الواحد والجمع.

ودخل عمر بن الخطاب رضي الله عنه على ابنته حفصة بعد أن سمع ما حدث وأن رسول الله ﷺ حرّم ما حرّم، فقال عمر: والله لتنتهي أو ليبدلنّه الله أزواجاً خيراً منكن، فنزلت هذه الآية. كما أخرج البخاري عن أنس رضي الله عنه.

[٥] ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾:

﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ﴾: عسى عادة من أفعال الرجاء المتوقّع حصولها في المستقبل إلا هذه الآية هي الواحدة التي لم تتحقق، واستعملت عسى للتهديد فقط وليس للرجاء.

﴿إِن﴾: شرطية تفيد الاحتمال أو الشك.

﴿طَلَّقَكُنَّ﴾: الخطاب إلى نساء النّبي.

﴿أَن﴾: أن للدلالة على الاستقبال.

﴿يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾: خيراً؛ أي: أفضل منكن. ارجع إلى سورة الأحزاب آية (٥٢) لمزيد من البيان.

﴿مُسْلِمَٰتٍ﴾: مقيمات للصلاة والزكاة والصيام والحج واليوم الآخر.

﴿مُّؤْمِنَٰتٍ﴾: مصدّقات بالتوحيد والإيمان والإخلاص لله وحده.

﴿قَٰنِتَٰتٍ﴾: طائعات خاضعات لله تعالى.

﴿تَٰٓئِبَٰتٍ﴾: كثيرات التوبة.

﴿عَٰبِدَٰتٍ﴾: كثيرات العبادة.

﴿سَٰٓئِحَٰتٍ﴾: مهاجرات، أو الصائمات، والسائح: الذي لا يصحب معه طعاماً.

﴿ثَيِّبَٰتٍ﴾: من ثاب؛ أي: رجع، وسميت الثّيِّب ثيِّباً؛ لأنها ترجع إلى بيت أبيها بعد طلاقها من زوجها وأصبحت بغير زوج.

﴿وَأَبْكَارًا﴾: عذارى. الواو: واو العطف، وعطف «أبكاراً» على «ثيّبات»؛ لأن المرأة إما أن تكون ثيّباً أو بكراً، أو لأن الواو واو الفصل لكون الثيبات تختلف عن الأبكار، أو واو الاهتمام؛ لأن الأبكار أحب من الثيبات.

[٦] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾:

نداء جديد للذين آمنوا بتكليف جديد أو أمر جديد هو:

﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾: اجعلوا بينكم وبين النار وقاية وحاجزاً أو مانعاً، وذلك بامتثال أوامر الله تعالى وتجنُّب نواهيه وترك المعاصي.

﴿وَأَهۡلِيكُمۡ﴾: أي وأمروا أهليكم بطاعة الله وتجنُّب نواهيه ومعاصيه أيضاً بالنصح والتأديب، وعلِّموهم دينهم الحق.

﴿نَارٗا﴾: جاءت بصيغة النكرة؛ للتهويل والتعظيم.

﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾: الوقود ما توقد به كي تشتعل، وقودها: الناس الكَفَرة الذين ماتوا وهم كفارٌ، والحجارة: الأصنام التي عبدوها واتخذوها آلهة كقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ [الأنبياء:٩٨].

﴿عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ﴾: غلاظ ليس عندهم رحمة أو رأفة أو شفقة يضربون بالمقامع من الحديد، شداد: أقوياء الأبدان يقال لهم: الزبانية. شداد

جمع شديد من ناحية القوة المادية، ويعني: الناحية الجسمية، بينما أشداء تعني: جمع شديد من الناحية المعنوية العاطفية، كما قال تعالىٰ: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح:٢٩].

﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ﴾: لا: النافية؛ أي: يؤدّون أوامر الله ويلتزمون بها، ولا يعصون بصيغة المضارع؛ لتدل علىٰ التجدد والتكرار والدوام.

﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾: يؤدون ما يؤمرون به (تعني التنفيذ).

[٧] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾:

نـــداء للذين كفروا، والهاء للتنبيه، ينادىٰ عليهم يوم القيامة أو عند دخولهم النار.

﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟﴾: أي لا عذر لكـــم أو لا ينفعكم أيُّ اعتذار أو توبة اليوم، مما يبعث اليأس في نفوسهم.

﴿ٱلْيَوْمَ﴾: يوم القيامة.

﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ﴾: إنما كافة مكفوفة تفيد التوكيد، تجزون: من الجزاء، والجزاء من جنس العمل.

﴿مَا كُنتُمْ﴾: ما: الذي كنتم في الدنيا.

﴿تَعْمَلُونَ﴾: العمل يضم القول والفعل؛ أي: ما كنتم تقولون وتفعلون.

❖ ❖ ❖

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ
أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي
مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ
أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٨﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ
وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٩﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا
لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ
عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا
مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾
وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ
قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ
وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ
عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا
وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾

## سورة التحريم [الآيات ٨ - ١٢]

[٨] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾:

نداء جديد للذين آمنوا بتكليف أو أمر جديد هو التوبة النَّصوح، التوبة الصادقة الخالصة لوجه الله لها شروط منها:

الندم على الذنب أو المعصية، وعدم الرجوع إليه (الإقلاع عن الذنب)، والإكثار من الطاعة والنوافل، وردُّ المظالم إلى أهلها.

﴿نَّصُوحًا﴾: صيغة مبالغة من: نصح.

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ﴾: عسى من أفعال الرجاء التي يتحقق حدوثها.

﴿أَن﴾ حرف مصدري يفيد التعليل والتوكيد.

﴿يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ﴾ التكفير يعني: السَّتر والمحو ورفع العقاب، و«السّيئات» قيل: الصّغائر.

﴿وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾: أي تنبع من تحتها الأنهار.

﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾: يوم ظرف زماني، لا يخزي: لا يفضح الله المؤمنين أمام الكفار. يوم: نكرة؛ ليدل على التعظيم.

﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾: يوم القيامة نورهم نور الإيمان والوضوء، يسعى: يسير أمامهم وعلى أيمانهم وهم على الصراط أو في أرض المحشر.

ارجع إلى سورة الحديد آية (١٢) لمزيد من البيان.

﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾: أي أبقِه لنا، فلا ينطفئ حتى يتجاوزوا الصراط وينجوا من السقوط في جهنم، أو يقولون ذلك تقرُّباً إلى الله، أو يقولون: أتمم علينا نورنا تفضلاً منك؛ لأن النور على قدر الأعمال، أو أكثِر لنا من النور.

﴿وَاغْفِرْ لَنَا﴾: ما قدمنا من الذنوب والكبائر.

﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: دعاء توسُّل بقدرة: القوي العزيز الذي لا يعجزه شيء. ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٠).

[٩] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾:

نداء تشريف إلى النبي، والهاء للتنبيه.

﴿جَاهِدِ الْكُفَّارَ﴾: جاهد بالقول والحجة والقوة والبرهان وأيِّ وسيلة أخرى.

الكفار: جمع كافر، والكفار صيغة مبالغة ولم يقل الكافرين، الكفار جمع تكسير، فهي تدل على أن الكفار أكثر عدداً من الكافرين، وكلمة الكفار تشير إلى عقيدة الكفر (الحدث)، والكافرين تشير إلى فعل الكفر أو عمل الكفر.

﴿وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾: جمع منافق: وهو الذي يظهر الإيمان والإسلام ويبطِن الكفر. ارجع إلىٰ سورة المنافقون آية (١) لمزيد من البيان.

﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾: الغلظة الشدة بالإنذار وخشونة الجانب، وعدم المعاملة باللين والرأفة.

﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾: المأوىٰ مكان الإقامة والاستقرار في الآخرة، والضمير يعود علىٰ الكفار والمنافقين، جهنم: اسم من أسماء النار، ارجع إلىٰ سورة الرعد آية (١٨) لمزيد من البيان في معنىٰ المأوىٰ وجهنم، ولو قارنا هذه الآية بقوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ ثم: تعني التراخي في الزمن، فهذه الآية جاءت في سياق الدنيا، بينما آية التحريم جاءت في سياق الحديث عن الآخرة، وليس هناك فاصل زمني.

﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾: بئس من أفعال الذم والقبح، المصير: المنتهىٰ، وقدّم الكفار علىٰ المنافقين من حيث الزّمن فالكفار جاؤوا قبل المنافقين، وهم أكثر عدداً، وإذا قارنّا هذه الآية (٩) من سورة التحريم وهي قوله:

﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ مع الآية (١٩٧) من سورة آل عمران وهي قوله تعالىٰ: ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ نجده استعمل ثم بدلاً من الواو؛ لأن ثم تدل علىٰ التراخي في الزمن؛ لأنهم لا زالوا في الدنيا، بينما آية التحريم في سياق الآخرة فاستعمل الواو.

[١٠] ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ

مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾:

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾: المثل: هو قول موجز أو تشبيه حال بحال يراد به المقارنة والموازنة أو المفاضلة بين أمرين؛ لكي يتّضح الأمر ويزول الغموض.

**المناسبة:** في مطلع السورة رأينا كيف حفصة وعائشة دفعتا رسول الله ﷺ إلى تحريم ما أحلّ الله له، وجاء التحذير لهما بتوقير رسول الله ﷺ وعدم مخالفته وبالتوبة فقال: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [الآية:٤].

وضرب المثل بامرأة نوح أو لوط بعد ذكر عائشة وحفصة يبيّن لنا أن امرأة نوح ولوط كانت كل واحدة منهما تحت نبي رسول، فلم ينفعها قرابتها من كونها امرأة لنبي إذا لم تصدّقه وتطع أوامره.

﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾: اللام لام الاختصاص، مثل خاص لهم.

﴿امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ﴾: وقوله: امرأة، ولم يقل زوجة؛ لأن امرأة في القرآن تطلق على كل من تخالف زوجها في الدين أو الأخلاق أو العقيدة، أو فيها خلل في الحياة الزوجية مثل كونها لا تنجب أو عاقراً أو بها عيب خلقي.

أما إذا كانت توافق زوجها في الدين والعقيدة والأخلاق وليس بها عيب بدني، ومساوية لزوجها، عندها يطلق عليها زوجة، وكذلك انظر كيف كتبت ﴿وَامْرَأَتَ﴾ بالتاء المفتوحة (المبسوطة)، وليس بالتاء المربوطة. ارجع إلى سورة آل عمران آية (٣٠) للبيان.

﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ﴾: كانتا في عصمة نوح ولوط (عليهما الصلاة والسلام).

﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾: بسبب النفاق أو إفشاء السر وعدم التصديق برسالتهما، وليست خيانة جنسية أو الإحصان. قال ابن عباس: ما بغت امرأة نبي قطُّ.

وقيل: كانت امرأة نوح تتهم نوحاً عليه السلام بأنه مجنون، ولم تصدق برسالته، وأما امرأة لوط كانت تشجّع على الفاحشة ولا تنكرها، وتفشي أخبار لوط إلى قومه.

وهذان رسولان لم يستطيعا التأثير في امرأتيهما، فلكل إنسان سواء كان ذكراً أو أنثى حرية الإيمان والعقيدة: ولا تزر وازرة وزر أخرى.

﴿فَلَمْ﴾: الفاء للتوكيد، لم للنفي.

﴿يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾: أي لم يفيداهما أو ينفعهما لا نوح ولا لوط من عذاب الله شيئاً، والشيء: وهو أقل القليل أو أيُّ نوع من الغنى.

﴿وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾: مع الداخلين: من أهل الكفر والمعاصي إلى النار.

[١١] ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾:

كما قلنا: ضرب الله تعالى المثل الأول؛ ليحذّر به حفصة وعائشة أن تكونا مثل امرأة نوح أو امرأة لوط، ثم ضرب الله تعالى المثل الثاني؛ ليحضّ ويحثّ حفصة وعائشة أن تكونا مثل امرأة فرعون ومريم بنت عمران، ويحضّ كل مؤمنة

على الصبر والثبات في الشدة والابتلاء، وتكون مثل مريم بنت عمران وامرأة فرعون.

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: ارجع إلى الآية السابقة (١٠).

﴿ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾: قيل: هي آسية بنت مزاحم؛ ربّت موسى عليه السلام وآمنت بموسى وتعرّضت لعذاب فرعون الشديد بسبب إيمانها، ولم يقل زوجة فرعون؛ لأنها تخالف زوجها في الدين.

﴿إِذْ﴾: واذكر إذ، أو اذكر حين قالت وهي تتلقى شتى أنواع العذاب.

﴿رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ﴾: دعَت بذلك الدعاء، وعندما اشتد عذاب فرعون لها ورأت قرب أجلها.

﴿وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ﴾: من طغيانه وفساده وظلمه وكفره، ونجّني من هذا الطاغية وتعذيبه.

﴿وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: تكرار (نجّني) للتوكيد، من القوم الظالمين: قوم فرعون وملئه الأقباط الوثنيين.

[١٢] ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾:

﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ﴾: أم عيسى عليه السلام.

﴿ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾: حفظته وصانته، كناية عن عفّتها فلم تتزوج ولم يمسها بشر.

﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾: (فيه) تعني الجنين عيسى عليه السلام، نفخنا: نا

الضمير تعود على جبريل عليه السلام بأمر من الله سبحانه، من: ابتدائية، روحنا: روحٌ من الأرواح، ولا تعني من روح الله، فجبريل الذي نفخ (فيه) في عيسى عليه السلام، بينما الله سبحانه الذي نفخ في آدم.

وهناك من المفسرين من يقول: إن الضمير في كلمة (فيه) تعود على الفرج مكان النفخ، وقيل: (فيه) تعني جَيب درعها، والله أعلم. ارجع إلى سورة الأنبياء آية (٩١) للمقارنة ولمزيد من البيان.

﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا﴾: حينما قال لها جبريل: (إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً)، و:(يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلّم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين). صدقت بما أوحي إلى عيسى عليه السلام.

﴿وَكُتُبِهِۦ﴾: التوراة والإنجيل، كلمات ربها التي في التوراة والإنجيل.

﴿وَكَانَتْ مِنَ﴾: من للتبعيض ولابتداء الغاية.

﴿ٱلْقَٰنِتِينَ﴾: ولم يقل من القانتات المطيعات لله، القانتين: غلّب الذكورة على الإناث؛ لأن القانتين من الرجال أكثر من النساء، أو لأن مريم كانت تقوم بأعمال الطاعة والعبادة والقنوت تضاهي أعمال الرجال، أو لكونها من نسل القانتين.

❖ ❖ ❖

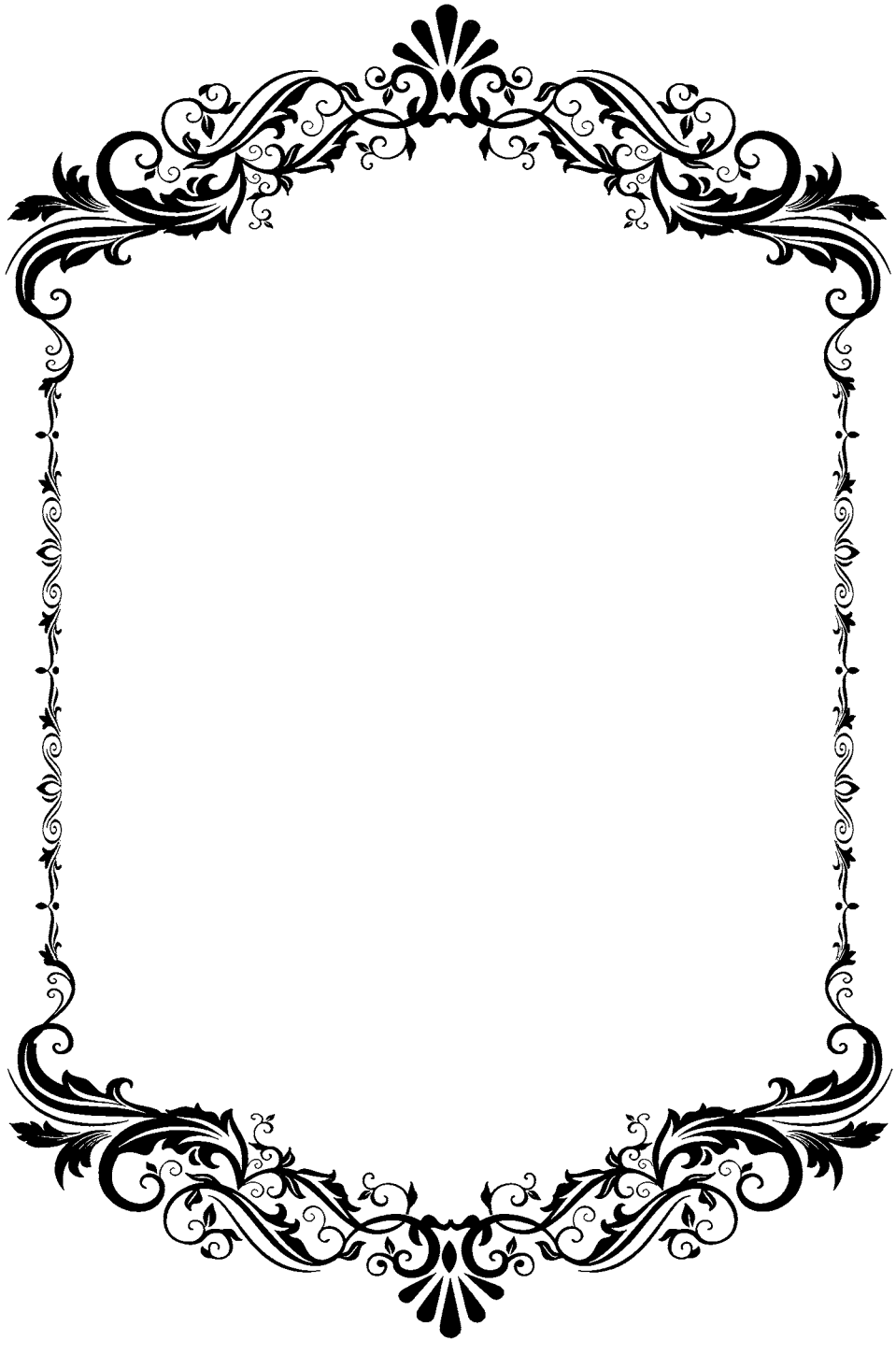

# فهرس تفسير القرآن الثري الجامع الجزء الحادي عشر


| السورة ورقمها | الصفحة |
|---|---|
| سورة محمد [الآيات ٣٠ - ٣٨] | ٦ |
| **سورة الفتح [الآيات ١ - ٩]** | ١٧ |
| سورة الفتح [الآيات ١٠ - ١٥] | ٢٧ |
| سورة الفتح [الآيات ١٦ - ٢٣] | ٣٩ |
| سورة الفتح [الآيات ٢٤ - ٢٨] | ٤٧ |
| سورة الفتح [الآيات ٢٩] | ٥٥ |
| **سورة الحجرات [الآيات ١ - ٤]** | ٥٩ |
| سورة الحجرات [الآيات ٥ - ١١] | ٦٥ |
| سورة الحجرات [الآيات ١٢ - ١٨] | ٧٥ |
| **سورة ق [الآيات ١ - ١٥]** | ٨٥ |
| سورة ق [الآيات ١٦ - ٣٥] | ٩٧ |
| سورة ق [الآيات ٣٦ - ٤٥] | ١٠٩ |
| **سورة الذاريات [الآيات ١ - ٦]** | ١١٧ |
| سورة الذاريات [الآيات ٧ - ٣٠] | ١٢١ |
| سورة الذاريات [الآيات ٣١ - ٥١] | ١٣٥ |
| سورة الذاريات [الآيات ٥٢ - ٦٠] | ١٤٧ |
| **سورة الطور [الآيات ١ - ١٤]** | ١٥٥ |
| سورة الطور [الآيات ١٥ - ٣١] | ١٦١ |
| سورة الطور [الآيات ٣٢ - ٤٩] | ١٧١ |
| **سورة النّجم [الآيات ١ - ٢٦]** | ١٨١ |

| السورة ورقمها | الصفحة |
|---|---|
| سورة النّجم [الآيات ٢٧ - ٤٤] | ١٩٥ |
| سورة النجم [الآيات ٤٥ - ٦٢] | ٢٠٧ |
| **سورة القمر [الآيات ١ - ٦]** | ٢١٣ |
| سورة القمر [الآيات ٧ - ٢٧] | ٢١٩ |
| سورة القمر [الآيات ٢٨ - ٤٩] | ٢٣٣ |
| سورة القمر [الآيات ٥٠ - ٥٥] | ٢٤٥ |
| **سورة الرحمن [الآيات ١ - ١٦]** | ٢٤٩ |
| سورة الرحمن [الآيات ١٧ - ٤٠] | ٢٥٧ |
| سورة الرحمن [الآيات ٤١ - ٦٧] | ٢٦٩ |
| سورة الرحمن [الآيات ٦٨ - ٧٨] | ٢٧٩ |
| **سورة الواقعة [الآيات ١ - ١٦]** | ٢٨٣ |
| سورة الواقعة [الآيات ١٧ - ٥٠] | ٢٨٩ |
| سورة الواقعة [الآيات ٥١ - ٧٦] | ٢٩٩ |
| سورة الواقعة [الآيات ٧٧ - ٩٦] | ٣١٣ |
| **سورة الحديد [الآيات ١ - ٣]** | ٣٢٣ |
| سورة الحديد [الآيات ٤ - ١١] | ٣٢٨ |
| سورة الحديد [الآيات ١٢ - ١٨] | ٣٣٧ |
| سورة الحديد [الآيات ١٩ - ٢٤] | ٣٤٧ |
| سورة الحديد [الآيات ٢٥ - ٢٩] | ٣٥٧ |
| **جزء قد سمع** | |
| سورة المجادلة [الآيات ١ - ٦] | ٣٦٥ |
| سورة المجادلة [الآيات ٧ - ١١] | ٣٧٥ |
| سورة المجادلة [الآيات ١٢ - ٢١] | ٣٨٣ |

| السورة ورقمها | الصفحة |
|---|---|


سورة المجادلة [الآية ٢٢] ..... ٣٩٣
سورة الحشر [الآيات ١ - ٣] ..... ٣٩٦
سورة الحشر [الآيات ٤ - ٩] ..... ٤٠١
سورة الحشر [الآيات ١٠ - ١٦] ..... ٤١١
سورة الحشر [الآيات ١٧ - ٢٤] ..... ٤١٩
سورة الممتحنة [الآيات ١ - ٥] ..... ٤٢٩
سورة الممتحنة [الآيات ٦ - ١١] ..... ٤٣٧
سورة الممتحنة [الآيات ١٢ - ١٣] ..... ٤٤٧
سورة الصف [الآيات ١ - ٥] ..... ٤٥١
سورة الصف [الآيات ٦ - ١٤] ..... ٤٥٦
سورة الجمعة [الآيات ١ - ٨] ..... ٤٦٧
سورة الجمعة [الآيات ٩ - ١١] ..... ٤٧٧
سورة المنافقون [الآيات ١ - ٤] ..... ٤٨٣
سورة المنافقون [الآيات ٥ - ١١] ..... ٤٨٩
سورة التغابن [الآيات ١ - ٩] ..... ٥٠١
سورة التغابن [الآيات ١٠ - ١٨] ..... ٥١١
سورة الطلاق [الآيات ١ - ٥] ..... ٥٢١
سورة الطلاق [الآيات ٦ - ١٢] ..... ٥٣١
سورة التحريم [الآيات ١ - ٧] ..... ٥٣٩
سورة التحريم [الآيات ٨ - ١٢] ..... ٥٤٩
**فهرس تفسير القرآن الثري الجامع الجزء الحادي عشر** ..... ٥٥٧


❖ ❖ ❖